MILLENNIUM

دافيد لاغركرانتز

فتاة
في شبكة العنكبوت

استكمالاً لسلسلة

ستيغ لارسن

التي أسرت 90 مليون قارئ



دافيد لاغركرانتز

فتاة في شبكة العنكبوت
ميلينيوم 4

الكتاب

فتاة في شبكة العنكبوت

ميلينيوم 4

تأليف

دافيد لاغركرانتز

ترجمة

محمد التهامي العماري

الطبعة

الأولى، 2018

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-868-8

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 750507 01 ـ 352826 01

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

دافيد لاغركرانتز

فتاة في شبكة العنكبوت
ميلينيوم 4

ترجمة: محمد التهامي العماري

المركز الثقافي العربي

سما للنشر

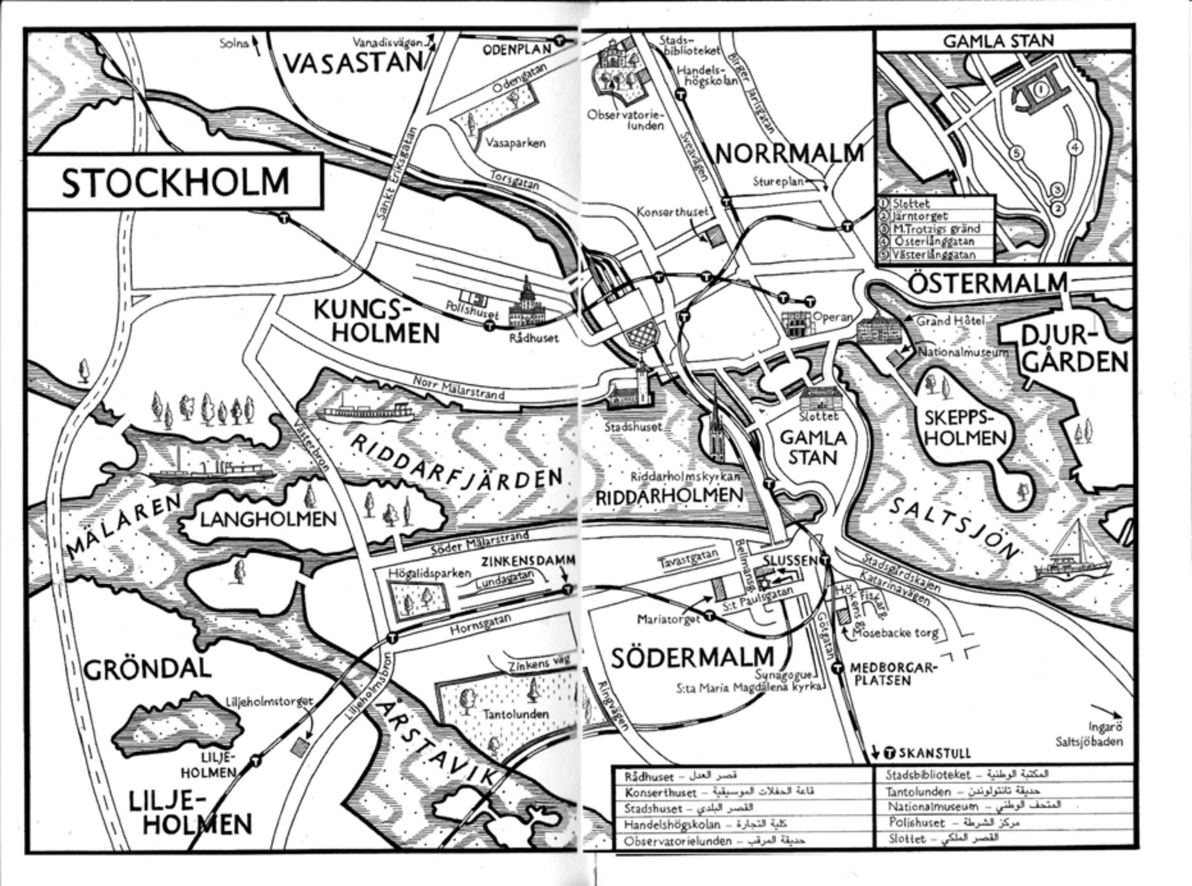
العنوان الأصلي للكتاب:

David Lagercrantz

Det som inte dödar oss

نُشر بالاتفاق مع Norstedts Agency.

شخصيات هذه الرواية
مستعارة من ستيغ لارسن
(2004-1954)



Rådhuset – قصر العدل	Stadsbiblioteket – المكتبة الوطنية
Konserthuset – قاعة الحفلات الموسيقية	Tantolunden – حديقة تانتولوندن
Stadshuset – القصر البلدي	Nationalmuseum – المتحف الوطني
Handelshögskolan – كلية التجارة	Polishuset – مركز الشرطة
Observatorielunden – حديقة المرقب	Slottet – القصر الملكي

استهلال

قبل عام، عند الفجر

تبدأ هذه القصة بحلم، حلم لا يختلف عن غيره من الأحلام. لا شيء سوى يد تضرب على سرير بانتظام وبلا كلل في حجرة لونداغاتن القديمة.

ومع ذلك فهذا الحلم هو ما حمل ليزبث سالاندر على مغادرة سريرها عند الفجر، والجلوس إلى حاسوبها، والشروع في المطاردة.

I

العين التي لا تنام

من فاتح نوفمبر إلى الحادي والعشرين منه

وكالة الأمن القومي الأميركية (NSA)، هيئة فيدرالية خاضعة لسلطة وزارة الدفاع الأميركية، يوجد مقرّها بفورت ميد في مريلاند بمحاذاة الطريق السيار باتوكسنت.

منذ أن أنشئت هذه الهيئة سنة 1952 وهي تهتمّ بالاستخبارات ذات الطبيعة الكهرومغناطيسية، ولا سيما الإنترنت والمكالمات الهاتفيّة في الوقت الراهن. وما زالت سلطة الهيئة تتّسع حتى أنّها صارت تعترض ما يزيد عن عشرين مليون رسالة ومكالمة في اليوم.

1

بداية نوفمبر

لطالما اعتبر فرانز بالدر نفسه أباً حقيراً.

بلغ أوغست الثامنة من عمره، ومع ذلك لم يحاول يوماً الاضطلاع بمسؤوليته الأبوية. ما زال من الخطأ الادّعاء حتى هذه اللحظة بأنه يستمرئ تحمّل مسؤولياته، لكنّه كان يقدّر أنّ ذلك واجبه. فابنه عاش حياة قاسية مع طليقته ومع مَن تزعم أنّه خطيبها، لاس ويستمان.

تخلّى فرانز بالدر إذاً عن منصبه في سيليكون فالي، واستقلّ الطائرة عائداً إلى بلده. حطّ بمطار أرلاندا، ومضى يبحث عن سيارة أجرة وقد تملّكه شعور بالضياع. كان الجو في غاية السوء، وبينما كانت قطرات المطر ترتطم بوجهه، تساءل للمرّة الألف عمّا إذا كان هذا الاختيار الذي أقدم عليه صائباً.

من بين كلّ الآباء الأوغاد الأنانيين سيجد نفسه أباً يخصّص كلّ وقته لرعاية طفله. يا لها من فكرة مجنونة... حريّ به أن يبحث عن عمل في حديقة حيوانات. فهو لا يعرف شيئاً عن الأطفال، بل لا يعرف شيئاً ذا بال عن الحياة بعامة. والأغرب في القضية هو أنّ لا أحد ألزَمَه بذلك. لم تتّصل به أمّ ولا جدّة لتطلب منه القيام بمسؤولياته.

اتّخذ قراره من تلقاء نفسه، وقرّر من دون سابق إعلام الذهاب عند طليقته ليستعيد منها ابنه، رغم الحكم الصادر بشأن الكفالة. سيثير ذلك البلبلة بالطبع، وقد يوسعه لاس، ذلك البليد، ضرباً. لكن عليه أن يتحمّل.

اندفع داخل سيارة أجرة تسوقها امرأة. كانت تمضغ العلكة بعصبيّة بينما تحاول أن تتحدّث إليه. على أنّ محاولتها ذهبت سدى، لأنّ فرانز بالدر لم يكن ميّالاً إلى الثرثرة.

جلس في المقعد الخلفي متجهّماً، ومضى يفكر في ابنه وفي كلّ ما وقع في الآونة الأخيرة. لم يكن أوغست هو السبب الوحيد ولا الأساسي الذي دفعه إلى الاستقالة من سوليفون. فقد عاش منعطفاً في حياته، وتساءل عمّا إذا كان يمتلك الشجاعة للإقدام على ذلك أخيراً. شعر وهو يقترب من فاساستن بأن قواه بدأت تخور، وكان عليه أن يقاوم رغبة ملحّة في الإعراض عمّا عزم عليه. لكن أوان التراجع كان قد فات حينئذٍ.

أدى ثمن الرحلة إلى تورسغاتن، وحمل أمتعته ثمّ توجّه إلى مدخل العمارة حيث وضعها. صعد السلم وهو لا يحمل في يده غير حقيبة فارغة مزيّنة بخريطة للعالم ذات ألوان زاهية اقتناها من مطار سان فرانسيسكو الدولي، ثمّ توقف وهو يلهث أمام الباب وأغلق عينيه متخيّلاً أسوأ سيناريوهات الشجار. وقال في نفسه: **مَن يستطيع لومهما في الواقع؟** لا أحد يأتي هكذا لينتزع طفلاً من محيطه العائلي، ولا سيما أبٌ اقتصر دوره حتّى ذلك الحين على تحويل مبالغ مالية إلى حساب بنكي. لكن الأمر بالنسبة إليه يتعلّق بوضعية طارئة، ورغم رغبته في الفرار، استعاد رباطة جأشه وضغط على جرس الباب.

مضت لحظة صمت ثم انفتح الباب فجأة وانتصب أمامه لاس ويستمان بعينيه الزرقاوين، وصدره البارز وكفيه الضخمين اللذين

يبدوان كما لو أنّهما خلقا لسحق البشر. فبفضل طليقته كان كثيراً ما يؤدّي أدوار الرجل الشرير في السينما، رغم أنّ لا دور من تلك الأدوار كان يعادل، وهو أمر كان فرانز بالدر واثقاً منه، في بشاعته الدور الذي يلعبه في حياته الحقيقية.

هتف ويستمان:

- يا للمفاجأة! العبقري يزورنا شخصياً، عذراً إن كان هذا الاستقبال لا يليق بالمقام.

- أتيتُ لآخذ أوغست.

- ماذا؟

- أريد أن آخذه معي يا لاس.

- أتمزح؟

أجاب فرانز بينما خرجت هانا من غرفة على يساره:

- لم يسبق في حياتي أن كنتُ جاداً مثل اليوم.

لم تعد جميلة كما كانت في السابق، وهو أمر يعود بلا شك إلى الإجهاد والإدمان على التدخين والكحول. ومع ذلك سَرَت في أوصال فرانز موجة غير منتظرة من الحنان، لا سيما حين لمح كدمة على عنقها. بدت كما لو أنّها ترغب في النطق بكلمة ترحيب، لكن لاس لم يترك لها الوقت لذلك إذ قال:

- ما سرّ اهتمامكَ المفاجئ به؟

- قلت في نفسي: كفى إهمالاً. أوغست بحاجة إلى بيتٍ يشعر فيه بالأمان.

- وهل تستطيع أنت أن توفر له هذا البيت يا شاطر؟ كلّ ما تتقنه في حياتك هو التحديق في شاشة حاسوب.

ردّ فرانز وقد شعر بأن حاله يدعو للشفقة لأن لا أحد يريد أن يصدّق بأنّه تغير:

- لقد تغيّرت.

انتابته رعشة وهو يرى لاس ويستمان يتقدّم نحوه بجسمه الضخم وقد استشاط غضباً. وتراءت له الحقيقة عارية: إنّها فكرة بلهاء من أصلها. فهو لا يملك شيئاً ما يواجه به هذا المجنون الهائج إن أقدَم على مهاجمته. غير أنه، وهو أمر غريب، لم يُظهر غضباً ولم يُحدِث دوشة، واكتفى بأن ابتسم ابتسامة كئيبة وقال:

- يا للعجب!

- لماذا؟

- بكل بساطة، لأنّ الأوان قد حان، أليس كذلك يا هانا؟

ثمّ أضاف وهو يصفق بيديه على نحو تمثيلي:

- أخيراً يشعر هذا السيد بالمسؤولية. ممتاز!

ما شدَهَ بالدر إثر ذلك هي البساطة التي تخلّت بها هانا عن الطفل. لم يعترضا على أن يأخذه. لعلّ أوغست كان عبئاً عليهما. من الصعب معرفة الحقيقة.

حدَجَتْه بنظرة ملغزة. كانت يداها ترتعشان وفكّاها مشدودين، لكنّها لم تطرح عليه سوى القليل من الأسئلة. كان بوسعها أن تستجوبه، وأن تملي عليه عدداً لا يحصى من المطالب والتعليمات، وأن تبدي قلقها من اضطراب عوائد الولد، لكنها اكتفت بأن قالت:

- أواثِقٌ أنت من قدرتك على تدبّر أمرك؟

- نعم واثق.

ثم توجّها إلى غرفة أوغست، وكانت تلك هي المرّة الأولى التي يراه فيها بعد أزيد من سنة.

صعقه شعور بالخزي. كيف سمَحَت له نفسه بأن يتخلى عن هذا الطفل؟ كان بالغ الجمال والروعة بشعره الكثيف المخرَّص، وجسمه النحيل وعينيه الزرقاوين. وكان مستغرقاً في تركيب صورة مرْكَب

شراعي ضخم، ولسان حاله يقول: «لا تزعجوني». تقدّم منه فرانز بهدوء، كما لو أنّه يقترب من كائن غريب لا يمكن توقع ردّة فعله.

رغم انشغال الطفل، نجح فرانز في شدّ انتباهه، والإمساك بيده لكي يقوده إلى الردهة. لن ينسى هذه اللحظة أبداً. فيمَ كان يفكّر أوغست؟ وماذا تُراه كان يقول في نفسه؟ لم ينظر إليه ولا إلى أمّه، ولم ينطق بكلمة وداع، ثمّ اختفى برفقته في المصعد. كان الأمر بهذه البساطة.

كان أوغست مصاباً بداء التوحد، كما كان يعاني -على الأرجح- من إعاقة تأخّر عقلي شديد، رغم أنّهما لم يتلقّيا أبداً جواباً واضحاً بهذا الشأن، وأن مظهره الخارجي يشي بعكس ذلك. كان ينبعث، من وجهه الساحر المستغرق باستمرار، نوعاً من النبل، أو كانت تحيط به على الأقل هالة تجعله يبدو كما لو أنّه لا يعبأ بالعالم من حوله. على أنّ من يُنعِم فيه النظر يكتشف ما يشبه حجاباً يلف نظرته. وهو لم ينطق بكلمة قطّ.

على أنّه خيّب، وهو في الثانية من عمره، كلّ التنبؤات. كان الأطباء قد أعلنوا حينئذٍ أنّه ينتمي ربّما إلى أقلية من المتوحدين غير المصابين بتأخر عقلي، وأنّه إنْ خضع لعلاج سلوكي مكثّف، فستكون حظوظه في الشفاء كبيرة. لكن لا شيء من ذلك جرى كما كانوا يأملون. ثمّ إن فرانز بالدر لم يكن يعرف في الحقيقة مآل تلك المساعدة المالية وذلك الدعم الذي كان يبعث به إلى أمّه، ولا حتى طبيعة التعليم الذي ناله الطفل. فهو قد سافر للعيش بعيداً. استقر في الولايات المتحدة الأميركية، ووجد نفسه يواجه العالم بأسره.

لقد تصرّف مثل وغد، لكنّه عقد العزم منذُئذٍ على أن يؤدي ما عليه من دَين، وأن يتكفّل بابنه. وصمّم على أن يفعل ذلك بكلّ ما أوتي من

حماس. راح يقرأ عن مرض ابنه ويبحث عن كلّ ما يتعلّق به. اتّصل بالاختصاصيين وعلماء التربية، وانتهى إلى نتيجة لا غبار عليها وهي أنّ أوغست لم يستفِد ممّا كان يبعث له من مال، وأنّ تلك المبالغ كانت تُصرف في أمور أخرى، في الرذيلة وفي ديون قمار لاس ويستمان. وخلصَ إلى أنّ الطفل أُهمِل وتُرِك لحاله، بل لعلّه لقي ما هو أسوأ من ذلك. وكان هذا من بين ما حملَ فرانز على العودة.

اتّصل به عالم نفس هاتفياً بعد أن لاحظ كدمات غريبة على جسد الولد، وهي كدمات يستطيع فرانز الآن أن يعايِنَها. كانت تغطي كلّ جسده: ذراعيه وساقيه وصدره وكتفيه. فسّرتها هانا بما يعتريه من نوبات يرتمي خلالها إلى الأمام وإلى الخلف، والحال أنّ فرانز بالدر شهد إحداها منذ اليوم الثاني، فركبه فزع شديد، لكن هذا لا يفسر في نظره كلّ تلك الكدمات.

استعان بطبيب وبضابط شرطة سابق من معارفه لعلّه يعرف ما إذا كان أوغست تعرّض لسوء معاملة. ورغم أنّهما لم يستطيعا تأكيد شكوكه تماماً، فإنّ سخطه كان يتزايد يوماً بعد يوم، ممّا جعله يعكف على تحرير عدد من الشكايات حتّى إنّه كاد يهمل الطفل، وأدركَ كيف يمكن السهو عنه بسهولة. كان يقضي معظم الوقت جالساً على الأرض في الغرفة التي أعدّها له فرانز في فيلا سالتسخوبادن، بنوافذها المطلّة على المياه، يُركّب قطع البوزل؛ قطعاً تعدُّ بالمئات، يؤلف بينها ببراعة، ثمّ يفكّكها ليستأنف تركيبها من جديد.

راح فرانز يتأمّله في البداية بإعجاب. كان الأمر أشبه بمراقبة فنّان منهمك في إنجاز عمل فنّي، وكان يخيّل له أحياناً أنّ الطفل سيرفع رأسه وينطق بتعليقٍ بالغ الدلالة، عدا أنّ أوغست لم ينطق بكلمة أبداً. وهو إن رفع رأسه عن الصورة فلِكَي يصوّب بصره نحو النافذة لينظر إلى ضوء الشمس المنعكس على صفحة الماء. وينتهي الأمر بالأب إلى أن

يتركه وشأنه، فيمكث هناك وحيداً. والحقيقة أنّ فرانز لم يكن يُخرِجه للنزهة، ولو في الحديقة، إلّا نادراً.

لم يكن له من الزاوية القانونية حقّ كفالة الطفل، ومن ثمّة فهو لم يكن يريد المجازفة طالما أنّ الأمر لم يسوَّ من الناحية القضائية. لهذا أوكل شؤون التسوّق والمطبخ والصيانة إلى الخادمة لوتي راسك. فهو لم يكن على كلّ حال ممّن يُتقنون تدبير شؤون البيت. كان بارعاً في الحاسوب واللوغاريتمات ولا شيء غيرهما. وبمرور الوقت، كان يمضي فترات أطول فأطول عاكفاً على حاسوبه، أو في استشارة محاميه. ولم يكن نومه ليلاً أحسن حالاً ممّا كان في الولايات المتحدة.

كان يدرك أنّ المحاكمة ومتاعبها تنتظره، فدأب على احتساء زجاجة نبيذ أحمر إيطالي في الغالب كل مساء عسى أن يغيّر ذلك من حاله شيئاً، لكنّه حتّى إن غيّر، فبصورة عابرة. كان يشعر بأنّ حاله تزداد سوءاً، وبدأ يراوده حلم الاختفاء عن الأنظار، أو السفر إلى مكان قَصيّ لا يصله أحد. ثم، بينما كان مارّاً هو وأوغست بمحاذاة رينغفيغن وهما يرتعشان من البرد، في أحد مساءات نوفمبر الباردة والعاصفة، وقعت حادثة مثيرة.

كانا عائدين من عشاء عند فرح شريف بشارع زينكين في وقت كان من المفروض أن يكون فيه أوغست قد أوى إلى فراشه منذ مدّة. غير أنّ وجبة العشاء طالت، وقضى فرانز الأمسية في الحديث عن أشياء كان حقّه أن يحتفظ بها لنفسه. ذلك أنّ فرح كانت تملك القدرة على دفع جليسها إلى البوح بمكنون نفسه. تعرّف عليها منذ أن كانا يدرسان الإلكترونيات في إمبريال كوليدج في لندن، وهي اليوم من القلائل الذين يملكون مستواه نفسه في البلد، أو على الأقل هي واحدة من القلائل الذين يستطيعون متابعة استدلالاته، وهذا هو سرّ الراحة التي يجدها بالدر في التحدّث إليها.

رغم أنّها كانت تفتنه، لم ينجح يوماً في إغوائها رغم محاولاته المتعدّدة. لم يكن صاحب حظوة لدى النساء، لكنّ عناق الوداع هذه الليلة كاد يتحوّل إلى قبلة، وهو ما عدّه نجاحاً باهراً. كان مستغرقاً في هذه الفكرة لمّا مرّا أمام ملعب زنكينسدام.

كان يحدّث نفسه بأنه سيستعين في المرّة القادمة براعية أطفال تتكفّل بأوغست، عندئذٍ لربّما. . . من يدري؟! كان يتردّد نباح كلب في البعيد، وسمع خلفه هتاف امرأة، أمِنْ فرحٍ أم مِن ألمٍ؟ لا يعلم. نظر باتجاه هورنسغاتن، نحو ملتقى الطرق حيث كان ينوي التلويح لسيارة أجرة أو ركوب المترو باتجاه سلوسن. كان الجو يهدِّد بالمطر، وأشار ضوء المرور للراجلين بعدم العبور. في الجانب الآخر من الطريق لمح رجلاً في الأربعينيات من عمره، متهالكاً، بدا له وجهه، على نحوٍ غامض، مألوفاً. وفي تلك اللحظة أمسك فرانز بِيَد أوغست.

كان قصده هو أن يتأكّد من أنّ ابنه سيتوقف على جانب الرصيف، عندئذٍ انتبه إلى يد الولد: شعر بها ممدودة ومتصلّبة كما لو أنّها تهمّ باتّقاء شرّ محدق. كما بدت عيناه صافيتين، ونظرته مركزة، كما لو أنّ الغشاء الذي يلفّها زال بقُدرة قادر. وعوض النظر إلى المنعطف، راح ينظر إلى شيء أكبر وأعمق يحيط بممرّ الراجلين وبملتقى الطرق. كلّ ذلك جعل فرانز يشرد عن ضوء عبور الراجلين الذي استحال إلى الأخضر.

ترك الطفل واقفاً في مكانه يراقب المشهد، وشعر بدفق انفعال غامض أثار استغرابه. لم يكن الأمر يتعلّق إلّا بنظرة، نظرةٍ لا إشراقَ فيها ولا بهجة، ومع ذلك أيقظت فيه ذكريات بعيدة. وشعر لأول مرة منذ فترة طويلة بالأمل ينبعث بداخله.

2

العشرون من نوفمبر

لم يَنَمْ مايكل بلومفيست غير ساعات قليلة. صمّم على إنهاء رواية بوليسية لإليزابث جورج، وهو ما لم يكن بالسلوك الحكيم. ذلك أنّ أوف لوفين، زعيم مجموعة سيرنر الإعلامية، سيقدّم تصريحاً ذلك الصباح حول مستقبل ميلينيوم، ممّا يفرض أن يكون مستريحاً ومتأهّباً للمعركة.

لكنّه يهزأ بالحكمة. لم يكن رائق المزاج، ومن ثمّة لم يغادر السرير باتجاه آلة إعداد القهوة إلّا مكرهاً. تلك الآلة التي قُدِّمت له يوماً مرفوقة بالكلمات الآتية: «على كلّ حال، فأنت تعتقد أنّني لا أحسن استعمالها»؛ وظلّت تتربّع على عرش مطبخه كتذكار من الزمن الجميل. لم تعد له صلة اليوم بمن بعثها له. أمّا العمل، فلم يعد يجد فيه أيّ تحفيز.

بل إنّه تساءل في عطلة نهاية الأسبوع الأخيرة ما إذا كان عليه تغيير الطريق الذي اختاره، وهي فكرة لا تخلو من تطرّف بالنظر إلى رجل مثل مايكل بلومفيست. فقد كان شديد الكلف بميلينيوم، ومعظم أحداث حياته، البهيجة منها والمحزنة، مرتبطة بها. لكن لا شيء يدوم على حال، بما في ذلك تعلقه بهذه المجلة الإخبارية. ثمّ إنّ المرحلة لم تكن مرحلة رخاء بالنسبة إلى صاحب جريدة تحقيقات مثلها.

كل الجرائد الطموحة كَسَدَت. ولم يستطِع بلومفيست التخلّص من فكرة أنّ تصوره للصحافة، الجميل والصادق من الناحية الأخلاقية، لا يسمح ضرورة باستمرار مجلة **ميلينيوم** في الوجود. ثم توجه إلى الصالون وهو يرتشف قهوته، وسرح ببصره في خليج ردارفياردن. كان الجو في الخارج عاصفاً.

سرعان ما ترك الجو المشمس، الذي خيّم على المدينة معظم شهر أكتوبر مكانه فجأة لجو رهيب: رياحٌ وزخات طوفانية متواصلة، ممّا جعل الناس في شوارع المدينة يحثّون الخطى وقد أحكموا شدّ ياقاتهم. أمّا مايكل فلزم البيت طيلة عطلة نهاية الأسبوع، لكن ليس بسبب الجو وحده. فقد قضى يومين يفكّر في مشاريع بديلة، إلا أنّها لم تستقِم له، وهو أمر لم يعتَد عليه.

لم يكن شخصاً فظّ الطبع، متعطّشاً للانتقام، كما أنه لم يكن يعاني، بخلاف كثير من نجوم الصحافة السويدية، من تضخّم الأنا، بحيث يحتاج إلى إثباتها وتلميعها باستمرار. ومن جهة أخرى، لم تكن السنوات الأخيرة سهلة. فقد حرّر الصحافي وليام بورغ قبل شهر عموداً في جريدة **بيزنس لايف** التابعة لمجموعة سيرنر، عنونه:

أيام مايكل بلومفيست صارت معدودة

إنّ نشر العمود في الصفحة الأولى من المجلة الإخبارية يشهد بالطبع على أنّ بلومفيست ما زال يحتل مكانة بارزة في المشهد الصحفي. كما أن أحداً لم يزعم بأنّ العمود مُحكم البناء، بَيِّنُ الأصالة. كان من اليسير ألّا يجد صدى مثل كثير من هجمات زملائه الحسودين، غير أنّ هذه القصة، ولسببٍ غامض وغير مفهوم، استفحلت. بدا النقاش في أوّل الأمر كما لو أنّه تأمّلٌ في مهنة الصحافة -«هل يلزم أن يحشر الصحافي أنفه في الحياة الاقتصادية، مثلما يفعل

بلومفيست، ويتشبّث بتصور متجاوز للصحافة يعود لسنوات السبعينيات» أو «يلقي هذه الغيرة جانباً، كما فعل وليام بورغ نفسه، ويعترف بفضل كبار المقاولين الذين مكّنوا السويد من تسريع وتيرة نموّها»؟

غير أنّ الجدال أخذ ينزاح عن مساره شيئاً فشيئاً، ومضى بعضهم يؤكّد أنه ليس من الصدفة في شيء إن صار بلومفيست يخبط خبط عشواء في السنوات الأخيرة، «بما أنّه ينطلق من مبدأ مفاده أنّ كلّ كبار المقاولين نصابين»، وبذلك «فهو يفتقر للحصافة، ويتجاوز الحدود في مقالاته». كما كتبوا عنه بأنّه دفع ثمن رعونته في آخر المطاف. وما زاد الطين بلّة هو أنّ هانز إيريك فينرشتروم، ذلك اللص القديم الذي كاد بلومفيست يقضي عليه، صار يحظى بشيء من التعاطف. ورغم أنّ الصحافة الجادّة تجنّبت الخوض في الموضوع، توالت الهجمات على المواقع الاجتماعية.

لم تأتِ الهجمات من ممثلي الحياة الاقتصادية والصحافيين العاملين في هذا المجال فحسب، وهم يملكون كلّ الذرائع التي تحملهم على الانقضاض على خصم موجود في موقفٍ ضعف، بل انضمّ إليهم كذلك عصبة من الصحافيين الشباب الذين اغتنموا الفرصة لكيّ يثيروا الأنظار إليهم، مشيرين إلى أنّ بلومفيست انتهى، وأنّه لم يعُد له وجود على صفحات تويتر ولا فيسبوك، ويمكن اعتباره من بقايا العصر الغابر الذي كان يُسمح للمرء فيه بأن يندسّ بين أيّ جماعة من المتزلفين. ومن الناس مَن اغتنم الفرصة والتحق بالرَّكب فأنشأ هاشتاغات مضحكة من قبيل #commeàlépoquedeblomkvist. باختصار كان الأمر أشبه بخليط غير متجانس من الترّهات وافتراءات أشخاص لا شاغل لهم غيره. هذا ما كان يحاول أن يَقنع به نفسه على الأقل.

من جهة أخرى، لم يكن عدم نجاحه في إحراز سبق صحفي منذ

قضية زالاشنكو، والأزمة التي تعيشها **ميلينيوم**، سيخدم القضية. فقد ظلّ السحب على حاله تقريباً، ما يقارب عشرين ألف مشترك. لكن مداخيل الإشهار انخفضت كثيراً، وانقطعت الإيرادات الإضافية التي كانت تأتي من الكتب ذات المبيعات العالية. ومنذ أن صارت هارييت فانغر غير قادرة على المساهمة في رأس المال، سمحت إدارة المجلة للإمبراطورية الإعلامية النرويجية سيرنر بالاستيلاء على ثلاثين بالمائة من أسهمها رغم معارضة بلومفيست. بدا الأمر غريباً في بادئ الأمر. فسيرنر كانت تنشر في الآن ذاته أسبوعيات وجرائد من الحجم الصغير، وتملك موقعاً إلكترونياً كبيراً للتعارف، وقناتين تلفزيتين بالأداء، وفريق كرة قدم من القسم الأول بالدوري النرويجي. ومن ثمّة لا تظهر لها أيّ صلة بمجلة إخبارية مثل **ميلينيوم** للوهلة الأولى.

غير أنّ ممثلي سيرنر، وعلى رأسهم مدير النشر أوف لوفين، صرّحوا بأنّ المجموعة كانت بحاجة إلى وسيلة إعلام رفيعة، وأنّ كل أعضاء الإدارة معجبون **بميلينيوم**، وحلمهم هو أن يروا هذه الدورية الشهرية تستمرّ كما كانت سابقاً. وعلّق لوفين: «ليس هدفنا هو الربح، بل نريد أن نقوم بعمل مهمّ». وضخّ من ثمة مبالغ كبيرة في صندوق المجلة.

وفعلاً لم تتدخّل سيرنر أوّل الأمر في العمل التحريري للمجلّة، بل تركتها تعمل كالمُعتاد، لكن بميزانية مريحة، وهو ما بثّ الأمل في نفوس فريق الإدارة، شعور كان يتقاسمه معهم بلومفيست أحياناً، إذ ساوره إحساس بأنه يستطيع أخيراً أن يتفرّغ للعمل الصحفي عوض الانشغال بالأمور المالية. لكن في الوقت الذي شرعت المؤامرة تُحاك ضدّه، بدأت نبرة سيرنر تتغيّر. وبدأ يشعر لأوّل مرّة بضغوطات عليه، ممّا بعث في نفسه الشكّ في أنّ المجموعة إنّما استغلت المناسبة.

قال لوفين إنّ على المجلة أن تواصل تحقيقاتها المعمّقة بالطبع،

أيّ ذلك النوع من الصحافة الذي يغذّيه التوق إلى العدالة الاجتماعية. . . إلخ. لكن لا ينبغي أن تعالج كلّ المقالات بالضرورة الغشّ الاقتصادي والظلم والفضائح السياسية. وأضاف بنبرة متحمّسة أنّه بالإمكان كذلك ممارسة صحافة حقيقية تتناول مواضيع أكثر جاذبية كأخبار المشاهير وتغطية العروض المسرحية الأولى والأفلام الجديدة على غرار ما تفعل **فانيتي فير**[1] **وإسكواير**[2]، وما كتبه غاي تاليسي[3] عن فرانك سيناترا "Frank Sinatra Has a Cold" -الذي صار مقالة مرجعية- ونورمان مايلر[4] وترومان كابوت[5] وتوم وولف[6] وغيرهم.

لم يكن بلومفيست في الواقع يعترض على ذلك، على الأقلّ في تلك الفترة، حتّى إنه حرّر قبل ذلك بستة أشهر روبورتاجاً عن صناعة الباباراتزي. يكفي أن يعثر المرء على زاوية مهمّة ومثيرة لكي يكتب بورتريه أيّ شخص، حتّى لو كان نكرة. كان كثيراً ما يردّد أن ما يميّز الكتابة الصحفية الجيّدة عن الرديئة ليس الموضوع، بل طريقة المعالجة. على أنّ ما كان يعترض عليه هو الشطط الذي حدسه خلف

---

(1) *Vanity Fair*: مجلة أميركية شهرية تقدّم لقرّائها مجموعة مقالات حول شخصيات شهيرة من عالم التمثيل أو السياسة أو الموضة أو السياسة. . .

(2) *Esquire*: مجلة أميركية شهرية خاصة بالرجال أنشئت سنة 1933.

(3) Gay Talese: صحافي وكاتب أميركي ولد سنة 1932 بنيو جيرزي، هو ممّن طوّروا الصحافة الأدبية.

(4) Norman Mailer (1923-2007): كاتب أميركي ومؤلف سيناريو ومخرج وممثل سينما.

(5) Truman Capote: أديب أميركي ولد سنة 1924 بنيو أورليان وتوفي سنة 1984. كتب روبورتاجات ورحلات وسير وسيناريوهات.

(6) Tom Wolfe: كاتب وصحافي أميركي ولد سنة 1931. له تأثير بالغ على تطور الصحافة الأدبية الأميركية. بدأ حياته مراسلاً محلياً لبعض الجرائد، لكنه سرعان ما صار من ألمع الكتاب والصحافيين الأميركيين.

السطور، وهو بداية هجمة واسعة النطاق ستُضعف وضع ميلينيوم داخل المجموعة، وتحوّلها إلى مجرّد منشور طيّع خاضع، تمهيداً لمسخها وطمس هويتها.

لمّا علم مايكل بعد ظُهر الجمعة أنّ أوف لوفين استعان بخبير لإنجاز سلسلة من دراسات السوق سيعرضها عليهم خلال اجتماع يوم الاثنين، عاد إلى بيته وقضى ساعات طويلة جالساً إلى مكتبه أو مضطجعاً على سريره، ينشئ خُطباً تحريضية توضّح الأسباب التي تدعو إلى محافظة ميلينيوم على خطها التحريري: انتشار أعمال الشغب في الضواحي، وجود حزب معادٍ للأجانب في البرلمان، التعصّب المتزايد، تعزُّزُ صفوف الفاشية، امتلاء الشوارع بالشحاذين والمشرّدين. لقد صارت السويد في كثير من المناحي أمة مُخجِلة. . . هيأ حشداً من العبارات البليغة، وخالَ نفسه يحقّق نجاحات باهرة بعد إفشاء حقائق مثيرة ومقنعة، ستوقظ كافة أعضاء هيئة التحرير وكلّ مجموعة سيرنر من غفوتهم، وتشحذ هِممهم، فيهبوا هبّة رجل واحد.

لكنه لمّا نزل من برج أحلامه، تنبّه إلى أنّ عباراته هذه لن تُحدث وَقْعاً إذا هي لم تُقنِع من الزاوية الاقتصادية. الكلام المنمّق وحده لا يفيد، والسلطة الوحيدة هي سلطة المال. فما يعني المجلة بالمقام الأوّل هو تحقيق الأرباح، بعد ذلك يأتي التفكير في تغيير العالم. هذه هي سنّة الحياة. ومن ثمّة عوض الانشغال بتدبيج الخطب الطنانة، تساءل عمّا إذا كان بالإمكان العثور على موضوع خطير، يكشف عن معطيات مهمّة تستطيع إعادة الثقة إلى هيئة التحرير. عندئذٍ تنتفي الحاجة إلى ما ينوي أوف إجراءه من دراسات للسوق وتشخيص لحال ميلينيوم المتهالكة، دراسات لا يعلم أحد أيّ حماقة يقصد من ورائها.

صار بلومفيست منذ أن أنجز سبقه الصحفي يتلقّى عدداً هائلاً من الرسائل يوميّاً، ويتوصّل بأسرار تخصّ كثيراً من حالات الغشّ

والقضايا المشبوهة. وقد كان معظمها بطبيعة الحال مجرّد هراء لا يصلح لشيء. ذلك أنّ بعض المتآمرين والأفّاكين والمفترين يتنافسون على نسج حكايات بالغة السخافة، قلّما تصمد أمام أول تمحيص، أو أنّها لا تملك من الاتّساق ما يمكّنها من أن تُتّخذ موضوع مقالة مثيرة. على أنّه قد يوجد أحياناً موضوع استثنائي خلف حكاية مبتذلة. فقضية تأمين عادية أو اختفاء شخص قد تُخفي وراءها قصة مغرية، مَن يدري؟! يكفي أن يكون المرء منهجياً وينظر إلى كلّ شيء بذهن متفتّح. هكذا جلس يوم السبت أمام حاسوبه المحمول واضعاً مفكّرته أمامه، وراح ينقّب فيما توفّر لديه.

اشتغل إلى الساعة الخامسة بعد الظهر واكتشف شيئاً أو شيئين كانا سيثيران حميّته بالتأكيد لو كان ذلك قبل عشر سنوات، لكنّهما لم يوقظا فيه اليوم عدا قليل من الحماس. أدرك بخبرته أنّ الأمر لا يعدو أن يكون مشكلة مألوفة. فبعد قضاء سنوات في هذه المهنة، يكاد كلّ شيء يبدو للمرء مألوفاً. وحتّى حين يقدّر، على المستوى الذهني، أنّ موضوعاً ما جيّد، فغالباً ما يعوزه الحماس. ولمّا بدأ المطر يسقط على الأسقف، توقّف عن العمل واستغرق في قراءة رواية لإليزابث جورج.

قال في نفسه مطمئناً إن القراءة ليست مجرّد رغبة في الهروب من الواقع. ذلك أن أفضل الأفكار، بحسب تجربته، يمكن أن تراود المرء في اللحظة التي يتوقّف فيها عن العمل، وأنّ عناصر اللغز يمكن أن تلتئم لمّا يكون المرء مستغرقاً في نشاط آخر. ولكن في هذه الحالة لا تقوده أكثر أفكاره وجاهة إلّا إلى خلاصة واحدة: عليه أن يستلقي ويستمتع بقراءة أجود الروايات. وما كاد يحلّ يوم الاثنين، من دون أن يتغيّر ذلك الجو المتجهّم، حتى كان قد التهم رواية بوليسية كاملة لإليزابث جورج ونصف رواية أخرى، هذا فضلاً عن ثلاثة أعداد قديمة من مجلة **نيو يوركر** كانت ملقاة على منضدة السرير.

ها هو جالس في الصالون يحتسي قهوته، يراقب العاصفة الرعدية والمطر الذي يرتطم بزجاج النافذة، يرهقه شعور بالتعب والضجر. ثمّ قام فجأة من مكانه، كما لو أنّه تعمّد في هذه اللحظة بالذات أن يستجمع قواه، وانتعل حذاءه ثمّ تدثر بمعطفه، وغادر البيت.

كان الجو سيئاً للغاية على نحوٍ غير مسبوق. تنفذ إلى عظامه رياح باردة رطبة، فيحثّ الخطى ليبلغ شارع هورنسغاتن الممتدّ أمامه، والذي بدا رمادياً على نحوٍ غير مألوف في هذا اليوم. كلّ حي صودر بدا باهتاً، ولم تكن تبدو ولو ورقة خريف واحدة ترفرف في الهواء. ومرّ بمحاذاة كنيسة مريم المجدلية منكوس الرأس، مشبك اليدين على الصدر، قاصداً سلوسن، قبل أن ينعطف إلى اليمين عند غوتغاتسباكن. مرّ كعادته بين متاجر مونكي للألبسة الجاهزة وحانة أنديغو قبل أن يرتقي السلم المفضي إلى مكاتب المجلة في الطابق الخامس، تحت مكاتب غرين بيس مباشرة. وما كاد يشرع في صعود الدرج حتى بدأت الوشوشات تتناهى إلى سمعه.

كان المكان حاشداً أكثر من المعتاد، إذ كان كلّ أعضاء هيئة التحرير حاضرين إضافة إلى أكثر الصحافيين المستقلين حظوة، وثلاثة أشخاص من سيرنر وخبيرَين وأوف لوفين الذي بدا في بذلة لا تناسب المقام، جعلته يفقد مظهر المدير. كما أن عباراته كانت أقرب إلى لغة العامة.

- كيف حالك يا مايكل؟ والصحة؟

ردّ مايكل بفظاظة لم تكن مقصودة:

- الأمر متوقّف عليك.

وأحسّ كما لو أنّ جوابه بمثابة إيذان بالحرب. فأومأ برأسه إيماءة متصلّبة قبل أن يقصد أحد المقاعد ويجلس.

تنحنح لوفين وهو يرشق مايكل بنظرة قلقة. بدا المراسل الناجح الذي أظهر عند وصوله إلى الجريدة غير قليل من الجموح منتبهاً ومهذّباً ولا تظهر عليه أيّ نيّة في اللجاج أو إثارة المشاكل. لكن ذلك لم يكن ليُطمئن أوف. فقد سبق له أن اشتغل مع بلومفيست كصحافيين مستقلين يهتمان بتغطية الحوادث اليومية والوقائع العابرة في جريدة **إكسبريسن**. كانا يحلمان حين يجلسان حول الطاولة في نهاية اليوم بإنجاز تحقيقات هامة وكشف حقائق صادمة. كانا يقضيان ساعات طويلة في الحديث، وأقسما بألّا يكتفيا قطّ بالمألوف المبتذل، وأن يحرصا على دفع التحري إلى أقصاه. كانا شابين طموحين يتوقان إلى تحقيق كلّ أحلامهما دفعة واحدة. وأوف يأسف أحياناً على هذه الفترة. ليس على الراتب بالطبع ولا على أوقات العمل، بل على أحلامهما وعلى صلابتهما آنئذٍ، على تلك الرغبة العارمة في تغيير المجتمع والصحافة، بل العالم أجمع، وفي كسر شوكة كلّ أنواع السلطة. وكان يحدث له أحياناً أن يخلو إلى نفسه ويتساءل: ماذا جرى لي؟ أين هي أحلامي؟

أمّا بلومفيست فحقّقها جميعاً، لا لأنه فضح في تحقيقاته الصحفية الأخيرة العديد من القضايا الكبرى فحسب، بل لأنّه كان يكتب بتلك القوة والحماسة التي طالما حلم بها، من دون الاستسلام لضغوط السلطات، ولا قبول المساومات حين يتعلق الأمر بمُثُله العليا. أمّا أوف. . . فتمكّن مع ذلك من النجاح في حياته المهنية، وأمّن لنفسه دخلاً يضاعف عشر مرات دَخْل بلومفيست، وهو شيء يحقق له كثيراً من الرضا على النفس. ما الفائدة من السبق الصحفي إن كان لم يسمح لمايك بشراء حتى مسكن ثان أجمل من ذلك العنبر الصغير بساندهام؟ يا إلهي! هل تُمكن المقارنة بين ذلك الكوخ الحقير ومسكنه هو في مدينة كان الفرنسية؟! كلا، لا مجال للمقارنة! هو مَن اختار الاختيار الصحيح لا مايكل.

عوض أن يضيّع أوف وقته في صحافة الوقائع اليومية، اختار أن يشغل منصب محلِّل وسائل إعلام لدى سيرنر، ونسج علاقة متينة مع هاكون سيرنر شخصياً. وهو ما غيّر حياته تماماً، وجعل منه رجلاً ثرياً. ترأّس إدارة نشر العديد من الصحف والقنوات التلفزية، وأدمن حبّ السلطة والمال وكلّ ما يقترن بهما... على أنّ الحلم بأن يصير هو أيضاً صحافياً ناجحاً على غرار بلومفيست ظلّ يراوده. ولعلّ هذا هو ما حدا به إلى أن يبذل قصارى جهده لتصبح المجموعة مساهِمة في رأسمال **ميلينيوم**. همس له أحدهم بأنّ المجلة تجتاز أزمة مالية، وأنّ رئيسة تحريرها، إريكا برجر التي طالما اشتهاها في سرّه، تأمَل في الاحتفاظ بموظفيْها الجديدين: صوفي ميلكر وإميل غراندن، وهو أمر لن تستطيعه من دون مساهمة جديدة في رأسمال المجلّة.

رأى أوف باختصار في ذلك فرصة مواتية ليضع قدَماً في إحدى أعرق المؤسسات الإعلامية السويدية وأكثرها تأثيراً. على أنّ إدارة المجموعة لم تُبْدِ حماساً كبيراً للأمر، بل إنهم راحوا يغمغمون بتذمّر بأنّ **ميلينيوم** مجلة أكل عليها الدهر، وأنها يسارية وذات ميول بغيض إلى نسج علاقات مُريبة مع عدد كبير من المُعلنين والمتعاونين. كانت الصفقة ستؤول إلى الفشل لو لم يستمِتْ أوف في الدفاع عن فكرته. ألحّ على أنّ الأمر يقتضي النظر إلى المشهد في كلّيّته، وأنّ الاستثمار في **ميلينيوم** يمثّل مبلغاً ضئيلاً، مساهمة تافهة لن تعود ربّما بربح وفير، لكنّهم سيجنون منها شيئاً أهمّ بكثير: المصداقية. مهما يُقال، فبعد هذه التخفيضات الأليمة في الميزانية، فإنّ مصداقية سيرنر ليست في وضع تُحسد عليه. ومن ثمّة فالمراهنة على **ميلينيوم** يمكن أن تشهد على أنّ المجموعة تهتمّ رغم كلّ شيء بالصحافة وبحريّة التعبير. صحيح أنّ إدارة المجموعة لم تكن تحبّذ حرية التعبير والتحقيق الصحفي على طريقة **ميلينيوم**، لكن بعض الاستقامة لا يمكن أن يعود بالضرر.

وهكذا كسب أوف موافقة الجميع، وتلقى الإشارة بالإقدام على هذا الاستثمار، وهو استثمار سيبدو لفترة طويلة كأنّه صفقة مربحة للجميع.

بهذا لمّعت سيرنر صورتها، وتمكّنت ميلينيوم من الاحتفاظ بموظفيها والتفرّغ للعمل الذي تتقنه: الروبورتاجات التحليلية والعمل الصحفي الجيد. أما أوف الذي سلّطت عليه الأضواء، فكان في غاية الابتهاج، بل إنّه شارك في مناظرة نظّمها نادي الصحافة، وأعلن بكلّ تواضع:

- أنا مؤمن بالمؤسسات التي تقوم بالعمل الجيّد، وطالما ناضلت لنصرة صحافة التحرّيات.

لكن المؤامرة على بلومفيست استمرَّت فيما بعد... وهو أمر يفضل ألّا يذكره. لم يزعجه ذلك في بادئ الأمر. فمنذ أن سطع نجمه في سماء الفضاء الإعلامي، لم يكن يتذمر من استهزاء وسائل الإعلام به بقدر ما كان يبتهج، لكن بهجته هذه المرّة لم تطُل. ذلك أن ثورفالد، أصغر أبناء سيرنر، اكتشف السجال على الشبكات الاجتماعية، فأثار حوله ضجّة. لا لأنّه شعر بأنّ الأمر يعنيه شخصياً، فثورفالد لم يكن من النوع الذي يهتم بما يقوله الصحافيون، بل لأنه يعشق السلطة.

كان مغرماً بالدسائس، ووجد الفرصة مواتية لتسجيل بعض النقاط، أو بكل بساطة لتلقين الحرس القديم داخل إدارة التحرير درساً. وقد أفلح في وقت قصير في حمل الرئيس المدير العام ستيغ سميث، الذي لم يكن يملك وقتاً يضيّعه في مثل هذه التفاصيل، على أن يعلن بأنّ ميلينيوم لا يمكن أن تُعتبر استثناء، وأنّ عليّها أن تتكيف مع العصر الحديث على شاكلة منتوجات المجموعة الأخرى.

بعد أن أقسم أوف لإريكا برجر بأنّه لن يتدخّل في عمل هيئة التحرير إلّا بصفته صديقاً أو مستشاراً، شعر بأنّ يديه قُيِّدتا، ووجد

نفسه مجبراً على أن يلعب في الخفاء لعبة ماكرة. حاول بكلّ ما أوتي من وسائل أن يُشرك إريكا ومالو وكريستر في وضع الأهداف الجديدة للمجلة، وهي أهداف لم تكن واضحة الصياغة، وتركز على رهان تجديد ميلينيوم وتحسين تسويقها.

لم يكن أوف يترك فرصة تفوّت من دون التأكيد على أنّ الأمر لا يتعلّق بإجراء تغييرات تمسّ روح المجلة ونبرتها الجريئة، مع أنّه لم يكن هو نفسه متأكّداً من فحوى هذا الكلام. الشيء الوحيد المؤكّد هو أنّ عليه أن يُرضي الإدارة بإضفاء شيء من الرونق على المجلّة، وتقليص حجم التحقيقات الاقتصادية الطويلة التي قد تزعج المعلنين، وتتسبّب في المشاكل. على أنه لم يبُح لإريكا على الأرجح بشيء من هذا.

كان يرغب في تلافي الصراعات العقيمة، لذلك تعمّد أن يلقى هيئة التحرير هذا اليوم بلباسٍ غير رسمي. كان حريّاً به أن يحتاط ويتجنّب ارتداء البذلة وربطة العنق التي صارت دارجة في مقرّ المجلّة. لبس إذاً سروال جينز وقميصاً أبيض بسيطاً وسترة زرقاء داكنة، وشدّ شعره المخرَّص -الذي طالما أوحى بجانبه المتمرّد- خلف رأسه على شكل ذيل حصان إسوة ببعض مَن ينالون إعجابه من صحافيي التلفزيون. وحتّى يعزز مظهر البساطة هذا، حرص في كلمة التقديم على إظهار كلّ ما تعلَّمه من آداب التواضع في تدريبات التدبير الإداري.

قال:

- مرحباً بكم جميعاً. يا له من جوّ في الخارج! حسناً، سبق أن قلت مراراً، ولا بأس من التذكير، نحن جميعاً في سيرنر فخورون بالمشاركة في هذه المغامرة. إنّ انخراطي في العمل في جرائد مثل ميلينيوم هو الذي يعطي لعملي معنى، ويذكّرني بسبب اختيار هذه المهنة. أما زلتَ تذكر يا مايك يوم كنّا في حانة الأوبرا؟ لمّا كنا نحلم بما نريد تحقيقه معاً في المستقبل؟ وكيف كنّا نعمل بهمّة؟

وارتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة.

لم يبدُ على مايكل بلومفيست ما يشير إلى أنّه تذكر شيئاً من ذلك، وهو ما لم يثبّط من همّة أوف لوفين، فاسترسل قائلاً:

- كلا، لن أستسلم للحنين، لا شيء يدعو لذلك في الواقع. كان المال في ذلك الوقت وفيراً بحيث كانت تُؤَجّر طائرة مروحية لتغطية أبسط جريمة قتل في كراكيمالا لا يهتمّ بها أحد، ويُحجز طابق بكامله من أفخر فندق، ويشرب الصحافيون الشامبانيا. تصوّروا أنّني سألت الصحافي الشهير إيلف نيلسون خلال أوّل سفر لي إلى الخارج عن ثمن صرف المارك الألماني، فردّ قائلاً: «ليست لدي أدنى فكرة. أنا مَن يحدّد ثمن صرفه».

وضحك من جديد.

- أما زلت تذكر يا مايك كيف كنّا نضخِّم فواتير مصاريف السفر؟ هذا هو العمل الذي كنا نتقنه أكثر من غيره، أما الباقي، فلم نكن نرهق فيه أنفسنا، ومع ذلك كانت نسخ الجرائد تُباع بأعداد هائلة. على أن كثيراً من الأمور تغيّرت منذئذٍ كما تعلمون. صارت المنافسة شرسة وصار من الصعب أكثر فأكثر تحقيق أرباح في مجال الصحافة، حتى بالنسبة إلى مَن توفرت لهم أفضل هيئة تحرير في السويد مثلكم. لهذا أودّ أن نتداول في التحديات التي تواجهنا في المستقبل. ليس معنى هذا أنّني أقصد إلى تلقينكم شيئاً لا تعرفونه، بل كلّ أملي هو أن أقدّم لكم أرضية للنقاش. فقد أنجزنا في سيرنر عدداً من الأبحاث حول قُرَّائكم والكيفية التي يتصوّر بها الجمهور ميلينيوم. ولا شكّ أنّ جانباً من نتائج هذه الأبحاث ستُرعبكم. لكن عوض أن تصيبكم بالإحباط، ينبغي أن تتعاملوا معها باعتبارها تحديّاً. لا تنسوا أن ثمّة تحولات مجنونة تجري هناك في الخارج.

توقف أوف عن الكلام، وتساءل عمّا إذا لم يكن قد بالغَ في

المزاح والألفة خلال تقديمه للاجتماع، وتوجّس من أن يعيق ذلك تحقيق أهدافه. لكنّه حاول إقناع نفسه: سأنجح في مهمتي.. سأضمّهم إلى صفّي!

كان مايكل بلومفيست قد كفّ عن الإصغاء تقريباً حين قال أوف إنّ على كلٍّ منهم أن يفكّر في أن «يتحوّل رقميّاً». لم يتابع إذاً ما ورد في التقرير الذي يشير إلى أنّ جيل الشباب يجهل تماماً **ميلينيوم** مثلما يجهل مايكل بلومفيست. لكن القدر شاء أن تكون هذه هي اللحظة التي شعر فيها بالسأم، ووقف لكي يتوجّه إلى المطبخ الصغير، فلم يسمع من ثمّة شيئاً كذلك ممّا قاله المستشار النرويجي آرون إيلمان:

- إن حاله تدعو للشفقة. أهو خائف من أن يطاله النسيان؟

الواقع أنه لا شيء كان بإمكانه أن يثير قلق مايكل في هذه اللحظة. شعرَ بالغضب لأنّ أوف بدا كما لو أنّه يعتقد أنّ استطلاعات الرأي هي سبيل الخلاص. والحال أنّ ما صنع مجد المجلة الإخبارية ليست هي دراسات السوق، بل الشغف والحماس. لقد كسبت **ميلينيوم** شهرتها بفضل إخلاص فريقها كلّه في العمل من أجل ما كان يبدو لهم عادلاً ومهمّاً، من دون أن يحفلوا بتقلّب اتّجاه الرياح. ظلّ متسمراً في المطبخ الصغير، يتساءل كم سينتظر قبل أن تلحق به إريكا.

استغرق ذلك دقيقتين تقريباً. حاول أن يخمّن درجة غضبها انطلاقاً من وقْع كعبَي حذائها، لكنها لما انتصبت أمامه، كشفت له عن ابتسامة متعبة:

- كيف حالك؟

- كل ما في الأمر هو أنني لم أعد أملك الشجاعة للاستمرار في الإصغاء.

- ألا تعلم بأنّك تُحرج الآخرين عندما تتصرّف بهذا النحو؟

- لا.

- وأظنك تعلم كذلك أن سيرنر لا يمكنها أن تفعل شيئاً من دون موافقتنا. فنحن مَن نملك زمام الأمور.

فقال بغير قليل من الحدّة والعنف:

- لم نعد نملك شيئاً يا ريكي، لقد صرنا رهائن! أما زلتِ لم تفهمي هذا؟ إذا لم نتصرف وفق إرادتهم، سيسحبون دعمهم ويتركوننا نهوي إلى الأرض.

ولمّا طلبت منه إريكا أن يخفض صوته، أضاف بصوتٍ أقل ارتفاعاً:

- المعذرة، لعلّي تصرّفت بشكل صبياني. سأعود إلى بيتي، أنا بحاجة إلى التفكير.

- إنّك لا تستوفي ساعات عملك اليومي في الفترة الأخيرة.

- أظن أنّني اشتغلت كثيراً من الساعات الإضافية، ويلزم أن أعوّضها.

- لا شكّ في ذلك. أتحتاج لمن يؤنسك هذا المساء؟

وقبل أن يغادر مقرّ المجلة ويخرج إلى غوتغاتسباكن قال:

- لست أدري يا إريكا، بكل صدق لست أدري.

انطلق في جوّ عاصف ممطر. شعَرَ بالبرد، فراح يشتُم ويلعن، وخطر له أن يعرّج على مكتبة يقتني منها رواية بوليسية إنجليزية تخفّف عنه، لكنّه اتّجه إلى شارع سانكت بولسغاتن، وما إن بلغ مطعم السوشي حتى بدأ هاتفه النقال يرن. كان واثقاً من أنّها إريكا، لكن

اسم ابنته بيرنيلا هو الذي لاح على الشاشة: لم تختر الوقت المناسب لمهاتفة أبيها الذي كان معكّر المزاج.

- مرحباً يا عزيزتي.

- ما هذا الصخب؟

- لعلّها العاصفة.

- حسناً، لن أطيل عليك. لقد قبلوني في قسم الكتابة بمدرسة بيسكوبس أرنو.

فردّ بنبرة حادّة أقرب إلى السخرية، غير عابئ بمشاعرها:

- الآن إذاً تريدين تعاطي الكتابة.

كان عليه أن يكتفي بتهنئتها وأن يتمنى لها حظاً سعيداً، لكن بيرنيلا قضت سنوات عديدة متردّدة، لا يقرّ لها قرار على شيء، تميل إلى هذه الدراسة تارة، وإلى غيرها أخرى، من دون أن تُتِمّ أيّاً منها، ممّا جعله يتلقى خبر هذا الاختيار الجديد بنوعٍ من الضيق.

- أراك تطير فرحاً لسماع الخبر!

- اعذريني يا بيرنيلا. أنا لست على ما يرام اليوم.

- وهل كنت يوماً على ما يرام؟

- كلّ ما أتمنّاه هو أن تعثري على شيء يناسبكِ. لست أدري ما إذا كانت الكتابة اختياراً موفّقاً بالنظر إلى حالة القطاع اليوم.

- لن أختار هذا النوع من الصحافة الذي اخترته أنت.

- وماذا ستختارين إذاً؟

- الكتابة الحقيقية.

قال من دون أن يعرف قصدها من هذه العبارة:

- حسناً، هل أنت بحاجة إلى المال؟

- أشتغل في أوقات فراغي في مقهى واينز كوفي.

- ألا تأتين هذا المساء للعشاء حتّى نتحدث في الأمر؟

- ليس لديّ وقت يا بابا، كل ما قصدته هو إخبارك.

ثم أقفلت الخط.

حاول أن يفكر في الجانب الإيجابي لحماس ابنته، فلم يَزِدْ ذلك مزاجه إلّا تكدّراً. اختصر الطريق بالمرور عبر مارياتورغيت وهورنسغاتن ليصل إلى مسكنه عبر شارع بلمانسغاتن.

خُيّل له أنّه لم يتغيّب غير دقائق، وأنّه تخلّص من كلّ التزاماته المهنية، وأنّه مقبلٌ على حياة جديدة يستريح فيها من الإرهاق، ويستمتع بكلّ وقته. وتساءل للحظة عمّا إذا كان سيقوم بترتيب الشقة. فقد كانت الجرائد والكتب والملابس متناثرة في كلّ أرجائها، لكنّه غيّر رأيه وأخرج زجاجتي جعة، وجلس على أريكة الصالون لكي يفكّر في كلّ ما وقع بصفاء ذهن، أو على الأقل بما يسعه من صفاء بعد أن يسري الكحول في دمه. ماذا عليه أن يفعل؟

لم تكن له أدنى فكرة، وما يثير قلقه أكثر هو أنّه لا يشعر بأيّ رغبة في إجهاد ذهنه. بدا مستسلماً كما لو أن **ميلينيوم** كانت على وشك أن تخرج من مجال اهتمامه. وطرح على نفسه السؤال من جديد: ألم يحن الأوان لكي ينتقل إلى شيء آخر؟ سيكون الأمر بالطبع خيانة عظمى في حقّ إريكا والآخرين. لكن، أهو حقّاً الرجل المناسب لتسيير جريدة تعيش من الإعلانات والاشتراكات؟ لربّما وجد موقعاً أفضل في مكان آخر، أيّاً كان هذا المكان.

حتى كبريات الجرائد أصابها النزيف، والمكان الوحيد الذي ما زال يوفّر الموارد والإمكانات الضرورية لإنجاز روبورتاجات التحقيق هي المؤسسات العمومية مثل فريق بحث إيكوت(*) أو قناة سفيريج

(*) اختصار Dagens Eko: برنامج إخباري بإذاعة Sveriges يُذاع منذ عام 1937.

التلفزية. . . ولِمَ لا؟ وتبادرت إلى ذهنه كايسا أكيرستام، تلك المرأة الفاتنة التي كان يشرب معها كأسا من وقت لآخر. تشرف كايسا على إدارة برنامج «تحقيق مضاد» الذي تبثّه إس.في.تي، وقد حاولت أن تستقطبه منذ سنوات. لكن ذلك لم يستهوه يوماً، رغم أنّها عرضتِ عليه تمتيعه بحرية مطلقة، ومساندته في كلّ الأحوال. على أنّ ميلينيوم كانت هي بيته الأثير.

أما الآن. . . فلربما أقدمَ على هذه الخطوة، هذا إذا كان عرضُها ما زال قائماً بعد كلّ تلك الترّهات التي كُتبت عنه. لقد قام بأشياء كثيرة في هذه المهنة، لكنه لم يسبق أن اشتغل في التلفزيون باستثناء مشاركاته في المئات من البرامج الحوارية الصباحية. ولربّما نفخ فيه هذا المنصب في «تحقيق مضاد» نفحة جديدة من الحماس.

رنّ هاتفه، فانتابه شعور عابر بالسرور. فسواء أكانت إريكا أم بيرنيلا، سيحاول أن يبدو ودوداً، عدا أنّه لم تكن لا هذه ولا تلك. كان الرقم مخفيّاً، ففتح الخط بشيء من التحفّظ.

سمع صوتاً بدا له شاباً.

- أأنت مايكل بلومفيست؟

- نعم.

- هل يمكن أن تمنحني لحظة؟

- ربّما، إذا تفضلت بالتعريف بنفسك.

- اسمي لينوس براندل.

- حسنا يا لينوس، ماذا تريد؟

- أريد أن أحدّثك في أمر مهمّ.

- تفضّل!

- تعال إلى حانة بيشوبس آرمز في الجانب الآخر من الشارع الذي تسكنه، قبالة منزلك، وسأسرّ لك به.

شعر مايكل بالضيق، ليس فقط بسبب هذه النبرة المتغطرسة، بل أيضاً بسبب تطفّله على الحي الذي يسكنه.

- ربّما الحديث عبر الهاتف أنسب بالنسبة إليّ.

- ليس هذا موضوعاً يمكن الخوض فيه على خطّ هاتفيّ غير آمن.

- لا أدري لماذا يرهقني حديثك؟

- ربّما لأنّك أمضيت يوماً سيّئاً.

- أصَبْت، لقد أمضيتُ يوماً سيئاً بالفعل.

- حسناً، تعالَ إذاً بسرعة إلى بيشوبس آرمز. سأقدّم لك زجاجة جعة، وسأطلعكَ على أمر لا يصدّق.

كاد مايكل يصيح في وجهه: «كفّ عني أوامرك!»، لكنّه أجاب:

- موافق، سألحق بك وسأدفع ثمن الجعة التي سأحتسي.

- أحسنتَ صنعاً.

- لكن أصغِ إليّ يا لينوس...

- نعم.

- إذا كنت ستضيّع وقتي في الحديث عن أمور فارغة من قبيل أنّ إلفيس بريسلي ما زال حيّاً، أو أنّك تعرف مَن اغتال أولوف بالم[1]، فلن أمكث معك طويلاً.

فردّ لينوس براندل:

- فهو كذلك.

(1) Sven Olof Joachim Palme (1927-1986): سياسي يساري، قاد الحزب الاشتراكي الديمقراطي العمالي السويدي من عام 1968 إلى أن اغتيل سنة 1986.

3

العشرون من نوفمبر

كانت هانا بالدر جالسة في مطبخها تدخّن سيجارة كاميل من دون فلتر. ترتدي لباس بيت أزرق وشباشب رمادية مهترئة. ورغم أنّها كانت على حظّ من الجمال، بشعر كثيف ساحر، فإنّها كانت متجهّمة. كانت شفتها متورّمة، وطبقة الماكياج الكثيفة المحيطة بعينيها لم تكن من أجل الزينة فحسب، بل لإخفاء آثار ما تعرّضت له من ضرب.

كثيراً ما كانت تتعرّض للضرب، ولا يمكن الزعم إنّها تعوّدت عليه، فلا أحد يعتاد على الضرب، لكنّه كان معهوداً في حياتها اليوميّة لحدّ أنّها بالكاد تتذكّر الإنسانة المرحة التي كانتها في يوم من الأيام. صار الخوف يلازمها، وأصبحت مدمنة على المسكنات والسجائر.

سمعت لاس ويستمان يشتم ويلعن بمفرده في غرفة الجلوس، وهو أمرٌ لا غرابة فيه. كانت تعلم منذ زمن بعيد أنّه يأسى على الخدمة الجليلة التي أسدتها لفرانز. والحقيقة أنّها استغربت ذلك منذ البداية. فلاس كان يُبذِّر ما كان يبعث به فرانز من مبالغ مالية لأوغست، بل اعتمد لفترة طويلة في معيشته على هذه المبالغ. واضطرّت هانا إلى أن ترسل أكثر من رسالة إلكترونية تختلق فيها مصاريف غير متوقعة تؤديها لمعلّم أو مُقابل درس لم يستفِدْ منه الطفل أبداً. والأغرب من كلّ ذلك هو لماذا تنازل عن كلّ هذا وتركَ فرانز يأخذ الطفل؟

الواقع أن هانا كانت تعرف الجواب. إنّها نوبة من النخوة تملّكته تحت تأثير الكحول، زاد من غلوائها الوعد بالتمثيل في سلسلة بوليسية على القناة التلفزيونية الرابعة. لكنّ الأمر كان يتعلّق أولاً وقبل كلّ شيء بأوغست الذي كان يجده لاس مُقلِقاً ومبهَماً. وهذا هو ما يشكّل الجانب الأكثر التباساً في المسألة: كيف يجرؤ أحد على كره أوغست؟

كان يقضي وقته جالساً على الأرض يلهو بلعبة البوزل من دون أن يزعج أحداً. ومع ذلك كان لاس يكرهه. ربّما بسبب نظرته، تلك النظرة الغريبة التي كانت تبدو كما لو أنّها منكفئة على الذات عوض أن تتّجه إلى الخارج. يبسم له الناس في العادة، ويعلّقون بأنّ حياته الداخلية لا بدّ أن تكون غنيّة، على أنّ لاس لم يكن، ولسبب غير محدّد، يطيقه.

كان يصرخ أحياناً:

- اللعنة يا هانا! انظري إليه كيف يحدّق فيّ.

- أنت تقول إنّه أبله.

- أبله، لكن في نظرته شيء مريب. يتهيّأ لي أنّه يتمنّى لو يصيبني أذى.

كلام فارغ. لم يكن أوغست ينظر إلى لاس، بل لم يكن ينظر إلى أحد، ولا يريد الأذى لأحد. كلّ ما في الأمر أن العالم المحيط به يربكه، وهو يشعر بالسعادة داخل فقاعته. لكنّ لاس كان مقتنعاً، تحت تأثير الكحول، بأنّ الطفل يعدّ للانتقام منه. ما جعله يوافق على أن يختفي أوغست والمال من حياتهما. كانت حالة مرضية، هذا ما تراه هانا على الأقلّ. الآن وهي جالسة بجانب حوض المطبخ تدخّن سجائرها بعصبية وشَرَهٍ، وتتساءل عمّا إذا لم يكن في ذلك نصيب من الحقيقة. لربّما كان أوغست يبادل لاس مشاعر الكره نفسها. ولربّما كان يرغب حقيقة في معاقبته على كلّ الضرب الذي كاله له، لربّما. . .

وأغمضت عينيها وعضت على شفتها. . . لربّما كان الطفل يكرهها هي أيضاً.

صارت مثل هذه الأفكار السوداوية تسيطر عليها في الآونة الأخيرة كلّ مساء، لا سيما حين يزيد شوقها إلى أوغست، ويستحوذ عليها شعور باحتقار الذات. تتساءل أحياناً عمّا إذا كانت علاقتها بلاس قد تسبَّبت في الأذى للطفل.

غمغمت:

- كنت امرأة سيئة.

فهتف لها لاس بشيء لم تفهم معناه، فقالت:

- ماذا قلت؟

- أين هو حكم الحضانة؟

- فيمَ تريده؟

- لأثبت بأنّ لا حق له في الحضانة.

- مع أنّك تبدو مرتاحاً بالتخلص منه.

- حماقة ارتكبتُها تحت تأثير الخمر.

- والآن صحوتَ واستعدتَ رشدك فجأة!

فردّ وهو يتقدّم منها غاضباً:

- أجل، استعدتُ رشدي كاملاً.

أغلقت من جديد عينيها وهي تتساءل للمرة الألف عن السبب الذي جعل الأمر يأخذ هذا المنحى السيئ.

لم يعد فرانز بالدر يشبه في شيء المدير المحترم النظيف الذي طرق باب طليقته. كان شعره مشعّثاً، والعرق يلمع فوق شفته العليا. لم يحلق ذقنه ولم يستحمّ منذ ثلاثة أيام على الأقل. رغم كلّ تصميمه على

أن يكون أباً متفرّغاً لطفله، ورغم لحظة الأمل والعاطفة الشديدة التي عاشها بهورنسغاتن، دخل ثانية في حالة استغراق عميق قد يظنّها الناظر حالة غضب.

بل إنّه كان يصكّ أسنانه. وكانت قد مضت ساعات على نسيانه العاصفة والعالم من حوله. لم يُلقِ بالاً أيضاً لما كان يقع بين قدميه. تلك الحركات الخفيفة، كما لو أنّ هرّاً تسلّل بين ساقيه. مضت لحظة من دون أن يتنبّه إلى أنّ أوغست هو مَن كان يزحف تحت المكتب. نظر إليه نظرة مشوّشة كما لو أن حجاباً يغطي عينيه.

- ماذا تريد؟

نظر إليه أوغست نظرة صافية متضرّعة.

فقال فرانز:

- ماذا؟

عندئذٍ وقع شيء غريب. التقط الطفل ورقة من الأرض، مليئة باللوغاريتمات الكوانتية، ومرّر يده بطريقة محمومة على صفحتيها. وخشي فرانز للحظة خاطفة أن تصيبه نوبة جديدة. لكنّ الأمر لم يكن كذلك. بدا أوغست كما لو أنه يخطّ شيئاً بحركة سريعة. تسمّر فرانز في مكانه. وعلى غرار ما حدث له في ملتقى طرق هورنسغاتن، تذكّر شيئاً مهمّاً وبعيداً، مع فارق أنّه أدرك ماهيته هذه المرّة.

تذكّر طفولته، لما كانت الأعداد والمعادلات أهمّ من الحياة ذاتها لديه. تطلّقت أساريره وهتف:

- أتريد أن تحسب؟ تريد الحساب؟

ثمّ انطلق لإحضار أقلام وأوراق مسطّرة وضعها على الأرض أمامه.

بعد ذلك خطّ أبسط متوالية من الأعداد تبادرت إلى ذهنه، متوالية

فيبوناتشي التي يمثّل فيها كلّ عدد مجموع سابقيه: 1، 1، 2، 3، 5، 8، 13، 21، وترك حيزاً للمجموع الموالي، أي 34. ثمّ قال في نفسه لعلّها متوالية سهلة، فأضاف لها متوالية هندسية: 2، 6، 18، 54. . . يُضرَب فيها كلّ عدد في ثلاثة، أي أنّ العدد الغائب هو 162. وقدّر أن الطفل الموهوب لا يحتاج إلى معرفة عميقة مسبقة لكي يحلّ هذا النوع من المسائل. وهو ما يعني أنّ نظرته للرياضيات البسيطة كانت خاصة. وراح يحلم: ألا يكون طفله الذي يعتقد أنّه يعاني من تأخّر عقلي ليس إلّا صورة مضخمة منه؟ فهو أيضاً لم يكتسب اللغة والتفاعل الاجتماعي إلّا في فترة متأخرة من طفولته، وأنّه استوعب بعض النماذج الرياضية قبل أن ينطق كلمته الأولى.

مكث طويلاً بجانب الطفل ينتظر. لكن شيئاً لم يحدث بالطبع. راح أوغست يحدّق في الأعداد بعينين كابيتين، كما لو أنه يأمل أن تتجلّى الإجابات من تلقاء نفسها على الورقة. وانتهى الأمر بفرانز إلى أن تركه وحيداً، وصعد ليشرب كأس مياه غازية في الطابق العلوي قبل أن يواصل عمله على طاولة المطبخ، حاملاً ملاحظاته وقلمه. لكن ذهنه لم يعُد قادراً على التركيز، فمضى يتصفّح شارداً نسخة من مجلة **نيو ساينتست**.

مضت نصف ساعة تقريباً قبل أن يعود إلى أوغست في الأسفل. لم يلاحظ أيّ تغيير في المشهد من الوهلة الأولى. كان الولد ما زال مقرفصاً. دنا منه مدفوعاً بفضوله. وما هي إلّا لحظة حتى خالَ نفسه أمام شيء غامض تماماً.

لم تكن حانة بيشوبس آرمز حاشدة بالزبائن. ففترة بعد الظهر بالكاد بدأت والجو السيئ لا يشجع على مغادرة البيت حتى إلى الحانة

المجاورة، ومع ذلك استُقبل مايكل بالصراخ والضحكات الساخرة، وهتف صوت خشن:

- ها هو السوبر بلومفيست!

كان الصوت صادراً عن رجل متورّد الوجه، منتفخ الأوداج، بشعرٍ كثيف أشعث وشارب دقيق معقوف، كثيراً ما كان يصادفه مايكل في الحي. يتهيّأ له أنه يدعى آرن، وهو يحلّ بالحانة كلّ يوم عند الساعة الثانية بعد الزوال تماماً. ويبدو أنّه وصل قبل موعده استثناءً هذا اليوم، وأخذ مكانه يسار الحانة مع ثلاثة من رفاقه.

فبادره مايكل مصحّحاً وهو يبتسم:

- اسمي مايكل.

فانفجر آرن ورفاقه ضاحكين كما لو أنّهم سمعوا أغرب اسم في الوجود.

سأل آرن:

- هل تُعِدّ لسبقٍ صحفي جديد؟

- أنوي الكشف عمّا يُحاك في عتمة بيشوبس آرمز.

- أتعتقد أن السويد مهيّأة لهذا النوع من السبق الصحفي المثير؟

- لا أظن.

الواقع أنّ مايكل كان يستلطف هذه الجماعة. لم يسبق له أن تبادل معهم أكثر من بعض الجمل العابرة. لكن هؤلاء الأشخاص كانوا جزءاً من معيشه اليومي في هذا الحي، ووجودهم سبب من أسباب رضاه عن حياته هنالك. لذلك لم يشعر بالإهانة لمّا بادره أحدهم:

- يبدو أنك انتهيت؟

لم يتأذّ من هذا التعليق، بل تجاهله تماماً.

ردّ مقتبساً من فرودينغ[1]:

- لقد انتهيتُ منذ خمسة عشر سنة، فمرحى يا زجاجتي، كلّ ما هو طيّب زائل.

جال ببصره في أرجاء المكان بحثاً عن شخص من الوقاحة بحيث يتجاسر على دعوة صحافي متعب إلى الحانة، لكنّه لم يبصر أحداً باستثناء آرن ورفقته، فتوجّه إلى أمير على البار.

أمير رجل فارع الطول، بدين وودود، أب لأربعة أطفال، يدير الحانة منذ بضع سنوات، ويعمل بهمّة. نشأت بينه وبين مايكل علاقة حميمة، لا لأن مايكل من كبار مرتادي المكان، بل لأنّهما تبادلا كثيراً من الخدمات. لمّا يستقبل بلومفيست امرأة في بيته، ويعوزه الوقت لكي يعرِّج على متجر الخمور، كثيراً ما يمدّه أمير خلسة ببضع زجاجات نبيذ أحمر. أما مايكل فساعد مهاجراً سريّاً صديقاً لأمير في القيام بالإجراءات الإدارية لتسوية وضعه.

قال أمير:

- ها أنت تشرفنا بزيارتك.

- جئت للقاءِ أحدهم.

- لقاء مثير؟

- لا أظن، كيف حال سارة؟

سارة هي زوجة أمير. كانت قد خضعت لعملية جراحية في الورك.

- لا تكفّ عن الأنين وتناول المسكنات.

- لا بدّ أنها تتألم. بلّغها سلامي.

- سأفعل.

---

(1) Gustaf Fröding ‏(1860-1911): أحد كبار شعراء السويد.

ثمّ راحا يثرثان قليلاً من دون أن يظهر أثر للينوس براندل. وقال مايكل في نفسه لعلّها مزحة بائخة. ثمّ بقي عشر دقائق أخرى في الحانة يتجاذب أطراف الحديث مع أمير حول المشاكل المادية والصحية. وما إن همّ بمغادرة المكان حتّى وصل ذلك الشخص المنتظَر.

لم يكن إتمام أوغست المتوالية بالأعداد الصحيحة هو الذي أثار إعجاب فرانز بالدر، بل ما وضعه إلى جانب تلك الأعداد، والذي بدا للوهلة الأولى أشبه بصورة فوتوغرافية أو لوحة، لكنّه في الواقع عبارة عن رسم، استنساخٌ حرفي لأضواء المرور الثلاثية الألوان التي مرّا بجوارها ذلك المساء في شارع هورنسغاتن. لم يكن الضوء مرسوماً بأدق تفاصيله فحسب، بل كان شديد التوهج.

فرغم أن أوغست لم يسبق له أن تعلّم المنظور ولا كيفية رسم الظلّ والضوء، بدا أنه يتقن هذه التقنية إتقاناً. ووسط الشارع ظهر رجل تعرّف عليه فرانز على نحو غامض. كان الجزء الذي يعلو الحاجبين من وجهه مبتوراً. يبدو مرعوباً أو بالأحرى منزعجاً كما لو أنّ أوغست باغته فراح يمشي بخطى وَجِلَة. كيف استطاع الطفل رسمَ كل هذا؟

قال له:

- يا إلهي! أأنت رسمتَ هذا؟!

لم يلتفت أوغست إليه ولم يحرك رأسه، واكتفى بأن حوّل بصره إلى النافذة. وخُيّل لفرانز أنّ حياته ستتحوّل إلى الأبد.

لم يكن مايكل يعرف شيئاً عن الرجل الذي ينتظر، قد يكون شاباً قادماً من أحد أرقى أحياء ستوربلان، ولداً مدللاً. لكن مَن قدّم له نفسه

شخص مُهمَل المظهر. رجلٌ ضئيل يرتدي سروال جينز مثقوب، بشعر طويل مجعّد قذر، ذو نظرة متعبة ماكرة. كان في الخامسة والعشرين من العمر أو أصغر بقليل. عيناه تحجبهما خصلة شعر، وبشرته ذميمة المنظر، وعلى شفته جرح قذر. لم يكن مظهره يوحي بأنه يحمل نبأ القرن.

- لعلك لينوس براندل!

- بالضبط، آسف على التأخّر. التقيت بفتاة أعرفها، درسنا في الفصل نفسه لمّا كنا في مستوى الثالثة ثانوي و. . .

فقاطعه مايكل قبل أن يقوده إلى مائدة في أقصى الحانة:

- ما رأيك في أن نختصر الكلام؟

لمّا لحق بهما أمير وعلى وجهه ابتسامة خجولة، طلبا زجاجتي جعة.

خيّم الصمت لدقائق، ولم يستطِعْ مايكل أن يفهم سبب توتّره. ليس من عادته أن يتوتّر هكذا. قد يعود ذلك إلى ما حدث له في سيرنر. ابتسم لآرن ورفقته الذين كانوا يراقبونهما من بعيد.

- سأدخل توّاً في الموضوع من دون مقدمات.

- حسناً ستفعل.

- أتعرف سوبركرافت؟

لم تكن لبلومفيست معرفة عميقة بألعاب الفيديو، لكنه سبق أن سمع بهذا الاسم.

- سمعتُ بالاسم.

- لا أكثر؟

- لا أكثر.

- فأنت لا تعرف إذاً ما جعل من هذه اللعبة لعبة استثنائية. ما يميّزها هو أنّها تتضمن دالة ذكاء اصطناعي، أو دالة AI خاصة تسمح

لك بتبادل استراتيجيات حرب مع محارب من دون أن تعلم ما إذا كنت تتحدّث إلى إنسان أو مع كائن رقمي.

- لا عهد لي بكلّ هذه المعارف. هلّا نوّرتني؟!

ألعاب الفيديو هي آخر ما يثير اهتمامه.

استرسل براندل يقول:

- يتعلّق الأمر بثورة صغيرة في هذا المجال، وقد شاءت الصدف أن أشارك في تصميم هذه اللعبة.

- تستحق كلّ التهاني، لا بدّ أنك ربحت مالاً وفيراً.

- هذه هي المشكلة تحديداً.

- كيف؟

- لقد سُرِقت منا المعطيات التكنولوجية، وتروغيمز تحقّق الآن أرباحاً بالبلايين من دون أن نحصل نحن على مليم واحد.

مايكل خبير بمثل هذه الحكايات. سبق له أن تحدّث إلى عجوز زعمت بأنّها هي من كتبت هاري بوتر وأن ج. ك. راولينغ سرق منها العمل عن طريق توارد الخواطر.

- ماذا حصل؟

- تعرَّضنا لعملية قرصنة.

- وكيف عرفتم ذلك؟

- عاينه خبراء FRA(*)، أستطيع أن أقدِّم لك اسماً إن أردت، وأيضاً عبر...

وصمت لينوس.

(*) اختصار Försvarets Radioanstalt، وهي وكالة استخبارات سويدية أنشئت خلال الحرب العالمية الثانية، متخصّصة في التجسس المرتبط بالمجال الكهرومغناطيسي.

- عبر ماذا؟

- لا شيء، ولكن حتى السابو (Säpo)(*) متورّطة في القضية. ما عليك إلّا أن تفاتح المحللة غابرييلا غران في الأمر، ستؤكّد لك ما أقول. فقد أشارت إلى هذا في تقرير رسمي نشرته السنة الماضية، وأنا أتوفر على رقم الملف...

- معنى هذا أنّ الأمر ليس خبراً جديداً.

- كلا، ليس بهذا المعنى. لقد تحدثت عنه مجلتا **ناي تيكنيك وكومبيوتر سويدن**، لكن فرانز حرص على عدم ذيوع الخبر، بل نفى أن نكون تعرّضنا للقرصنة. لهذا لم تحظَ القضية باهتمام وسائل الإعلام.

- لكنّها أخبار قديمة.

- قد تكون.

- لماذا يتحتم عليّ أن أصغي لك، يا لينوس؟

- لأنّ فرانز عاد من سان فرانسيسكو، ويبدو أنّه فهم ما وقع. أظنّ أنه جالس على قنبلة. صار مهووساً بالجانب الأمني، إذ يستعمل نظاماً لتشفير الهاتف والبريد الإلكتروني، وثبّت في بيته نظام إنذار جديد وكاميرات وكاشف الحركة وما إلى ذلك. أظن أنّ عليك أن تتحدّث إليه، هذا هو ما جعلني أتّصل بك. لن يستطيع أحد أن يحمِلَه على الاعتراف سواك. أما أنا، فلن يصغي لكلامي.

- ما جعلكَ تأتي بي إلى هنا إذاً هو أنّ شخصاً يدعى فرانز تهيّأ لك جالساً ربّما على قنبلة.

- ليس شخصاً يدعى فرانز يا سيد بلومفيست، بل فرانز بالدر بلحمه ودمه. لماذا لم أفشِ السر؟ لأنّني كنت أحد مساعديه.

(*) اختصار Säkerhetspolisen، وكالة أمن السويد.

راح مايكل يفتش في ذاكرته. الشخص الوحيد باسم بالدر الذي تبادر إلى ذهنه هي هانا الممثلة.

- مَن يكون بالدر هذا؟

رشقه مخاطبه بنظرة فيها من الازدراء ما أربكه.

- ألا تعيش في هذا العالم؟ ألا تعرف فرانز بالدر؟ إنه أسطورة.

- حقّاً؟

فاسترسل لينوس:

- هذا أمر خطير! انقر اسمه على غوغل، وسترى. صار أستاذاً جامعياً وهو في السابعة والعشرين، وأصبح منذ سنتين سلطة في مجال البحث في الذكاء الاصطناعي AI على المستوى الدولي. لا أحد يتفوّق عليه في تطوير الحواسيب الكوانتية والشبكات العصبية. يعثر دائماً على حلول غريبة ومجنونة. لديه دماغ خارق يشتغل بشكل معكوس تماماً، وفكر أصيل مبتكر. قد لا تصدّق أن قطاع الإلكترونيات حاول الاستحواذ عليه لسنوات، لكن بالدر رفض لفترة طويلة أن يشتغل معهم. كان يؤْثِر الاشتغال بمفرده. ولمّا عمل بمفرده، شغّل معه مساعدين استغلّهم أبشع استغلال. لم تكن تعنيه سوى النتائج، ولا شيء غيرها. لم يكن يكفّ عن ترديد: «لا شيء مستحيل». كان يدفعنا إلى تجاوز حدود طاقتنا. ومع ذلك كان الناس يصغون إليه، ويقومون بكل ما يَطلب منهم، بل ويبدون الاستعداد للتضحية بحياتهم في سبيله. يُعتبر إلهاً في عالم المهووسين بالإلكترونيات.

- عجباً!

- لا تحسبني من أولئك المنبهرين الذين يعطّل الإعجاب ملكاتهم النقدية. إطلاقاً. لا بدّ من دفع الثمن. أنا أعرف هذا جيداً. فهو يساعد مَن يشتغلون معه على تحقيق أشياء باهرة، لكنه قادر على

تحطيمهم كذلك. حتى ابنه تنكّر له... هناك قصص كثيرة لمساعدين عملوا معه أفلسوا ودُمّرت حياتهم. إنّه حالة غريبة بلا شك، مصاب بالهوس، لكنّه لم يكن هكذا في الماضي، أقصد لم يكن بهذه الهستيريا الأمنية. هذا هو سرّ إصراري على لقائه. أريدك أن تتحدّث إليه. أحسّ أنّه يعاني من شيء خطير.

- هذا هو إحساسك...

- ينبغي أن تدرك أنّ هذا الشخص ليس مصاباً بجنون العظمة. بالعكس، لم يكن يبدو عليه أي عرض بالنظر إلى مستوى المشاريع التي اشتغل فيها. أما الآن، فهو يسجن نفسه في بيته، بالكاد يغادره كما لو أنّه خائف. وأنا أعرفه، ليس من النوع الذي يخاف. شجاعته أقرب إلى التهوّر.

سأل مايكل من دون أن يخفي ارتيابه:

- أيشتغل على ألعاب فيديو؟

- الواقع أنّ فرانز كان يتركنا نشتغل على المواضيع التي تستهوينا، وهو يعلم أنّنا جميعاً مهووسين باللعب. وبرنامجه في الذكاء الاصطناعي (AI) قابل للتطبيق في هذا المجال، لذلك جعل منه ورشة للاختبار. وقد تمكنّا من تحقيق نتائج باهرة، وأحرزنا تقدّماً كبيراً، عدا أن...

- ادخل إلى لبّ الموضوع يا لينوس.

- حسناً، لقد تقدّم بالدر ومستشاروه القانونيون بطلب الحصول على براءة اختراع تتعلق بالجانب الأكثر ابتكاراً في هذه التكنولوجيا، وهنا كانت الصدمة الأولى. ذلك أنّ مهندساً روسيّاً من تروغيمز تقدّم باعتراض عرقَلَ طلب البراءة، وهو أمرٌ لم يكن وليد الصدفة طبعاً. لم تكن براءة الاختراع في الواقع سوى مشكلة مفتعَلَة. الأهم من ذلك هو كيف علموا بسرّ الاختراع. وبما أنّ كلّ أعضاء الفريق كانوا مخلصين

لفرانز إخلاصاً لا حدود له، لم يبقَ إلّا تفسير واحد: تمّت قرصنتنا رغم كلّ الاحتياطات التي اتّخِذَت.

- حينئذٍ اتّصلتم بالسابو وFRA؟

- ليس على الفور. ففرانز لا يطيق أصحاب البذلات الأنيقة الذين يعملون وفق مواقيت المكاتب. يفضّل عليهم المهووسين الذين يقضون لياليهم قابعين أمام حواسيبهم. لهذا راح يبحث عن قرصانة غريبة الأطوار لا أدري أين عثرَ عليها، سرعان ما أخبرتنا بأنّنا تعرّضنا لاختراق. لا مناص من الاعتراف بأنّنا شكّكنا في البداية في مصداقيتها. لو كنت صاحب الشركة لمّا استعنتُ بها. أظنكَ فهمت قصدي. كانت تتحدّث بلا ضوابط، مع أنّ بعض خلاصاتها أكّدها موظفو FRA لاحقاً.

- لكنّكم لم تتعرّفوا على مَن قرصنكم؟

- كلا، لأنّ اقتفاء أثر القراصنة لبلوغ مصدر القرصنة عمليّة مستحيلة في الغالب. الشيء الأكيد هو أنّ الأمر يتعلّق بمحترفين استعانوا بوسائل متطورة لاختراق أمننا الإلكتروني.

- أتظنّ أن فرانز بالدر يعرف اليوم شيئاً عن الأمر؟

- بكلّ تأكيد، وإلّا لما تصرّف بهذا النحو المريب. أنا متيقّن من أنّه اكتشف شيئاً لدى سوليفون.

- الشركة التي اشتغل فيها؟

- نعم، وهو أمر في غاية الغرابة. كما قلتُ لك، طالما رفض فرانز الخضوع لعمالقة تكنولوجيا المعلومات. كان دائمَ الإشادة بأهمية البقاء في الهامش والاستقلالية وعدم الخضوع للقوى التجارية... إلخ. ثمّ فجأة، وفي اللحظة التي كنّا فيها في أوج الأزمة، بعد أن نُهبَت معطياتنا التكنولوجية، انقضّ على منصبٍ عُرض عليه، وعند مَن؟ عند

سوليفون. لم نفهم شيئاً. صحيح أنّ الراتب خيالي، والحرية مطلقة بعد أن قالوا له أشياء من قبيل: «اشتغل لدينا وافعل ما تشاء». كنت أتخيّل أن لا أحد يمكن أن يصمد أمام إغراء هذا العرض باستثناء فرانز بالدر. فقد تلقى عروضاً مماثلة تقريباً من غوغل وآبل وغيرهما من الشركات الكبرى. لماذا استهواه عرض تلك الشركة فجأة؟ لم يقدّم توضيحات قط. كلّ ما قام به هو أنّه حزم أمتعته وغادر. وقد سارت الأمور في بادئ الأمر، حسبما بلغني، على أحسن ما يرام. فقد طوّر فرانز التكنولوجيا التي كنّا نشتغل عليها، وأظنّ أنّها جعلت صاحب الشركة، نيكولاس غرانت، يحلم بمداخيل تقدَّر بالبلايين. ثمّ وقعت حادثة.

- حادثة تجهل عنها كلّ شيء تقريباً.

- نعم. لم يعد ثمّة اتّصال بيننا. باختصار، انقطعت صلات فرانز بالعالم أجمع. لكن ما أنا متيقّن منه هو أنّ شيئاً خطيراً يحدث. طالما أشاد فرانز بالصراحة، وتحدّث بحماس عن حكمة الحشود وأهميّة استثمار معرفة الجماعات، كلّ ما يتعلق بتصور نظام لينوكس. لكنه عند سوليفون، فيما يظهر، تكتَّمَ حتى على أتفه الأشياء، وتحفّظ حتى من أقرب معاونيه، ثمّ استقال فجأة. عاد إلى بيته، ومنذئذٍ لزم بيته في سالتسخوبادن، لا يبرحه أبداً. أما مظهره، فأهمله تماماً.

- إذا كنت قد فهمت جيّداً، يا لينوس، النبأ الخطير الذي أردتَ أن تُطلعني عليه هو قصة أستاذ منكود أهمل مظهره، لاحَظَ جيرانه أنه سجن نفسه في بيته...

- نعم، ولكني أعتقد...

- أنا أيضاً يا لينوس أعتقد أن هذه القصة قد تمثّل موضوعاً مهماً، لكن ليس بالنسبة إليّ للأسف. لست صحافياً متخصصاً في تكنولوجيا المعلومات. كما قال عني أحدهم عن حق مؤخراً، أنا رجل

ينتمي إلى عصر الكهوف. أنصحك بالاتصال براوول سيغفاردسن العامل في جريدة **سفينسكا مورغن بوستن**. هو أعلم مني بهذه الأمور.

- كلا، سيغفاردسن صحافي من الوزن الخفيف، لا يتوفر على المؤهلات اللازمة لمباشرة هذه القضية.

- الظاهر أنك تستخفّ به.

- هيا يا سيد بلومفيست، هذه القضية ستُعيدك إلى الأضواء.

أومأ مايكل إيماءة دالة على الضجر لأمير الذي كان منهمكاً في تنظيف طاولة بجوارهما.

- هل تقبل نصيحتي يا لينوس؟

- نعم... بالطبع.

- لمّا تسعى لبيع موضوع لصحافي في المرة القادمة، لا تحاول أن تشرح له أهميته بالنسبة إليه. هل تعلم كم مرة عُرضت عليّ مثل هذه الإشاعات؟ وقيل لي: «سيكون أكبر سبق صحفي في حياتك، أكبر من ووتر غايت!» أنصحكَ بقليل من الموضوعية.

- كلّ ما وددتُ قوله...

- نعم، ماذا ودَدت أن تقول؟

- أن تتحدّث إليه. أظن أنّه يقدّرك لأنّكما من فصيلة واحدة، تجمع بينكما: شدّة المراس.

بدا لينوس مرتبكاً، وتساءل مايكل ما إذا كان بالغَ في القسوة عليه. عادة ما يبدو ودوداً ومشجّعاً مع مَن يأتونه عارضين خيوط قضية من القضايا، مهما كانت تفاهة أفكارهم، لا لأنّ المواضيع الجيدة يمكن أن تختفي خلف أشدّ القصص حماقة، بل لأنه يعلم أنها غالباً ما تكون طلقتهم الأخيرة. كثير منهم يقصدونه بعد أن لم يعُد أحد يرضى بالإصغاء إليهم، فيعتبرونه أملهم الأخير. ومن ثمة فهو لا يجد أيّ داعٍ للسخرية منهم.

قال مايكل:

- اسمع، أنا معكّر المزاج اليوم. لا أقصد الاستهزاء بك.

- ممتاز.

- قد تكون على حقّ. هناك فعلاً معطى يهمّني في هذه القصة. قلت إنّ مُقرصِنة معلومات زارتكم.

- نعم، لكن لا علاقة لها بالموضوع. أظنّ أن بالدر كان يشفق على هذه الفتاة ويحسن إليها.

- ولكنّها بارعة في مجال اختصاصها.

- نعم، أو لربّما نجحت في المهمة الموكولة لها بضربة حظ. جلّ ما قالته مجرّد كلام فارغ.

- لقيتَها إذاً؟

- أجل، لمّا سافر بالدر إلى سيليكون فالي[1]؟.

- متى كان ذلك؟

- قبل أحد عشر شهراً. نقلتُ حواسيبنا إلى شقّتي الواقعة في برانتينسغاتن. لا يمكن أن أزعم أنّ حياتي كانت على خير ما يرام. كنت عازباً ومفلساً. بالغتُ في الشرب الليلة السابقة، وفي الصباح عانيتُ من الخُمار ولم تكن الشقّة مرتّبة. بالكاد أنهيتُ المكالمة مع فرانز، وكان قد غالى في وعظي كرجل عجوز. قال لي: «لا تحكم عليها انطلاقاً من المظهر، أنت تعلم أنّ المظاهر خدّاعة. . .» ألِمِثْلي يقول هذا الكلام؟ صحيح أنّني لست الصهر المثالي الذي تتمنّاه كلّ حماة. لم ألبس بذلة أنيقة قطّ، وإذا كان من أحد يعرف حقيقة قراصنة المعلومات، فهو أنا. باختصار، انتظرتُ تلك المرأة. على الأقلّ كان عليها أن تطرق الباب قبل أن تدخل، لكنّها لم تفعل. فتحت الباب وعبرت.

---

(1) منطقة في كاليفورنيا في الولايات المتحدة تُعتبر عاصمة الشركات التقنية.

- كيف كانت؟

- بشعة... غير مثيرة على الإطلاق... بشعة حقّاً!

- لم أطلب منك يا لينوس أن تمنحها علامة على مظهرها. ما أريد هو أن تصف لي لباسها وتذكَّر لي اسمها إن عرفته.

فاستطرد لينوس:

- ليست لي أدنى فكرة عن ذلك. لكن تهيّأ إلي أنّني سبق أن رأيتها في مكان ما. كانت بالغة النحول كالمسمار، تحمل وشوماً وثقوباً وتلبس على الطراز ما قبل القوطي أو القوطي أو البانك.

أومأ مايكل إلى أمير وهو شارد بأن يأتيه بزجاجة جعة، وسأل:

- وماذا حدث؟

- قلت في نفسي لا داعي للعجلة. جلست على حافة سريري -لم يكن أمامي اختيار آخر نظراً إلى عدم وجود مقاعد- واقترحتُ عليها أن نشرب كأساً أوّلاً. تصوّر ماذا فعلَت! طلبَتْ منّي أن أخرج. أمرتني بالخروج من بيتي من دون حياء ولا حرج. رفضتُ بطبيعة الحال، وقلت لها شيئاً من قبيل: «مهما يكن، فهذا بيتي»، لكنّها اكتفت بأن أجابت: «هيّا انصرف، اغرب عن وجهي!» حينئذٍ لم أجد بدّاً من المغادرة. غبتُ بعض الوقت، وعند عودتي وجدتها مضطجعة على سريري تدخّن. المذهل في الأمر هو أنّها كانت تقرأ كتاباً حول نظرية الأوتار أو شيئاً كهذا. لعلّي رشقتها بنظرات حادّة، لكنّها لم تأبه بوجودي. شرحت لي بأنّها لا تفكر في مضاجعتي. هذا ما قالته. وأظنّ أنّها لم تنظر إليّ ولو مرّة واحدة. كلّ ما قالته هو أنّ برنامج تجسّس اخترق حواسيبنا، عبارة عن أداة تحكُّم عن بُعد RAT، وأنّها تعرّفت على الكيفية التي تمّ بها الأمر، ثمّ قالت: «لقد فعلوها بكم»، وغادرت.

- من دون أن تودّعك؟

- من دون أن تنبس بكلمة.

فهتف مايكل:

- شيء غريب!

- بصراحة، أظن أنّها إنّما كانت تتبجّح. فوكيل FRA الذي قام بالفحص نفسه لاحقاً -ويُدعى مولد، ستيفان مولد- وهو يفوقها خبرة بهذا النوع من الهجمات، كان قاطعاً: من المستحيل استنتاج هذه الخلاصات. فرغم فَحْصه الحاسوب بعناية بالغة، لم يعثُر على أيّ برنامج للتجسّس، مع أنّه اشتبه، هو أيضاً، في أنّنا تعرّضنا لاختراق.

- لم تقدّم لك هذه البنت نفسها بأيّ شكل من الأشكال؟

- حاولتُ جاهداً أن أظفر منها ببعض المعلومات، لكن بلا جدوى. كلّ ما نجحتُ في انتزاعه هو أنّها طلبت منّي أن أناديها...

- تناديها ماذا؟

- فيفي(*)، وبطبيعة الحال فهذا الاسم ليس هو اسمها الحقيقي، لا يخامرني شكّ في ذلك، لكن...

- ماذا؟

- وجدتُ أنّ هذا الاسم يناسبها إلى حدّ ما.

فقال مايكل:

- اسمع، كنت أهمّ قبل قليل بالعودة إلى بيتي...

- بالفعل، لاحظتُ ذلك.

- لكن الوضع تغيّر بشكل ملحوظ. قلتَ إنّ فرانز بالدر كان على معرفةٍ بهذه الفتاة، أليس كذلك؟

- أجل.

(*) الإحالة هنا إلى شخصية الكاتبة أستريد ليندغرين الشهيرة: فيفي برانداسيي (Fifi Brindacier).

- في هذه الحالة، أريد الاتصال بالمدعو فرانز بالدر هذا في أقرب وقت.

- بسبب الفتاة؟

- تقريباً.

فقال لينوس وهو شارد:

- حسناً، ولكنّك لن تجد اسمه في دليل الهاتف. لقد صار بالغ التخفّي كما أسلفت. ألديك هاتف آيفون؟

- نعم.

- لن يفيدك في الاتّصال به إذاً. فآبل، كما قال فرانز، باعت روحها لوكالة الاستخبارات الأميركية نازا. لكي تتّصل به عليك أن تقتني بلاكفون أو تستعير أندرويد، ثمّ حمّل برنامج ترميز خاص. لكنّني سأبذل ما في وسعي لكي أحمِلَهُ على الاتصال بك، حتّى تتّفقان على مكانٍ آمن للقاء.

- هذا هائل يا لينوس، شكراً لك.

مكث مايكل لحظة في الحانة بعد انصراف لينوس يشرب زجاجته وهو ينظر إلى العاصفة في الخارج. وكان آرن ورفاقه يستهزئون به في الخلف من دون أن يلقي لكلامهم بالاً، لأنّه كان مستغرقاً. بالكاد لاحظ أمير يجلس بجانبه لكي يخبره بآخر توقّعات الطقس. الظاهر أنّ مصالح الأرصاد الجوية أعلنت أنّ الجو سيكون في غاية السوء. ستنخفض درجة الحرارة إلى ما دون عشر درجات تحت الصفر، وستسقط ثلوج الموسم الأولى بكميات كبيرة. ستحلّ عاصفة ثلجية شديدة لم يعرف البلد مثلها منذ فترة طويلة.

قال أمير:

- الجو يهدّد بإعصار.

لكن مايكل أجاب باقتضاب وهو شارد:

- هذا شيء جيّد.

- شيء جيّد؟

- أجل... أقصد... على كلّ حال هذا أفضل من لا شيء.

- هذا صحيح... ولكن كيف تشعر؟ تبدو مغموماً، هل كدَّرَك شيء؟

- كلا، كلّ شيء على ما يرام.

- تلقّيتَ خبراً شوّشك، أليس كذلك؟

- لست أدري. كلّ الأمور ملتبسة هذه الأيام. أفكّر في مغادرة ميلينيوم.

- كنتُ أظن أنّ علاقتك بهذه المجلّة مصيرية.

- هذا ما كنت أخاله أنا أيضاً. عدا أنّ لكلّ شيء نهاية.

- كان أبي العجوز يردّد: كلّ شيء فانٍ، بما في ذلك الأبدية نفسها.

- في أيّ سياق كان يقول ذلك؟

- كان يقوله عن الحبّ فيما أظن. كثيراً ما كان يردّد هذه الجملة قُبيل انفصاله عن أمّي.

وارتسمَت على وجه مايكل ابتسامة عابرة.

- أنا أيضاً لم أؤمن يوماً بالحبّ الخالد، لكن بالمقابل...

- تحدّث، أتمِمْ يا مايكل.

- هناك امرأة تعرّفت عليها، وقد اختفت من حياتي منذ مدّة طويلة.

- شيء قاسٍ...

- قصّة لا تخلو من غرابة. بلغتني بغتة إشارة تدلّ على أنّها لا تزال على قيد الحياة، أو هذا ما خُيّل لي على كلّ حال. لعلّ هذا هو ما شوّشني.

- واضح.

- حسناً، يجب أن أعود إلى بيتي. بكَم أنا مدينٌ لك؟

- نترك الأداء للمرّة القادمة.

- حسناً، اعتنِ بنفسك يا أمير.

نهض ومرّ أمام شِلّة آرن، فعلّقوا ببعض العبارات الخرقاء.

خرج إلى العاصفة فساوره شعور بموتٍ وشيك. نفذ الريح البارد إلى عظامه، لكنّه بقي متسمّراً هناك للحظة، شارداً في ذكريات بعيدة. وعاد إلى بيته بخطى بطيئة، ولسبب غريب، وجد صعوبة في فتح الباب. كان عليه أن يُدير المفتاح في كلّ الاتجاهات، ولمّا دخل تخلّص من حذائه وجلس أمام الحاسوب ليستعلم عن الأستاذ فرانز بالدر.

لكنّه لم يحصل على طائل لأنّ فكره كان مشغولاً. تساءل مثلما تساءل مرّات عديدة من قبل: **أين اختفت؟** فباستثناء التقرير الذي أعدّه مشغّلها السابق دراغان آرمانسكي، لم يعثر على أيّ خبر عنها. اختفت من وجه البسيطة. فمع أنّها كانت تسكن معه في الحي نفسه، لم يجد لها أثراً، وهو ما يفسر بلا شكّ الوقع الكبير الذي تركه كلام لينوس عليه.

ما زال من المحتمل أن تكون الشابّة التي تسلّطت على لينوس ذلك اليوم غير صاحبته. هذا أمر ممكن لكنّه ليس راجحاً. مَنْ غيرُ ليزبث سالاندر تجرؤ على اقتحام بيوت الناس بغتة من دون أن تنظر في عيونهم وتطردهم ثمّ تروح تفتّش في حواسيبهم بحثاً عن أسرارهم؟ مَنْ تتجاسر على قول عبارات من قبيل: «لا أفكر في مضاجعتك إطلاقاً»؟

لا بدّ أن تكون هي: ليزبث. ثمّ إن العلاقة بين اسم ليزبث واسم الدلع «فيفي» واضحة لا غبار عليها.

كُتب على باب بيتها في فيسكارغاتن: «ف. كوللا»(*) وهو ما فهم منه أنّها لا تودّ فعلاً استعمال اسمها الحقيقي لأنّه معروف ومرتبط بمآسي رهيبة. لكن أين هي الآن يا ترى؟ من المؤكّد أنّها ليست المرّة الأولى التي تتبخّر فيها بهذا النحو. لكنّه منذ أن طرق باب شقّتها الواقعة في لونداغاتن وانهال عليها بالشتائم لأنّها أجرت تحقيقاً معمّقاً حول شخصه، لم تنقطع الأخبار بينهما. كان في الأمر شيء من الغرابة، أليس كذلك؟ مهما يكن، فليزبث هي... مَن هي في الواقع؟

هل هي عشيقته؟ لا أظن. فالعشّاق يتعاشرون، والأصدقاء لا يختفون هكذا. الأصدقاء لا يتّصلون بك فقط لقرصنة حاسوبك، ومع كلّ ذلك كان يشعر بأنّه متعلّق بها. لكنّه كان يخاف عليها، وهو شعور لم يكن يقوى على مقاومته. كثيراً ما كان يقول كفيلها في الطفولة هولجر بالمغرين إنّها تستطيع دائماً إخراج نفسها من الورطة، وإنّها قادرة، رغم طفولتها الرهيبة، أو ربّما بفضلها، على النجاة من أعتى الكوارث. وهو أمر على حظّ من الحقيقة.

لكن، بماضٍ مثل ماضيها، وموهبة مثل موهبتها في تأليب الأعداء، لا شيء مضمون. لعلّها انحرفت عن السكّة، كما لمّح لذلك دراغان آرمانسكي خلال غذاء بغولدولن قبل ستة أشهر تقريباً. كان ذلك اليوم يوم سبت، والفصل ربيعاً، وكان داراغان قد ألحّ على دعوته إلى شرب الجعة أو ماء الحياة أو شيء من هذا القبيل. تهيّأ لمايكل أنّ دراغان كان بحاجة إلى الحديث رغم أنّهما لم يكونا يلتقيان إلّا كما يلتقي صديقان قديمان، ولم يكن يساور مايكل شكّ في أنّه

(*) فيلا فيلكوللا هو اسم المنزل الذي كانت تسكنه فيفي برانداسيي.

إنّما شاء أن يحدّثه عن ليزبث بعد أن يشرب بضعة كؤوس، ويستسلم لشجونه.

حدّثه دراغان أيضاً عن شركته، شركة ميلتون للأمن، وكيف أنّها سلّمت مجموعة من أجهزة إنذار إلى دار عَجَزَة واقعة في هوغدالن، وقال إنّها أجهزة من النوع الرفيع.

لكنّها، إذا ما انقطع التيار الكهربائي ولم يتدخّل أحد، لن تغيّر من الأمر شيئاً. وهذا هو ما وقع بالتحديد. ذلك أنّ التيار انقطع في وقت متأخّر، فسقطت إحدى المسنّات ليلاً. امرأة تُدعى روت أكيرمان. انكسر عظم فخذها وظلّت عالقة لساعات من دون أن تجد مَن يُسعفها. وعند الفجر تفاقمت حالتها. أنت تعلم كيف تتصيّد وسائل الإعلام هذه الوقائع المرتبطة بالمسنين وما يعانونه من إهمال، وبذلك أثارت هذه القضية كثيراً من الجدل. من حسن الحظّ أن روت نجت من الموت، لكن من سوء الطالع أنّها أمّ أحد كبار شخصيات الحزب الديمقراطي السويدي. ولمّا نشر الموقع الإلكتروني الرجعي **أفبيكسلات**(*) أنّ آرمانسكي عربي الأصل -وهو ما لم يكن صحيحاً، بالرغم من أنّه يلقب أحياناً بالعربي-، انهالت التعليقات. وراح مئات المستخدمين المجهولين يبعثون بتعليقات من قبيل: «إذا عُهِد للصراصير بتزويدنا بالتكنولوجيا، لا ينبغي أن نستغرب وقائع من هذا النوع». وهو ما آذى دراغان، لا سيما أنّ أمّه العجوز تلقّت هي أيضاً نصيبها من الشتائم المقذعة.

وفجأة كشفت أسماء كلّ مستخدمي الموقع، والأدهى هو الإفصاح عن أسمائهم كاملة وعناوينهم ومهنهم وأعمارهم. كانت

(*) موقع سويدي لتبادل الآراء، تأسس سنة 2011، يقول عن نفسه إنّه «مستقل ووطني».

المعلومات مفصّلة كما لو أنّهم ملأوا وثيقة إدارية. وسرعان ما بدأت الصورة تتّضح كاشفة، وهو أمر لا مفاجأة فيه، عن أن هؤلاء المستخدمين ليسوا من حثالة القوم، بل هم في معظمهم مواطنون محترمون، منهم من كانوا ينافسون آرمانسكي في قطاع الأمن والسلامة. وسُقط في أيدي المسؤولين عن الموقع، وظلّوا لا حول لهم ولا قوّة. بذلوا جهوداً يائسة لإغلاق الموقع، وأقسموا ليعثرنّ على المذنبين، ويجعلونهم يدفعون الثمن. لكنّ المشكلة كانت بالطبع هي أن لا أحد، بما في ذلك آرمانسكي، كان يعرف المسؤول عن الهجوم.

واسترسل يقول:

- معالم ليزبث واضحة في كلّ هذا. وغنيّ عن القول ما شعرتُ به من ابتهاج رغم دفاعي الصادق عن الأمن المعلوماتي في المجال الذي أشتغل فيه. لم أستطِع منع نفسي من الإشفاق على أولئك الناس الذين صارت تشير إليهم الأصابع. أنت تعلم أنّ أخبارها انقطعت عني منذ أمدٍ بعيد. توهّمت أنّها ترغب فيّ، لكن تأكّد لي في الأخير أنّها لا ترغب في أحد في الواقع. ثمّ وقعت هذه النازلة. وكان الأمر رائعاً لمّا انبرت للدفاع عنّي. بعثتُ لها رسالة إلكترونية مفعمة بالتشكرات، وكم كانت مفاجأتي كبيرة لمّا تلقيت جواباً. هل تعلم ماذا كتبت؟!

- كلا.

- جملة واحدة: «كيف تحمي هذا الأبله المدعو ساندفال، العامل بمصحة أوسترمالم؟».

- من يكون ساندفال هذا؟

- جرّاح التجميل الذي وفّروا له حماية شخصيّة. تلقى تهديدات منذ أن داعبَ شابة إستونية أجرى لها عملية تجميل على نهديها. وقد صادف أن كانت هذه الشابة عشيقة مجرم خطير.

- يا للهول!

- عملٌ أخرق، هذا أقل ما يمكن أن يُقال عنه. أجبتُ ليزبث بأنني لستُ ساذجاً، وأنّ ساندفال ليس خافياً عليّ. لكنّني حاولت أن أشرح لها بأنّ هذا النوع من الاعتبارات لا يمكن الاطمئنان إليه، كما أنه لا يمكن قصر الحماية على الأشخاص الفضلاء. حتّى أعداء النساء من حقّهم أن يحظوا بالحماية. ساندفال تلقّى تهديدات خطيرة، وطلب منّا المساعدة، فوَفّرناها له، لكن بثمن مضاعف. هذا كلّ ما في الأمر.

- لكن ليزبث لم تستسِغ تفسيرك؟

- لم تُجِب على كلّ حال، على الأقل عبر البريد الإلكتروني. لكن يمكن القول إنّها أجابت بأسلوبها الخاص.

- كيف؟

- تقدّمت من مدخل المصحّة، وأمرت حرّاسنا الشخصيين بأن يتركوها تدخل. أظنّ أنّها ذكرت لهم اسمي. ثمّ اتجهت رأساً إلى مكتب ساندفال، وكسرت ثلاثة من أصابعه على مرأى من الممرّضين والمرضى وهي تلهج بأقذَع التهديدات.

- تبّاً!

- تصرّف أرعن كما ذكرت. أترى؟ كيف تتصرّف هكذا أمام كلّ أولئك الشهود؟ وأين؟ داخل مصحة!

- تصرّف مجنون.

- أحدث ذلك طبعاً حالة من الفوضى. وتعالت التهديدات باللجوء إلى المحكمة والمتابعة القضائية وما إلى ذلك من هذه التفاهات. تخيّل معي قليلاً خطورة أن تكسر أصابع جراح يُجري عدداً من عمليات التجميل يومياً... قضية يسيل لُعاب كبار المحامين لما قد تدرّه من مال.

- وماذا حدث إثر ذلك؟

- لا شيء، ولعلّ هذا هو الأغرب في هذه الحكاية. لم تكن لها

تداعيات. الظاهر أنّ الجرّاح لم يشأ متابعة القضيّة. على أنّ تصرّفها يا مايكل كان أخرق بكلّ المقاييس. لا يدخل عاقل إلى مصحّة في واضحة النهار ويكسر أصابع طبيب جرّاح. فحتّى ليزبث سالاندر ما كانت لِتُقدِم على ذلك لو كانت في حالة طبيعية.

الحقيقة أنّ هذا التحليل لم يُقنع مايكل بلومفيست. لاحَ له أنّ هذه الأحداث تخضع لمنطق ما، منطقٍ ليزبثي. وقد كان خبيراً به. كان يعرف أكثر من غيره مقدار عقلانية هذه المرأة. من المؤكد أنّها عقلانية تختلف عن عقلانية معظم الناس، لكنّها تحترم القواعد التي وضعتها لنفسها. لم يكن يشكّ قيد أنملة في أنّ هذا الطبيب أتى أشياء أخطر بكثير من مجرّد مضاجعة فتاة تحظى بالحماية. لكنه تساءل مع ذلك عمّا إذا لم تكن هذه الحكاية تكشف عن ثغرة أخرى لدى ليزبث، على الأقل فيما يتعلق بتقدير المخاطر.

بل ساورته فكرة أن ليزبث سعت لوضع نفسها في مأزق متوهّمة ربّما أنّ ذلك سيُشعرها بأنّها حيّة. لكن تصرّفها كان جائراً ولا شكّ. لم يكن يعرف شيئاً عن دوافعها، بل لم يعُد يعرف شيئاً عن حياتها. جلس أمام حاسوبه يبحث عن اسم فرانز بالدر على غوغل بينما كانت العاصفة تهزّ زجاج النوافذ. لقد وضعتها الصدفة في طريقه بكيفية غير مباشرة. على كلّ حال، هذا أفضل من لا شيء، وعليه أن يسعد بلا شك لكونها لم تتغيّر. ظلّت على سجيّتها، ومَن يدري، فلعلّها أهدته موضوعاً من دون أن تعلم. كدر لينوس مزاجه منذ البداية، وكان بوسعه على الأرجح أن يتجاهل كلامه رغم أنّه قدّم له قضية لا تخلو من إثارة. لكن لمّا لاحت له ليزبث في الحكاية، تغيّرت نظرته تماماً.

الحقيقة أنّه لم يكن يشكّ في قدراتها العقلية، ومن ثمة فما دامت انخرطت في هذه القضية، فهذا بحدّ ذاته كفيل بأن يدفعه إلى الانغماس فيها هو أيضاً، أو على الأقل تمحيصها. وإذا أسعفه الحظّ، سيعرف

المزيد عن حياة ليزبث الجديدة. ولعلّ السؤال الذي شغل باله هو: ماذا دعاها للتورط في هذه القضية؟

فهي لم تكن خبيرة معلومات. صحيح أنّ مشاهدة بعض مظاهر الظلم يمكن أن تثير حفيظتها، فتتدخل بنفسها لإعادة الأمور إلى نصابها. لكن ما يثير الاستغراب هو أن تغضب من اختراق جهاز كومبيوتر، هي التي لا تتوانى عن قرصنة كلّ شيء وأيّ شيء. قد يكون تكسير أصابع طبيب جراح أمراً مفهوماً، أمّا أن تعمل، هي مَن دأبت على القرصنة، في الأمن الإلكتروني، فهذا أمر عجاب. ومايكل لا يتوفّر على معلومات كافية بهذا الخصوص.

لم يكن يعرف تطورات القضية. لعلّ صداقة كانت تجمعها ببالدر أو شيء من هذا القبيل. هذا ليس أمراً مستبعداً. وحتّى يختبر هذه الفكرة كتب الاسمين معاً على محرّك غوغل، لكنّه لم يعثر على شيء ذي بال، فراح يتأمّل العاصفة ويتخيّل تنّيناً موشوماً على ظهرٍ شاحب نحيل، ويفكر في موجة برد في هيديستاد، وفي قبرٍ أُعيد فتحه في غوسبيرغا.

ثمّ استأنف البحث عن فرانز بالدر. عثر على أشياء كثيرة تتطلّب قراءتها وقتاً طويلاً. ظهرت على الشاشة نتائج تعدّ بمئات الآلاف، لكنّها لا تسمح بإعادة بناء سيرة حياته كاملة. فمعظمها يتعلّق بمقالات علميّة وتعليقات. ويبدو أنّ بالدر لم يكن يُقبِل على المقابلات الصحفية، ممّا جعل أبسط تفصيل عن حياته يتّخذ هالة أسطورية. وقد عمل الطلبة المعجبون به على تضخيمه وإضفاء طابعٍ مثاليّ على شخصيته.

قرأ أنّ بالدر عُدَّ في طفولته متأخّراً ذهنياً إلى حدّ ما إلى اليوم الذي تقدّم فيه إلى مكتب مدير الثانوية التي كان يدرس فيها بإيكرو وأعلن أنّ كتاب الرياضيات المدرسي يتضمّن خطأً فيما يسمى بالأعداد

التخييلية الصرفة. وقد تمّ تصحيح الكتاب المدرسي في طبعاته اللاحقة. وفي فصل الربيع اللاحق، توفّق في مباراة رياضيات وطنية. وشاع أنّه قادر على أن يتحدّث بكلام مقلوب وينشئ عدداً لا حصر له من الجمل التي تُقرأ من الجهتين. وفي إنشاء مدرسي نُشر له على الإنترنت، انتقد رواية هـ. ج. ويلز **حرب العوالم**: لم يكن يستسيغ أن تعجز كائنات أرقى منّا على كلّ المستويات عن فهم معطى أساسي من قبيل الفرق بين المريخ والأرض فيما يتعلق بالبكتيريا. وبعد إنهاء المرحلة الثانوية، تابع دراساته العليا في مجال الإلكترونيات في الإمبريال كوليدج بلندن حيث ناقش أطروحة الدكتوراه في موضوع اللوغاريتمات والشبكات العصبية، وهي الأطروحة التي اعتُبرت على قدر كبير من الأهمية. ثم التحق بالمعهد الملكي للتكنولوجيا بستوكهولم حيث كان أصغر أستاذ يعيّن بهذا المعهد على مدى تاريخه، كما انتُخب عضواً بالأكاديمية الملكية لعلوم الهندسة، وصار يعدّ سلطة عالمية في مجال «الفرادة التكنولوجية»، والمقصود بها حالة تفوّق ذكاء الحواسيب على ذكائنا.

لا تتمتّع هذه الشخصية على المستوى الجسدي بأيّ فرادة أو جاذبية. يظهر في كلّ الصور المنشورة على الإنترنت أشبه بقزم قذر، بعينين صغيرتين وشعر أشعث، ومع ذلك تزوّج الممثلة الفاتنة هانا ليند التي صارت تحمل اسم بالدر. ورُزق الزوجان بولد كشفت إحدى الصحف الشعبية في مقالة بعنوان: «غُمّة هانا» أنه يعاني من إعاقة ذهنية شديدة، رغم أنّ صورته المصاحبة للمقال لا تشي بشيء من ذلك.

انفرط عقد الزواج، وخلال مواجهة شرسة أمام هيئة المحكمة الابتدائية بـ«ناكا»، تدخّل الممثل المسرحي الذي يؤدي الأدوار القاسية، لاس ويستمان، وأعلن بخشونة أنّ فرانز بالدر لا حقّ له في الحضانة بما أنه يهتم «بذكاء الحواسيب أكثر من عنايته بذكاء ابنه».

لكن مايكل لم يولِ مسألة الطلاق أهمية كبيرة، وصرف كلّ اهتمامِه إلى محاولة فهم أبحاث بالدر والنزاعات القضائية التي كان طرفاً فيها. ثمّ استغرق في قراءة مقالة غامضة حول الحواسيب الكوانتية.

ثمّ فتح ملفاً أنشأه قبل سنة من ذلك تقريباً، اسمه [علبة ليزبث]. كان يجهل تماماً ما إذا كانت ليزبث لا تزال تقرصن حاسوبه بين الفينة والأخرى، أو تهتمّ بمقالاته. لكنّه لم يشأ أن يقطع هذا الأمل، وتساءل عمّا إذا كان عليه أن يبعث لها برسالة قصيرة رغم كلّ شيء. لكن مشكلة واجهته، وهي: ماذا عساه يقول لها؟

لم يكن معتاداً على كتابة الرسائل الشخصية الطويلة. فهي تُشعره بالضيق. حريّ به أن يلجأ إلى رسالة قصيرة، ويضفي عليها شيئاً من الغموض. وانطلق من هذا السؤال:

[ماذا يمكن أن يُقال عن ذكاء فرانز بالدر الاصطناعي؟]

ثم قام واقفاً، وراح يتأمّل العاصفة في الخارج.

4

العشرون من نوفمبر

لم يكن إيدوين نيدام، الذي يعرف باسم إيد دي نيد صاحب أعلى أجر بين تقنيي الحماية الإلكترونية في الولايات المتحدّة، لكنّه كان ربّما الأفضل والأكثر اعتداداً بنفسه. كان أبوه سامي شخصاً منبوذاً وسكّيراً، يشتغل بين الفينة والأخرى بأعمال هامشيّة في المرفأ، لكنّه مولع بمعاقرة الخمرة والسكر الذي كان كثيراً ما يزجّ به في السجن أو ينتهي به في مصلحة الطوارئ بالمستشفى، وهو أمر لم يكن يروق أحداً. ومع ذلك كانت لحظات انغماسه في الشرب هي أفضل لحظات الأسرة. لمّا كان يغادر البيت لمعاقرة الخمر، كانت زوجته ريتا تنعم ببعض الراحة، فتضمّ ابنيها إلى صدرها وتؤكّد لهما بأنّ كلّ المشاكل ستؤول إلى الحل. أمّا ما عدا ذلك، فلا شيء في البيت كان على ما يُرام. كانت الأسرة تقطن بدورشيستر في بوسطن، ولم يكن الأب يشرّفهم في معظم الأحيان بحضوره إلّا لينهال على زوجته بالضرب. كانت تغلق عليها باب المرحاض لساعات، بل لأيام أحياناً، وهي تبكي وترتعد. وحين تداهمها النوبات العصبية، كانت تتقيّأ دماً. لذلك لم يستغرب أحد موتها وهي لا تزال في السادسة والأربعين من العمر إثر نزيف داخلي، مثلما لم يستغرب أحد غرق أخت إيد الكبرى في

الإدمان على المخدرات الصلبة، ولا لمّا ألفى الأب نفسه على وشك أن يُلقى به هو والأطفال في الشارع.

وهكذا كانت طفولة إيد تهيّئه لحياة مضطربة. وما كاد يبلغ سن المراهقة حتى انتمى إلى عصابة تدعى «ذي فاكرز»، زرعت الرعب في دورشيستر، وكانت تتعارك مع عصابات أخرى، تعتدي على الناس وتسطو على المتاجر.

قُتل صديق حميم لإيد، ويدعى دانييل غوتفريد بطعنات مديّة ضخمة، ثمّ عُلِّق على كَلّاب جزار. وفي هذه الفترة كان إيد على شفا الهاوية.

كان مظهره يوحي، منذ نعومة أظافره، بالفظاظة والخشونة. وما زاد هذه الصورة قتامة هو أنّه لم يكن يبتسم أبداً، فضلاً عن أن فكّه العلوي نُزع منه سنّان. كان قويّ البنية، فارع الطول، جريئاً. وكثيراً ما كانت تظهر على وجهه آثار الشجارات، إمّا بسبب عراكه مع أبيه أو بسبب تصفية حسابات بين العصابات. أمّا أساتذته، فكان معظمهم يخافونه خوفاً شديداً، كما كانوا واثقين من أنّ مآله سيكون هو السجن أو مقتولاً بطلقة في الرأس. على أنّ بعضهم استرعتهم حالته، فطفقوا يهتمّون به. ولا شكّ أنهم أدركوا أنّ زرقة عينيه واتّقادهما ليسا مؤشراً على العنف والعدوانية.

كان ولع إيد بالاكتشاف لا حدود له، وشغفه بالقراءة لا يوازيه إلّا ما كان يجده من حماس في تخريب حافلة بلدية. وعوض أن يعود إلى بيته في آخر اليوم، كان يَلزَم ما يسمّى بقاعة الإعلاميات في المدرسة، المجهّزة ببعض الحواسيب، فيقضي فيها الساعات الطوال. وقد لاحظ أستاذ الفيزياء، ويدعى لارسن، وهو اسم سويدي أصيل، مهاراته في استعمال الحواسيب. وبذلك حصل على منحة دراسية إثر امتحان نظّمته

المصالح الاجتماعية، وسُمح له بالالتحاق بمدرسة مخصّصة للتلاميذ الموهوبين.

وبما أنه حقق نتائج باهرة، استفاد مرّة أخرى من منح وجوائز، ثمّ التحق أخيراً، وهو ما يمكن أن يعدّ معجزة بالنظر إلى ما توقعه الناس في طفولته، بمعهد MIT بماساتشوست ليدرس الهندسة الإلكترونية وعلم الحاسوب. وأنجز أطروحة دكتوراه حول بعض المخاوف المتعلّقة بأنظمة الترميز اللاتماثلية مثل خوارزمية RSA، قبل أن يواصل مشواره بتقلّد مناصب عليا لدى مايكروسوفت وسيسكو. ثم انتقل أخيراً للعمل لدى وكالة الأمن القومي الأميركية NSA في فورت ميد بولاية مريلاند.

والواقع أنّ نهج سيرته لم يكن بالاستقامة التي تستلزمها وظيفته. لا يعود ذلك إلى مغامرات الشباب فحسب. فقد دخن المخدّرات لفترة ليست بالقصيرة خلال المرحلة الثانوية، وأظهر نزعات اشتراكية، بل فوضوية. كما ألقي عليه القبض وهو راشد مرّتين بسبب استعمال العنف في شجارات بالحانات، وهو أمر لم يكن مستغرباً. وقد ظلّ مزاجه حادّاً حتّى أن كل الذين يعرفونه كانوا يتجنّبون مشاحنته.

لكن وكالة الأمن القومي تغاضت عن كلّ ذلك، وركزت على مؤهلاته، لا سيما وأن ذلك صادف خريف سنة 2001 حيث كانت الاستخبارات الأميركية بحاجة إلى علماء إلكترونيات، فراحت توظف كلّ مَن عثرت عليه. وفي السنوات اللاحقة، لم يشكّك أحد في وفاء إيد ووطنيّته. وحتّى حين يسعى أحدهم إلى التنقيب في مثالبه، كانت مؤهلاته ترجّح كفّة الميزان.

لم يكن إيد يتمتع بموهبة استثنائية فحسب، بل كان مهووساً بالدقة والنجاعة أيضاً، وهي الصفات المثالية المطلوبة في المهمة التي أوكلت إليه، المتمثّلة في السهر على الأمن المعلوماتي للسلطة الأميركية الأكثر

سرّيّة. لم يسمح لأحد بقرصنة نظامها، وجعل هذا الأمر قضية شخصية. وسرعان ما صار من المتعذّر الاستغناء عنه في فورت ميد، وأصبح زملاؤه يقفون في طوابير أمام باب مكتبه طلباً للاستشارة. وكان عدد كبير منهم يهابه، إذ لم يكن يتورّع عن توبيخهم لأتفه الأسباب، بل حتّى مدير وكالة الأمن القومي ذو السمعة الخرافية، الأميرال شارلز أوكونور، لم يَسْلَم من بذاءته.

فقد صرخ في وجهه لمّا حاول انتقاد عمله:

- حريّ بذهنك المجهد المعطوب أن ينشغل بما يستطيع فهمه!

ولم يجد شارلز أوكونور بدّاً من مداراته على غرار الآخرين. كانوا يدركون أنّ تعامل إيد الفظّ معهم إنّما يكون لأسباب وجيهة، من قبيل أن يهمل أحدهم تعليمات السلامة، أو يخوض في أمور لا يفهمها. أمّا ما عدا ذلك، فلم يكن يحشر أنفه أبداً في عمل جهاز التجسّس، رغم أنّ مؤهلاته تسمح له بالاطّلاع على أكثر المعلومات سرّيّة، وأنّ الوكالة كانت توجد منذ بضع سنوات في قلب عاصفة هزّت الرأي العام: إذ كان ممثلون عن اليسار وعن اليمين على السواء، ينظرون إلى وكالة الأمن القومي على أنّها تمثّل الشرّ المطلق، وأنّها تجسيد لشخصية جورج أورويل: الأخ الأكبر. لكن إيد لم يكن يحفل بما تفعله المنظمة. الشيء الوحيد الذي كان يعنيه هو أن تظلّ أنظمة الحماية صارمة ولا تُخترق.

لم يكن إيد حينئذٍ قد تزوّج، لذلك كان يقضي معظم وقته في المكاتب. كان يشكّل قوّة يمكن الاعتماد عليها، ورغم أنّه خضع للعديد من تحقيقات النزاهة، لم يُعثر على شيء أبداً يمكن أن يؤاخَذَ به، اللهمّ بعض حالات الثمالة المفرطة مؤخّراً، التي جعلت الشجن يستبدّ به، فمضى يحكي عن حياته وما لاقاه من صعوبات. عدا أنّه حتى في لحظات الثمالة هذه، لم يكن يذكر طبيعة عمله وأسراره. كان

محكم الإغلاق كمحارة. وحتى لما يتعرّض للضغط، يعمد دائماً إلى كذبات ملفّقة يحفظها عن ظهر قلب، ويستطيع تأكيدها على الإنترنت، وفي قواعد المعطيات.

لم يترقّ إيد ويشغل منصب رئيس قسم الأمن في المقرّ المركزي للوكالة صدفة أو بواسطة المكر والدسائس. فقد أعاد تنظيم الجهاز «حتّى لا يفعلها بنا أحد» على حدّ قوله، وعزّز، بمساعدة معاونيه، المراقبة الداخلية على كلّ المستويات، ثمّ ثبّت نظاماً كان يسمّيه «الجدار الذي لا يُختَرَق» تارة، و«الحارس اليقظ» تارة أخرى.

كان يردّد بزهوّ مُبالغ فيه:

- لا أحد يستطيع أن يخترق النظام، ولا أحد يستطيع أن يفتش ما بداخله من دون إذن.

ظلّ كلامه هذا صحيحاً إلى أن حلّ صباح ذلك اليوم اللعين من أيام نوفمبر. كان يوماً جميلاً صحواً. ولم يكن في مريلاند ما يوحي بالجو المكفهرّ السائد حينئذٍ بأوروبا، بحيث تخفّف الناس في لباسهم. تقدّم إيد الذي سَمُنَ مع تعاقب السنوات، بمشية متهادية مميّزة نحو موزّع القهوة الأوتوماتيكي. ولم يكن، بسبب مركزه الرفيع ربّما، يلقي بالاً لمواضعات اللباس. ارتدي سروال جينز وقميصاً رُسِمَت عليه مربعات حمراء لم يشدّه إلى السروال. تنهّد بعمق وهو يجلس إلى حاسوبه مكدّر المزاج بسبب الألم الذي يشعر به في ظهره وركبته اليمنى. ثم راح يلعن زميلته المثلية الفاتنة، موظفة مكتب التحقيقات الفديرالي السابقة، ألونا كاساليس التي أقنعته بالركض قبل يومين من ذلك.

من حسن حظّه أنّه لا توجد قضيّة عاجلة عليه معالجتها. كلّ ما كان عليه أن يقوم به هو تحرير مذكرة داخلية توجّه تعليمات جديدة لمسؤولي COST، وهو برنامج تعاون مع شركات الإلكترونيات الكبرى. لكنّه بينما كان يكتب بأسلوبه الرديء:

[حتى لا يطمئنّ أحد إلى سذاجته، ويظلّ الأمن هاجس الجميع، أودّ أن ألفت انتباهكم. . .]

شدّت انتباهه إشارة تحذير.

لم يقلق للأمر. فقد كانت أنظمة التحذير المثبتة بالغة الحساسية بحيث تنطلق عند أبسط طارئ يعرض في دفق المعلومات. قد لا يعدو الأمر أن يكون خللاً بسيطاً لا أقلّ ولا أكثر، أو إشعاراً بمحاولة أحد الموظفين تجاوز صلاحياته. باختصار، قد لا يعدو الأمر أن يكون مجرّد اضطراب بسيط في النظام.

عدا أنّ الوقائع تسارعت، وما هي إلّا لحظات حتى حدثت ظاهرة كانت على قدرٍ من الغرابة بحيث أصابته بالذهول، ومكث بضع ثوانٍ لا يكاد يصدّق عينيه. تسمّر في مكانه وهو يحملق في الشاشة، مع أنّه فهم تماماً ما كان يقع. فهمه بالجزء الذي كان ما زال يستجيب لمقتضيات العقل من دماغه. لعلّ أحدهم اخترق النظام المعلوماتي الداخلي لوكالة الأمن القومي! لو كان الحادث عادياً لقال في نفسه: «سأسحق هؤلاء الأنذال». لكن الأمر الآن مختلف. فهذا النظام المغلق والمراقب الذي خضع لأكثر من سبعة آلاف اختبار خلال هذه السنة بحثاً عن أبسط ثغرة، يتعرّض الآن للاختراق. شيء لا يقبله العقل، مستحيل!

أغمضَ عينيه وهو شارد، كما لو أنّه كان يأمل أن تعود الأمور إلى نصابها من تلقاء نفسها، لكنّه لمّا نظر إلى الشاشة من جديد، تفاجأ بأنّ الجملة التي بدأ صياغتها «أودّ أن ألفت انتباهكم. . .» قد أُضيفت لها هذه الكلمات:

[. . . إلى أنّه يتعيّن عليكم الإقلاع عن القيام بأمور غير مشروعة. الأمر في غاية البساطة في الواقع: من يراقب

الشعب سينتهي الأمر بالشعب يوماً إلى مراقبته هو أيضاً.
هذه قاعدة ديمقراطية أساسية.]

فغمغم:
- اللعنة، اللعنة!
وهو ما يشهد على أنّه بدأ يستعيد وعيه. ولم تكد تمضي هنيهة حتّى شرعت كلمات أخرى تنضاف إلى النص:

[لا ترتعب يا إيد، لماذا لا تنضمّ إليّ لنقوم بجولة؟ أنا Root(*)].

فأطلق صرخة مدوّية. ما كاد يسمع اسم روت حتى شعر بكيانه ينهار، وظلّ يراقب لثوانٍ معطيات النظام الأكثر سرية تتوالى بسرعة البرق على الشاشة. أحسّ كما لو أنّ أزمة قلبية ستصيبه، ولاح له من خلال ضباب كثيف أنّ الناس بدأوا يتحلّقون حوله.

كان على هانا بالدر أن تخرج للتسوّق. فقد فرغ البراد من الجعة والطعام، ولاس قد يعود في أيّ لحظة، وسيصبّ عليها جامّ غضبه إن لم يعثر على زجاجة جعة يطفئ بها غُلّته. لكن سوء الجو ثبط همّتها، فأرجأت الأمر. ظلّت جالسة في المطبخ تعبث بهاتفها وتدخّن، رغم أنّ التدخين يُضرّ ببشرتها وجسدها بعامة.
استعرضت قائمة الأرقام المخزّنة في ذاكرة هاتفها مرّتين أو ثلاثاً لعلّها تعثر على اسم جديد، لكن بلا جدوى. الأسماء القديمة نفسها.

(*) Root هو الاسم المتفق عليه الذي يطلق على المستعمل المتوفر على كلّ ترخيصات الولوج إلى النظام.

أسماء أناس ضاقوا ذرعاً بها. وانتهى بها الأمر أن اتّصلت بميا من دون أن تكون مقتنعة تماماً بوجاهة هذه الفكرة. كانت ميا هي وكيلة أعمالها. وقد مضى زمن كانتا فيه أوفى صديقتين في العالم. أما اليوم فالأمر تغيّر. لم تعد تذكر كم سمعت منها في الأيام الأخيرة من أعذار مُختلقة وتفسيرات كاذبة. «ليست الشيخوخة شيئاً هيّناً بالنسبة إلى ممثلة. . .» وما شابه ذلك من كلام فارغ. لم تعُد تطيق هذا النفاق، لماذا لا تقول لها صراحة: «يبدو أنّك متعبة يا هانا، والجمهور لم يعُد يحبّك»؟

لم تُجِب ميا على الهاتف كما كان متوقّعاً، وهو أمر جيّد بلا شك، لأنّ المكالمة ما كانت لتعود بطائل على أيّ منهما. كانت هانا تنظر بين الفينة والأخرى إلى حجرة أوغست، لا لشيء إلّا لتشعر بهذا الحرمان المبرِّح الذي يشهد على أنها فرّطت في أهمّ شيء في حياتها، وهو واجب الأمومة.

لكن الغريب هو أنّ ذلك منحها بعض القوة. وبينما كانت تتساءل عمّا إذا كانت ستخرج لجلب الجعة، رنّ الهاتف.

إنّه فرانز، وهو ما زادها تجهّماً. قضت اليوم بكامله تفكّر في أن تتّصل به، من دون أن تتجرأ على ذلك. ودّت أن تخبره بأنها ترغب في استعادة أوغست، لا لأنها اشتاقت إليه، ولا لأنّ حياته معها ستكون أفضل، بل لتتجنّب وقوع كارثة، لا أقلّ ولا أكثر.

فلاس مصمّم على استعادة الطفل حتى يسترجع مبلغ النفقة. وأخشى ما تخشاه هو أن يقرّر لاس التوجّه إلى سالتسخوبادن للمطالبة بحقوقه. قد يعمَد إلى ترهيب الطفل وإخراجه من المنزل بالقوة، وتكسير عظام أبيه. كان عليها أن تقنع فرانز بالإنصات لكلامها، والوعي بخطورة الوضع. فتَحَت الخط إذاً، وحاولت أن تُطلِعه على مخاوفها، لكنّه لم يفسح لها المجال لتتكلّم، وراح يقصّ حكاية غريبة، ويتحدّث عن شقّة جديدة «رائعة وهائلة». . .

- عفواً يا فرانز، لم أفهم عمّ تتحدث؟

- أوغست عالِم، عبقري!

- أجننت؟

- بالعكس يا عزيزتي، أخيراً استعدتُ رشدي. ينبغي أن تلحقي بي، وعلى الفور! أظنّها الوسيلة الوحيدة لتفهمي، وإلّا فمن المستحيل أن تستوعبي كلامي. اركبي سيارة أجرة وتعالي، سأؤدي عنك ثمن الرحلة. أؤكد لك أنّك ستُذهَلين. لا أدري، إما أنه يملك ذاكرة فوتوغرافية أو أن معجزة حدثت. لقد استطاع أن يستوعب كلّ قواعد الرسم وأسرار المنظور من دون أن يعلّمه أحد. رسم شيئاً بالغ الروعة يا هانا، وفي منتهى الدقة. يلمع كما لو أنه آتٍ من عالم آخر.

- ما الذي يلمع؟

- الضوء الثلاثي الألوان، ألَمْ تسمعي؟ الضوء الذي مررنا أمامه ذلك المساء، والذي أعاد رسمه بدقة متناهية تتجاوز الواقع...

- تتجاوز...

- كيف أشرح لك...؟ لم يستنسخه فحسب يا هانا، لم يكتفِ بإعادة تصويره بدقة، بل أضفى عليه بُعداً جمالياً. ينبعث من الرسم بريق غريب، ويطغى عليه طابع رياضي كذلك، كما لو أنّه ضمّنه بعض مبادئ الاستحوار[1].

- الاستحـ...؟

فغمغم:

- ليس هذا هو المهمّ يا هانا! ينبغي أن تأتي لكي تري هذا بنفسك.

وشيئاً فشيئاً بدأت تفهم.

---

(1) الاستحوار (Axonométrie): طريقة مستعملة في الرسم الصناعي والتقني.

تفتّقت مواهب أوغست في الرسم بغتة، هذا ما يُفهم من كلام فرانز. إن صَدُق ذلك، سيكون أمراً رائعاً بالطبع. على أن هانا لم تشعر بأيّ ابتهاج، وهو أمرٌ لم تجد له سبباً في البداية. ثمّ بدأ الأمر يتّضح في ذهنها. حدث ذلك عند فرانز. أمّا معها ومع لاس، فعاش الطفل سنوات من دون أن يحرز أيّ تقدم. كان يقضي كلّ وقته جالساً أمام قطع البوزل والمكعبات صامتاً، لا ينبس ولا يتحرّك إلّا حين تنتابه تلك النوبات الرهيبة التي يُطلق خلالها صرخات حادة معذّبة، مؤرجِحاً جسده من الأمام إلى الخلف. وها هو يكشف الآن، بعد قضاء بضعة أسابيع مع أبيه، عن مظاهر عبقريته.

سَرَّها ذلك بالطبع، لكنّه ساءها أيضاً. والأدهى أنّه لم يفاجئها كثيراً. لم تندهش، ولم تتراجع إلى الخلف وهي تردد: «مستحيل، مستحيل». بالعكس، تخيّلت أنّ قلبها حدّثها بذلك، لا بأن يقوم ابنها برسم بارع لأضواء المرور الثلاثية، بل بأنه يملك قدرات خفية.

خمّنت ذلك من عينيه، من نظرته التي تبدو في لحظات الإثارة كما لو أنّها تسجّل أدق تفاصيل ما يحيط به. خمّنته من طريقة إنصاته للأساتذة، والكيفية المحمومة التي يتصفّح بها كتاب الرياضيات الذي اشترته له. خمّنته على الخصوص من النحو الذي يتعامل به مع الأرقام. كان بإمكانه أن يقضي ساعات وهو يركّب سلاسل لا نهائية من الأعداد العشوائية، حاولت هانا أن تفهمها، أو على الأقل أن تستجلي منطقها، لكن بلا جدوى. الآن تُحدّث نفسها بأنّ شيئاً مهماً فاتها. ألا يكون شقاؤها وأنانيتها هما اللذان حالا دون إدراك ما يدور في ذهن ابنها؟

وقالت:

- لست أدري.

فردّ فرانز بضيق:

- لا تعرفين ماذا؟

أجابت وهي تسمع ضجّة عند باب الشقة:

- لست أدري ما إذا كان بإمكاني أن آتي.

دخل لاس مع نديمه روجر وينتر فجفلت بشكل غريزي، وغمغمت معتذرة لفرانز، ثمّ لامت نفسها للمرة الألف على أنها أمّ سيئة.

راح فرانز يلعن وهو جالس في غرفة نومه ذات الأرضية المبلطة بمربعات بيضاء وسوداء، والهاتف لا يزال في يده. اختار هذه البلاطة لأنّ ترتيب المربعات وتعاقب اللونين يوافق نزوعه إلى النظام الرياضي، لا سيما حين تنعكس الصفوف في مرايا الدواليب على جانبي السرير، فتتكرّر إلى ما لا نهاية. يوحي له تكرار المربعات هذا أحياناً بلغز مفعم بالدلالات، ويتولّد من شكل المربعات الهندسي المنتظم موضوع حيّ مثلما تتولّد الأفكار والأحلام من الخلايا الدماغية، أو البرامج المعلوماتية من الأنظمة الثنائية.

أما في تلك اللحظة، فكان مستغرقاً في تأمّلات أخرى مختلفة. وقال:

- ماذا جرى لأمّك يا صغيري؟

رشقه أوغست، الذي كان جالساً على الأرض بجانبه يأكل بالتذاذٍ قطعة خبز مدهونة بالجبن، بنظرة متفحّصة. وساور فرانز شعور غريب بأنّ ابنه على وشك أن يتكلّم كما يفعل الكبار. لكن الأمر سرعان ما بدا له سخيفاً بالطبع. فأوغست بالكاد يتواصل، ولا يعرف شيئاً عن النساء اللواتي طالهنّ النبذ والإهمال. لعلّ الرسوم هي التي بعثت في نفسه هذا الأمل.

يتهيّأ له أحياناً أنّ تلك الرسوم، وكان عددها حتّى ذلك الحين

ثلاثة، لا تثبت مواهبه الفنية والرياضية فحسب، بل تعبّر أيضاً عن نوع من الحِكمة. فقد وجدها على درجة عالية من النضج والتعقيد الهندسي بحيث يتعذّر تصديق أن مَن رسمها طفل يعاني من تأخر عقلي. أو بالأحرى: هو لا يريد أن يسلّم بأنّ ابنه يعاني من هذا التأخر. لقد خمّن حقيقة حالة ابنه منذ زمن بعيد، حتّى قبل أن يشاهد، مثل كثير من الناس، فيلم **رين مان**[1].

كانت إصابة ابنه بالتوحّد هي سبب اهتمامه بمتلازمة عالم[2]. يقال إنّ الأشخاص المصابين بهذه المتلازمة يعانون من قصور إدراكي شديد، لكنّهم يتمتّعون بالمقابل بقدرات مدهشة في مجالات محدّدة، وبمواهب ترتبط في الغالب بالذاكرة، وتقوم على عناية هائلة بالتفاصيل. وقد كان فرانز متأكّداً من أنّ كثيراً من الآباء يعقدون آمالاً كبيرة على أن يثبت التشخيص هذه المتلازمة لدى أبنائهم، فيكون ذلك بمثابة عزاء لهم، على أنّ حظوظهم تكون ضئيلة.

فحسب تقدير صادَقَت عليه هيئة الأطباء، طفل متوحّد واحد من أصل عشرة يعاني من هذه المتلازمة. ولا تكون في الغالب مواهبهم مدهشة كما يظهر في **رين مان**. منهم مَن يستطيع تعيين اسم اليوم في تاريخ معين يبعد بمئات السنين، بل في مرحلة تعود إلى أربعين ألف سنة في بعض الحالات النادرة.

وتتمتّع طائفة أخرى بمعارف موسوعية في مجال محصور، مثل مواقيت الحافلات أو أرقام الهاتف. في حين يستطيع آخرون إنجاز عمليات حسابية ذهنية بأعداد طويلة أو تذكُّر حالة الطقس الخاصة بكل يوم من أيام حياتهم، أو معرفة الوقت بدقة متناهية من دون حاجة إلى

---

(1) Rain Man: فيلم أميركي من إخراج باري ليفينسون. ظهر سنة 1988 بالولايات المتحدة. وهو من الأفلام الأولى التي عالجت موضوع التوحّد.

(2) Syndrome du savant.

ساعة. هناك عدد كبير من المواهب تتفاوت من حيث درجة غرابتها. فالأشخاص المتّصفون بهذا النوع من القدرات، حسبما فهم فرانز، يُنعتون ببساطة بصفة «عالِم». وهم أشخاص يتعارض تفوقهم في مجالهم مع محدودية قدراتهم العامة.

ثم تأتي بعد هذا طائفة أخرى أكثر ندرة، يحاول فرانز أن يوهم نفسه بأنّ أوغست ينتمي إليها. وهي تضم الأطفال الذين يوسمون بكونهم علماء معجزين، والذين يُظهرون مواهب عجيبة بغضّ النظر عن أيّ اعتبار آخر، من أمثال كيم بيك الذي توفي مؤخراً بسبب أزمة قلبية. كان كيم عاجزاً عن ارتداء ملابسه بنفسه، كما كان يعاني من إعاقة ذهنية شديدة. لكنّه استطاع أن يحفظ اثني عشر ألف كتاب، وكان بمستطاعه أن يجيب عن أي سؤال فيها بسرعة البرق، إلى درجة أنّه لقِّب بـ «كيم-بيوتر».

هناك أيضاً موسيقيون من أمثال ليزلي ليمك، الذي يعاني من العمى والتأخر العقلي، والذي استيقظ ذات ليلة وهو في السادسة عشرة من عمره، وشرع يعزف على البيانو كونشرتو تشايكوفسكي ببراعة، ومن دون أيّ تعلّم سابق، بعد أن سمعه مرّة واحدة على التلفزيون.

ولعلّ أبرز مثال في هذا المجال هو ستيفان ويلتشاير، طفل إنجليزي متوحّد، شديد الانطواء، لم ينطق كلمته الأولى إلّا وهو في السادسة من عمره. ومن عجائب الاتفاق أنّ هذه الكلمة كانت هي «ورق». وفي حوالي الثامنة أو العاشرة من عمره، أبدى قدرة كبيرة على رسم مجموعات معمارية بأدقّ تفاصيلها بمجرّد إلقاء نظرة عليها. حلّق فوق لندن بطائرة مروحية، وشاهد الدور والشوارع في الأسفل، وعند نزوله من الطائرة، رسم منظراً عاماً للمدينة بدقّة مدهشة. ولم يكن يقتصر على النقل الحرفي، بل كانت إبداعاته تشهد على فرادة عجيبة. لذلك عُدّ فناناً كبيراً.

لا تشكّل نسبة الفتيات من هؤلاء الأطفال «العلماء» إلا حالة واحدة من ست، وهو أمر عائد على الأرجح إلى أحد الأسباب الرئيسة للتوحّد: وجود مستوى عالٍ من هرمون التِّسْتوستيرون في السائل الأمنيوسي خلال الحمل. ذلك أنّ هذا الهرمون قادر على تدمير نسيج الجنين الدماغي. وقد لوحظ أن النصف الأيسر من الدماغ هو الذي يتعرّض للتلف، بما أنّه أضعف من النصف الأيمن، وتطوّره أبطأ. وبذلك فإنّ متلازمة «عالم» تعدّ بمثابة تعويض يقوم به النصف الأيمن عن التلف الحاصل بالنصف الأيسر.

وبما أن النصفين بالغَي التباين -بحيث يستأثر النصف الأيسر بوظائف التفكير المجرّد والتحليل المنطقي- تترتّب عن ذلك نتيجة فريدة تتمثل في نشأة قدرة هائلة على التركيز على التفاصيل. وإذا كان فرانز قد فهم هذه الظاهرة، فإن رؤيته لضوء المرور تختلف اختلافاً تامّاً عن رؤية أوغست. ليس فقط لأنّ الطفل كان أشدّ منه تركيزاً، بل لأنّ دماغ فرانز قام أيضاً بِفَرزٍ آني لكلّ ما قدّر أنّه غير مهمّ، وركز على ما هو جوهري، أيّ السلامة بطبيعة الحال، وعلى مضمون الرسالة التي ينقلها الضوء: العبور أو الوقوف. الراجح أيضاً أنّ عناصر كثيرة شوّشت نظرته، ولا سيما استغراقه في أحلام حول فرح شريف. فممرّ الراجلين امتزج في ذهنه بسَيْلٍ من الذكريات والآمال، بينما رآه أوغست على حاله، أي كما هو في الواقع.

رأى بشكل متزامن ممرّ الراجلين والرجل الذي كان قادماً باتّجاههما في تلك اللحظة بالضبط، وذلك بأدقّ التفاصيل. احتفظ إثر ذلك بهذه الصورة كما لو أنها نُقشت في ذاكرته، ولم يشعر بالحاجة إلى الكشف عنها إلّا بعد مضيّ أسابيع. والأغرب من كلّ ذلك هو أنّه لم يكتفِ بإعادة رسم أضواء المرور والرجل ببالغ الإتقان فحسب، بل أحاطهما بهالة نور مُقلقة. ولم يستطع فرانز أن يتخلّص من فكرة أنّ

أوغست أراد أن يبلّغه دلالة تتجاوز دلالة الرسالة الظاهرة: «انظر ماذا أستطيع أن أفعل!» وراح يتأمل الرسوم بأقصى ما استطاعه من انتباه، فشعر حينئذٍ كما لو أنّ إبرة غُرزت في قلبه.

أحسّ بضيق لم يعرف مبعثه. هناك شيء غامض في هذا الرجل الظاهر في الرسم. عيناه قاسيتان ومتّقدتان، فكّه مشدود، شفتاه دقيقتان على نحو غريب، بالكاد تظهران. قسماتٌ لا تحمِل على النفور، ومع ذلك كلّما أنعم فيها فرانز النظر، زادته ارتعاباً. وتملّكه ذعر شديد، كما لو أنّ هاجساً هجس له. فغمغم وهو لا يكاد يعي ما يقول:

- أحبّك يا ولدي.

وكرّر هذه الجملة مرّتين أو ثلاثاً، وبدت له هذه الكلمات غريبة في فمه.

تنبّه وقد ساوره حزن لم يشعر بمثله سابقاً إلى أنّ هذه الكلمات لم تجرِ على فمه قط. وما كاد يتخلّص من وقع الصدمة الأولى حتى قال في نفسه إنّ في تصرفه مع ابنه كثيراً من الخسّة. أكان يَلْزَم أن يفصح عن مواهب استثنائية لكي يَشعر نحوه بالحبّ؟ واقتنع في الأخير بأنّ هذا ليس مستغرباً منه، هو الذي طالما لم يحفل في حياته إلا بالنتائج.

لم يكن يلتفت في حياته المهنية إلا للابتكار والعبقرية. ولمّا ترك السويد إلى سيليكون فالي، بالكاد خطر أوغست في باله. كان ينظر إلى ابنه باختصار على أنّه مصدر ضيق وإزعاج، هذا في مرحلة كان يتأهّب فيها لتحقيق إنجازات على قدرٍ بالغٍ من الأهمية.

وقرّ عزمه على أن يتغيّر هذا الأمر ابتداء من هذه اللحظة. سينسى بحوثه وكلّ ما كان سبباً في عذابه خلال الشهور الأخيرة، وسيتفرّغ لابنه كل التفرّغ.

سيصير رجلاً مختلفاً.

5

العشرون من نوفمبر

لا يعرف أحد كيف وجدت غابرييلا غران نفسها في السابو. فتاة تنبّأ لها كلّ من عَرَفها بمستقبلٍ زاهر. ها قد بلغت الثالثة والثلاثين من العمر، ولم تحظَ بنصيبٍ من الشهرة ولا الثروة، ولا حتى على الزوج المناسب، أو بالأحرى على زوج كيفما كان. وهو وضع يثير قلق أصدقائها القدامى بديورشولم.

- كيف وصلتِ إلى هذا الوضع يا غابرييلا؟ أستقضين حياتك بكاملها شرطيّة؟

لم تكن تملك في غالب الأحيان الشجاعة لتجيب أو لتصحّح بأنها لم تكن شرطية، بل محلِّلة انتُقيت بناء على معايير صارمة، وأنّها صارت تحرّر نصوصاً أشدّ تخصصاً ممّا كان عليه الأمر من قبل، لمّا كانت تشتغل في وزارة الشؤون الخارجية، أو خلال مواسم الصيف التي كانت تعمل فيها محرّرة في **سفينسكا داغبلاديت**[1]. والحال أنه لم يكن يُسمح لها في غالب الأحيان أن تتحدّث عن ذلك. حريّ بها أن تصمت وتَضْرِب صفحاً عن هواجسها بخصوص وضعيتها الاجتماعية، وتقبل ببساطة عملها في السابو الذي تعتبره صديقاتها

(1) *Svenska Dagbladet*: يومية سويدية.

البرجوازيات، بل وحتى رفيقاتها المثقفات، دليلاً على فشلها الذريع.

كانت السابو في نظرهنّ مَوْئلاً للخاملين والأوغاد ذوي النزوعات اليمينية الذين يطاردون الكرد والعرب لأسباب عنصرية غير خفية، ولا يتورّعون عن ارتكاب جرائم خطيرة، ومخالفة العدالة لحماية كبار الجواسيس الروس القدامى. من المؤكد أنها لم تكن تعترض أحياناً على هذه الانتقادات. فالمنظمة كانت تضمّ العديد من عديمي الكفاءة والعناصر السيئة، هذا فضلاً على قضية زالاشنكو التي ظلّت وصمة عار لا تمّحي. لكن السابو لا يمكن أن تُختزل في هؤلاء. فهي تقوم بعمل مفيد وعلى قدر كبير من الأهمية، لا سيما بعد موجة التطهير التي تلت الفضيحة. ويتهيّأ لها أحياناً أنّ أكثر الأفكار أهميّة تجد تعبيرها هنا في السابو. ومهما يكن، فهي أنسب مكان لفهم ما يعرفه العالم من هزّات، لا افتتاحيات الصحف ومقاعد المدرجات. على أنّ ذلك لم يكن يمنعها من طرح السؤال: **ما الذي حملني على أن أحطّ رحالي هنا، ولماذا أقمت؟**

لعلّها ضعفت أمام ما لاقته من إطراء. اتّصلت بها رئيسة السابو الجديدة هيلينا كرافت شخصياً، وشرحت لها أنّ على السابو، إثر الفضائح الأخيرة والمقالات الساخرة المتلاحقة، أن تُعيد النظر في أسلوب التوظيف. وقالت: «علينا أن نقتدي بالبريطانيين، ونلتفت للمواهب الجامعية، وأنت بصراحة يا غابرييلا، تمثّلين أفضل مرشّحة»، وقد كان ذلك كافياً لاستقطابها.

اشتغلت غابرييلا بوصفها محلّلة في مجال محاربة التجسّس قبل أن تلتحق بقسم الحماية الصناعية. ورغم عدم استجابتها للمواصفات المثالية المطلوبة فيمن ينبغي أن تشغل هذا المنصب، بما أنّها امرأة متوسطة الجمال، فقد كانت تستجيب بالمقابل لكلّ المعايير الأخرى. كان يعاملها بعضهم أحياناً باعتبارها «فتاة مدلّلة» أو «بورجوازية

متحذلقة»، وهو ما كان يخلق لها كثيراً من المشاحنات الزائدة، لكنّها كانت فيما عدا ذلك موظفة من الطراز الرفيع، سريعة ومتفتّحة، تملك حسّ الابتكار والإبداع. كما كانت فضلاً عن كلّ ذلك تتكلّم الروسية.

تعلّمت هذه اللغة على هامش دراستها بالمدرسة العليا للتجارة بستوكهولم. ورغم أنها كانت طالبة مثالية في هذه المادة، بل في كلّ المواد، لم تكن تشعر في تعلّمها إلّا بقليل من المتعة. كانت تحلم بحياة أرقى من تلك التي يوفّرها عالم الأعمال. ولمّا حصلت على الدبلوم، ترشّحت للعمل في وزارة الخارجية. وتمكّنت من ذلك بسهولة كبيرة، على أنّها لم تجد فيها ما يستجيب لطموحها. ذلك أنّها ألفت العاملين في الدبلوماسية متزمّتين ومبالغين في الرسميات. وكانت هذه هي الفترة التي اتّصلت بها هيلينا كرافت. مضت الآن خمس سنوات على اشتغالها بسابو، كسبت فيها الاعتراف تدريجياً بموهبتها التي لم يعُد أحد يشكّك فيها، وهو ما كلّفها عملاً مرهقاً.

كان ذلك اليوم يوماً عصيباً، ليس بسبب الجو العاصف فحسب، بل لأنّ رئيس القسم، راينر أولوفسون وصل إلى مكتبه مقطّباً عابساً، ووبّخها على إقامة علاقة غرامية نسجتها لمّا كانت في مهمّة.

فردّت:

- علاقة غرامية؟!

- بعثوا لك بالورد إلى هنا.

- وما ذنبي؟

- أرى أنّك تتحمّلين نصيباً من المسؤولية. علينا أن نتصرف على نحو محترم ولائق لمّا نكون في الميدان. فنحن نمثّل سلطة محترمة.

- رائع يا راينر! معك يتعلّم المرء أشياء جديدة كلّ يوم. أخيراً فهمت أنّني مذنبة لأنّ المدير العلمي لشركة إريكسون لا يميّز بين اللباقة

والغرام. وأدركتُ أيضاً أنّني المسؤولة الوحيدة إذا كان بعض الرجال عبث الوهم بعقولهم حتى صاروا يؤوّلون ابتسامة بسيطة على أنّها دعوة لممارسة الجنس.

فأجاب راينر:

- لا تتغابي.

ثم اختفى على الفور. أسفت على انصرافه. هذا النوع من المشاحنات لا يؤدّي إلى شيء، مع أنها تحمّلته أكثر من اللازم.

وصمّمت على ألّا تتحمّله مستقبلاً. فَرَزَت الأوراق الموجودة على مكتبها بسرعة، وأخرجت تحليل GCHQ(*) المتعلّق بالتجسس الصناعي الروسي على شركات البرمجيات الأوروبية الذي لم يُسعفها الوقت لقراءته. على أنّها ما كادت تشرع فيه حتى رنّ الهاتف. كانت هيلينا كرافت على الطرف الآخر من الخط، وهو ما هدّأ مزاجها قليلاً. ذلك أنّ هيلينا لم يسبق أن اتصلت بها لتبثّها شكوى أو تعبّر عن تذمّر. بالعكس.

- لن أطيل عليكِ. تلقيّت مكالمة عاجلة من الولايات المتحدة. هل يمكن أن تتلقي على هاتفك مكالمة سيسكو (Cisco)؟ لقد فتحنا خطاً مؤمّناً.

- طبعاً.

- حسناً، أودّ منك أن تحللي المعلومة، وأن تقدّري مدى صحتها. تبدو المسألة خطيرة، ذلك أنّ المُخبرة عرّضتني لضغط غريب. وهي تزعم أنّها تعرفك.

- حوّلي لي المكالمة.

(*) قسم الاستخبارات الإلكترونية لدى الحكومة البريطانية (Government Communications Headquarters).

كانت ألونا كاساليس من وكالة الأمن القومي على الطرف الآخر من الخط، وهما يتعارفان فعلاً، لكن غابرييلا سرعان ما تساءلت عمّا إذا كانت فعلاً ألونا كاساليس التي تعرف. يعود آخر لقاء بينهما إلى إحدى المحاضرات بواشنطن، حيث بدت ألونا محاضِرَة واثقة من نفسها وكاريزمية، لا تتعب من ترديد ما سمّته تلميحاً «استخباراً ذا أصل إلكترومغناطيسي نشط»، أو بعبارة أخرى: القرصنة. التقتا بعد المحاضرة، وقضيتا معاً لحظات كرعتا فيها الكؤوس. افتُتِنَت بها غابرييلا. كانت تدخّن سيجاراً من النوع القصير، وتتحدّث بصوت خفيض شهواني، وتبثّ في ثنايا كلامها نكتاً وتلميحات داعرة. لكنّها ذلك اليوم في الهاتف، بدت مشوّشة ومشتّتة الذهن.

لم ترتبك ألونا على الفور. ففي الحالات العادية، لم تكن تجد أيّ صعوبة في التركيز. كانت في الثامنة والأربعين، تتمتّع ببنية متينة، معروفة بصراحتها. وكان بإمكان صدرها الناتئ وعينيها الصغيرتين الذكيتين أن تأسر كلّ مَن يقع عليها بصرُه. كما كانت تتمتّع بقدرة على قراءة ما يجري في أذهان مخاطبيها، ولا يستطيع أحد أن يتّهمها بالمبالغة في احترام رؤسائها: فقد كانت سليطة اللسان مع جميع الناس بلا مَيز، حتى أنّها شتمت يوماً وزير العدل خلال زيارة عابرة لمقرّ الإدارة، وهو ما شكّل أحد أسباب استلطاف إيد دي نيد صحبتها. فهُما معاً لم يكونا يقيمان وزناً كبيراً للتراتبية، والشيء الوحيد الذي يقدّرانه هو الكفاءة. هكذا لم تكن لتتهيّب من رئيسة شرطة بلد صغير مثل السويد، وهي إن كانت ارتبكت خلال عملية مراقبة المكالمات الروتينية، فذلك لا صلة له بهيلينا كرافت، بل بالكارثة التي تحدث في الفضاء المفتوح الواقع خلفها. كان جميع العاملين متعوّدين على نوبات

غضب إيد، إذ بوسعه أن يصيح ويصرخ ويضرب الطاولة بقبضة يده لأتفه الأسباب، على أنّها خمّنت أن المشكلة أخطر الآن.

بدا إيد مشلولاً تماماً. وبينما كانت ألونا تنطق ببضع كلمات غامضة في جهاز الهاتف، أخذ الموظفون يتحلّقون حوله شيئاً فشيئاً، وقد أخرج بعضهم الهواتف من جيوبهم وقد بدت عليهم الحيرة والرعب. أمّا هي فظلّت تنظر كالبلهاء تحت تأثير الصدمة. لم تضع السمّاعة ولم تطلب من مُخاطِبَتها أن تناديها لاحقاً، بل استرسلت في المكالمة، ووجدت نفسها تتحدّث إلى غابرييلا غران، تلك المحلّلة الشابّة الفاتنة التي تعرَّفت عليها في واشنطن وحاولت إغواءها. ورغم أنّ تغزّلها بها لم يؤتِ أكله، فإنّها تركتها وشعور عميق بالرضا يملأ نفسها.

- مرحباً حبيبتي، كيف حالك؟

فأجابت غابرييلا:

- بخير، الأمور على ما يرام، باستثناء هذا الجو العاصف.

- كانت الليلة التي قضيناها معاً رائعة، أليس كذلك؟

- بلى، كانت لطيفة للغاية. لازمني صداع الخُمار طيلة اليوم الموالي. على أنّني لا أظن أنّك اتّصلت بي لدعوتي للخروج ثانية.

- كلا للأسف. اتّصلت لأننا اعتَرَضْنا تهديداً خطيراً يتعلّق بأحد الباحثين السويديين.

- مَن؟

- وجدنا صعوبة كبيرة في فهم المعلومة، بل وفي تحديد البلد المقصود. ذلك أنّ الرسالة صيغت انطلاقاً من شفرة مُغْرِقَة في الغموض. كما أنّ جزءاً كبيراً منها مرموز، ممّا جعل قراءتها مستحيلة. لكن مع كل ذلك، بواسطة قطع صغيرة... اللعنة... ماذا يجري..

- عفواً؟

- انتظري قليلاً!

أخذت شاشة حاسوب ألونا تومض، ثمّ انطفأ الجهاز. فهمت فوراً أنّ كل الحواسيب الموجودة في الفضاء المفتوح قد تكون لقيت المصير نفسه، وفي طَرفَة عين، تساءلت كيف تتصرّف، ثمّ استأنفت الحديث. لعلّ التيار الكهربائي انقطع، مع أن الإنارة لم تتعطل.

قالت غابرييلا:

- ما زلت أنتظر.

- شكراً، هذا لطف منكِ. أنا آسفة حقّاً. الأمور مقلوبة رأساً على عقب هنا. ماذا كنت أقول؟

- كنت تتحدّثين عن القطع الصغيرة...

- تماماً. عقدنا بعض المقارنات، وانتهينا إلى أنّ الموظفين مهما كان تأهيلهم المهني، يحتمل أن يرتكب أحدهم حماقة أو...

- ماذا؟

- ... كأن يتكلّم، يذكر عنواناً أو تفصيلاً من التفاصيل. وفي الحالة الراهنة، يتعلّق الأمر بالأحرى بـ...

وصمَتَت ألونا من جديد. ذلك أن **القائد** جوني إنغرام شخصياً، وهو أحد كبار مسؤولي المنظمة، وصاحب علاقات متينة مع شخصيات رفيعة المستوى داخل البيت الأبيض، حلّ شخصياً بالفضاء المفتوح. ورغم أنّه أجهد نفسه لكي يبدو أهدأ وألطف من المعتاد، بحيث حاول مداعبة بعض العاملين الموجودين هناك، فإنّه لم ينجح في إخفاء ارتباكه. خلف سحنته البيضاء التي لوحتها الشمس -ذلك أنه صار يبدو بصحة جيدة على مدار السنة منذ أن صار رئيس مركز الترميز في وكالة الأمن القومي في أوهايو- بدا القلق واضحاً في عينيه. ثمّ طلب من جميع مَن في القاعة أن ينتبهوا.

وجاءها صوت غابرييلا من الطرف الآخر من الخط:

- ألو، أما زلتِ معي؟

فأجابت ألونا قبل أن تقفل الخط:

- يتحتّم علي للأسف أن أنهي المكالمة. سأتّصل بك لاحقاً.

وفي هذه اللحظة بالذات، تملّكها قلق شديد. كانت ثمّة قرائن توحي بأنّ حدثاً مروعاً وقع، قد تكون عملية إرهابية جديدة. أمّا جوني إنغرام، فرغم استمراره في فرك أصابعه وتلألئ قطرات العرق على شفتيه، واصل أداء التمثيلية التي قصد منها طمأنة الحاضرين، مؤكّداً أنّ لا شيء خطيراً وقع، وأنّ الأمر يتعلّق بفيروس تسرّب إلى الشبكة الداخلية (الأنترانت) رغم كلّ الإجراءات الوقائية.

ثمّ أضاف:

- وتحسّباً لكلّ خطر، قمنا بتوقيف مزوّداتنا. ونجح فعلاً في إعادة الطمأنينة للنفوس في رمشة عين. وبدا كما لو أنّ الحاضرين كانوا يقولون في أنفسهم: «حسناً، تسرّب فيروس إلى النظام لا يعني نهاية العالم»، لكن جوني إنغرام ما لبث أن تاه في كلام يطبعه الغموض، فلم تستطع ألونا أن تتمالك نفسها، وهتفت:

- ادخل إلى الموضوع رأساً، لا داعي للّف والدوران!

فأجاب إنغرام:

- إلى حدود هذه اللحظة، ما زلنا لا نعرف شيئاً ذا بال، فالواقعة حدثت اللحظة، ولكن من المحتمل أن نكون تعرّضنا للقرصنة. سنخبركم بالمستجدات فور توافرها.

كان القلق بادياً عليه، وسَرَت في القاعة رعشة خفيّة.

سأل أحدهم:

- أهي ضربة إيرانية أخرى؟

فاستأنف إنغرام:

- نعتقد أنّ. . .

لكنه لم يكد يبدأ جملته حتى قاطعه الرجل الذي كان من المفروض أن يكون حاضراً منذ البداية لكي يفسِّر طبيعة المشكلة وراح يربت على كتفه. إنه إيد نيدام بهيئته الشبيهة بهيئة دبّ. وبعدما بدا قبل ثوانٍ مصعوقاً من أثر الصدمة، ها هو يُظهر الآن تصميماً حاسماً. هتف:

- كلا. الأمر يتعلق بقرصان، بهاكر لعين، وأنا لن يهدأ لي بال حتى ألقِّنه درساً وأنزع خصيتيه، وانتهى الأمر.

لبست غابرييلا غران سترتها وهمّت بالعودة إلى بيتها لولا أنّ ألونا كاساليس هاتفتها من جديد. لم يكن مصدر الضيق الذي شعرت به غابرييلا في بادئ الأمر هو الارتباك الذي خيّم على المكالمة الأولى فحسب، بل لأنّها كانت تريد كذلك أن تصل إلى بيتها قبل اشتداد العاصفة. فحسب النشرة التي بُثَّت على المذياع، ستهبّ رياح تتجاوز سرعتها المائة كيلومتر في الساعة، وستنزل الحرارة إلى ما دون عشرة تحت الصفر، وهي لم تكن ترتدي لباساً يحميها من هذا الجو.

قالت ألونا:

- آسفة إن كنت اتصلت بك في هذا الوقت المتأخر. كان الوضع هذا الصباح في غاية السوء، وعمّت فوضى عارمة.

فأجابت غابرييلا بلباقة وهي تلقي نظرة على ساعتها...

- الأمر لا يختلف هنا أيضاً.

- لكن القضية كما قلت لك سابقاً خطيرة، ولا يمكن تقدير عواقبها. هذا ما أظنّه على الأقل. أحصيت مجموعة من الأشخاص الروس، ألم أخبرك بذلك؟

- كلا.

- تضمّ المجوعة أيضاً بعض الألمان والأميركيين وسويدي أو سويديين على الأرجح.

- أيّ مجموعة تقصدين؟

- مجموعة من المجرمين المتطوّرين إذا صحّ القول. ليسوا لصوص بنوك ولا تجّار مخدرات، بل لصوص أسرار صناعية ومعلومات تجارية سرّيّة.

- تقصدين **بلاك هاتس** (القبعات السوداء).

- لا يقتصرون على القرصنة، بل يمارسون الابتزاز والرشوة أيضاً. لا شكّ في أنهم يتعاطون كذلك لبعض الممارسات الإجرامية التقليدية كالاغتيال. لكن ينبغي أن أعترف بأنّ معرفتي بهم محدودة، كلّ ما توصّلت إليه هي بعض الأسماء المستعارة والأرقام السرية، وكذا بعض الروابط غير المؤكّدة. كما تعرّفت على الأسماء الحقيقية لبعض علماء الكومبيوتر المغمورين. إن المجموعة تتعاطى للتجسّس الصناعي على أرفع مستوى، وهو ما يفسّر سبب إحالة هذه القضية إلى مكتبي. ونحن نخشى سقوط تقنيات متقدمة بين أيدي الروس.

- واضح.

- لكن ليس من السهل الإيقاع بهم. فهم يتقنون الترميز. ورغم كل ما بذلته من جهد، لم أوفَّق في اختراق دائرة قيادتهم. كلّ ما استطعت اعتراضه هو أنّ رئيسهم يُدعى تانوس.

- تانوس؟

- نعم، اسم مشتق من تاناتوس، إله الموت في الميثولوجيا الإغريقية. هو ابن نيكس، إلهة الليل، وأخ هيبنوس، إله النوم.

- يا لها من موهبة مسرحية فذّة!

- بل لعب أطفال. فتانوس شخصية شريرة في رسوم مارفل المتحرّكة. أتعرفين أبطال هذه الرسوم أمثال هولك والرجل الفولاذي وكابتن أميركا؟ أسماء لا تمتّ لروسيا بصلة. هي بالأحرى...

- تجمع بين الادّعاء والتهكّم؟

- نعم، كما لو أنّ الأمر يتعلّق بعصابة مراهقين، صِبيَة مدارس متبجّحين يسعون إلى الهزء بنا. بصراحة، هناك عناصر كثيرة تزعجني في هذه الحكاية. وقد زادت حيرتي لمّا علمت من المراقبة الإلكترونية بأنّ هذه الشبكة تضمّ أحد المنشقّين، وأنّه قد يفيدنا في اختراقها إن نحن استطعنا استمالته. لكن عند تمحيص هذه المعلومة، تبيّن أنّ لا صلة له بما تخيّلناه.

- ماذا تقصدين؟

- لا يتعلّق الأمر بمجرم انفصل عن العصابة، بل بشخص نزيه ترك الشركة التي كان يعمل لديها، وحيث تملك العصابة عدداً من العملاء، ربما بعد أن وقع على معلومات بالغة الأهمية.

- وما حدث إثر ذلك؟

- هذا الشخص مُعرّض في نظرنا لمخاطر جدّيّة، ومن ثمّة فهو بحاجة إلى الحماية. لم نكن نعرف شيئاً إلى عهد قريب عن مكان وجوده، ولا عن الشركة التي كان يشتغل بها. لكنّنا نعتقد الآن أننا عرفناه. لمّح أحد رجال المجموعة منذ أيّام إلى شيء يتصل به حين قال: «اختفت معه كل T's اللعينة إلى غير رجعة».

- T's اللعينة؟!

- نعم، كان غريباً ومحيّراً، لكن مزيَّته هو أنّه دقيق، والتعرّف عليه سهل. بطبيعة الحال فـ «T's اللعينة» لا تفصح عن شيء، لكن حرف T وحده له علاقة بالشركات، ولا سيما شركات التكنولوجيات

المتطورة، ويقود دائماً إلى الشيء نفسه، نيكولاس غرانت وشعاره: «تسامح، موهبة، شفافية»[1]

فقالت غابرييلا:

- المقصود هنا هي شركة سوليفون.

- نعم، هذا هو ما يُعتقد. خيِّل لهم على كلّ حال أنّ الأمور واضحة، فشرعوا في التنقيب لمعرفة من غادر سوليفون في الأيّام الأخيرة. تعثَّر البحث في البداية لأنّ حركية الموظفين وتجديدهم مبدأ معمول به في هذه المؤسسة. ذلك أنّ تدفق المواهب ينبغي أن يظلّ متواصلا. ثمّ بدأ التفكير في حكاية "T" هذه. أتعرفين ماذا يقصد غرانت من كلمات هذا الشعار؟

- كلا.

- إنّها عناصر الإبداع الأساسية لديه. فهو يعني بالتسامح أن الأفكار المتباينة والأشخاص المختلفين يستحقون الإنصات إليهم. كلّما توفر انفتاح على أشخاص يخرجون عن المعتاد، أو ببساطة على الأقليات، زاد الإقبال على الأفكار الجديدة. الأمر أشبه قليلاً بريتشارد فلوريدا ومبدأ «مؤشر مثلي الجنس». أرأيت؟ حيثما وُجِد التسامح مع أناس يشبهونني، وجد لا محالة انفتاح أكبر على الإبداع.

- المنظمات البالغة التجانس لا تتطوّر.

- هذا هو قصدي بالضبط. ثمّ إن المواهب لا تحقّق نتائج جيّدة فحسب، بل يجذبون مواهب أخرى أيضاً. يخلقون بيئة جذّابة. فعوض أن يوظف غرانت مختصّين مناسبين منذ الوهلة الأولى، سعى إلى

---

(1) هذه الكلمات تبدأ جميعها بحرف T في اللغتين الإنجليزية والفرنسية (Tolérance, Talent et Transparence; Tolerance, Talent and Transparency).

توظيف عباقرة القطاع. وهو يرى أنّ المواهب ينبغي أن تتاح لها فرصة التوجيه، وليس العكس.

- وماذا عن الشفافية؟

- بطبيعة الحال ينبغي إفساح المجال أمام هؤلاء المواهب ليشتغلوا في كامل الشفافية. لا ينبغي تقييدهم بالتعقيدات البيروقراطية، ولا إلزامهم بالمرور عبر السكرتيرات للحصول على مواعيد. الغاية هي أن يُسمح لهم بدخول مكاتب بعضهم بعضاً وأن يتناقشوا. ينبغي أن يجري تبادل الأفكار بحريّة. لعلك تعرفين أنّ سوليفون صارت تجسد قصة نجاح باهرة. صارت رائدة في العديد من المجالات، ولا أخفي عليك، فحتّى وكالة الأمن استعانت بخدماتها. ثمّ التحق بهم بعد ذلك أحد العباقرة الشباب، وهو من بلدك، ومعه. . .

- . . . اختفت كل T's اللعينة إلى غير رجعة.

- هذا بالضبط ما حصل.

- أراهن على أن الأمر يتعلّق بفرانز بالدر.

- تماماً. أظن أنّ التسامح لا يطرح لبالدر أدنى مشكلة في الحالات العادية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الشفافية. لكنّه نشر منذ حلوله ما يشبه السمّ لمّا رفض مبدأ التقاسم. واستطاع في فترة وجيزة أن يفسد الجو الرائع الذي كان سائداً بين الباحثين في المؤسّسة، لا سيما لمّا شرع يتّهم بعضهم بالسرقة ونهب الأفكار. ثمّ وقعت له من ناحية أخرى صدامات مع الرئيس نيكولاس غرانت. لكنّ غرانت رفض أن يقدّم مزيداً من التفاصيل بهذا الخصوص متذرّعاً بأنّ الأمر شأن داخلي. ولم تكد تمضي مدّة على ذلك حتّى استقال بالدر.

- أعرف هذا.

- ولا شكّ في أنّ غالبية العاملين سُرّوا بانصرافه. وعمّت أجواء مريحة في الشركة من جديد، واستعاد الناس الثقة إلى حدّ ما. أما

نيكولاس غرانت، فلم يَرُقه ذلك إطلاقاً مثلما لم يرق لهيئة محاميه. ذلك أنّ بالدر حمل معه المشروع الذي طوّره لدى سوليفون. ولا يجادل أحد في أنّه أخذ معه شيئاً مثيراً قميناً بإحداث ثورة في عالم الحواسيب الكوانتية التي تشتغل عليها سوليفون، وهو شيء يعتقد أنه سريّ لم يُطلِع عليه أحد، ممّا أطلق العنان للشائعات.

- من الناحية القانونية، تعود ملكيّة ما تمّ تطويره للشركة لا إليه شخصياً.

- تماماً. ومن ثمّة فرغم ما يدّعيه بالدر من أنّه تعرّض للسرقة، فإنّه هو السارق في الحقيقة. هكذا يتّضح لك أنّ الأمر لن يلبث أن يلتهب في المحاكم، اللهم إذا استطاع بالدر أن يرهب ذلك الجيش من المحامين بما يملكه من معلومات. تبعاً لما يقول، تلك المعلومات تمثّل صكّ تأمين حياته. قد يكون ذلك صحيحاً، لكنه قد يكون أيضاً توقيعاً على. . .

- . . . صكّ مقتله.

واسترسلت ألونا قائلة:

- هذا ما أخشاه. تتوفّر لدينا مؤشرات تدلّ على أنّ شيئاً خطيراً يُحاك، وقد ألمحتْ لنا رئيستكِ بأنّك تستطيعين مساعدتنا على فكّ بعض عناصر هذا اللغز.

ألقت غابرييلا نظرة إلى العاصفة في الخارج فاجتاحتها رغبة عارمة في أن تتخلّص من كلّ شيء وتعود إلى بيتها. لكنّها نزعت معطفها، وعادت للجلوس في مقعدها وهي في غاية الضيق.

- ماذا يلزمكم؟

- ألديكِ فكرة عن مُبتكره؟

- أأستنتج من هذا أنّكم لم تتوفّقوا في التنصت عليه والتسلل إلى حاسوبه؟

- لا أستطيع الإجابة عن سؤالك يا جميلتي. ولكن، ما رأيك أنت؟

تذكّرت غابرييلا فرانز بالدر وهو واقف هنا في المدخل مؤخّراً يغمغم بأنّه يحلم بـ«حياة جديدة». الرب وحده يعلم ما قصده بذلك.

- أظنّك تعرفين أنّ بالدر يعتقد أنّ أبحاثه سُرقت منه هنا في السويد. وقد قامت FRA بتحريات معمّقة، وقالت إنّه محقّ جزئياً فيما يزعم، رغم أنّ القضية لم تتقدّم كثيراً. كانت هذه هي المناسبة التي التقيتُ فيها بالدر للمرّة الأولى، ولم أستلطفه. وجدته متصلّباً، لا يتحدّث إلّا عن أبحاثه وعن نفسه. وأذكر أنّني قلت في نفسي مهما كان النجاح الذي يُحرزه المرء فلن يعوّضه عن عذاب فكر ضيّق كهذا. إذا كانت هذه العقلية هي ثمن الشهرة العالمية، فلا حاجة لي بها، بل لا أريد حتّى التفكير فيها. لكنّني لربّما أشفقتُ عليه من الحكم الذي صدر في حقّه.

- بخصوص الحضانة؟

- نعم. فَقَدَ كلّ حقوق حضانة ابنه المتوحد بسبب إهماله. هوت على رأس الطفل ذات يوم كلّ محتويات المكتبة من دون أن يشعر هو بذلك. ولم أندهش لمّا علمتُ أنّه استعدى جميع العاملين في سوليفون. باختصار، قلت في نفسي هو يستحقّ ما يقع له.

- ثمّ ماذا وقع بعد ذلك؟

- بعد ذلك عاد إلى السويد، وتساءلنا ما إذا لم يكن من اللازم حمايته بكيفية من الكيفيات. التقيتُ به من جديد قبل بضعة أسابيع، فشُدِهت للتغيّر الذي حصل عليه. قصّ لحيته، وتحمّل عناء الذهاب إلى الحلاق، وفَقَدَ بعض وزنه. لكن التغيّر الأبرز هو أنّه بدا أكثر تحفّظاً، بل تردّداً، وتلاشى جانبه الهوسي تماماً. أذكر أنّني سألته ما إذا كان قلقاً بصدد المحاكمات التي تنتظره. أتعرفين بمَ أجاب؟

- كلا .

- أجابني بنبرة ساخرة بأنّه غير قلق على الإطلاق بما أن جميع الناس متساوون أمام القانون.

- ماذا قصد؟

- أنّ جميع الناس متساوون شريطة أداء الثمن. قال: «ما القانون إلّا سيفٌ يُسفد فيه الناس من أمثالي». بالفعل، كان بادي القلق لأنّه مطّلع على أشياء ينوء المرء بحملها، حتى ولو كانت قادرة على إنقاذ حياته.

- ألم يبُح لك بتلك الأشياء؟

- قال إنّه لا ينوي تضييع ورقته الرابحة الوحيدة، ويريد أن يرى إلى أيّ مدى يمكن أن يمضي غريمه. لكنّني شعرت بأنّه مضطرب. لمّح بوضوح إلى أنّ ثمّة أناساً يريدون إيذاءه.

- كيف؟

- ليس جسدياً. هم يستهدفون بحسب قوله أبحاثه وشرفه. لكنّني لست متيقّنة حقّاً من أنه يظنّ أنّ الأمور يمكن أن تمضي أبعد من ذلك. نصحته بأن يتّخذ كلب حراسة. سيكون الكلب خير رفيق لرجل يقطن بمنزل شاسع في الضاحية، لكنّه رفَضَ الفكرة. وأكّد لي بنبرة لا تخلو من فظاظة بأنّه لا يستطيع أن يتّخذ كلباً في ذلك الوقت.

- لماذا في نظرك؟

- لست أدري. خيّل لي أنّه كان يتعرّض للمضايقة. على كلّ حال لم يعترض حين ألححت على ضرورة تثبيت نظام إنذار متطوّر بمنزله. وقد ثُبِّت مؤخّراً.

- من ثبّتَه؟

- شركة أمن نشتغل معها بشكل منتظم تُدعى ميلتون للأمن.

- حسناً، لكنّني أنصحك مع ذلك بأن تعثري له على مكان آمن.

- هل الأمر بهذه الخطورة؟

- نعم، فيما أظنّ. من الخطورة بحيث ينبغي اتّخاذ كل الاحتياطات، ما رأيك؟

- أتفق معك طبعاً. هل بإمكانك أن تبعثي بمذكرة في الموضوع لكي أفاتح رئيستي بشأن هذه الخطوة؟

- سأرى، ولكنّني لست أدري ما الإجراءات التي ينبغي أن أتّخذها فوراً. لقد صادفنا... مشاكل معلوماتية على قدر من الخطورة.

- هل يمكن لقسم مثل قسمكم أن يستسلم لمشكلة كهذه؟

- كلا، إطلاقاً، أنت على حقّ.

ثمّ أضافت قبل أن تقطع الخط:

- سأعود إليك حالاً يا جميلتي.

ظلّت غابرييلا متسمّرة في مكانها للحظة، تتأمّل العاصفة وهي تهزّ النافذة بضراوة متزايدة.

ثمّ أخرجت هاتفها البلاكفون واتّصلت بفرانز بالدر. حاولت الاتصال به مرّات عديدة، لا لتحذّره وتنصحه بالبحث عن مكان آمن فحسب، بل لشعورها برغبة ملحّة مفاجِئة في التحدّث إليه ومعرفة ما قصَدَه بالضبط من قوله: «لقد حلمت مؤخراً بحياة جديدة».

ما كان يجهله الجميع، ويرفضون بلا شكّ تصديقه، هو أنّ فرانز بالدر كان منشغلاً في هذه الأثناء بِحثّ ابنه على إنجاز رسمٍ آخر ينبعث منه ذلك النور الفريد، نور يبدو كما لو أنّه آتٍ من عالم آخر.



6

العشرون من نوفمبر

لاحت العبارة الآتية على الشاشة

[نُفِّذت المهمة]

ندّت عن بلاك صرخة مبحوحة كاد يسمعها الجيران. لكنهم حتّى لو سمعوها، يتعذَّر عليهم تخيّل حقيقة الأمر. ذلك أنّ شقة بلاك لم تكن تشبه في شيء مركز قيادة لشنّ هجمات على الأمن السياسي العالمي في أعلى مستوياته.

ما كان سيتبادر إلى أذهانهم هو أنّ الأمر يتعلّق بملجأ للمشردين. فقد كان بلاك يسكن بشارع هوكلينتافيغن الواقع في سانديبرغ، وهو حيّ تأهله على الخصوص الطبقة المتوسطة، مكوّن من عمارات من أربعة أدوار، مشيّدة من القرميد الأحمر. أمّا الشقة في حدّ ذاتها، فلم تكن لها مزيّة تُذكر. كانت تفوح برائحة عطنة نفّاذة، وعلى المكتب تعمّ فوضى عارمة: بقايا طعام ماكدونالد، علب كوكا، أوراق مكمّشة، فتات كعك، فناجين قهوة قذرة، أكياس حلوى فارغة. ورغم أنّ جزءاً من هذه البقايا رُمِيَ في صندوق القمامة، كان بادياً أنّ هذا الصندوق لم يفرَّغ منذ أسابيع، وكان من المتعذّر على المرء التحرك في الغرفة من

دون أن تعلق بقدمه الفضلات وقصاصات الورق. لكن مَن يعرفون بلاك، لن يستغربوا كلّ هذه الفوضى.

لم يكُن بلاك من النوع الذي يستحمّ أو يغير ملابسه بلا داعٍ. كان يقضي كلّ وقته أمام الحاسوب، وحتّى خلال الفترات التي يخفّ فيها العمل، تبعث هيئته البدينة المهملة في النفس انطباعاً سيّئاً. حاول أن يطلق لحية ناعمة جرياً على ما درج عليه الرجال في تلك الفترة، لكنّ لحية شعثاء لم تُحلق منذ مدّة طويلة سرعان ما طمسته. وقد كان عظيم الجثة بحيث يجد صعوبة في الوقوف، يلهث لأبسط حركة. على أنّه كان يتوفّر بالمقابل على العديد من المؤهلات.

كان إذا جلس إلى الحاسوب أظهر نبوغاً لا يُضاهى. وكان من عتاة قراصنة الإنترنت، يستطيع أن يُحلِّق برشاقة في الفضاء الإلكتروني، ولم يكن يتفوّق عليه في هذا المجال إلّا شخص واحد، أو بالأحرى سيّدة واحدة. كانت أصابعه وهي ترقص فوق لوحة المفاتيح تُبهر العين بحيث لا يعادل رشاقته وخفته على الإنترنت إلا ثقله وخرقه في الحياة الواقعية. وبينما كان جاره السيد جانسون القاطن في الشقة العلوية يضرب السقف، كان بلاك يجيب على رسالة تلقاها:

[أنت عبقري لعين يا واسب. تستحق أن يُنصب لك تمثال!]

ثمّ سوى جلسته على المقعد وقد تهلّل وجهه، وراح يُجهد ذهنه لكي يستعيد شريط الأحداث. كان في الواقع يُحاول أن يستمتع بطعم النصر قبل أن تُطلعه واسب على كلّ التفاصيل، ويتأكّد ممّا إذا كانت قد طمست الأثر. فلا ينبغي أن يتمكّن أحد من اقتفاء أثرها والتعرّف عليها.

لم تكن تلك هي المرّة الأولى التي يُغِيْران فيها على منظمات قوية، لكنّ الأمر يتعلق الآن بمستوى آخر، لا سيما وأنّ العديد من

أعضاء الجمعية التي ينتمي إليها، المسماة بهاكر ريبوبليك أي جمهورية قراصنة النت، اعترضوا على الفكرة، وكانت واسب في طليعتهم. كان بإمكانها أن تُهاجم أيّ سلطة وأيّ شخص إذا لزم الأمر. لكنّها لم تكن تميل إلى إشاعة الدمار والفوضى بدافع المتعة فقط.

لم تكن تحبّ هذا النوع من القرصنة الصبيانية. كما أنّها ليست من النوع الذي يخترق الحواسيب بغرض التبجّح والتباهي، بل كانت ترسم أهدافها بوضوح، وتحسب حساب العواقب بدقة متناهية. تقارن المخاطر المترتِّبة على المدى البعيد بما ستجنيه من فوائد على المدى القصير. وبناء على هذا لم تكن قرصنة الوكالة في نظرها عملاً حكيماً. على أنّها سلّمت بهذه العملية، واقتنعت بها على نحوٍ غير مفهوم، وبلا مقاومة.

لعلّها كانت تشعر بالسأم وشاءت أن تبثّ شيئاً من الفوضى لكي لا يقتلها الملل، أو لعلّها -كما تهيأ لبعض الأعضاء- كانت على خلاف مع وكالة الأمن القومي، وكان الهجوم من ثمّة وسيلة للانتقام الشخصي. على أنّ بعضهم الآخر استبعد هذه الفرضية وذهب إلى أنّها إنما كانت تبحث عن معلومات في إطار تحرٍّ شخصيّ بدأته منذ وفاة أبيها ألكسندر زالاشنكو بمستشفى سالغرينسكا في غوتبورغ.

باختصار، لم يكن أحد واثقاً من شيء، وواسب كانت كتومة لا تُطلع أحداً على أسرارها. والحقيقة أنّ الدافع لا أهمية له، أو على الأقل هذا ما كانوا يحاولون إقناع أنفسهم به. فهي إنْ قَبِلَت المشاركة، فذلك ينبغي أن يكون مبعث رضاهم، وأن يدعوهم لشكرها، عوض التبرّم من أنّها أبدت فتوراً في البداية. كلّ ما في الأمر هو أنّها تخلّت عن معارضة الهجوم، وهذا شيء مُرضٍ إلى حدّ كبير.

أضفى انضمام واسب على المشروع جديّة أكبر. كلّهم يعلمون مدى تجاوز وكالة الأمن القومي لصلاحياتها في السنوات الأخيرة.

ذلك أنّ الجهاز لم يعُد يكتفي بالتنصّت على الإرهابيين أو كلّ شخص يمثّل خطراً محتملاً على الأمن، أو كذلك الملوك والرؤساء وغيرهم، بل صارت تراقب كلّ شيء تقريباً. تعترض ملايين، بل بلايين المكالمات والمراسلات وكلّ الأنشطة على الشبكة صارت مراقَبَة وموثّقة. كانت تعزّز موقعها كلّ يوم، وتحشر نفسها أكثر فأكثر في حياة الناس الخاصة، متحوّلة بذلك إلى عين ضخمة لا يفلت منها شيء.

لا أحد في هاكر ريبوبليك بإمكانه الادّعاء بأنّه قدوة في هذا المجال. فكلّ الأعضاء بلا استثناء اخترقوا مناطق إلكترونية لا شأنَ لهم بها. وهم إنّما فعلوا ذلك استجابة لقانون اللعبة. فالقرصان أو الهاكر كما يُعرَّف عادة شخصٌ يتعدّى الحدود ويعبث بالقوانين، يوسّع مجال معرفته من دون تمييز بين المجال العمومي ومجال الخصوصية.

لكنهم ليسوا بلا ضوابط أخلاقية. يعرفون بالخبرة إلى أيّ مدى يمكن للسلطة، ولا سيما السلطة الخفيّة، أن تتعرّض للانحراف. ولم يكن أحد منهم كذلك يؤمن بفكرة أنّ أخطر عمليات القرصنة الإلكترونية لا تأتي من أشخاص متمرّدين فرادى، أو مجرمين، بل من عمالقة تابعين للدولة، يتوخّون تطويع المواطنين وإخضاعهم. وهكذا قرّر كلّ أعضاء عصابة هاكر ريبوبليك، بما فيهم بلاك وترينيتي وبوب دي دوغ وفليبر وزود وكات، أن ينتقموا من وكالة الأمن القومي بقرصنتها، ونشر الفوضى في موقعها بشكل أو بآخر.

لم تكن تلك مهمة سهلة. كانت أشبه بسرقة كنز من قلعة منيعة، لا سيما أنّ هدفهم لم يكن يقتصر على اختراق النظام، بل والسيطرة على مقاليده أيضاً. كانوا بحاجة إلى قرصنة حساب مستخدِم يملك كلّ صلاحيات الولوج إلى النظام، أو ما يدعى في نظام لونيكس بـ Root. ولبلوغ هذا الهدف كان عليهم أن يعثروا على ثغرات أمنية لا تزال مجهولة، تسمّى Zero Day، في منصّة الوكالة أولاً، ثمّ في شبكتها

الداخلية، أو ما يسمّى بشبكة وكالة الأمن القومي الداخلية، وهي شبكة تفرض عليها الإدارة مراقبة إلكترونية مشدّدة في كلّ بقاع العالم.

شرعوا كعادتهم بممارسة شيء من الهندسة الاجتماعية. بحثوا عن أسماء مديري النظام ومحلّلي البنية التحتية الذين يتوفّرون على كلمات السرّ المعقدة المستعمَلَة في ولوج الشبكة الداخلية. إنْ حالفهم الحظ ووقعوا على مدير أخرق لا يحترم قواعد السلامة، فسيكون ذلك أمراً رائعاً. هكذا حصلوا على خمسة أو ستّة أسماء انطلاقاً من شبكتهم الخاصة، من بينهم شخص يدعى ريتشارد فولر.

كان فولر يعمل بفريق النيزيرت، فريق الاستجابة للطوارئ بوكالة الأمن القومي، مكلّفاً بحراسة شبكة التدبير الداخلية، همّه هو البحث على مدار اليوم عن مخترقي النظام والجواسيس. وقد كان شخصاً أنيقاً، حاصلاً على دبلوم في القانون من هارفرد، جمهورياً، ولاعباً رئيساً سابقاً لكرة القدم الأميركية، لا يَسَع مَن يطّلع على نهج سيرته إلّا أن يستنتج بأنّه مواطن مثالي. لكن بوب دي دوغ اكتشف عبر إحدى عشيقاته بأنّ فولر يتكتّم على إصابته بمرض الاكتئاب الهوسي، بل لعلّه يتعاطى الكوكايين.

لمّا يضطرب دماغه، يكون قادراً على ارتكاب أخطاء شنيعة، كاختبار ملفات ومستندات من دون تمريرها في الساندبوكس[1]. ثمّ إن أناقته كانت أشبه بأناقة العاملين في القطاع المالي، وقد اقترح أحدهم، لعلّه بوب دي دوغ، أن تلحق به واسب إلى بالتيمور، وتحاول إسقاطه في شباكها، ثمّ تستدرجه للبوح في الفراش.

لكن واسب رفضت وهزئت بهم جميعاً.

---

(1) Sandbox: كلمة إنجليزية تحيل على عملية تسمح بتشغيل برامج كمبيوتر بأقل المخاطر على نظام التشغيل.

اعترضت أيضاً على اقتراحهم الثاني القاضي بإرسال مستند يحمل معلومات مزعومة عن جواسيس وعمليات اختراق إلى مقرّ فورت ميد. مستند يكون محمّلاً بفيروس تجسّس، حصان طروادة بالغ التطور، يعهد بابتكاره إلى بلاك وواسب. وتقضي الخطّة بأن توضع مؤشرات على الشبكة العنكبوتية من شأنها إثارة الفضول، وهي خطة لم تكن سيّئة، مزيّتها هي أنّها قادرة على إدخالهم إلى نظام الوكالة من دون المغامرة باختراق يسهل اكتشافه.

غير أنّ واسب أعلنت أنها لا تريد البقاء متسمّرة أمام حاسوبها في انتظار أن يرتكب ذلك المعتوه، فولر، حماقة. فهي لن تقبل بخطّة تتوقف على أخطاء الآخرين، وأبدت من ثمّة مقاومة وعناداً. ولم يندهش أحد لمّا طلبت تولّي العملية بكاملها. ورغم العديد من الشجارات والاحتجاجات، انتهى بهم الأمر إلى الرضوخ لرغبتها شريطة أن تحترم جملة من التعليمات. وقد دوّنت فعلاً بعناية فائقة أسماء مديري نظام الوكالة، والمعلومات المتعلقة بهم، وطلبت مساعدة الأعضاء الآخرين لإنجاز العملية التي سمّوها «بصمة رقميّة»، المتمثلة في اكتشاف المنصة التي تأوي خادم وكالة الأمن القومي، ومن ثمة نظام تشغيله. لكنّها بعد أن أتمّت هذه العملية، قطعت الصلة بهاكر ريبوبليك وبالعالم أجمع، وحتّى بلاك شعر بأنّها لم تعُد تتبع نصائحه، بما فيها عدم استعمال اسمها المستعار، والارتباط بالشبكةِ العنكبوتية من أحد الفنادق النائية عوض بيتها، واستعمال هوية مزوّرة تجعل من المتعذّر على رجال الاستخبارات تعقّبها والتعرف عليها. لكنّها كانت تعمل بطريقتها الخاصة، ولم يجد بلاك بدّاً من الاكتفاء بمتابعتها مكتبه بسانديبرغ، متوتر الأعصاب، من دون أن تكون له أدنى فكرة عن الخطة التي انتهجتها.

لم يكن واثقاً إلّا من شيء واحد هو أنها قامت بعمل أسطوري.

وبينما كانت العاصفة تهدر في الخارج، خلّص مكتبه من بعض القمامة ثم انحنى على حاسوبه وكتب:

[حدثيني! بمَ تشعرين؟]

أجابت:
[بالفراغ]

شعرت ليزبث سالاندر بالخواء. لم تنم منذ أسبوع تقريباً، كما أنّها لم تأكل ولم تشرب إلّا قليلاً جداً. كانت تشعر بالصداع، محمرَّة العينين، مرتعشة اليدين، ولم تكن تتوق إلّا لشيء واحد: أن تُلقي بمعدّاتها على الأرض. كانت تشعر في قرارة نفسها بالرضا أيضاً، لكن لأسباب بعيدة عمّا تخيّله بلاك أو أيّ عضو آخر من أعضاء هاكر ريبوبليك. ومبعث هذا الرضا هو أنّها حصلت على معلومات تتعلّق بالمجموعة الإجرامية التي طالما تعقّبتها، وتمكّنت من إقامة علاقة لم تكن حتّى ذلك الحين تتجاوز نطاق التخمين. لكنّها حفظت هذا لنفسها، وتعجّبت من اعتقاد الآخرين أنّها إنّما قرصنت نظام الوكالة بغرض التسلية.

لم تكن تعيش فتاة فورة المراهقة، أو معتوهة تبحث عن رعشة المغامرة. فهي إنّما أقدمت على هذا العمل المحفوف بالمخاطر لهدف حدّدته بدقّة. رغم أنّ القرصنة الإلكترونية كانت بالنسبة إليها في فترة من الفترات أكثر من مجرّد وسيلة. فخلال أحلك لحظات طفولتها، كان هذا النشاط هو سبيلها للهروب، والوسيلة التي تجعل الحياة تبدو لها أقلّ قساوة. كانت الحواسيب تساعدها على تحطيم الجدران والحواجز المضروبة حولها، والحصول على مساحات من الحرية، وقد لازمتها هذه النظرة إلى حدّ ما حتّى بعد أن كبرت.

منذ أن خرجت من هذا الحلم عند الفجر وهي مستغرقة في المطاردة، تضرب بقبضتها على السرير في لونداغاتن بانتظام وبلا كلل. لا يمكن أن يزعم أحد بأنّها مطاردة سهلة. فالخصوم يختبئون خلف شاشات من دخان، وهو ما يفسّر سوء مزاجها وفظاظتها في الآونة الأخيرة، كما لو أنّها كانت غارقة في الظلمات. لم تكن تلقى أحداً تقريباً باستثناء أوبنز، مدرّب الملاكمة ذو العضلات المفتولة، وبعض العشاق والعشيقات. وكان شعرها الأشعث ونظرتها الكئيبة يبعثان على التطيّر من مظهرها، وحتى لما تجتهد لتبدو لطيفة، لم يكن لسانها متعوداً على الأدب واللباقة، بحيث لم يكن ينطق إلّا لكي يصفع مخاطبها ببعض الحقائق، ولعلّ هذا هو ما كان يدفعها للزوم الصمت في معظم الأوقات.

أمّا عن شقتها هنا في فيسكارغاتن... فتلك قصة أخرى. كانت واسعة بحيث يمكن أن تسع أسرة بسبعة أطفال. ورغم مرور سنين على استقرارها بها، لم تؤثّثها يوماً على نحوٍ يجعلها مسكناً مريحاً. كلّ ما تحويه من أثاث لا يتجاوز بضع قطع اقتنتها من إيكيا، متناثرة هنا وهناك، كما لو أنّها وضعتها بالصدفة. لم تكن تتوفّر حتى على مسجل ستيريو، ربّما لعدم شغفها بالموسيقى. ذلك أنّ ما قد يوجد من تناغم في معادلة تفاضلية قد يستهويها أكثر من قطعة موسيقية لبيتهوفن، مع أنّها كانت بالغة الثراء. فالغنيمة التي سرقتها سابقاً من النصّاب هانز إيريك فينرشتروم صارت تتجاوز الخمسة بلايين كرونة، لكن هذه الثروة لم تغيّر من طباعها شيئاً اللهم أنّها جعلتها أكثر جسارة. ومهما يكن، فقد وجدت لنفسها في الآونة الأخيرة أنشطة بالغة التطرّف، مثل تكسير أصابع أحد السماسرة، اختراق شبكة وكالة الأمن القومي.

ليس من المستبعد أن تكون تجاوزت الحدود في هذه العملية، لكنّها كانت ترى أنّ ذلك ضرورياً. قضت أياماً وليالي مستغرقة ولاهية

عن كلّ ما يحيط بها. أمّا الآن بعد أن أنهت المهمّة، فراحت تحدّق بعينيها المتعبتين في طاولتَي المكتب الموضوعتين على شكل حرف L، واللتين تحملان تجهيزاتها: حاسوب من النوع العادي وآلة اختبار اشترتها لكي تثبّت عليها نسخة من خادم نظام تشغيل وكالة الأمن القومي.

إثر ذلك هجمت على حاسوب الاختبار بواسطة برنامج فوزينغ، وهو برنامج أنشئ خصّيصاً للتعرف على الأخطاء والثغرات الأمنية على المواقع، ثمّ أعقبته بفكّ البلاك بوكس والبيتا، إثر ذلك استعملت النتائج التي حصلت عليها في تطوير فيروس تجسّس خاص بها. لم يكن من حقّها أن تسهو، لذلك ثبّتت نسخة من الخادم في جهازها لكي تتمكن من سبر دقائق النظام. لو هاجمت المنصّة الحقيقية، لكان التقنيون تنبّهوا لها، ولرفعوا من درجة الحذر، وأحبطوا العملية.

تمكّنت بواسطة هذه العمليّة من مواصلة العمل لأيام من دون أكل ولا نوم تقريباً. ولم تكن تغادر الحاسوب إلّا لتغفو لحظة على الأريكة أو لتسخّن بيتزا في فرن الميكرويف. أمّا بقيّة الوقت، فكانت تعكف على العمل إلى أن تتعب عيناها، ولا تعودان تقويان على التحديق في الشاشة، لا سيما في أثناء تشغيل برنامج زيرو داي إيكسبلويت، وهو برنامج يُستخدم في البحث عن الثغرات الأمنية غير المعروفة، ويغيِّر وضعه فور تسلّله إلى داخل النظام.

كان الأمر جنونياً ولا شكّ.

أنشأت ليزبث برنامجاً لا يستطيع تمكينها من السيطرة على النظام فحسب، بل يسمح لها أيضاً بالتحكّم عن بُعد في كلّ مكونات الشبكة الداخلية التي لم تكن تعرفها إلّا جزئياً، وهو أمر لم يكن يخلو من عبث.

كانت تفكر، فضلاً عن اختراق النظام، في التسلل إلى الشبكة

الداخلية لوكالة الأمن القومي، وإنشاء حيّز خاص بها، بالكاد يرتبط بالشبكة الأخرى. كانت أشبه بمراهقة لا تحصل على المعدّل في أيّ مادة من المواد الدراسية، لكن بمجرّد ما يتعلق الأمر بلغات البرمجة الإلكترونية أو بالمنطق الصرف، يستطيع دماغها في طرفة عين إنشاء برنامج تجسّسي بالغ التقدم، أو فيروس متطوّر قادر على الاشتغال مستقلاً. ولمّا تشعر أخيراً بالرضا على ما أنشأت، تنتقل إلى المرحلة الثانية، وهي مرحلة الهجوم الحقيقي.

أخرجت إذاً بطاقة أداء مسبق كانت قد اشترتها من شركة T موبايل في مدينة برلين، وأدخلتها في هاتفها، ثمّ ارتبطت بالشبكة عبره.

لعلّها فعلت خيراً لمّا استقرّت في منطقة بعيدة باسم مستعار هو إيرين ناصر، لأنّ مراقبي الوكالة إن كانوا على قدر من الموهبة والمهارة، لن يجدوا صعوبة في تعقّبها بحيث يتعرّفون على هوائي تيلينور بالحي الذي توجد فيه. قد لا يصلون إليها مباشرة، على الأقل باستعمال وسائل تقنية، لكن ذلك إن حدث، سيشكل أمراً سيئاً. كانت مقتنعة بأنّ العمل بالمنزل محفوف بالمخاطر، لذلك اتّخذت كلّ الاحتياطات الممكنة. استعانت على غرار كثير من القراصنة بـ«تور»، وهو عبارة عن شبكة تيسر التبادل بين آلاف المستخدمين، لكنها كانت تعلم أيضاً أنّ تور نفسه ليس آمناً تماماً: فوكالة الأمن القومي تستعمل برنامجاً يدعى إيغوتيستيكال جيراف قادراً على اختراق الأنظمة. لذلك خصصت وقتاً طويلاً للتثبّت من أنّها محمية بما فيه الكفاية قبل مباشرة الهجوم.

قطعت المنصة كما يتمّ تقطيع ورقة. لا مجال للتبجّح والمباهاة! عليها أن تعثر بسرعة على من توصّلت بأسمائهم من مسؤولي النظام، ثمّ تحقن برنامجها التجسّسي في ملفاتهم، وتنشئ من ثمة ممرّاً بين

شبكة الخادم والشبكة الداخلية. وهي عملية لم تكن باليسيرة قطعاً. كان عليها أن تتلافى إثارة أيّ إشارة إنذار وأيّ برنامج مضاد للفيروسات. وانتهى بها الأمر إلى أن اختارت شخصاً يدعى توم بريكينريدج، ثم تقمّصت هويته للدخول إلى شبكة وكالة الأمن القومي الداخلية، و . . . أحسّت بكل عضلات جسدها تتصلب، وسرعان ما تجلى السحر أخيراً أمام عينيها المكدودتين بالسهر.

قادها برنامجها الجاسوس إلى أشدّ الأسرار سرّية. كانت تعرف جيداً ما تبحث عنه، وهو الوصول إلى الفهرس النشط (Active Directory) أو ما يعادله، للقيام بتحديث وضعها. وهكذا تحوّلت من زائرة بسيطة غير مرغوب فيها إلى مستخدمة مميّزة داخل هذا العالم العاجّ بالحركة. عندئذٍ فقط حاولت أن تلقي نظرة عامّة على النظام، وهو أمر بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً، لا سيما أن الوقت ضيّق للغاية.

كان عليها أن تُسرع، وتُجهد نفسها لكي تستوعب نظام البحث، ثمّ تفهم كلّ كلمات الشفرة، وكذا عباراتها ومراجعها، أيّ كلّ تلك اللغة المعقّدة الغامضة. وبينما بدأ اليأس يتسرّب إلى نفسها، عثرت على ملف كُتب عليه [يُمنع توزيعه في الخارج]. لم يكن في هذا الملف ما يثير الانتباه إليه، لكن كونه مُرْفقاً بروابط الاتصال بين زيغموند إكيروولد من سوليفون وموظفي الإلكترونيات من قسم مراقبة التقنيات الاستراتيجية بالوكالة، أضفى عليه طابع الخطورة. ارتسمت على وجهها ابتسامة عابرة، وحاولت أن تحفظ في ذاكرتها أبسط التفاصيل. ثمّ لمّا اكتشفت ملفاً آخر على صلة بالسابق، راحت تلعن لأنّ ذلك قد يثير إشارة إنذار بفورت ميد.

كان الوقت يمّر بسرعة، وعليها أن تُنجز مهمّتها الرسمية، إن جاز استعمال لفظة رسمية في سياق كهذا. فقد وعدت بلاك وأعضاء هاكر

ريبوبليك وَعْدَ شرف بأن تُركِّع وكالة الأمن القومي، وأن توجّه لكبريائها ضربة موجعة. ومن ثمّة كان عليها أن تقرّر مع مَن ينبغي أن تتواصل. من سيتلقّى الرسالة؟

وقع اختيارها على إيدوين نيدام، أو إيد دي نيد الذي يتردّد اسمه كلّما تعلّق الأمر بالأمن المعلوماتي. شعرت نحوه بشيء من الاحترام بالنظر إلى ما جمعت عنه من معلومات على الإنترنت. إنّه نجم، ومع ذلك استطاعت أن توْقِع به.

تردّدت لحظة في أن تعلن عن نفسها لأنّ ذلك سيزرع الفوضى، لكن بثّ الفوضى هي غايتها بالتحديد. كان عليها إذاً أن تبادر بالهجوم. إلا أنّها كانت مستغرقة بحيث نسيت الساعة واليوم وحتّى الفصل. وأحسّت في قرارة وعيها بأنّ العاصفة ازدادت شدّة، كما لو أنّ الجو في الخارج يتناغم مع هجومها. وهناك في البعيد، في مريلاند، قرب ملتقى شارعَي بالتيمور باركوي ومريلاند 32، كان إيد دي نيد قد بدأ تحرير رسالة إلكترونية.

لم يستطع المضيّ أبعد في الكتابة لأنّها أخذت زمام المبادرة وأكملت الجملة على النحو الآتي:

[مَن يراقب الشعب سينتهي الأمر بالشعب يوماً إلى مراقبته هو أيضاً. هذه قاعدة ديمقراطية أساسية.]

ودار في خُلدها للحظة خاطفة أنّ هذه الجمل ستُصيب الهدف، لأنها لا تخلو من عبقرية. وأحسّت بحلاوة الانتقام، ثمّ استدرجت إيد دي نيد في رحلة عبر النظام. رقَصا معاً وحلّقا في عالمٍ نابضٍ وحافلٍ بمعلومات حقّها أن تظلّ سرية.

كانت تجربة مدوّخة بلا منازع، لكنّها ما إن سجلت خروجها من النظام... ومُسحت كلّ ملفات ارتباطها بالشبكة أوتوماتكياً، عادت

إلى الواقع، وساورها شعور أشبه بما يحسّ به المرء بعد الرعشة الكبرى إثر مضاجعة شريك سيئ. وبدت لها الجمل التي أثارت إعجابها قبل هنيهة صبيانية، لا تعدو أن تكون عبث أطفال. وألحّت عليها رغبة مفاجئة في الشرب، فتوجّهت إلى المطبخ بخطى مرهقة متكاسلة لتبحث عن بضع زجاجات جعة وقنينة ويسكي إيرلاندي، ثمّ جلست من جديد أمام الحاسوب لتروي ظمأها. لم يكن ذلك بغرض تخليد هذا اليوم، كلا. لم يعُد يُخامرها أيّ شعور بالنصر، بل بالأحرى... بـ... ماذا؟ ربّما بالعناد.

شربت وشربت بينما كانت العاصفة في الخارج تزمجر ورسائل هاكر ريبوبليك تتدفّق. لكن لا شيء من كلّ ذلك كان يعنيها. لم تعُد تقوى على الوقوف تقريباً، وبحركة سريعة مسحت بيدها سطح المكتب، ومضت تتأمّل باهتمام الزجاجات والمرمدة وهي تصطدم بالأرض. ثمّ خطر ببالها مايكل بلومفيست.

لعلّه تأثير الكحول. كانت تتذكّر بلومفيست بغتة كلّما ثملت، تماماً مثلما يقع بين العشاق القدامى. ومن دون أن تشعر، قامت بقرصنة حاسوبه، وهي عملية هيّنة إذا ما قورنت بما فعلته بشبكة الوكالة. كانت قد أنشأت منذ زمن بعيد اختصاراً يسمح لها بالتسلّل إلى حاسوبه.

تساءلت في بادئ الأمر عن جدوى هذا العمل. فهي لم تعُد بحاجة إليه بما أنّه صار جزءاً من الماضي. لم يكن بالنسبة إليها غير وغدٍ جذاب سقطت في غرامه يوماً. كان خطأ لا ترغب في تكراره. كلا، كان عليها في الواقع أن تسجل خروجها، وتضرب عن استعمال الحاسوب لأسابيع. لكنها ظلّت مع ذلك مرتبطة بخادمه، وفي اللحظة الموالية ارتسمت على محياها ابتسامة خفيفة. ذلك أنّ اللعين بلومفيست كان قد أنشأ ملفاً سماه [علبة ليزبث] ترك لها فيه سؤالاً:

[ما رأيك في ذكاء فرانز بالدر؟]

عندئذٍ لم تستطع تمالك نفسها من أن تبتسم ابتسامة عريضة، ربّما بسبب ذكر فرانز بالدر.

إنّه عبقري من النوع الذي يروقها: مغرم بلغات البرمجة والعمليات الكوانتية وإمكانات المنطق. ابتسمت على الخصوص لأنّها لاحظت بأن مايكل بلومفيست يهتم ربّما بمجالات اهتمامها نفسها. وبعد أن فكّرت طويلاً في إطفاء حاسوبها والإيواء إلى فراشها، أجابت:

[ذكاء بالدر ليس اصطناعياً، فماذا عن ذكائك أنت هذه الأيام؟
ماذا سيحدث يا بلومفيست لو ابتكرنا آلة تفوقنا ذكاء؟]

إثر ذلك توجهت إلى إحدى غرف نومها العديدة في الشقة، وهوت على السرير من دون أن تغيّر ملابسها.

7

العشرون من نوفمبر

شيء ما حدث في المجلة من جديد، والظاهر أنّه لا يبشّر بخير، لكن إريكا لم تشأ أن تتطرّق للتفاصيل على الهاتف، وألحّت على أن تزوره في بيته. لكن مايكل حاول ثنيها قائلاً:

- ستتجمّدين من البرد.

على أنّ ذلك لم يزِدْها إلّا إصراراً، ولولا تلك النبرة الغريبة في صوتها لكان ابتهج بعنادها. منذ أن ترك مكاتب المجلة وهو يتوق إلى الحديث معها، وربّما لاستدراجها إلى السرير، وتجريدها من ملابسها. لكنه خالَ ذلك بعيد الاحتمال هذه المرّة. فقد بدت مشوشّة البال، وغمغمت عبارة اعتذار لم تزِدْه إلّا قلقاً. قالت:

- سأركب سيارة أجرة وألحق بك.

غير أنّها تأخرت في الوصول. وبما أنّه لم يجد ما يشغل به نفسه، تسمّر أمام مرآة الحمام. لم تكن حاله على ما يرام، فشعره لم يُحلق منذ مدّة طويلة، وتحت عينيه تدلّت جيوب بارزة. ودمدم بتذمر قبل أن يغادر الحمام: «كلّ هذا بسبب إليزابث جورج». وشرع يرتّب الشقّة قليلاً حتى يتلافى انتقادات إريكا. ورغم أنّهما يتعارفان منذ أمد بعيد، ويتنافسان في إرضاء بعضهما بعضاً، لم يكن يستسيغ أن يكون بيته غير مرتّب عند زيارتها. كان يعاني ممّا يشبه العقدة بهذا الخصوص: فبينما

كان هو عازب وينحدر من أصلٍ متواضع، ابن عامل، كانت هي زوجة بورجوازية تسكن بيتاً جميلاً في سالتسخوبادن. هكذا وضع الأواني في الغسالة، ونظف حوض المطبخ ثم أخرج القمامة.

بل وجد الوقت لكنس الصالون بالمكنسة الكهربائية، وسقي النباتات الموجودة قرب النافذة، وترتيب الكتب والمجلات قبل أن يرنّ الجرس أخيراً. سمع رنين الجرس وطَرْقاً على الباب في الآن نفسه، وما إن فتح حتى راعه منظر إريكا. كانت متجمّدة من البرد.

كانت ترتعش، ولم يكن ذلك بسبب الجو المثلج فحسب، بل لأنها لم تكن ترتدي لباساً دافئاً. لم تكن تضع حتى قبعة على رأسها. أمّا شعرها الذي سرحته ذلك الصباح فصار منفوشاً، وظهر على خدها الأيمن خط أحمر أشبه بالخدش.

- كيف حالك يا ريكي؟

- تجمّدت مؤخرتي الجميلة من البرد. لم أعثر على سيارة أجرة إلّا بشق الأنفس.

- ماذا أصاب خدّك؟

- زلقت قدمي ثلاث مرات فيما أظنّ.

وخفض بصره لينظر إلى حذائها الإيطالي الأحمر الغامق ذي الكعب العالي.

- أراك تنتعلين حذاء مناسباً للثلج!

- هذا عدا أنّني لم ألبس سروالاً لاصقاً هذا الصباح، أليس كذلك؟

- ادخلي، سأدفئك.

وارتمت بين أحضانه وهي ترتعش كالريشة، فضمّها إليه بقوة.

ثمّ قالت له من جديد:

- آسفة!

- عمّاذا؟

- عن كلّ شيء، عن سيرنر. لقد تصرّفت بغباء.

- لا تبالغي يا ريكي.

أزال ندف الثلج عن شعرها وجبينها، وتفحص بعناية الخدش على خدها.

- لا عليك، سأحكي لك قصته.

- عليك أولاً أن تتجرّدي من ملابسك وتستحمي بالماء الساخن. هل أقدم لك كأس نبيذ أحمر؟

تغلّبت على تردّدها، واستمتعت طويلاً بهذا الحمام الساخن، تاركة مايكل يملأ كأسها مرّتين أو ثلاثاً. جلس إلى جانبها على مقعد المرحاض، ومضى ينصت إلى قصتها. ورغم كلّ الأنباء المقلقة، حافظَت المحادثة على طابع حميمي مرح، كما لو أنّهما يحاولان تكسير الجدار الذي انتصب بينهما في الآونة الأخيرة.

قالت له:

- أعرف أنني بدوتُ لك غبيّة منذ البداية. لكن لا تغضب، فأنا أعرفك جيداً. ينبغي أن تفهم أنّنا، أنا وكريستر ومالو، لم نعثر على حلّ آخر. شغّلنا إميل وصوفي، وهو أمر نحن فخورين به. فهُما من المراسلين البارزين اليوم. لقد منحا المجلة شيئاً من الحظوة، وهو دليل على أنّنا أقلعنا وأثرنا الانتباه إلينا بحيث نُشِرت عنّا مقالات رائعة في مجلّتَي ريزومي وداجينز ميديا مثلما كان عليه الأمر في الزمن الجميل. ولا أخفيك أنّني جعلت من أولوياتي ضمان الشعور بالأمان لإميل وصوفي. كنت أقول لهما: «أحوالنا المادية مستقرّة». كنّا سنصبح قادرين على تمويل تحقيقات مهمّة بدعم من هارييت فانغر. أسمعت... كنت مقتنعة بذلك. ولكن كلّ ذلك...

- انهار فوق رؤوسنا.

- هذا بالضبط ما وقع. انهارت المبيعات وتقلّصت المساحات الإشهارية. وممّا زاد الأمر سوءاً تلك الفوضى التي حدثت داخل مجموعة فانغر. لست أدري ما إذا كنت تدرك جيّداً خطورة ما وقع. أقول في نفسي أحياناً إنّ الأمر أشبه بانقلاب عسكري. كلّ هؤلاء الرجال الذين كانوا في الظلّ، وأيضاً هؤلاء النساء... باختصار، أنت أعرَف بهم من أيّ كان... كلّ هؤلاء العنصريين الرجعيين تحالفوا ضدّ هارييت، وطعنوها في الظهر. لن أنسى أبداً تلك المكالمة. قالت لي: «لقد أزاحوني، انتهى الأمر.» جعلوها تؤدّي ثمن كلّ الجهود التي بذلتها لتحديث المجموعة. وكذلك بالطبع قرارها بضم دافيد غولدمان، ابن الحَبر فيكتور غولدمان، إلى هيئة الإدارة. لكن كما تعرف، كلّ ذلك يمثل جزءاً من لوحة. كان أندري قد فرغ من توّه من تحرير تحقيقه حول شحاذي ستوكهولم، وقيل إنّها أفضل مقالة نشرها في مسيرته المهنية، بحيث أحال عليها الكثيرون في الداخل والخارج. لكنّ العاملين في فانغر...

- ... لم يروا فيها غير حماقات يسارية.

- الأدهى من ذلك يا مايكل أنّهم اعتبروها مجرّد دعاية «للمتسكعين الذين لا يملكون الشجاعة للبحث عن عمل.»

- أقالوا هذا عنه؟

- قالوا ما يشبه هذا. لكن التحقيق لم يكن في نظري غير ذريعة لنسف دور هارييت داخل المجموعة. كانوا يسعون إلى تبخيس كلّ ما قام به هنريك وهارييت.

- يا لهم من أوغاد!

- هذا واضح، لكنّه بصراحة لم يساعدنا في شيء. أذكر ذلك كما لو كان بالأمس. أحسستُ كما لو أنّ الأرض انشقت من تحت قدمي. وأنا مدركة أنه كان عليّ أن أشركك أكثر. لكنني ظننتُ أن تركيزك على

مواضيعك سيفيدنا جميعاً.

- مع أنني لم أستطِعْ تقديم شيء ذي بال.

- حاولتَ حقّاً يا مايكل. لكن ما قصدتُ التحدث إليك بشأنه هو أن أوف لوفين هاتفني في تلك اللحظة بالذات، لما بدا أنّ كل شيء انهار.

- لا بدّ أن أحداً اتصل به ليُخبره بما يحدث.

- لا حاجة إلى الإشارة إلى أنني كنت متحفّظة منذ البداية. لم أكن أرى في سيرنر غير خليط من الصحف الشعبية. لكن أوف ألقى عليّ خطبته المنمّقة، ودعاني إلى بيته الضخم الجديد بمدينة كان الفرنسية.

- ماذا؟

- أجل، وأنا آسفة على عدم إخبارك أيضاً. ربما بدافع الخجل. على كلّ حال كان عليّ أن أذهب إلى المهرجان لكي أنجز تحقيقاً عن تلك المخرجة الإيرانية. أتذكرها؟ المرأة التي اضطُهِدت بسبب الوثائقي الذي صورته عن سارة، تلك الشابة ذات التسعة عشر ربيعاً التي رُجمت؟ لم أرَ ضيراً في أن تساهم سيرنر في مصاريف السفر. مهما يكن، تحدّثنا أنا وأوف طيلة الليل، وتشبّثتُ بموقفي. كان سخيفاً ومتغطرساً وحاول إقناعي بكلامه المعسول. لكنّني في نهاية المطاف، أذعنت وأنصتّ إليه، أتعرف لماذا؟

- لأنّ الأمر كان في غاية الأهميّة.

- كلا... بسبب العلاقة التي بينك وبينه.

- أكان يريدني أن أضاجعه؟

- هو معجب بك أيّما إعجاب.

- هراء.

- كلا يا مايكل، أنت مخطئ. هو شغوف بالسلطة والمال

وبمنزله في كان. لكنّه يتأذى من أنّنا لا نعتبره قدوة مثلك. إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية المصداقية، هو الفقير وأنت الغني يا مايكل. أشعر أنه يتمنى في قرارة نفسه لو يكون مثلك. كان عليّ أن أخمن بأنّ غيرةً كهذه يمكن أن تكون خطيرة. هذا هو سرّ هذه الحملة ضدّك. لا بدّ أنك أدركتَ هذا. يشعر الناس أمام تشدّدك بأنهم تافهون. مجرّد وجودك يذكّرهم بمدى تخلّيهم عن مُثُلهم. وبمقدار ما تُثير أنت من إعجاب، يشعرون هم بالخزي. وأفضل طريقة للانتقام في مثل هذه الظروف هي تمريغك في الوحل. سقوطك يُعيد لهم شيئاً من اعتدادهم بذواتهم؛ وافتراءُ بذاءات عنك يُعيد لهم قليلاً من كرامتهم، أو هذا على الأقل ما يعتقدون.

- شكراً يا إريكا، لكنّني أهزأُ بهذا النوع من الاضطهاد.

- أعرف هذا، وهو أمر جيّد. حينئذٍ اعتقدت أنّ أوف كان يريد حقّاً الانضمام إلينا. كان يطمح لأن يشمله ما نحقّقه من شهرة، وهو أمرٌ راقَني. إذا كانت رغبته هي أن يصير ظريفاً مثلك، فليست له أيّ مصلحة في أن يعمل على تحويل **ميلينيوم** إلى منتوج تجاري على شاكلة سيرنر. إذا صار الجميع يرون فيه الشخص الذي دمّر إحدى أكثر المجلات نجاحاً وشهرة، فإنّه سيفقد ما تبقى له من مصداقية. هكذا وثقتُ به لمّا زعم بأنّه -وكذا المجموعة- بحاجة إلى مجلة راقية، وأنّه سيساعدنا على ممارسة الصحافة التي نؤمن بها. كان يريد أن ينخرط فعلاً، لكنّني لم أرَ في ذلك إلّا تعبيراً عن غروره. لم يُقدِم على ذلك في نظري إلّا من أجل التباهي والتبجح أمام زملائه من المترفين بأنّه خبيرنا في التواصل والتسويق أو شيئاً من هذا القبيل. لم يخطر ببالي أبداً أنّه سيتجاسر على مهاجمة روح المجلة.

- مع أنّ هذا هو ما يحصل الآن بالتحديد.

- نعم للأسف.

- وما مآل نظريتك السيكولوجية البديعة؟

- استهنت بنفوذ الانتهازية. لاحظت كيف أنّ أوف وسيرنر تصرّفا بشكلٍ مثالي قبل أن تتأجّج هذه الحملة ضدّك؟ لكنه فيما بعد...

- استفاد من الأمر.

- كلا، كلا، طرفٌ آخر هو مَن استفاد. شخصٌ كان يسعى للنيل منه هو. تنبّهت متأخّرة إلى أنّ أوف وجد صعوبة في إقناع بقيّة أعضاء الإدارة بشراء حصص من المجلة. لعلّك تعلم أنّ كل العاملين بسيرنر لا يعانون من عقدة الدونية الصحفية. هم في معظمهم رجال أعمال يكرهون فكرة النضال من أجل القناعات وكلّ الخطابات التي ترافق ذلك. فـ«مثالية» أوف المزعومة تُرهقهم كما قالوا، ورأوا في تلك الحملة التي شُنّت ضدك فرصة لمحاصرته.

- هكذا إذاً!

- آه لو علمت... بدت مطالبهم في البداية معقولة. مجرّد تكيّف بسيط مع السوق. فكّرت من جانبي في الوسيلة التي نصلُ بها إلى القرّاء الشباب. ودار بيني وبين أوف حوارٌ عميق بهذا الخصوص. لذلك لم أشعر بأيّ قلق خلال عرضه هذا الصباح.

- هذا ما لاحظتُه.

- لكن تلك الفوضى لم تكن قد انفجرت بعد.

- أيّ فوضى؟

- الفوضى التي أثرتَها لمّا هاجمتَ خطاب أوف.

- لم أهاجمه يا إريكا. كلّ ما فعلت هو أنّني غادرت.

رشفت إريكا من كأسها وهي ممدّدة في حوض الاستحمام، ثمّ ابتسمت بحزن.

- متى ستعرف أنّك مايكل بلومفيست؟

- ظننتُ أنّني بدأت أسيطر قليلاً على الموضوع.

- لو كان ذلك صحيحاً، لأدركتُ أنّ مغادرة مايكل بلومفيست للقاعة خلال عرض يتعلّق بجريدته كفيل بإثارة مشكلة، سواء أقَصَدَ إلى ذلك أم لم يقصِد.

- آسف إذاً على هذا التصرف.

- لستُ ألومكَ، على الأقل الآن. لعلّك لاحظت أنّني أنا مَن يعتذر هذه المرة. أنا من وضعتُ المجموعة في هذا الموقف. كانت الفوضى ستحصل سواء انصرفتَ أم لم تنصرف. كانوا يتصيّدون الفرصة للهجوم.

- ماذا جرى؟

- بعد انصرافك عمّ الإحباط، وأوف الذي شعر بأنّ كرامته انتُهِكَت، توقف وقال: «لا داعي لهذا العرض.» إثرَ ذلك هاتفَ المقرّ ليحكي لهم ما وقع، ولا أستبعد أن يكون ضخّم الأمر. أظنّ أنّ الغيرة التي أشرت إليها تحوّلت إلى شعور بالتفاهة. عاد بعد ساعة وأعلن بأنّ المجموعة مستعدّة للمراهنة على **ميلينيوم**، ودعمها بكلّ الوسائل.

- وهو ما لم يكن في الظاهر خبراً سارّاً.

- كلا. خمّنته حتّى قبل أن ينطق. كان وجهه يعبّر عن ذلك أبلغ تعبير: مزيج من النصر والخوف. تعذّر عليه التعبير في البداية ثمّ أطنب في الحديث عن رغبتهم في إشهار المجلة أكثر وتشبيب مضامينها، وتطعيم فريقها ببعض المشاهير... إلخ. لكنّه ما لبث أن...

أغمضت إريكا عينيها ومرّرت يدها على شعرها المبتلّ ثم أفرغت كأسها.

- ماذا؟

- قال إنّه يفكّر في ترك هيئة التحرير.

- كيف؟

- لم يكن بإمكانه ولا بإمكان المجموعة أن يجهرا بذلك طبعاً،

ولا أن يخاطرا بنشر مقالات من قبيل «سيرنر تطرد بلومفيست». وهكذا عمَدَ أوف إلى التعبير عن ذلك بلباقة حين قال إنّهم يمنحونك حريّة مطلقة لكي تتفرغ للعمل الذي تتقنه أكثر من غيره: كتابة التحقيقات. اقترح عليك منصباً استراتيجياً في لندن وعَقْدَ مراسلٍ براتب سخيّ.

- في لندن؟

- بذريعة أنّ السويد بلد صغير للغاية بالنسبة إلى رجل من عيارك. . . لكن، أتدرك دلالة ذلك؟

- يظنون أنهم لا يستطيعون تمرير إصلاحهم ما دمتُ في هيئة التحرير؟

- هذا هو قصدهم باختصار. وأنا أظنّ أن لا أحد منهم تفاجأ لمّا رفضنا أنا وكريستر ومالو رفضاً باتاً وعبَّرنا عن أننا لا نقبل حتّى التفاوض بشأن هذا العرض، هذا دون الحديث عن ردّ فعل أندري.

- ماذا فعل؟

- أكاد أشعر بالانزعاج من إخبارك بذلك. وقف وأعلن بأنّه لم يسبق أن سمع كلاماً بهذه الخسّة. وأضاف بأنّك تعدّ من أجود صحافيي هذا البلد، وتمثّلُ مصدرَ فخر للديمقراطية والصحافة، وأنّ مجموعة سيرنر ينبغي أن تشعر بالخزي. وختَمَ كلامه قائلاً إنك رجل عظيم.

- لعله بالغ قليلاً.

- إنّه ولد شهم.

- لا شكّ في ذلك. وكيف كان ردّ فعل أعضاء سيرنر؟

- توقّع أوف ذلك بالطبع. قال: «وإلا فبإمكانكم شراء حصصنا.» إلا أنّ. . .

- الثمن ارتفع.

- هذا بالضبط ما حصل. قال إنّ أيّ تحليل، مهما كانت

بساطته، يثبت في نظره أنّ ثمن حصص سيرنر تضاعف، على الأقل منذ أن ساهمت المجموعة في رأس المال، بالنظر إلى القيمة المضافة التي خلقوها.

- أيّ قيمة؟! هذا هراء.

- ليس هراء، بل دهاء. يحاولون محاصرتنا. أتساءل ما إذا لم يكونوا يسعون إلى إصابة هدفين بحجر واحد: إبرام صفقة مربحة والقضاء علينا ماليّاً، ومن ثمّة التخلّص من منافسهم.

- تبّاً! وماذا سنفعل؟

- سنفعل ما نتقن فعله يا مايكل: الكفاح. سأشتري حصصهم من مالي الخاص، وسنكافح من أجل الرقي بمجلتنا لتصير الأفضل في شمال أوروبا.

- حسناً يا إريكا، وماذا بعد ذلك؟ سنجد أنفسنا غارقين في مشاكل ماليّة لن تستطيعي مواجهتها.

- أعلم، لكنّنا سنتغلّب عليها مع ذلك. سبق أن عشنا مواقف أصعب. سنتنازل أنا وأنت عن راتبينا لبضعة أشهر. تيقَّن من أننا سنتغلّب عليها.

- لكلّ شيء نهاية يا إريكا.

- لا تقُل هذا يا مايكل، لا تقُله أبداً!

- حتّى وإن كان هو الحقيقة؟

- حتّى وإن كان.

- حسناً.

صمتت قليلاً ثمّ استأنفت:

- ألستَ بصدد تحرير شيء يمكن أن نقصف به عالم الإعلام السويدي؟

أخفى مايكل وجهه بين راحتيه فتراءت له بيرنيلا وهي تعلن بأنها،

بخلافه، «ستكتب كتابة حقيقية». لكن سيلزم أن تفسّر له يوماً فيمَ طريقته في الكتابة ليست «حقيقية».

- لا أظن.

ضربت إريكا صفحة ماء الحوض براحة يدها فتطاير الماء على جوارب مايكل.

- تبّاً! لا بد أنّك تملك على الأقل خيط قضية من القضايا. لا أحدَ في هذا البلد يتوصّل بمثل ما تتوصّل به من أخبار!

- خيوط أخبار لا قيمة لها في غالب الأحيان. لكن... هناك أمر ينبغي أن أتحقّق منه.

استوت إريكا جالسة في الحوض.

- ما هو؟

فتدارك قائلاً:

- لا شيء. لعلّها مجرّد توهّمات.

- ما أحوجنا إلى هذه التوهّمات في الوضع الحالي.

- نعم، لكنها قد لا تكون غير رصاصة فارغة.

- ومع ذلك، جزء منك على الأقل يؤمن بجدواها. أليس كذلك؟

- ربما، لكن بسبب تفصيل صغير لا صلة له بالحكاية في حدّ ذاتها.

- ما هو؟

- هو وجود رفيقتي في السلاح في القضية.

- تلك التي يشرع اسمها بحرف اللام؟

- بالضبط.

قالت إريكا وهي تخرج من حوض الحمام عارية بهيئتها الباهرة:

- هذا شيء واعد، أليس كذلك؟

8

مساء يوم العشرين من نوفمبر

كان أوغست جاثياً على ركبتيه فوق أرضية الغرفة الشبيهة مربعاتها البيضاء والسوداء برقعة شطرنج، وقد وضع أمامه أبوه لوحة زيتية صوّرت عليها شمعة موضوعة فوق صحن أزرق، وتفاحتان خضراوان وبرتقالة، لكن أوغست تجاهلها وراح ينظر بعينين كابيتين إلى العاصفة في الخارج. فقال فرانز في نفسه: **قد يكون من الغباء أن ألزمه بنموذج؟**

الظاهر أن ابنه يكفيه أن يلقي نظرة على شيء لكي يُنقَش في ذهنه. فلماذا يُلزمه بما عليه أن يرسم؟ فذاكرته تخزّن بلا شكّ آلاف الصور، ومن ثمة فإنّ تقديم صورة صحن مملوء ببعض الفواكه يبدو فكرة سخيفة وغير مناسبة. سينصرف ذهنه ربما إلى شيء آخر مختلف تماماً. وتساءل فرانز مرّة أخرى: ألا يكون الطفل قصد إلى نقل رسالة من خلال رسم أضواء المرور؟ لم يكن الرسم مجرّد تمرين على الملاحظة. فالضوء الأحمر يومض كعين شرّيرة. ألا يكون أوغست شعر بأنّ الرجل الموجود على ممرّ الراجلين يهدّده؟

راح فرانز يراقب ابنه مثلما فعل مئات المرات ذلك اليوم. وتنبّه إلى غباء فكرته. لطالما اعتبر أوغست مجرّد طفل غريب وغامض. وها هو اليوم يتساءل عمّا إذا لم تكن بينه وبين ابنه ملامح مشتركة.

ذلك أن تشخيصات الأطباء في الماضي، لما كان صغيراً، لم تكن دقيقة مثلما هو الشأن اليوم. ومن ثمة كان من السهل تصنيف الناس في طائفة الأوغاد أو غير الأسوياء. فقد اعتُبِر في صغره مختلفاً: مبالغاً في الجدية، ومتصلّباً حتّى أن لا أحد في فسحة المدرسة كان يستلطفه. وبالمقابل لم يكن هو أيضاً يحفَل بالأطفال الآخرين. يلوذ بأرقامه ومعادلاته ويتجنّب الكلام، لأنّه لم يكن يجد للألفاظ من جدوى.

لم يصنّفوه على الأرجح في خانة المتوحّدين نفسها مثل أوغست. لو كان ذلك في الحاضر، كانوا سيعدّونه على الأرجح مصاباً بمتلازمة آسبرجر، من دون أن يعبأ أحد بما إذا كان ذلك سيكون في صالحه أو في غير صالحه. لكنّ المهمّ هو أنّه اعتقد -وكذلك هانا- أنّ تشخيص حالة أوغست مبكّراً سيساعده. مع ذلك لم تتحسّن حالة الطفل إلّا تحسّناً طفيفاً للغاية، ولم يكتشف فرانز موهبته المتميِّزة هذه إلّا الآن وهو في الثامنة من عمره. كيف لم ينتبه هانا ولاس إلى ذلك؟

لا جدال في أنّ لاس رجلٌ سافل، أمّا هانا فتبقى مع ذلك امرأة طيبة ومرهفة. وفرانز لن ينسى أبداً لقاءهما الأول. كان ذلك بمناسبة حفلة نظّمتها الأكاديمية الملكية لعلوم الهندسة التي منحته جائزة لم يُعرها اهتماماً. وبينما كان يقتله الملل خلال العشاء، ولم يكن يحلم إلّا بالعودة إلى بيته في أسرع وقت ليجلس إلى حواسيبه، اقتربت منه امرأة بدا له وجهها مألوفاً -وهو لم يكن يعرف من النجوم والمشاهير إلا قلّة قليلة- وبادرته بالكلام.

لطالما اعتبر فرانز نفسه واحداً من مرتدي النظارات الذين لا حظوة لهم لدى الفتيات. ولم يفهم ماذا يمكن أن يُغري امرأة جميلة مثل هانا في رجل مثله، لا سيما وأنّها كانت في تلك الفترة في قمّة مسيرتها الفنية. سلبت لبّه، وتمكّن من مضاجعتها تلك الليلة. كانت

متميّزة في الفراش. وكانت تلك بداية أجمل مرحلة في حياته بلا شكّ. ومع ذلك... لم تلبث لغة البرمجة أن انتصرت على الحبّ.

كان العمل يشغل كلّ وقته على حساب حياته الزوجية، فانهار كلّ شيء، وحلّ محلّه لاس ويستمان الذي دمّر هانا شيئاً فشيئاً، وربّما أوغست أيضاً. كان فرانز يملك كلّ المبرِّرات ليشعر بالسخط على هذا الشخص، رغم علمه بأنّه هو نفسه مسؤول عن ذلك الوضع. فقد تخلّى عن ابنه، ولا يستطيع أن ينكر ما آخذته به المحكمة: من أنه فضَّل الحلم بحياة اصطناعية على ابنه الذي من صلبه. كيف سمح لنفسه بأن يأتي مثل هذا الفعل الشنيع؟

أخرجَ حاسوبه المحمول، وكان قد طلب تزويده بمجموعة من الكتب، من بينها ذلك المؤلف المرجعي في مجاله الذي يحمل عنوان: **جزيرة العبقرية** (*Islands of Genius*) للبروفسور دارولد أ. تريفيرت. صمّم كعادته على أن يعتمد على نفسه في كلّ ما هو بحاجة إلى معرفته، ولن يترك عالم نفسٍ أو مربٍّ يلقّنه ما يحتاج أوغست. سيعرف ذلك أفضل من أيّ متخصّص. وهكذا عثر صدفة في معرض بحثه هذا اليوم على قصة طفلة صغيرة متوحّدة تدعى نادية.

تحكي قصتها لورنا سيلف في كتابها، **نادية: حالة طفلة متوحدة ذات قدرات خارقة في الرسم**[*]، وكذا أوليفر ساكس في كتابه: **الرجل الذي اتخذ من زوجته قبعة**[**]. افتتن فرانز وتأثّر أيّما تأثّر بهذه القصة التي تشبه قصّة أوغست من عدّة نواحي. فناديا، شأنها شأن ابنه، كانت تبدو بصحّة جيّدة عند الولادة، ولم يكتشف الوالدان أن الطفلة غير عادية إلّا بمرور الشهور.

(*) Lorna Selfe, *Nadia: A Case of Extraordinary Drawing Ability in an Autistic Child.*

(**) Oliver Sacks: *The Man Who Mistook His Wife for a Hat.*

لم تكن نادية تحدّق في عيون الناس مثلما لم تكن تطيق الاتصال الجسدي، ولا تبدي أيّ ردّ فعلٍ بإزاء ابتسامات أمّها وتشجيعاتها. كما أنّها لم تكن تحقّق أي تطوّر في تعلم اللغة. كانت تخلو إلى نفسها في معظم الوقت، تقطّع شرائط من ورق قطعاً بالغة الصغر. وقد بلغت السادسة، ولم تنطق كلمة واحدة.

لكنّها حين ترسم، فهي تضاهي ليوناردو دافينتشي. ذلك أنّها شرعت ترسم الأحصنة فجأة وهي لم تتجاوز الثالثة من عمرها: لم تبدأ برسم التخطيط الظلي مثلما يفعل سائر الأطفال، بل كانت تختار البدء من تفصيل دقيق، حافر مثلاً، أو حذاء الفارس أو ذيل. والأغرب من ذلك هي السرعة التي ترسم بها. كانت تجمع تفاصيل متناثرة بسرعة البرق، تفصيل من هنا وتفصيل من هناك، لكي تشكّل منها حيواناً كامل الصورة، راكضاً أو خابياً. وقد كان فرانز يُدرك انطلاقاً من تجارب مرحلة المراهقة في مجال الرسم أنّ لا شيء أصعب من رسم حيوان متحرّك. فمهما حاول المرء، تكون النتيجة سيئة ومتكلّفة. ذلك أنّ رسم خفّة قفزة حصان لا يقدر عليها إلّا المهرة من الرسامين. ونادية بلغت هذا المستوى وهي لا تزال في الثالثة من عمرها.

لم يكن ما ترسمه من أحصنة يقل إتقاناً عن اللوحات الزيتية، مع أنها لم تتعلّم قواعد الرسم قط. فقد تفتّقت موهبتها فجأة مثلما يندفع الماء إثر انهيار سدّ مليء، وهو ما أصاب محيطها بالانشداه. كيف تحقّقت لها هذه المعجزة؟ كيف يمكنها بحركات سريعة من يدها أن تستوعب قروناً من التطور في مجال فن التصوير؟ وقد صاغ الأستراليان ألان سنايدر وجون ميتشل إثر دراستهما لرسوماتها سنة 1999 نظرية تحظى باحترام واسع اليوم، مفادها أنّنا نملك جميعاً قدرات وراثية مرتبطة بهذا النوع من المواهب، لكنّها تظلّ كامنة عند معظمنا.

حين ينظر الإنسان إلى كرة قدم مثلاً، لا يدرك فوراً أنّ الأمر

يتعلق بشيء ثلاثي الأبعاد. ذلك أنّ الدماغ يحلّل بسرعة سلسلة من التفاصيل -الظلال، اختلاف مستوى العمق ودرجات اللون- ويستمدّ منها خلاصات تتعلّق بالشكل. ونحن لا نعي هذه العمليات، لكنّ هذا التحليل الجزئي ضروري لكي نتمكّن من التمييز بين كرة ودائرة.

فالدماغ يخلق بنفسه الشكل النهائي، ونحن خلال قيامه بذلك لا ندرك كلّ التفاصيل المسجّلة في البداية. الأمر شبيه بالشجرة التي تخفي الغابة. ويذهب ميتشل وسنايدر إلى أنّنا لو استطعنا العثور على الصور الأولية التي يشكّلها دماغنا، لكنّا قادرين على ملاحظة العالم من زاوية جديدة تماماً، بل استطعنا ربّما إعادة تشكيله بكيفية أسهل، على غرار ما تقوم به نادية من دون حاجة إلى تعلّم قواعد الرسم.

بعبارة أخرى، فناديا قادرة على بلوغ الصورة الأولية التي يستعملها دماغها. تستطيع رؤية زخم التفاصيل والظلال قبل أن يعالجها الدماغ. تجمع التفاصيل بسرعة فائقة، تفصيل من هنا وآخر من هناك، لتشكّل منها صورة دقيقة للحصان، ساكناً كان أو متحركاً. وهذا هو سبب شروعها دائماً بجزء معزول، بحافر أو خطم، وليس من الكلّ الذي لا يكون قد تشكل بعد في تصورنا. وقد استهوت هذه النظرية فرانز بالدر رغم أنّه رأى فيها بعض الفجوات.

كانت هذه الرؤية الأصيلة هي ما كان يصبو إليه دائماً في أبحاثه، وجهة نظر لا تعتبر الأشياء أمراً معطى، بل تحاول تجاوز البداهات، والتدقيق في أصغر الجزئيات. شَعَرَ بأنّ هذه القصة التي قرأ بإعجاب بالغٍ أخذت تستحوذ عليه أكثر فأكثر، ثمّ اعترته قشعريرة فجأة، وراح يلعن. تفرّس ابنه، فسيطر عليه القلق من جديد. لم تكن الاكتشافات الطبية هي سبب ردّ فعله ذاك، بل ما وقع لنادية خلال سنتها الدراسية الأولى.

أُلحِقَت نادية بصفّ خاص بالأطفال المتوحّدين، حيث توجّهت

كلّ جهود المدرِّسين إلى تعليمهم الكلام، وقد تمكّنت الطفلة الصغيرة من إحراز بعض التقدّم. تعلّمت الكلمات الواحدة تلو الأخرى، لكنّ الثمن كان باهظاً. ذلك أنّها ما إن شرعت تتعلّم الكلام حتى بدأت موهبتها في الرسم تتلاشى. وقد كانت فرضية لورنا سيلف هي أنّ لغة عوّضت أخرى. فبعدما كانت فنانة عبقرية، صارت نادية طفلة متوحّدة عادية بإعاقة شديدة. صحيح أنّها استطاعت أن تنطق ببعض الكلمات، لكنّها ضيّعت مقابل ذلك موهبة مذهلة. أكان هذا يستحق ذلك العناء؟

كان بودّ فرانز أن يصرخ: «لا»، لأنّه مستعدّ على الأرجح لبذل أيّ شيء من أجل أن يصير عبقرياً في مجاله. خير له أن يكون عاجزاً عن المشاركة في محادثة تافهة على أن ينتمي إلى جماعة التافهين. هو يفضّل أيّ شيء عدا أن يكون إنساناً عادياً! هذا هو شعاره، ومع ذلك. . . فإنّه كان يدرك أنّ هذه المبادئ النخبوية لا يمكن أن تنطبق على هذه الحالة المخصوصة. ما قيمة بضعة رسوم، مهما كانت مدهشة، أمام القدرة على طلب كوب حليب أو تبادل بضع كلمات مع صديق أو أب؟

إلا أنه رفض أن يزجّ بنفسه في هذا المأزق. لم يطِقْ فكرة التضحية بأروع حدث وقع في حياة أوغست. كلا. . . لا ينبغي أن يطرح المسألة بهذه الكيفية. فليس ثمّة أب يستطيع البتّ في هذا الاختيار: أن يكون ابنه عبقرياً أو غير عبقري. لأنّه لا أحد يستطيع أن يحدّد مسبقاً أيّهما الأفضل بالنسبة إلى الطفل.

كلّما أمعن في التفكير، وجد الأمر جائراً. وانتهى إلى أن أقنع نفسه بأنّه لا يؤمن بذلك، أو بالأحرى لا يريد أن يؤمن به. فنادية في نهاية المطاف ليست سوى حالة، وحالة منفردة لا يمكن أن تشكّل قاعدة علمية.

كان عليه أن يعمّق معارفه في الموضوع، فواصل بحوثه على

الشبكة العنكبوتية إلى أن أخرجته رنّة هاتفه من استغراقه. وتنبّه إلى أنّ هاتفه قد رنّ كثيراً في الساعات الأخيرة. كان من بين الأرقام التي اتّصلت به رقم مخفيّ، ثمّ رقم مساعده القديم لينوس، الذي لم يعُد يطيقه، ولم يعُد يثق فيه على الأرجح. ومهما يكن، فهو لا يشعر بالرغبة في التحدّث إليه. لم يكن يعنيه في تلك اللحظة إلّا معرفة مصير نادية.

لكنّه أجاب مع ذلك، ربّما بدافع التوتّر. جاءه صوت محلّلة السابو الحسناء غابرييلا غران، وهو ما رسم على وجهه، رغم كلّ شيء، ابتسامة خفيفة. وهو إن كان يميل لفرح شريف، فغابرييلا تمثّل اختياره الثاني الممكن، بعينيها المتلألئتين وبديهتها المتّقدة. إنّه يشعر بالضعف أمام النساء الذكيات.

قال:

- بودّي أن أتحدث إليك مطوّلاً يا غابرييلا، لكنّني لا أملك الوقت للأسف. أنا مستغرق في عمل مهمّ.

فأجابت بنبرة حادّة:

- بالنظر إلى أهميّة ما سأقول لك، من المؤكّد أنّك ستفسح لي لحظة. أنت في خطر يا فرانز.

- دعكِ من هذا يا غابرييلا! سبق أن قلتُ لكِ إنّهم سيضايقونني بمتابعاتهم القضائية إلى أن أتخلّى لهم عن كلّ شيء. لكنهم لن يذهبوا أبعد.

- اسمع يا فرانز، بلَغَتْني للأسف معلومات من مصادر موثوقة. يبدو أنّك معرّض لتهديد حقيقي.

سألها وهو شبه شاردٍ:

- ماذا تقصدين؟

واصَلَ قراءته عن مواهب نادية والهاتف عالق بين كتفه وأذنه.

- يتعذّر عليّ التحقّق من المعلومات، لكنني قلقة عليك يا فرانز. أظنّ أنّ عليك أن تأخذ تهديداتهم على محمل الجدّ.

- سأفعل، أعدك بأن أبالغ في الحذر. سألزم بيتي كالعادة، لكنّني مشغول كما قلت لك. ثمّ إنني على اقتناع بأنّك مخطئة. لدى سوليفون. . .

فقاطعته قائلة:

- قد أكون مخطئة. هذا أمر محتمل تماماً، لكن تصوّر لو كنتُ محقّة، تصوّر إن كان كلامي صحيحاً؟

- لِمَ لا، لكن. . .

- لا داعي لـ«لكن» يا فرانز. اسمع كلامي. قد يكون تحليلك سليماً: لا أحد لدى سوليفون يهدد سلامتك الجسدية. إنّها شركة متمدّنة رغم كلّ ما يمكن أن يُقال عنها. لكن يبدو أن التهديد آتٍ من شخص أو أشخاص لهم صلة بمنظمة إجرامية، شبكة بالغة الخطورة، لديها فروع في روسيا والسويد.

ولأوّل مرّة حوّل فرانز عينيه عن الشاشة. كان يعرف حقّ المعرفة أنّ زيغموند إكيروولد العامل لدى سوليفون يتعاون مع جماعة إجرامية، بل إنّه اعترض بعض الكلمات المرموزة تخصّ الزعيم، لكنّه لم يستطع معرفة سبب استهدافهم إياه. اللهم إذا. . .

وغمغم:

- منظمة إرهابية؟

- بالضبط. قد نعثر للأمر على منطق في نهاية المطاف، أليس كذلك؟ هذا يرتبط بما قلته أنت نفسك: بمجرّد ما يُقدِم المرء على سرقة أفكار الآخرين لكي يغتني، فإنّه يتجاوز الحدود، وتبدأ من ثمّة متاعبه.

- أظنّ أنّني قلت: حسبُ المرء أن يحيط نفسه بثلّة من المحامين.

فبمؤازرة رجال قانون أذكياء، يمكنك أن تسرق ما شئت. يستطيعون إخراجك كالشعرة من العجين.

- مهما يكن، فأنا ما زلت لم أتلقّ أمراً بأن أنتدب لك حرّاساً شخصيين. ما وددتُ إخبارك به هو أنني أريد نقلك إلى مكان سري. سألحق بك بعد قليل.

- ماذا؟!

- أظنّ أنّ عليّ أن أتصرّف بسرعة.

- لن أقبل أبداً بأن...

ثمّ تردّد.

سألته:

- هل يوجد معك أحد؟

- كلا، لكنني لن أذهب إلى أيّ مكان الآن.

- لعلّك لم تفهم قصدي؟

- فهمته جيّداً. لكن إذا تفضّلتِ، فالأمر لم يتجاوز إلى حدّ الآن، مع كامل احترامي لكِ، حدود التخمين.

- لا يمكن الفصل بين التخمينات والتهديدات يا فرانز. لكنّ الشخص الذي اتصل بنا... وهو أمر لا ينبغي أن أخبرك به، لكن... هو أحد موظفي وكالة الأمن القومي، وهو بصدد التحقيق حول هذه المنظمة.

فغمغم:

- وكالة الأمن القومي...

- أعلم أنّ لديك موقف منهم.

- هذا أقلّ ما يمكن أن يُقال.

- حسناً، حسناً، لكنّهم هذه المرة بجانبك، على الأقل الموظف

الذي اتّصل بنا. شخص طيّب. فقد اعترض خلال عمليات التنصّت شيئاً يمكن أن يشكّل مشروع جريمة قتل.

- ضدّي؟

- هناك مؤشرات دالة على ذلك.

- قولك إنه يمكن أن يشكل ومؤشرات... لا يخلو من غموض.

كان أوغست يُجهد نفسه للإمساك بالقلم، فراح فرانز يتأمل هذه الحركة. ثمّ استرسل يقول:

- سأمكث في بيتي.

- أتمزح؟!

- كلا، لن أترك بيتي إلّا إذا توصّلتم بمعلومات أخرى دقيقة. لن أتركه قبل ذلك. ثمّ إن جهاز الإنذار الذي ثبّتَتْهُ ميلتون يشتغل جيّداً. وقد وضعتْ كاميرات وأجهزة استشعار في كلّ مكان.

- أتتحدّث بجدّ؟

- أجل، فأنتِ تعرفين عنادي.

- ألديك سلاح؟

- ماذا أصابكِ يا غابرييلا؟! لدي سلاح؟! الشيء الخطير الوحيد الذي بحوزتي هو جهاز نجر الجُبن الجديد الذي اشتريته مؤخّراً.

قالت وقد بدا عليها التردّد:

- اسمع...

- نعم...

- سأضعك تحت الحماية وافقتَ أم لم توافق. لا تكترث بالأمر. في نظري، لن تلاحظ شيئاً، لكن بما أنّك تتمادى في عنادك، سأقدّم لك نصيحة أخرى.

- ما هي؟

- تكلّم، سيكون ذلك بمثابة تأمين حياة. بُحْ لوسائل الإعلام بما تعرف، وبقليل من الحظّ، لن تعود للتخلّص منك جدوى.

- سأفكّر في الأمر.

ولمس فرانز في نبرة غابرييلا فجأة شيئاً من الانبساط، فقال:

- ماذا؟

فأجابت:

- انتظر لحظة، هناك مكالمة أخرى على الهاتف... سأضطر لـ...

وتركته ينتظر. أمّا فرانز، الذي كان من المفروض أن يكون مشغولاً في هذه الأثناء بشيء آخر، فلم يكن يؤرقه سوى سؤالٍ واحد: إذا تعلّم أوغست الكلام، أسيفقد موهبته في الرسم؟

استأنفت غابرييلا المكالمة بعد هنيهة:

- أما زلتَ على الخط؟

- بالطبع.

- آسفة، أنا مضطرّة لتوديعك. غير أنّي أؤكّد لك بأنّني سأحرص على وضعك تحت الحماية في أقرب وقت ممكن. سأخبرك بذلك. انتبه لنفسك!

أقفل الخط وهو يتنهّد، وفكّر من جديد في هانا وأوغست وفي الأرضية المبلّطة التي تنعكس على مرايا الدواليب، وفي كلّ الأشياء الأخرى التي لم تعُد لها في هذا السياق أهمية خاصة. واكتفى بأن غمغم وهو شارد:

- إنّهم يتعقبونني.

انتبه في قرارة نفسه إلى أنّ الفرضية ليست عبثية رغم أنّه طالما رفض أن يصدّق بأنهم قد يلجؤون إلى العنف. ماذا يعرف عنهم في الواقع؟ لا شيء. ولم يكن يملك الشجاعة ليهتمّ بالأمر الآن. ثمّ عاد

للاستغراق في قصة نادية، محاولاً معرفة ما يمكن أن يفيده بالنسبة إلى ابنه، رغم أنّ موقفه لم يكن يخلو من غرابة. وقرّر أن يتصرّف كما لو أنّ شيئاً لم يحدث. وواصل بحثه على الإنترنت غير عابئ بالتهديدات. هكذا وقع على إشارة تحيل على بروفسور متخصّص في علم الأعصاب، خبير في «متلازمة عالِم» يُدعى شارلز إيدلمان. وهنا عوض أن يقرأ أكثر عن هذا الرجل، جرياً على عادته في تفضيل الأدبيات على الأشخاص، اتّصل بمعهد كارولينسكا.

انتبه فوراً إلى أنّ الوقت كان متأخّراً، واحتمال أن يكون إيدلمان ما يزال في العمل ضئيلاً للغاية. كما أنّ رقمه الهاتفي كان على اللائحة الحمراء. لكنّه كان يسيِّر بالمقابل مؤسّسة تدعى إيكليدن، متخصّصة في العناية بالأطفال المتوحّدين الذين يُظهرون قدرات متميّزة. حاول فرانز أن يتّصل بهذا الرقم. رنّ الهاتف مرّات عديدة من دون أن يردّ أحد، ثمّ جاءه صوت امرأة قدّمت نفسها على أنّها أخت ليندروس.

- آسف على إزعاجك في هذا الوقت المتأخّر. أريد التحدّث إلى البروفسور إيدلمان. أودّ معرفة ما إذا كان لا يزال هناك بالصدفة؟

- نعم، صادفت أنّه لا يزال هنا. لا أحد يستطيع العودة إلى بيته في هذا الجو العاصف. مَن أقول له؟

- قولي له فرانز بالدر، البروفسور فرانز بالدر.

- هلا انتظرتَ لحظة، سأرى ما إذا لم يكن مشغولاً.

مضى يتأمّل أوغست الذي تناول قلمه وظلّ متردّداً. هذه الحركة تقلق فرانز إلى حدّ ما، كما لو أنّها تنذر بالشؤم. وغمغم من جديد: «منظّمة إجرامية».

وسمع صوتاً يقول:

- معك شارلز إيدلمان. هل البروفسور فرانز بالدر هو مَن على الخط حقّاً؟

- هو بلحمه ودمه. لديّ...

- لن تتصوّر مقدار تشرّفي بالتحدّث إليك. عدتُ من توّي من مؤتمر بستانفورد حيث تحدّثنا عن أبحاثك حول الشبكات العصبية، أجل، بل ألمحنا إلى أنّنا، نحن علماء الأعصاب، يمكن أن نتعلم الكثير عن الدماغ من مصادر غير مباشرة، كأبحاث الذكاء الاصطناعي. تساءلنا...

فقاطعه فرانز قائلاً:

- هذا يُسعدني كثيراً. لكن لديّ سؤالٌ صغير أودّ طرحه عليك.

- حسناً! حول شيء يخصّ أبحاثك؟

- كلا، لدي طفل متوحّد، بلغ الثامنة ولم ينطق بعد بكلماته الأولى، لكنّني مررت مؤخّراً بصحبته أمام إنارة مرور في هورنسغاتن، ثمّ...

- ماذا؟

- لمّا عدنا إلى البيت، جلس ورسم أضواء إنارة تنظيم السير بسرعة وإتقان مذهلَين. على نحو مدهش!

- وتريدني أن ألحق بك لمشاهدة ما رسم؟

- سيُسعدني ذلك، لكن ليس هذا هو سبب اتّصالي. الحقيقة أنّني قلق. قرأت أنّ هذه الرسوم قد تكون طريقته في التواصل مع العالم الخارجي، وأنّه إن تعلّم اللغة، قد يفقد هذه الموهبة. اكتسابه طريقة في التعبير، ستعوض لا محالة الأخرى.

- لعلك اطّلعت على حالة نادية.

- كيف عرفت؟

- لأنّ حالتها غالباً ما تُثار عند الحديث عن هذه المسألة، لكن لا تقلق يا فرانز، هل يمكن أن أناديك فرانز؟

- بالطبع.

- حسناً يا فرانز، أنا سعيد بمكالمتك، وأستطيع أن أقول لك مسبقاً ألّا تشغل بالك. فحالة نادية ليست إلّا الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، لا أقلّ ولا أكثر. كلّ البحوث تثبت أنّ التطور اللغوي يشحذ في الغالب مواهب «عالِم». يكفي أن تعود إلى حالة ستيفان ويلتشاير. لعلّك سمعت به، أليس كذلك؟

- ذاك الذي رسم لندن بكاملها تقريباً؟

- بالضبط. فهو يملك قدرات على كلّ المستويات: الفني والذهني واللساني. وهو يعدّ اليوم فنّاناً كبيراً. اطمئن يا فرانز. من المؤكّد أن بعض الأطفال يفقدون موهبتهم، لكن لأسباب أخرى في الغالب. يضجرون منها أو يحدث لهم شيء آخر. هل قرأت بأنّ نادية فقدت أمّها في الفترة نفسها؟

- نعم.

- ربّما كان هذا هو السبب. لا يستطيع أحد أن يجزم بذلك طبعاً. لكن هناك احتمال ضئيل بأن يعود ذلك إلى اكتساب اللغة. فلا وجود لحالة أخرى موثّقة. لا أقول هذا لأطمئنكَ، ولا لأنّ هذه فرضيتي. هناك إجماعٌ اليوم على أنّ من صالح هؤلاء المتوحّدين تطوير جميع قدراتهم الذهنية.

- أأنتَ مقتنعٌ بهذا؟

- تماماً.

- لديه موهبة أخرى هي الأرقام.

- حقّاً؟

- أراك اندهشت؟

- نعم لأنّ قدرات هؤلاء الأطفال الفنية نادراً ما تصاحبها موهبة رياضية، إذ يتعلق الأمر بموهبتين متباينتين لا قاسم بينهما، بل قد تبدوان متعارضتين أحياناً.

- ومع ذلك فهو هكذا. رسوماته فيها شيء من الدقة الهندسية، كما لو أنّه يحسب التناسبات.

- هذا شيء بغاية الأهميّة. متى يمكنني أن ألقاه؟

- لا أعرف. أريد منك بالأحرى أن تنصحني.

- راهن على هذا الطفل! حفّزه، ودَعْه يطوّر قدراته في كلّ المجالات.

- أ. . .

وشعر فرانز بضيق في صدره، ووجد صعوبة في الكلام. لكنّه استأنف:

- أشكرك جزيل الشكر. الآن ينبغي حقّاً أن. . .

- إنّه لمن دواعي السعادة أن تحدَّثت إليك! سيكون من الرائع أن ألقاكما أنت وابنك. لقد طوّرت رائزاً متقدّماً خاصاً بـ«العلماء». سنعمل معاً على تعميق معرفتنا بهذا الولد.

وغمغم فرانز من دون أن يعرف ما سيقوله:

- طبعاً، سيكون ذلك رائعاً. لكن عليّ أن . . . مع السلامة، وأجدّد لك شكري.

- مع السلامة، أتمنّى أن أتوصّل بأخبارك قريباً.

ووضع فرانز السماعة ثمّ وقف متسمّراً في مكانه وقد شبَكَ ذراعيه على صدره وراح يراقب أوغست الذي كان لا يزال متردّداً وهو يمسك بقلمه، ونظره مركِّز على الشمعة الموقدة. ثم سَرَتْ في كتفه رعشة، واغرورقت عيناه بالدموع فجأة، مع أنّ بالدر لم يكن مفرط الحساسية.

لا يذكر آخر مرّة بكى فيها، ليس عند وفاة أمّه على كلّ حال. لم تهزّ مشاعره قط مشاهدة مسرحية أو قراءة قصة مهما كانت مؤثّرة. لكنّه الآن وهو ينظر إلى ابنه، مضى يبكي كطفل صغير من شدّة التأثر، وهو تأثُّر زادت من حدَّته كلمات شارلز إيدلمان.

من الرائع أن يستطيع أوغست تعلّم اللغة والاستمرار في الرسم. لكن لم يكن هذا هو سبب بكائه الوحيد. ساهمت في ذلك عوامل متداخلة: قصّته مع سوليفون، التهديد بالموت، الأسرار التي يحفظها في قرارة نفسه، ثمّ غياب شخص -هانا أو فرح- يستطيع أن يملأ هذا الفراغ في صدره.

قال وقد استبدّ به التأثر حتّى أنه لم يلحظ شاشة حاسوبه تومض عارضة صورة التقطتها إحدى كاميرات المراقبة في حديقته:

- يا بنيّ!

كان الرجل يسير متهادياً وسط العاصفة بالخارج، مرتدياً سترة جلدية وقبعة رمادية غامقة، تغطي رأسه وتخفي ملامح وجهه. مهما يكن، فهذا الرجل كان يعلم أنّ الكاميرا تصوّره. ورغم اندفاعه، ظلّت مشيته المترنّحة تشبه مشية ملاكم من الوزن الثقيل على الحلبة.

كانت غابرييلا غران لا تزال في المكتب بسابو منهمكة في البحث على الإنترنت وفي سجلات الإدارة، من دون أن تتّضح لها الصورة، لأنّها لم تكن تعرف بالتحديد ما تبحث عنه. لكنّ شعوراً غامضاً ومضطرباً شوّش بالها.

فقد قطعت مكالمتها مع بالدر رئيستُها هيلينا كرافت التي اتصلت بها لأسباب المرّة السابقة نفسها. تريد ألونا كاساليس من وكالة الأمن القومي التحدّث إليها، وبدا صوتها هذه المرّة أهدأ وأروع.

سألت غابرييلا:

- هل سوّيتم مشكل الحاسوب؟

- نعم.. تلخبط كلّ شيء، لكن ليس في الأمر خطورة فيما أظن. آسفة إنْ بدا لك كلامي غامضاً، ولربما اضطررت لأن أبدو لك

غامضة أكثر هذه المرّة أيضاً. أريد أن أنقل لك معلومات جديدة حول قضية بالدر مع الإلحاح على أنّني أعتبر تهديد البروفسور بالغ الجديّة، وإن كنّا ما زلنا لم نتوصل بما يثبت ذلك على نحوٍ قاطع. هل تمكّنتِ من اتّخاذ الإجراءات؟

- تحدّثت إليه، لكنّه رفض ترك منزله. يقول إنّه مشغول للغاية، وأنا أتأهّب لوضع بيته تحت المراقبة.

- ممتاز. من المؤكد أنّك لستِ باهرة الجمال يا آنسة غران فحسب، بل ذكيّة أيضاً. موهبةٌ مثل موهِبَتك تؤهّلك للعمل لدى غولدمان ساكس وربح الملايين، أليس كذلك؟

- ليس هذا حلمي.

- ولا حلمي أنا أيضاً. لن أرفض المال، لكن أن أحشر أنفي في كلّ شيء، فهذا لا يليق بي. حسناً، إليك الوضعية. فيما يتعلّق بوكالة الأمن القومي، هذه القضية لا تكتسي أهمية بالغة، وهو من وجهة نظري خطأ في الحسابات. أنا مقتنعة بأنّ هذه الجماعة تشكّل تهديداً لمصالح اقتصادية وطنية، فضلاً على ارتباطاتها السياسية. ذلك أنّ أحد مهندسي الإلكترونيات الروس، وقد أشرتُ إليه، شخص يدعى أناتولي شاباروف، له صلات بأحد أعضاء الدوما، وهو إيفان غريبانوف الشهير، وأحد المساهمين الكبار في غازبروم.

- فهمت.

- لا تزال هذه الخيوط إلى حدّ الآن متناثرة. وقد قضيتُ وقتاً طويلاً أيضا في محاولة قرصنة هويّة ذاك الذي يعدّ بمثابة الزعيم.

- الشخص الذي يدعونه تانوس؟

- أو يدعونها بالأحرى...

- يدعونها؟

- نعم، مع أنّني قد أكون مخطئة. ذلك أنّ هذا النوع من

المنظمات الإجرامية يستغلون النساء ولا يبوّئوهنّ مركز القيادة. ثمّ إنّهم يستعملون ضمير المذكر الغائب للإحالة على القائد.

- فكيف تخيّلت إذاً أنّ الأمر قد يتعلّق مع ذلك بامرأة؟

- ربّما التبجيل الذي يُحيطونها به. يتحدّثون عنها كما تحدّث الرجال عبر العصور عن النساء اللواتي يفتنوهنّ ويشتهوهنّ.

- امرأة فائقة الجمال إذاً.

- هذا ما يبدو، لكن قد تكون لهذه الملاحظة خلفية مثلية، سيسرّني غاية السرور أن يكون لدى المجرمين والقادة الروس هذا النزوع.

- واضح!

- الواقع أنّني حرصت على إخطارِك بهذا الأمر حتّى إذا حلّت هذه القضية بمكتبك، أوليتها ما تستحقّ من عناية. أفهمت؟ فثمّة كثير من المحامين المتورّطين. هناك دائماً محامون متورّطون في هذا النوع من القضايا. فإذا كان القرصان يستطيع سرقة أيّ شيء، يستطيع المحامي شرعنة كلّ ما يقوم به من سرقات. ذكّريني بعبارة بالدر هذا، ماذا يقول؟

- نحن متساوون أمام القانون شريطة أن نؤدّي ثمن ذلك.

- صحيح. اليوم من يتوفّر على الإمكانات التي تسمح له بتوكيل مَن يحسن الدفاع، يمكن أن يستبيح ما شاء. أظنك تعرفين خصم بالدر القانوني، مكتب داكستون وشركاه في واشنطن؟

- بالطبع.

- لا أظنّك تجهلين أنّ هذا المكتب يمثّل أيضاً شركات تكنولوجيا عملاقة تتابع قضائياً المبتكرين والمجدّدين الذين يجرؤون على طلب تعويض عن ابتكاراتهم إلى أن يخضعوا.

- نعم، عرفت هذا من خلال محاكمة المبتكر هاكان لانز.

- قصة قذرة، أليس كذلك؟ المهمّ هو أن داكستون وشركاه ورد ذكرها في إحدى المكالمات النادرة التي نجحنا في التقاطها وفكّها داخل هذه الشبكة الإجرامية، رغم أنّهم لم يشيروا للمكتب إلا بالحروف الأولى: .D. P أو بحرف .D فقط.

- فسوليفون وهذه العصابة يوْكِلان المحامين نفسهم إذاً.

- نعم، لكن الأمر لا يقتصر على هذا: داكستون وشركاه سيفتحان مكاتب في ستوكهولم قريباً. أترغبين في معرفة كيف علمنا بذلك؟

ردّت غابرييلا التي بدأ القلق يستبدّ بها:

- كلا.

ودّت لو أنّ المكالمة انتهت فوراً لكي تشرف على وضع بالدر تحت المراقبة البوليسية.

استرسلت ألونا تقول:

- من خلال مراقبتنا للمجموعة، ألمح شاباروف في إحدى مكالماته إلى ذلك، كاشفاً عن وجود علاقات مقرّبة مع المكتب. كانت المجموعة على علم بفتح المكتب حتّى قبل أن يصبح ذلك رسمياً.

- هكذا إذاً؟

- نعم، وعلى داكستون وشركاه بستوكهولم أن تشترك مع محامٍ سويدي يُدعى كيني برودان، رجل قانون سابق متخصِّص في القضايا الإجرامية، اتضح لاحقاً أنّه يقيم علاقات مقرّبة جدّاً مع زبنائه.

- نُشرت له صورة في الصفحات الأولى لكلّ الجرائد، ظهر فيها وهو يتسلى في إحدى العلب مع رفاقه من اللصوص، ويداعب إحدى العاهرات.

- بالفعل، لقد شاهدتها. أعتقد أن برودان يمكن أن يمثّل نقطة انطلاق جيّدة إذا أردتم تسليط الضوء على هذه الحكاية من جانبكم. مَن يدري، قد يكون هو الرابط بين رجال المال وهذه المجموعة.

أجابت غابرييلا:

- سأدقّق في المسألة، لكن عليّ الآن أن أسوي جملة من الأمور. ربّما تهاتفنا قريباً.

اتّصلت غابرييلا إثر ذلك بالشخص المكلف بالحماية الشخصية لدى السابو، فوقعتْ على ستيغ يوترغرين، وهو ما عقّد مهمّتها. ذلك أن ستيغ يوترغرين هذا رجل في الستين من العمر، سمين ومولع بالخمر، قد يؤْثِر لعب الورق على الإنترنت على القيام بعمل نافع. كانوا يلقّبونه أحياناً بـ«السيد مستحيل»، وهو ما دعاها لأن تشرح له الوضع بنبرة سلطوية، وتطلب منه إرسال حارس شخصي إلى بيت بالدر بسالتسخوبادن. أجاب ستيغ يوترغرين كعادته بأنّ ذلك متعذّر، بل مستحيل. ولمّا ردّت بأنّ الأمر صادر عن رئيسة السابو شخصيّاً، غمغم بشيء من قبيل: «تلك العجوز السليطة».

- لم أسمع ما قلت، لكن احرص على المسارعة بإرسال حرّاس.

وهو ما لم يحدث بالطبع. وبينما كانت تنتظر وهي تنقر بتوتّر على المكتب، راحت تبحث عن معلومات حول داكستون وشركاه وكل ما يتعلّق بما سمعته من ألونا.

عندئذٍ استحوذ عليها شعور بالقلق. لكن لم يتّضح لها شيء. وقبل أن تتمكّن من استنتاج بعض الخلاصات، اتّصل بها ستيغ يوترغرين. لم يكن أحد موجوداً بمصلحة الحراسة الشخصية بالطبع. راح يشرح بأنّ العائلة الملكية ستقوم بأنشطة عديدة ذلك المساء بمناسبة زيارة ولي العهد النرويجي، وأن أحدهم أصاب شعر رئيس الحزب الديمقراطي بقشدة مثلجة من دون أن يتمكّن حرَسُه الشخصيون من التدخل،

فاضطروا بذلك إلى تعزيز حراسته خلال الخطبة التي سيلقيها في وقت متأخر من ذلك المساء في سودرتاليا.

بعث يوترغرين إلى عين المكان إذاً بـ«رجلين رائعين من قوات حفظ النظام»، يسمّيان بيتر بلوم ودان فلينك، ويتعيّن على غابرييلا أن تكتفي بهما. ذكّرها اسماهما بشخصيتي ديك وكلارك في رواية فيفي برانداسيي، وراودتها للحظة خاطفة بعضُ الهواجس، لكنّها سرعان ما لامت نفسها على ذلك. كان الحكم على الناس انطلاقاً من أسمائهم شائعاً في بعض الأوساط. ثمّ قالت في نفسها:

- ستسير الأمور على أحسن ما يرام.

وطردت تلك المخاوف من ذهنها.

عادت إلى الانهماك في عملها، لكن الليلة كانت تنذر بأن تكون طويلة.

9

ليلة الواحد والعشرين من نوفمبر

استيقظت ليزبث التي كانت نائمة على سريرها الواسع، فتذكّرت أنّها رأت في منامها حلماً يتعلّق بوالدها. وسيطر عليها شعور بعدم الأمان، ثمّ عادت بها الذاكرة إلى ما وقع مساء اليوم السابق، وفكّرت بأنّ الأمر قد يتعلّق أيضاً بتفاعل كيماوي. كانت تشعر بصداع شديد ناجم عن الخُمار. وألحّت عليها رغبة في القيء، فوقفت على رجليها المتهاديتين وتوجّهت إلى الحمام الواسع الفاخر، المجهّز بالجاكوزي، لكنّها لم تستطع التقيؤ، واكتفت بأن ارتمت على الأرض وراحت تتنفس بصعوبة.

ما لاح لها حين نهضت ونظرت إلى صورتها في المرآة لم يكن هو أيضاً يبعث على التشجيع. كانت عيناها حمراوين، والساعة بالكاد تجاوزت منتصف الليل، وهي لم تنَم سوى بضع ساعات. أخرجت كأساً من دولاب الحمام وملأته بالماء، لكن الذاكرة رجعت بها في تلك اللحظة بالذات إلى ما تمثّل لها في الحلم، فأحكمَت قبضتها بعنف على الكأس حتّى تكسر، وجرحت شظاياه يدها، وسال الدم على البلاطة، فراحت تلعن. وأدركت بأنّها لن تنجح في العودة إلى النوم.

هل عليها أن تقرصن الملف المرموز الذي حمّلته في اليوم السابق؟ كلا، لا داعي لذلك، على الأقل في هذه اللحظة. لفّت يدها

بفوطة، وتوجّهت صوب المكتبة. أخرجت بحثاً حديثاً للباحثة الفيزيائية جولي تاميت، خريجة جامعة برنستون، يصفُ كيفية انهيار نجم عملاق على نفسه وتَشَكُّل ثقب أسود. اضطجعت على الأريكة الحمراء الموجودة قرب النافذة المطلّة على سلوسن وعلى ردارفياردن، والكتاب في يدها.

لم تكد تشرع في القراءة حتى شعرت بحالتها تتحسّن. كان الدم يسيل من الفوطة على الصفحات، والصداع لم يخفّ عنها، لكنّها أخذت تستغرق في قراءة الكتاب شيئاً فشيئاً، وتدوّن ملاحظات في الهامش هنا وهناك. الواقع أنّها لم تعثر على جديد في الكتاب. فقد كانت تعرف حقّ المعرفة أن النجم يستمر في الحياة بفضل قوتين متقابلتين، الانفجارات النووية التي تحدث في قلبه، والتي تعمل على تمدّده من جهة ثمّ من جهة أخرى الجاذبية التي تحافظ على تماسكه. كانت ترى في ذلك لعبة توازن وصراعاً محتدما يظلّ متوازناً لفترة طويلة، لكن عندما يفقد الوقود النووي والانفجارات قوتيهما، ينتهي الأمر بانتصار أحدهما على الآخر. حين تتفوّق الجاذبية، يتقلص النجم مثل كرةٍ تُفرَغ من الهواء وتتضاءل، ويصغر حجمه أكثر فأكثر إلى أن يتلاشى، وذلك وفق معادلة على قدرٍ كبير من الرشاقة، صيغت كالآتي:

$$r_s = \frac{2GM}{c^2}$$

حيث تمثل G ثابت الجاذبية. وقد سبق لكارل شوارزشيلد خلال الحرب العالمية الأولى أن وصف المرحلة التي ينكمش فيها النجم على نفسه بحيث يصير من الصعب على الضوء نفسه أن ينفُذ منه. فإذا ما وصل إلى هذا الطور، صارت العودة إلى الوراء مستحيلة، وغدا انهياره

محتوماً. يجري امتصاص كلّ ذرّة نحو نقطة متميّزة ينتهي فيها المكان والزمان، وتقع فيها أشياء أخرى أغرب، لمسات لاعقلانية في عالم يخضع لقوانين الطبيعة.

هذا الشيء الفريد الذي يمكن أن يوصَفَ بأنه حدث أكثر من كونه نقطة، والذي تنتهي عنده قوانين الفيزياء المعروفة، يحيط به حشد من الوقائع، تشكّل مجتمعة ما يسمى بالثقب الأسود. وقد كانت ليزبث مولَعَة بالثقوب السوداء، وكانت تجد أنّها تشبهها.

ما كان يهمّها على وجه الخصوص، شأنها في ذلك شأن جولي تاميت، هي الكيفية التي تتشكّل بها الثقوب السوداء، بما في ذلك انهيار النجوم الذي يبدأ في المنطقة الشاسعة من الكون كما كشفت عن ذلك نظرية أينشتاين النسبية، وينتهي في العالم المتناهي الصغر الخاضع لمبادئ الميكانيكا الكوانتية.

وقد كانت ليزبث واثقة من أنّها إن تمكّنت من وصف هذه العملية، ستستطيع الجمع بين هاتين النظريتين المتعارضتين: الفيزياء الكوانتية والنظرية النسبية العامة. لكن ذلك يفوق ربّما قدراتها مثلما يفوقها فكّ شفرة هذا الترميز. لذلك عادت إلى التفكير في أبيها.

شهدت في طفولتها والدها يغتصب أمها مراراً. وقد تواصل هذا الاغتصاب والاعتداء إلى أن صارت جراح أمّها غير قابلة للالتئام، فانتفضت بعنف وهي لا تزال في الثانية عشرة من عمرها. كانت تجهل حينئذٍ أنّ أباها يعمل جاسوساً منشقّاً عن مصالح الاستعلامات العسكرية السوفياتية المعروفة بإدارة الاستخبارات العامة GRU، وأنّ أحد أقسام السابو يسعى جاهداً إلى حمايته مهما كلّفه الثمن. أدركت وهي لا تزال في ذلك السن أنّ لغزاً يحيط بأبيها، وأنّ ثمّة منطقة غامضة في حياته لم يكن يُسمَح لأحد بالاقتراب منها أو حتى ذكرها، بما في ذلك اسمه.

كانت كلّ الرسائل والاتصالات المكتوبة ترِد باسم كارل أكسل بودان، وهو الاسم الذي عُرِف به أيضاً في الخارج. لكن أسرته في لونداغاتن كانت عارفة بأنّ الأمر يتعلق باسم مزوّر، وأن اسمه الحقيقي هو زالا، أو بالأحرى ألكسندر زالاشنكو. كانت تقطيبة منه تكفي لبثّ الخوف في نفوس الناس من حوله، إضافة إلى أنّه كان يتمتع بنوع من الحصانة. هذا ما كانت تظنّه ليزبث على الأقلّ.

رغم أنّها كانت تجهل سرّه حينئذٍ، كانت تعلم أنّه يستطيع استباحة كلّ شيء، والإفلات من العقاب، ولعلّ ذلك هو سرّ غطرسته الرهيبة. لم يكن من الممكن الوصول إليه بالوسائل المألوفة، وهو أمر كان يَعيه تمام الوعي. كان بإمكان الأطفال أن يبلّغوا عن آبائهم لدى المصالح الاجتماعية أو الشرطة، لكن زالا كان يتمتّع بحماية أكبر من ذلك بكثير. وما تذكرته ليزبث في حلمها يعود إلى اليوم الذي وجدت فيه أمّها ممدّدة على الأرض مغمى عليها، فقررت أن تتصرّف وتضع حدّاً لاعتداءات والدها.

هذا هو ما يشكل ثقبها الأسود الحقيقي من بين أشياء أخرى.

تعالى صوت صفارة الإنذار عند الساعة الواحدة وثماني عشرة دقيقة، فاستيقظ بالدر مذعوراً. أأقدَمَ أحدهم على اقتحام المنزل؟ تملّكه فزع شديد، ومدّ يده فوق السرير ليتحسس أوغست النائم بجانبه. كان عليه أن يتسلّل إلى غرفته كالعادة، لكنّه الآن يئنّ بعصبية كما لو أنّ الصفير تسرّب إلى أحلامه. قال في نفسه: آبنيّ!، ثمّ تسمّر في مكانه. أهو وَقْعُ خطوات؟

كلا، لعلّه يتوهّم. على كلّ حال، كان من المستحيل تمييز أيّ صوت بالنظر إلى جلبة صفّارة الإنذار. ألقى نظرة قَلِقَة إلى الخارج.

كانت الريح تهبّ بشدّة غير معهودة، وكانت الأمواج تضرب الجسر والضفّة، وزجاج النوافذ يهتزّ بفعل العاصفة. أتكفي هبات الريح وحدها لإطلاق جهاز الإنذار؟ لعلّ الأمر كذلك.

مهما يكن، عليه أن يتثبّت ممّا إذا كانت عناصر الحراسة التي تحدّثت عنهم غابرييلا غران قد وصلوا، وأن يطلب النجدة إذا لزم الأمر. قيل له إنّ رجلين من قوات الأمن في طريقهما إليه، لكن مضت الآن ساعات من دون أن يظهر لهما أثر. يا للمسخرة! أخّرهما سوء الأحوال الجوية وسلسلة من الأوامر الطارئة: «تعالوا لتعزيز هذه الفرقة أو تلك!» تذرّعوا بكلّ الذرائع، وغابرييلا محقّة في حكمها: برهنوا عن عجز لا نظير له.

لكن ليس هذا وقت التفكير في هذا الأمر. عليه الآن أن يتّصل، أن يتصرّف بسرعة، لا سيما وأن أوغست على وشك أن يستيقظ. لم يكن في تلك الأثناء بحاجة إلى نوبة من نوبات الطفل الهستيرية، التي يضرب فيها نفسه إلى إطار السرير. وقال في نفسه فجأة: سدّادات الأذنين! سدّادات الأذنين الخضراء القديمة التي اشتراها في مطار فرانكفورت.

أخرجهما من طاولة السرير وأدخلهما بلطف في أذني ابنه، ثمّ قبّل خدّه ومسح على شعره المخرّص. إثر ذلك تفحّص ياقة منامته ليرى ما إذا كانت في مكانها وأنّ رأسه موضوع على الوسادة. كان الأمر ملتبساً: شعر فرانز بالخوف، لربّما كان الوضع خطيراً. الأمر غير مؤكّد على كلّ حال. مع ذلك تصرّف بحكمة، وحرص على عدم إيقاظ ابنه. أهو دفقٌ من النزعة العاطفية في موقف منذر بالخطر؟ أم سعي إلى تأجيل مواجهة ما ينتظره في الخارج؟ وندم، للحظة خاطفة على عدم توفّره على سلاح، حتّى وإن كان لا يعرف كيف يستخدمه.

لم يكن غير مُبرمِج إلكترونيات استبدّت به العاطفة الأبويّة، هذا

كلّ ما في الأمر. لتذهب وكالة الأمن القومي وكلّ المنظمات الإرهابية وسوليفون إلى الجحيم! ليس أمامه الآن إلّا أن يصرّ على أسنانه ويتسلّل بخطى وَجِلَة إلى الممرّ. أطفأ جهاز الإنذار قبل أن يفعل أيّ شيء، حتى قبل أن يلقي نظرة إلى الشارع، لأن الجلبة عطّلت جهازه العصبي. لكنه ظلّ متسمراً في مكانه بعد حلول الصمت، غير قادر على القيام بأدنى حركة، وفي تلك اللحظة بالذات سمع هاتفه يرن. أفزعه الرنين إلّا أنّه أعاد له شيئاً من الطمأنينة مع ذلك.

- مَن؟

- آلو، يوناس أندربورغ على الخط، موظف الحراسة العامل لدى ميلتون للأمن. هل كلّ شيء على ما يرام؟

- كيف... نعم... أظن. لقد صفر جهاز الإنذار في البيت.

- أعلم، بحسب إجراءاتنا، عليك في هذه الحالة أن تلجأ إلى غرفة معدّة لهذا الغرض في الطابق تحت أرضي، وتغلق على نفسك بالمفتاح. أهذا ما فعلت؟

ردّ بالدر كاذباً:

- نعم.

- حسناً، ممتاز. هل تعرف ما وقع؟

- إطلاقاً. أيقظتني صفارة الإنذار. لا علم لي بسبب انطلاقها. لعلّها العاصفة؟

- من المستبعد... انتظر قليلاً.

بدا له من صوت يوناس أندربورغ فجأة أنّه قلق.

سأل فرانز بقلق:

- ماذا جرى؟

- يتهيّأ لي...

- تكلّم برب السماء... لم أعُد أقوى على الوقوف.

- آسف، اهدأ قليلاً، اهدأ. . . أنا بصدد مشاهدة مقاطع الصور التي التقطتها كاميراتك وأخشى أن. . .

- أن. . . ماذا؟

- أن يكون غريب قد اقتحم بيتك. رجل. . . نعم. يمكن أن ترى بنفسك لاحقاً. رجل أميل إلى الطول، يضع نظارتي شمس وقبعة، تسلّل إلى مسكنك. انطلاقاً ممّا رصدته الكاميرات، زار بيتك مرّتين، لكنّني لم أكتشفه إلّا الآن كما قلت لك. . . سأدقّق في هذا الأمر قبل أن أوافيك بمزيد من التفاصيل.

- مَن هو هذا الشخص؟

- من الصعب أن أجيب عن سؤالك.

بدا أن يوناس أندربورغ انهمك في تحليل المقاطع من جديد.

- لست أدري. . . كلا، لا أستطيع أن أخمّن في هذه المرحلة، ما زال الوقت مبكّراً.

- قل لي من فضلك شيئاً ملموساً، وإلّا فإنني سأجنّ.

- يمكن القول إنّ ثمّة عنصراً مطمئناً واحداً على الأقل.

- ما هو؟

- مشيته. فهو يمشي مثل مدمن مخدرات، مثل شخص تناول جرعة كبيرة من المخدرات. في مشيته شيء من المغالاة والتصلّب يمكن أن يستشفّ منه أنّ الأمر قد يتعلّق ببساطة بأحد المدمنين، أو بلصّ منازل. من جهة أخرى. . .

- ماذا؟

- حرصه على إخفاء وجهه يبعث على القلق و. . .

وصمت يوناس من جديد.

- وماذا؟

- انتظر قليلاً.

- لعلك انتبهت إلى أنّك تثير أعصابي؟

- ليس هذا قصدي، لكنك تعرف. . .

وتجمّد جسد بالدر حين سمع صوت محرّك سيارة عند مدخل المرآب.

- هناك غريب في بيتك.

- ماذا عليّ أن أفعل؟

- ابقَ في مكانك.

فردّ فرانز:

- حسناً.

وبقي فرانز متسمّراً ومشلولاً بعيداً عن المكان الذي تخيّله فيه أندربورغ.

لما رنّ الهاتف عند الواحدة والثامنة والخمسين دقيقة كان بلومفيست لا يزال مستيقظاً، لكنّه لم يفتح الخط على الفور لأنّ هاتفه بقي في جيب سروال الجينز على الأرض. مهما يكن، فقد كان الرقم مخفيّاً. فاه ببعض الشتائم، وأوى إلى فراشه ثمّ أغمض عينيه.

لم يكن يرغب في قضاء الليلة صاحياً. لمّا نامت إريكا عند منتصف الليل، عاد إلى سريره، وراح يتأمّل حياته. لم يعثر فيها على شيء يدعو للسلوى، بما في ذلك علاقته بإريكا.

مضت سنوات عديدة وهو مغرم بهذه المرأة، وكلّ شيء يشهد على أنّها تبادله الشعور نفسه. لكن الأمر لم يكن بهذه البساطة. ربّما بدأ مايكل يحسّ بالشفقة على لارس. كان لارس بكمان، زوج إريكا، فناناً، ولا أحد يمكن أن يلومه على غيرته وخضوعه. بالعكس، لمّا أيقن من أنّ إريكا لا تستطيع العيش من دون مايكل، وأنّها مستعدّة

للتخلّي عنه في أيّ لحظة، لم يُثِر الفضائح ويهدّد بالسفر إلى الصين والاستقرار بها مع زوجته، بل عرض عليها ميثاقاً: «يمكنك أن تستمرّي في علاقتك به... لكن شريطة أن تعودي.» وهذا ما وقع. اتّفقا على أن تقضي إريكا معظم الليالي في بيتها بسالتسخوبادن مع زوجها، على أن تنام أحياناً مع مايكل. وقد وجد مايكل لسنوات في هذه التسوية حلاً ممتازاً يمكن أن يلهم مَن يخضعون لديكتاتورية الزواج. كلّما قالت له إريكا: «وجودي معك يزيدني تعلّقاً بزوجي»، أو عندما يربت لارس على كتفه أو يعانقه عناقاً أخوياً حين يلتقيان في إحدى الحفلات، يشكر مايكل حسن طالعه.

لكنّه شرع يرتاب مؤخراً في كلّ شيء، ربّما لأنّه أصبح يتوفّر على الوقت الكافي ليفكر في حياته، ويفهم أن ما يُسمى بالتراضي قد لا يكون كذلك بالضرورة.

قد يحدث أن يفرض أحد الطرفين اختياره الشخصي على الآخر، ويوهمه بأنّه قرار مشترك. وقد يتأذّى أحدهما في الغالب من هذا القرار، لكنّه لا يصرّح بذلك، بل ربما زعم العكس. ولا يستطيع أحد أن يدّعي أن لارس طار فرحاً لمّا اتّصلت به إريكا في ساعة متأخّرة من الليل. من يدري؟ لعلّه يتقلب في فراشه في تلك الأثناء.

أجهد مايكل نفسه لكي يفكّر في شيء آخر، بل حاول الاستغراق في أحلام اليقظة وهو مضطجِع. وانتهى به الأمر إلى مغادرة السرير ليشغل نفسه بشيء ما. لماذا لا يبحث قليلاً في موضوع التجسّس الصناعي أو يفكر في مشروع تمويل بديل لـ«**ميلينيوم**»؟ ارتدى ملابسه وجلس إلى حاسوبه ثمّ فتح علبة بريده الإلكتروني.

عثر فيها كالعادة على العديد من الرسائل غير المرغوب فيها (Spams)، وإن كان بعضها بثّ في نفسه شيئاً من الحماس: كلمات تشجيع وجّهها له كريستر ومالو وأندري زاندر وهارييت فانغر تأهّباً

للمعركة الوشيكة مع سيرنر. أجاب عنها معبّراً عن روح قتالية مُبالغٍ فيها. ثمّ راجع ملفّ ليزبث من دون كبيرِ أمل، لكنّ وجهه تهلّل فجأة. لقد أجابت! لأوّل مرة، بعد أمد طويل، يتوصّل بما يدلّ على أنّها لا تزال حيّة:

[لا شيء في ذكاء بالدر اصطناعي. فماذا عن ذكائك أنت هذه الأيام؟
وماذا سيحدث يا بلومفيست إذا ابتُكِرت آلة تفوقنا ذكاء؟]

ابتسم مايكل، وتذكّر آخر لقاء جمعهما بمقهى كافيبار في سانكت بولسغاتن. مضت لحظة وهو مستغرق في الذكريات قبل أن ينتبه إلى أنّ ليزبث طرحت عليه سؤالين، أوّلهما عبارة عن دعابة ودّيّة وإن كانت مع الأسف على قدر من الحقيقة. ذلك أنّ المقالات التي نشرها في الآونة الأخيرة لم تعرف تألّقاً لا من ناحية ذكائها ولا من حيث أهميتها الصحفية. كلّ ما فعل هو أنّه قام بالعمل الصحفي المطلوب منه، مستعملاً، على غرار عدد من زملائه، عبارات وصيغاً مبتذلة. وهي حقيقة محزنة. أمّا الأحجية الموجودة في الجزء الثاني من الرسالة، فراقته، لا لأنّ موضوعها يعنيه، بل لأنه يعتزّ بالعثور لها على جواب ذكي.

وقال في نفسه: **ماذا سيقع لو ابتكر الإنسان آلة تفوقه ذكاء؟** توجّه إلى المطبخ، وفتح قنينة ماء ثم جلس إلى المائدة. تناهى إلى سمعه من خلال ضجّة المدينة في البعيد عويل سيارة إسعاف. فأجاب مخاطباً نفسه: **سنتوفّر إذاً على آلة قادرة على إنجاز كلّ الأمور الذكية التي يقوم بها الإنسان، بل قد تفوقه قليلاً، مثل...** ثمّ ضحك حين استوعب المعنى الحقيقي للسؤال: لو كان الإنسان قادراً على ذلك، لمكّنت هذه الآلة بدورها من ابتكار آلة أخرى أذكى، فماذا سيحدث حينئذٍ؟

هكذا يمكن أن يُعاد طرح هذا السؤال إلى ما لا نهاية. بطبيعة الحال تستطيع الآلة الجديدة أن تبتكر شيئاً يفوقها ذكاء، والأمر نفسه للآلة الموالية وهكذا. . . إلى أن يفقد الإنسان، الذي هو أصل هذه العملية، مكانته، وتصير قيمته لا تتجاوز قيمة فأر مختبرات. سنبلغُ حدّاً من الذكاء يتعذّر التحكُّم فيه على شاكلة ما يحدث في سلسلة أفلام **ماتريكس**. ابتسم مايكل، وعاد ليجلس إلى حاسوبه، ثم كتب:

[إذا تمكّن الإنسان من اختراع آلة كهذه، سيجد نفسه في عالم لا تستطيع فيه حتى ليزبث سالاندر أن تتذاكى.]

ثمّ مضى ينظر بهدوء إلى النافذة: كانت العاصفة تحجب الرؤية تماماً. وبين الفينة والأخرى يُلقي نظرة من خلال الباب المفتوح على إريكا التي تغطّ في النوم، والغافلة عن كل ما يتّصل بالحواسيب التي صار ذكاؤها يتجاوز ذكاء الإنسان أكثر فأكثر.

تهيّأ له أنه سمع إشارة صوتية فأخرج هاتفه المحمول. اكتشف أنه توصّل فعلاً برسالة جديدة. ساوره شعور غامض بالقلق: فباستثناء اتّصالات العشيقات الثملات، لا تأتي مكالمات الليل إلا بسيئ الأخبار. شغّل جهاز الردّ الآلي على الفور، فسمع صوتاً ظاهر التوتّر:

«اسمي فرانز بالدر. آسف لاتّصالي بك في هذه الساعة المتأخّرة من الليل، إلا أنني أوجد في وضعية حرجة أشعرتني بالخوف. علمت أنّك حاولت الاتصال بي، وهي مصادفة غريبة. مضت مدّة وأنا أفكّر في أن أحكي لك بعض الأمور أظنّها تهمّك. سأكون لك شاكراً إن عجّلت بالاتصال بي. فالأمر في غاية الخطورة.»

ترك فرانز بالدر رقماً هاتفياً وعنواناً إلكترونياً سجّلهما مايكل،

ووقف متسمّراً للحظة وهو ينقر بأصابعه على مائدة المطبخ، ثمّ ركّب الرقم.

اضطجع فرانز بالدر على سريره. كان قد هدأ قليلاً رغم أنّه لم يتخلّص من الخوف والقلق تماماً. تنبّه في الأخير إلى أن السيارة المركونة أمام مرآبه هي سيارة الشرطيين المكلّفين بحمايته. رجلان في حوالي الأربعين من العمر، أحدهما بالغ الطول بينما الثاني متوسط القامة، لكن رغم ما يبدو عليهما من غرور وإفراط في الثقة بالنفس، كانا مهذبين، إذ اعتذرا على تأخّرهما.

قالا على سبيل التوضيح:

- أخبرتنا غابرييلا غران وميلتون للأمن بالحادث.

كانا يعلمان أنّ رجلاً يضع قبّعة ونظارتين سوداوين حام بالبيت، وأنّ عليهما توخّي الحذر. رفضا بأدب دعوته لشرب كوب شاي ساخن في المطبخ، وقالا إنّ عليهما أن يشرعا على الفور في حراسة المنزل، وهو ما اعتبره فرانز دليلاً على الحكمة والاحترافية. لم يتركا في نفسه انطباعاً جيّداً، لكنهما لم يتركا أيضاً انطباعاً سيئاً. طلب منهما رقمَي هاتفيهما وعاد إلى سريره بجانب أوغست الذي كان لا يزال مستغرقاً في النوم، متكوّماً والسدادتان في أذنيه.

لم يستطع فرانز أن يعود إلى النوم ثانية بطبيعة الحال. ظلّ متوثّباً، يُخيّل إليه أنّه يسمع ضجيجاً وسط العاصفة، وانتهى به الأمر إلى أن استوى على سريره: عليه أن يشغّل ذهنه وإلّا أصابه الجنون. أنصت إلى هاتفه. بلغته رسالتان من لينوس براندل الذي بدا عدوانياً ومتأهّباً للدفاع. وتملّكت فرانز رغبة في أن يقفل الخط على الفور: لم يكن يملك الشجاعة لتحمّل هَذْر لينوس.

لكن شيئاً ما شدّ انتباهه مع ذلك: فقد تحدّث لينوس مع مايكل بلومفيست من جريدة **ميلينيوم**، فأسرّ له برغبته في الاتصال به. وشرد فرانز ثمّ غمغم: «مايكل بلومفيست».

هل يمكن أن يكون هو صلة الوصل بيني وبين العالم؟

لم يكن فرانز بالدر على معرفة عميقة بوسائل الإعلام السويدية، على أنّه يعرف مع ذلك مكانة مايكل بلومفيست. يعلم أنه لا يعالج موضوعاً إلّا أحاط بجميع جوانبه، وأنّه لا يرضخ أبداً للضغوط. لكن فرانز تذكّر أنه سمع عنه أيضاً كلاماً أقلّ لطفاً. كيف له أن يعرف ما إذا كان هو الرجل الذي يتطلّبه الوضع؟ وتذكّر غابرييلا غران الخبيرة بعالم الصحافة التي قالت له بأنها لن تنام باكراً هذه الليلة.

أجابته على الفور:

- كنت سأتّصل بك. وجدتني أتفحّص صور الشخص الذي صورته كاميراتك. سنضطرّ إلى نقلك من ذلك المكان حالاً.

- ما الداعي إلى ذلك يا غابرييلا؟ فقد وصل الشرطيان أخيراً. وهما موجودان عند الباب.

- هذا الرجل لن يعود بالضرورة من المدخل.

- ولماذا سيعود؟ قالوا لي في ميلتون إنّ حالته توحي بأنّه مدمن مخدرات.

- لست متأكّدة من ذلك. فهو يحمل ما يشبه صندوقاً أو جهازاً. أظنّ أنّه من الأفضل توخّي الحيطة.

وألقى فرانز نظرة على أوغست النائم بجانبه.

- أنا مستعد للرحيل من هنا غداً. قد يكون ذلك جيّداً بالنسبة إلى أعصابي. لكنّني لن أبرح مكاني هذه الليلة. يبدو أنّ الشرطيين يقومان بمهمتهما بطريقة احترافية، هذا ما يخيّل لي على الأقل.

- أتُصِرُّ على عنادك؟

- تماماً.

- في هذه الحالة سأطلب من فلينك وبلوم أن يجتهدا قليلاً في حراسة بيتك.

- ممتاز، لكن ليس هذا هو موضوع اتصالي بك. سبق أن نصحتني بالكلام، أتذكرين؟

- أجل... من المؤكّد أنّ مثل هذه النصيحة ليست متوقّعة من السابو. مع ذلك فأنا ما زلت أرى أنّ عليكَ أن تكشف ما تضمر. لكن أودّ منك أن تحكي لنا ما تعرف. لا أخفيك، هذه القصة بدأت تشغل بالي فعلاً.

- لنتحدّث عنها إذاً صباح غد بعد ليلة نوم مريحة. لكن ما رأيكِ في مايكل بلومفيست العامل في **ميلينيوم**؟ هل يمكن أن يكون الرجل المناسب؟

انفجرت غابرييلا ضاحكة.

- إذا شئت أن يصاب كلّ العاملين معي بسكتة قلبية، فتحدّث إليه هو تحديداً.

- إلى هذا الحد؟

- كل العاملين هنا في السابو يفرّون منه فرارهم من الطاعون. كما يُقال: «إذا طرق بلومفيست بابك، اعلم أنّ سنتك ستكون سوداء.» كل مَن يعملون هنا، بمن فيهم هيلينا كرافت، سينصحونك بتجنّبه.

- لكنّني أسألك أنتِ.

- جوابي هو أنّه يحظى بالتقدير. بلومفيست صحافي بارع.

- لكن، ألم يتعرض هو أيضاً للنقد؟

- بلى، قيل عنه كلام كثير في الآونة الأخيرة، من أنّه مُتجاوز،

وأنّ مقالاته ليست على قدر كبير من الأهمية وما إلى ذلك. إنّه صحافي تحقيقات من المدرسة القديمة، لكنّه ممتاز. ألديك عنوانه؟

- سلّمه لي مساعدي السابق.

- حسناً، لكن قبل أن تتّصل به، عليك أن تحكي لنا كلّ شيء. هل تعدني بذلك؟

- أعدكِ يا غابرييلا. أمّا الآن، فسأحاول أن أنام بضع ساعات.

- حسناً، سأبقى على اتصال بفلينك وبلوم، وسأبحث لك عن مكان آمن تلجأ إليه غداً.

أقفل الخط، لكنّه لم يستطِعْ استعادة هدوئه. ومع سوء حالة الجو في الخارج، تحوّلت أفكاره إلى تهيّؤات. تخيّل أن شيئاً مشؤوماً حيكَ هناك في البحر، وهو الآن يتقدّم نحوه. وفي خضمّ اضطرابه المتزايد، كان يرهف السمع لكي يلتقط أيّ صوت غريب.

لقد وعد غابرييلا طبعاً بأن يخصّها بالسبق الصحفي، لكنّه شعر فجأة كما لو أنّه ضاق ذرعاً بالانتظار. كلّ ما كتمه في نفسه منذ زمن بعيد صار يقاوم ليخرج رغم أنّه يدرك عبثيّة هذه النزوة.

لا شيء يبرّر هذه العجلة، فقد كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل. ومهما قالت غابرييلا، فهو بلا شكّ آمن ممّا كان عليه سابقاً. هناك رجلا شرطة يحرسانه، وبيته مجهّز بأجهزة إنذار متطوّرة. على أنّ القلق ما زال ينهشه. عثر على الرقم الذي تسلّمه من لينوس، ورفع السماعة ثمّ ركّبه.

لم يُجِب بلومفيست بالطبع. لماذا أقدم على مهاتفته؟ فالوقت متأخّر جداً. وترك له رسالة بصوت مُجهدٍ وهو يوشوش حتى لا يوقظ أوغست. ثمّ نهض وأشعل مصباح منضدة السرير، وأخذ ينظر في المكتبة الموجودة يمين السرير.

كانت تضم كتباً كثيرة لا صلة لها بمجال عمله. تصفّح بتوتّر رواية

قديمة لستيفان كينغ بعنوان **المقبرة**. لكن هذا لم يعمل إلّا على تأجيج مخيلته لتتمثل شخصيات شريرة متخفيّة في الظلام. وظلّ متسمّراً هنالك لفترة طويلة والكتاب في يده إلى أن هجس له هاجس فجأة. لو أنه راوده في النهار، لكان طرده من ذهنه ببساطة، لكنّه بدا له في هذا الوقت المتأخر من الليل في منتهى الواقعية. تملّكته رغبة مباغِتَة وعارمة في التحدّث إلى فرح شريف أو بالأحرى ستيفن واربورتن الموجود بلوس أنجلس، والذي لا بدّ أن يكون مستيقظاً. وبينما كان يقلّب الفكرة ويتخيّل أفظع السيناريوهات، مضى يتأمّل البحر والليل والسحُب المتصادمة في السماء، رنّ الهاتف كما لو أنه تجاوب مع خواطره. لكن المتصل لم يكن فرح شريف ولا ستيفن.

جاءه صوت من الطرف الآخر من الهاتف:

- أنا مايكل بلومفيست. لعلّك حاولت الاتصال بي.

- تماماً. اعذرني على الاتّصال بك في هذا الوقت المتأخّر.

- لا بأس، فأنا لا أزال مستيقظاً.

- مثلي إذاً، هل يمكن أن نتحدّث قليلاً؟

- بالطبع. أجبت قبل قليل على رسالة جاءت من امرأة نعرفها معاً فيما أظن، تدعى سالاندر.

- مَن؟

- آسف، قد أكون فهمت الأمور مقلوبة. توهّمت أنّك كلّفتها بتفتيش حواسيبكم والكشف عن اختراقٍ تعرّضتم له.

ضحك فرانز وقال:

- أجل، الآن تذكّرت، يا إلهي! إنّها فتاة غريبة الأطوار. كنت على علاقة بها لبعض الوقت، لكنّها لم تكشف لي عن اسمها العائلي قط. ظننت أن لديها مبرّراتها في ذلك، فلم ألحّ. التقيتها بمناسبة

إحدى محاضراتي بالمعهد الملكي للتكنولوجيا. سأحكي لك هذه الحكاية المذهلة، لكن ما كنت أودّ أن أطلبه منك هو... ربّما وجدتَ الفكرة سخيفة...

- تروقني هذه الحكايات السخيفة أحياناً.

- ألا يزعجك أن تلحق بي حالاً؟ الأمر في غاية الأهمية. لديّ ملف على قدر كبير من الخطورة. يمكن أن أدفع عنك أتعاب سيارة الأجرة.

- هذا لطف منك، نحن نتحمل مصاريفنا. لماذا علينا أن نتحدث في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

- لأنّ...

وتردّد فرانز.

- لأنني أشعر بأنّ الأمر في غاية الاستعجال. الواقع أنّ ذلك أكثر من مجرد شعور: علمت بأنّ خطراً يتهدّدني. قبل ساعة تقريباً، اكتشفت أنّ شخصاً يحوم حول منزلي. لا أخفيك خوفي، وأريد أن أتخلص من عبء هذا السرّ. لم أعُد أطيق حمله بمفردي.

- حسناً.

- ماذا تقصد؟

- سآتي... إن توفقتُ في العثور على سيارة أجرة.

أخبره فرانز بعنوانه وأقفل الخط، لكنه سرعان ما رفع السماعة من جديد ليتّصل بالبروفسور ستيفن واربورتن بلوس أنجلس. تجاذبا أطراف الحديث لمدّة عشرين دقيقة تقريباً على خطّ مرموز. ثمّ نهض وارتدى سروال جينز وكنزة من الكشمير سوداء ذات طوق مدوّر، وأخرج زجاجة من الدولاب أعدّها لبلومفيست في حالة ما إذا كان يروقه النبيذ، لكنّه ما كاد يبلغ عتبة الباب حتى جفل من الفزع.

تهيّأ له أنّه شعر بشيء يتحرّك. نظر بقلق باتّجاه الجسر والبحر،

لكنّ المنظر كان لا يزال مقفراً تعبث به الرياح. أجهد نفسه لكي يتخلّص من هذا الإحساس الذي بدا كما لو أنّه تخيّل ما اختلقه ذهنه المشوّش، ثم غادر غرفة النوم مارّاً بمحاذاة النافذة الزجاجية الضخمة ليصل إلى الطابق العلوي. لكنّ هاجساً آخر استحوذ عليه فاستدار بسرعة، وميّز هذه المرّة بوضوح شيئاً جهة منزل جاره سيديرفالس.

ورغم أنّ فرانز لمح بالكاد خيالاً يندفع متخفّياً وسط الأشجار، استطاع أن يلاحظ أنّ الأمر يتعلق برجل قوي، يحمل حقيبة ظهر ويرتدي لباساً غامقاً. كان يجري وهو منكمش على نفسه، يبدو من خلال هيئته وحركته أنّه متمرس بالجري. وأوحت له حركاته الخفيفة الماهرة بمشاهد أفلام الرعب. شعر بما يشبه الخدر لبضع ثوانٍ قبل أن يُخرج هاتفه المحمول من جيبه ويحاول أن يتذكر رقمَي الشرطيين.

عوض أن يسجل الرقمين في ذاكرة الهاتف، اكتفى بتركيبهما من دون أن يسجّل الاسمين، فساوره من ثمّة شكّ. أيّ الأرقام رقماهما؟ جرّب أحدها بيد مرتعشة. سمع الرنة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة قبل أن يسمع صوتاً لاهثاً يردّ:

- هذا بلوم، ماذا جرى؟

- رأيت رجلاً يمرّ بمحاذاة الأشجار جارياً قرب المنزل المجاور. لست أدري أين هو الآن، لكنّه قد يكون قريباً منكما.

- حسناً، سنتحقّق من الأمر.

واسترسل فرانز:

- بدا كما لو. . .

- ماذا؟

- لست أدري، مرّ بسرعة.

أخذ دان فلينك وبيتر بلوم مكانيهما داخل سيارة الشرطة وراحا يتحدّثان عن زميلتهما الشابة آنا بيرزيليوس وعن حجم مؤخرتها الضخم. كان بلوم ودان حديثَي العهد بالطلاق.

كان فراقهما في البداية مؤلماً، إذ كان لهما أطفال صغيري السن، وزوجتان تشعران بالخديعة، وأصهار ينظرون إليهما بوصفهما أوغاداً لا يقدّران المسؤولية. لكن بعد أن استقرت الأمور، ونُظِّمت الحضانة، وعثر كلّ منهما على مسكن جديد، وإن كان متواضعاً، ذهلا معاً للملاحظة نفسها: أنّهما يهانان لحياة العزوبة. خلال الأسابيع التي لا يتعيّن عليهما الإشراف على حضانة الأطفال، يحتفلان بصخبٍ كما لم يفعلا من قبل، ويقضيان بعد ذلك ساعات طوالاً في الحديث عن تفاصيل مغامراتهما، وتقييم أجساد النساء اللواتي قضين الليلة برفقتهما، والتباهي بمواهبهما في السرير.

رنّ هاتف بلوم فانتفضا من الفزع؛ لأنّ بلوم كان قد غير رنّة هاتفه القديمة بأخرى، جديدة من جهة، ثمّ لأنّ الليل والعاصفة ووحشة المكان جعلت الخوف يتسرّب إلى نفسيهما من جهة ثانية. كان بلوم قد حشر هاتفه في جيب سرواله الجينز الملتصق بجسده -ذلك أن محيط خصره زاد بسبب إدمان السهرات الليلية- واحتاج إلى وقتٍ لكي يخرجه. فتح الخط والقلق بادٍ عليه:

- ماذا جرى؟

- لمح بالدر شخصاً مشبوهاً، الظاهر أنه يحاول التسلل إلى البيت.

- أين؟

- في الجهة السفلى، قرب الأشجار وبجانب المنزل المجاور. لكنه يتجه على الأغلب ناحيتنا.

خرج بلوم وفلينك من السيارة، فشعرا بالبرد من جديد. اضطرّا

إلى الخروج مرّات عديدة هذه الليلة الطويلة، لكن هذه هي المرّة الوحيدة التي أحسّا فيها بالارتعاش. مكثا لحظة مكتوفي الأيدي، ينظران ببلاهة يُمنة ويُسرة، ثمّ أخذ بلوم -وهو الأطول قامة- زمام الأمور وطلب من فلينك أن يقف في الطريق بينما ينزل هو باتّجاه البحر.

كان ثمّة منحدر يحاذي سياجاً خشبياً وممشى صغير تحيط به أشجار غُرست حديثاً. كانت تكسو الأرض طبقة ثلج سميكة، والطريق زلقة. وفي الأسفل خليج ينفتح على البحر. واستغرب بلوم من عدم تجمّد الماء. لعلّ الأمواج القوية هي سبب ذلك. لَعَنَ هذه العاصفة التافهة وهذه الحراسة الليلية التي حرمته من نوم يُعيد له حيويته. وشعر بفتور همّته، لكن عليه مع ذلك أن يجتهد في القيام بواجبه.

أصاخ السمع ونظر حواليه، لكنه لم يميّز شيئاً يثير الانتباه. كان الظلام دامساً، ولم يكن ثمّة غير مصباح إنارة عمومية ينشر أشعة ضعيفة بجانب الجسر. واصلَ هبوطه ماراً بجانب مقعد حديقة رمادي أو ربّما أخضر جرفته العاصفة. ثم ما لبث أن لمح طيف فرانز بالدر من خلال النافذة الزجاجية الضخمة.

كان بالدر منحنياً بهيئة متصلّبة على سرير كبير داخل البيت. لعله يرتّب الأغطية وإن كان من الصعب أن يجزم. كان يبدو منشغلاً، ومع ذلك شوّش باله شيء ما في لغة بالدر الجسدية، وللحظة خاطفة فَقَدَ تركيزه، ثمّ ما لبث أن عاد إلى الواقع.

استحوذ عليه شعور مرعب بأنّ أحداً يراقبه، فاستدار بسرعة وراح ينظر حواليه بعينين زائغتين. لم يرَ شيئاً في بادئ الأمر، بل إنّه بدأ يشعر بالارتياح لمّا شاهد شيئين في الآن ذاته: حركة سريعة قرب صناديق القمامة المعدنية ناحية السيّاج، وهدير سيارة في الشارع، وقفت ثمّ انفتح أحد أبوابها.

لا شيء في الأمرين معاً يُنذر بالخطر. فالحركة السريعة قرب القمامة يمكن أن تكون لحيوان من الحيوانات، كما أن وقوف سيارة هنا، حتّى وإن كان في وقت متأخّر من الليل، ليس بالأمر الغريب. ومع ذلك شعر بلوم بالانقباض وتسمّر في مكانه لهنيهة من دون أن يعرف كيف ينبغي أن يتصرّف. وفي هذه اللحظة بالذات تعالى صوت فلينك:

- هناك قادم!

ظلّ بلوم متسمّراً. شعر وكأنّ أحدهم يراقبه، فتحسّس، على نحوٍ يكاد يكون لا شعورياً، سلاحه الوظيفي عند وركه وتذكّر فجأة أمّه وطليقته وأطفاله، كما لو أنّ أمراً خطيراً وشيك الوقوع. لكن أفكاره توقّفت لما هتف فلينك من جديد بصوت أعلى:

- الشرطة، توقّف وإلّا . . .

أسرع بلوم باتجاه الطريق. لم يستطع التخلّص من فكرة أنّه ترك خلفه تهديداً مؤكّداً. لكن بما أنّ زميله يهتف بهذه الكيفية، فليس أمامه خيار آخر، وهو ما خفّف عنه قليلاً. جرى إذاً بأقصى ما استطاع إلى أن وصل إلى الطريق متعثراً.

لمح في البعيد فلينك وهو يطارد رجلاً مترنّحاً ذا ظهر عريض، يرتدي لباساً أخفّ ممّا تتطلّبه برودة الجو. وفكّر بأنّ هذا الرجل من الصعب تصنيفه في نوع المتسللين، لكنّه اندفع مع ذلك لملاحقته. لم تكد تمضي بضع ثوان حتّى نجحا في شلّ حركته بجانب الخندق، على مقربة من بعض صناديق البريد وتحت مصباح عمومي ينشر نوراً ضعيفاً باهتاً.

زمجر فلينك على نحوٍ عدواني غريب كما لو أنّه كان خائفاً منه أيضاً:

- تبّاً! مَن أنت؟

نظر إليهما الرجل نظرة مرعوبة.

لم يكن ملتحياً ولا يضع على رأسه قبعة، وكان الصقيع يغطي شعره. بدا متجمّداً من البرد وفي حالة سيئة، لكن وجهه لم يكن غريباً.

ظن بلوم للحظة أنّهما أمسكا بلصٍّ شهير هارب، وساوره شعور عابر بالفخر.

عاد فرانز بالدر إلى غرفة النوم من جديد لكي يتفقد أوغست أو ربما لكي يخفيه تحت الغطاء تحسّباً لوقوع طارئ. وبينما كان لا يزال تحت سيطرة القلق وتأثير حديثه مع ستيفن واربورتن، خطرت له فكرة مجنونة تفجّرت في البداية على نحو عبثي شجّع الليلُ ودماغٌ شوّشه الخوف والانفعال على انبثاقها. ومع ذلك لم تكن هذه الفكرة جديدة: برْعَمَت في لاوعيه خلال ليالٍ طويلة لم يغمض له فيها جفن لمّا كان في الولايات المتّحدة. أخرج حاسوبه الصغير المحمول الفائق السرعة، الموصول بآلات أخرى عالية الكفاءة، حيث يوجد برنامج الذكاء الاصطناعي الذي نذر له حياته. ثمّ بدا له الأمر مجنوناً فعلاً... ومن دون أن يفكّر، مسح الملف وكلّ نُسَخِهِ الاحتياطية. تصرّف كإله شرّير يدمّر الحياة، وهو ما لم يكن بعيداً عن الحقيقة. ظلّ بلا حراك للحظة وهو يتساءل عمّا إذا كان سيندم على هذا الفعل. فقد أتلف ببضع نقرات العمل الذي قضى في إنجازه حياة بكاملها.

الغريب هو أنّه شعر بمزيد من الهدوء كما لو أنّه اطمأن على أمر واحد على الأقل. ثمّ نهض من جديد، وراح يراقب الليل والعاصفة. وفي هذه الأثناء رنّ هاتفه. إنّه فلينك، الشرطي الآخر.

- أريد أن أخبرك فقط بأنّنا ألقينا القبض على الشخص الذي

لمحت. بعبارة أخرى، يمكنك أن تطمئن الآن. لقد سيطرنا على الوضع.

- مَن هو؟

- لا أستطيع أن أخبرك بشيء الآن. فهو ثمل وعلينا أن نهدّئه. كلّ ما قصدت إليه هو أن أخبرك.

وَضَعَ فرانز الهاتف على منضدة السرير بجانب الحاسوب المحمول، وأجهد نفسه لكي يغتبط. فالشخص المشبوه ألقي عليه القبض، وأعماله لا يمكن أن تطالها الأيادي الآثمة. لكنّه لم يشعر مع ذلك بالأمان. لم يدرك سبب ذلك في بادئ الأمر، ثمّ تنبه إلى أن مسألة الثمالة هذه ليست مستساغة. فالشخص الذي كان يجري بين الأشجار لا تظهر عليه أيّ علامة دالة على الثمالة.

كان بيتر بلوم بحاجة إلى بضع دقائق ليكتشف بأنّ من قبض عليه ليس مجرماً مشهوراً، بل هو الممثل لاس ويستمان. وإذا كان هذا الممثل كثيراً ما يمثل أدوار المجرمين والقتلة في التلفزيون، لم تصدر أي مذكرة بحث ضدّه. عدا أنّ هذا الاكتشاف لم يكن ليهدّئ بلوم. لعلّه ارتكب خطأً لمّا قرر ترك الأشجار وصناديق القمامة في الأسفل، بغضّ النظر عن أن الواقعة يمكن أن تتحوّل إلى فضيحة وتحتل الصفحات الأولى من الجرائد.

إنْ كان ثمة أمر يعرفه حقّ المعرفة عن لاس ويستمان، فهو أنّ تصرفاته السيئة كثيراً ما تشكّل مصدر ربح كبير للجرائد، إضافة إلى أنّ عدم الرضا عن هذا الموقف بادٍ عليه. كان يتألم ويلعن وهو يحاول أن يقف على رجليه. وتساءل بلوم عن سبب مجيء هذا الرجل إلى هذا المكان في ساعة متأخرة من الليل.

سأله:

- هل تسكن هنا؟

فهتف ويستمان:

- ليس عندي ما أقوله، لا شيء عندي البتّة.

التفت بلوم إلى فلينك ليعرف ما وقع قبل مجيئه، لكنّ فلينك كان قد ابتعد لكي يتكلّم في هاتفه مع بالدر على الأرجح. من المؤكّد أنّه يتوق لسماع إطرائه وهو يخبره بأنّهما أوقفا المشتبه به، إن صحّ أنه هو.

استرسل بلوم قائلاً:

- كنت تحوم بمسكن البروفسور بالدر.

- ألم تسمع كلامي؟ لن أقول شيئاً. هل أنا في حلم؟ كنت أتجوّل بهدوء، فإذا بهذا الوغد ينتصب أمامي وهو يلوح بالسلاح. هذا أمر مخزٍ، أتعرف مَن أكون؟

- أعرف من تكون، أرجو أن تعذرنا إن كان تدخّلنا عنيفاً. سنجد الفرصة لاحقاً بلا شك لكي نتحدث في هذا الموضوع. أما الآن، فلدينا وضعية يصعب تدبيرها وأطلب منك أن تخبرني فوراً بسبب قدومك إلى بيت البروفسور بالدر. حذار، لا تحاول الفرار!

وقف لاس ويستمان أخيراً على قدميه، ولم يخطر بباله الفرار البتة: كلّ ما في الأمر هو أنّه كان يجد صعوبة في حفظ توازنه، ثمّ تنحنح بطريقة ميلودرامية، وبصق في الهواء، على أنّ البصقة لم تمضِ بعيداً، بل عادت مرتدّة لتلتصق بخده.

قال وهو يمسح وجهه:

- أأخبركما بالحقيقة؟

- نعم.

- لست أنا هو الشرير في هذه القصة.

ألقى بلوم نظرة قلقة باتجاه البحر والممشى المحفوف بالأشجار وتساءل مرّة أخرى عمّا رأى هنالك. لكنّه مكث في مكانه مع ذلك، كما لو أن عبثية الموقف شلّته.

- ومن هو الشرير؟

- بالدر.

- لماذا؟

- سرق ابن رفيقتي.

- ولماذا سرقه؟

- هذا سؤال لست أنا مَن يملك جوابه. اطرحوه على عبقري الإلكترونيات هناك!

ثمّ أضاف وهو يربت ربتاً خفيفاً داخل جيب معطفه الداخلي، كما لو أنّه يفتش عن شيء.

- لا حقّ له في أن يأخذه.

فقال له بلوم:

- ليس معه أيّ طفل. هذا ما تظنّ.

- بل معه.

- حقّاً؟

- حقاً.

سأله بلوم الذي كان يتأهب لمواصلة استنطاقه بالنبرة المستفزة نفسها:

- وأنت إنما جئت ثملاً إلى هنا في جوف الليل لكي تستعيد الطفل؟

وفي تلك الأثناء سُمعت فرقعة قادمة من البحر.

- ما هذا؟

أجاب فلينك الذي عاد إلى جواره والذي بدا كما لو أنّه لم يسمع شيئاً:

- ماذا؟

لم يكن الصوت قوياً، على الأقل من المكان الذي كان موجوداً فيه، لكن بشرة بلوم اقشعرت من الخوف، وشعر بالشعور نفسه الذي أحسّ به قبل لحظات، لمّا كان بقرب الأشجار. كان على وشك أن ينزل ليلقي نظرة، لكنّه تماطل من جديد. سمّره في مكانه شعور هو مزيج من الخوف والتردد وعدم الكفاءة، وراح ينظر بتوتّر حواليه، فسمع سيارة أخرى تقترب.

تجاوزته سيارة أجرة وتوقفت أمام باب فرانز بالدر، وهو ما منح بلوم ذريعة أخرى ليبقى في مكانه. وبينما كان الراكب يدفع ثمن الرحلة، ألقى من جديد نظرة متردّدة باتجاه البحر، وتهيّأ له مرّة أخرى أنّه سمع صوتاً.

لكن في تلك الأثناء انفتح باب السيارة وترجّل منها رجل. وبعد لحظات من القلق، تبيّن لبلوم أنّ الأمر يتعلّق بالصحافي مايكل بلومفيست، لكن لماذا حضر كلّ هؤلاء المشاهير إلى هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

10

ليلة الواحد والعشرين من نوفمبر

كان فرانز بالدر في غرفته واقفاً بجانب حاسوبه وهاتفه يراقب أوغست وهو يئن أنيناً مقلقاً في سريره، وتساءل عمّا يحلم به ابنه. تاقَ لمعرفة ما إذا كان بإمكانه أن ينفذ إلى عالم حلمه هذا، وأن يفهمه، مثلما تاقَ إلى أن يشرع أخيراً في الحياة عوض أن يظلّ غارقاً في اللوغاريتمات الكوانتية والشفرات المصدرية، وبدل أن يظلّ فريسة للقلق وجنون العظمة.

كان يصبو للسعادة، والتخلّص من ذلك العبء المتواصل، الاندفاع في مغامرة مجنونة ورائعة، لا شيء يمنع من أن تكون غرامية. وتذكّر للحظة خاطفة ومركّزة كلّ النساء اللواتي أغوَيْنَه: غابرييلا وفرح وغيرهما.

تذكّر أيضاً تلك التي تُدعى سالاندر. شعرَ خلال لقائهما الأول كما لو أنّها سحرته، وتهيّأ له وهو يتمثّلها الآن بأنّه يكتشف فيها شيئاً جديداً، يجمع بين الألفة والغرابة في آن. ثمّ خطرت فكرة فجأة: إنّها تذكّره بأوغست. كانت فكرة غريبة بالطبع. فأوغست طفل صغير متوحّد. ورغم أنّ سالاندر كانت شابة أيضاً، ومسترجلة قليلاً، إلّا أنّ تلك الفتاة التي تكتسي بالسواد من رأسها إلى أخمص قدميها، العنيدة والمتشبِّعة بأسلوب حياة البانك، لا جامع بينها وبين ابنه، اللهم تلك

النظرة، وذلك الألق الفريد الذي شعّ في عيني أوغست لما راح يتفرّس أضواء المرور في هورنسغاتن.

التقى فرانز بسالاندر خلال محاضرة بالمعهد الملكي للتكنولوجيا في ستوكهولم لمّا دُعِي لإلقاء محاضرة في موضوع الفرادة التكنولوجية، أيّ تلك المرحلة التي ستصير فيها الحواسيب أذكى من الإنسان. كان قد بدأ محاضرته بشرح مفهوم الفرادة من منظورٍ رياضي وفيزيائي حين انفتح الباب ودخلت إلى المدرج فتاة تتزيّى بالسواد. تأسّف في بادئ الأمر على كون المدمنين لا يملكون مكاناً آخر يلجؤون إليه، ثمّ تساءل ما إذا كانت الفتاة مدمنة على المخدرات حقّاً. لم يكن الإرهاق بادياً عليها، لكنّها ظهرت بالمقابل مكدّرة المزاج، غير عابئة -في الظاهر- بالمحاضرة. كانت جالسة بخمول على المقعد هناك لمّا سألها بغتة عن رأيها في فرادة تحليل رياضي معقّد، حيث تصير الحدود لا نهائية. كان تصرّفاً بائساً ومتغطرساً. لماذا صعقها هكذا بمعارفه البالغة التخصّص؟ لكنّها حين أجابت تركته. . . فاغراً.

رفعت الفتاة رأسها ولاحظت أنّه عوض الإجابة بمصطلحات غامضة، كان حريّاً به أن يتساءل عن أسس حساباته ذاتها، وأنّ هذا ليس برهاناً على الانهيار الفيزيائي للعالم الحقيقي، بل هو بالأحرى دليل على أنّ نظريته الرياضية ليست في المستوى المطلوب، وأنّ خطبته الطويلة هذه حول فرادة الثقوب السوداء ليست سوى عملٍ ديماغوجي، لأن المشكلة الكبرى هي غياب مرمّزة في الفيزياء الكوانتية تسمح بحساب الجاذبية.

بعد أن أحدثت هذه الهزّة الخفيفة داخل القاعة، انبرت على نحوٍ واضحٍ وجذري لنقد منظّري الفرادة الذين ذكرهم، وهو نقد لم يجد معه إلّا أنّ أجاب بذهول: «من أين ساقك إليّ القدر؟».

هكذا جرى لقاؤهما الأوّل، ولم تكن هذه هي المرّة الأخيرة

التي فاجأته فيها ليزبث. كانت لمحة خاطفة منها، أو نظرة من نظراتها المتألقة كافية لفهم تطوّر أبحاثه. وفي اليوم الذي تنبّه فيه إلى سرقة معطياته التكنولوجية، كان من المنطقي أن يطلب معونتها، وصارا منذئذٍ يشتركان في سرّ يقرّب بينهما. هكذا تذكّرها وهو واقف في غرفة نومه.

لكن شعوراً جديداً بالانزعاج أخرجه من استغراقه فجأة، فنظر من خلال إطار الباب باتجاه النافذة الزجاجية الضخمة المطلّة على البحر.

كانت تقف خلفها هيئة ضخمة بلباس غامق، ترتدي قبّعة سوداء شُدّ فوقها مصباح على الجبهة. كان الشخص يحاول فتح النافذة. قام بحركة سريعة قوية شبيهة بحركة فنان يضع آخر لمسة على لوحته، وقبل أن يتمكّن فرانز من الصراخ، تكسرت النافذة بأكملها، ودخل الشخص.

يُدعى هذا الشخص يان هولستر، وهو يزعم أنّه يعمل عموماً على قضايا الأمن لصالح الشركات الصناعية. كان يبحث، وهو في الواقع جندي نخبة سابق في الجيش الروسي، عن طُرُقٍ لاختراق أنظمة الحراسة عوض البحث عن حلولٍ لتحسينها. كان متخصّصاً في مثل هذه العمليات التي تحتاج عموماً إلى عمل تمهيدي على قدر كبير من الدقة لتقليص المخاطر إلى الحدّ الأدنى.

كان محفوفاً بفريق صغير من الأشخاص الأكفّاء. ومع أنّه بلغ مرحلة الكهولة، إذ تجاوز الواحدة والخمسين من العمر، كان يتمتّع بصحة جيّدة بفضل التداريب الكثيفة، وكان مشهوراً بكفاءته وقدرته على الارتجال، يعرف كيف يعدّل مخطّطاته لتتناسب مع الظروف الطارئة.

كانت تجربته تعوّض ما كان فَقَدَه من حيويّة، وكان كثيراً ما يردّد

وهو يتحدّث إلى فريقه الصغير أنّه يتمتّع بحاسّة سادسة. وقد تعلم بمرور السنوات اختيار اللحظة التي تقتضي الانتظار وتلك التي تستوجب التدخّل. ورغم مروره بفترة من الاكتئاب العميق قبل سنوات، مرحلة عَلَتْهُ فيها علامات الضعف أو الإنسانية، على حدّ تعبير ابنته، فهو يشعر بنفسه الآن في أحسن حال، وأفضل من أيّ وقت مضى.

استعاد ما كان يحسّ به من متعة في تنفيذ العمليات المهمّة. وإذا صحّ أنه يتناول دائماً عشرة غرامات من الستيسوليد قبل الإقدام على أيّ عملية، فإنما كان ذلك من أجل اكتساب مزيد من الدقة في استعمال السلاح. وهو أمر لم يكن يؤثّر على وعيه ويقظته في المواقف الحرجة، ويساعده دائماً على إنجاز مهمّته. ولم يكن يان هولستر من النوع الذي يتراجع أو يخون. هكذا كان ينظر إلى نفسه.

على أنّه كاد هذه الليلة يُعرِضُ عن العملية رغم إلحاح مَن كلّفه بها على ضرورة تنفيذها فوراً. صحيحٌ أنّ للظروف الجويّة السيئة جانباً من المسؤولية، لكن العاصفة وحدها غير كافية لتجعله يفكّر في التراجع. فهو روسي وجندي سالف، وسبق له أن حارب في ظروف أسوأ من هذه بكثير، وهو يكره الشكائين البكائين.

كان سبب قلقه الحقيقي هو الحماية البوليسية التي حلّت بالمكان من دون سابق إنذار. لكن ذلك لم يكن ليثبّط من همّته، فقد راقبَ الشرطيين من مخبئه، وتابعهما وهما يتجولان في الحديقة لاهيين مثل طفلين أُكرها على اللعب في الخارج رغم البرد. أما بقيّة الوقت، فلجآ إلى سيارتهما ليتجاذبا أطراف الحديث. ثم إنّ الخوف بادٍ عليهما، لا سيما أطولهما الذي يفزع لأبسط حركة.

بدا كما لو أنّ هذا الشخص يخشى الظلمة والعاصفة والبحر الهائج. مكثَ للحظة هناك مرعوباً، يحملق في الأشجار لأنّه استشعر

ربّما وجود يان. لم يكن وجوده في حدّ ذاته يبعث على القلق، إذ كان بوسعه أن يذبحه بحركة رشيقة مكتومة في أيّ لحظة.

لكن هذا لم يكن هو الاختيار المثالي، لأنه حتّى وإن كان هذان الشرطيان جبانين، فإن الحراسة البوليسية ترفع المخاطر بشكل ملحوظ. إلّا أنّ هذا يؤشر على أن جزءاً من المخطّط تسرّب، وأن الإجراءات الأمنية عُزّزت، بل لعلّ البروفسور شرع في تسريب الأسرار، وفي هذه الحالة، ستفقد العملية معناها، بل يمكن أن تفاقم الوضع. ويان لا يرغب بأيّ حال من الأحوال تعريض من كلّفه بالمهمة إلى مخاطر لا لزوم لها. وهو يعتبر هذه المزية من مَواطن قوته، أيّ التفكير دائماً فيما بعد العملية، بحيث يحرص دائماً إلى توخي الحذر.

إن عدداً هائلاً من المنظمات الإجرامية في بلده الأمّ انهارت بسبب جنوح أفرادها إلى العنف. صحيح أن العنف يمكن أن يُحِلَّ الصمت ويفرض الاحترام، ويزرع الخوف ويقي من بعض المخاطر، لكنّه قد يتسبّب أيضاً في بثّ الفوضى وخلق سلسلة من الآثار غير المرغوب فيها. هذا ما كان يفكّر فيه وهو متوارٍ خلف الأشجار وصناديق القمامة، بل إنّه استنتج خلال بضع ثوان أنّ عليه أن يوقِف العملية ويعود إلى الفندق.

ثمّ ما لبث الوضع أن تغيّر. ذلك أنّ أحدهم حلّ بالسيارة وشغل الشرطيين، فابتهل يان لتلك الفرصة، ومن دون أن يفكّر وضَعَ المصباح على جبينه، وأخرج المنشار الماسي وسلاحه المجهز بكاتم الصوت وردّد في سره كالعادة:

- فلتكن مشيئتك، آمين.

لكن الريبة لم تفارقه مع ذلك، فظلّ متسمّراً في مكانه لهنيهة. أهذا هو الاختيار الأنسب حقاً؟ كان الموقف يقتضي التصرّف بسرعة فائقة. فهو يحفظ تصميم البيت عن ظهر قلب، وقد سبق لجوري أن

حلّ بالمكان وقرصن نظام الإنذار مرّتين. ثمّ إن الشرطيين لا تبدو عليهما الاحترافية. وحتّى إنْ صادف ما يؤخّره بالداخل -من قبيل أن يكون البروفسور قد وضع حاسوبه بجانب سريره كما أكّدوا له، وأن يهبّ الشرطيان لنجدته- فإنّ يان قادر على التخلّص من الجميع من دون أدنى صعوبة، بل إنّ هذا الاحتمال أشعَرَه بشيء من الابتهاج. وغمغم للمرة الثانية:

- فلتكن مشيئتك، آمين.

إثر ذلك أزال صمام أمان سلاحه، وتقدّم بسرعة نحو النافذة الزجاجية الضخمة المشرفة على البحر، وأطلّ منها ليتفحّص البيت من الداخل. لعلّ الشكوك التي كانت تشغل باله هي التي دفعته إلى التصرف بسرعة فائقة، لا سيما لمّا أبصر فرانز بالدر واقفاً في غرفة نومه وهو مستغرق. حاول أن يُقنع نفسه بأنّ ذلك أمر جيّد: فالهدف واضح تمام الوضوح. لكن إحساساً دفيناً سيطر عليه من جديد، ودفعه إلى إعادة تقويم الوضع: أليس حريّاً به أن يتراجع؟

كلا. ضمّد عضلات ذراعه الأيمن ومضى يقطع الزجاج بالمنشار الماسي، ثمّ دفعه، فسقط مُحدِثاً ضجة مدوّية. اندفع إلى الداخل وقد صوّب السلاح على فرانز بالدر الذي راح يتفرّسه وهو يلوح بيده. ثمّ شرع البروفسور، وهو في شبه غشية، يردّد خطبة غامضة أشبه بصلاة أو ابتهال. لكن عوض كلمة «الرب» أو «اليسوع»، التقطت أذنا يان كلمة «معتوه». كان هذا كلّ ما استطاع فهمه من كلامه، وهو كلام لا يناسب المقام على كلّ حال. وقد سبق له أن سمع من الناس في مثل هذه اللحظات كلّ ما يمكن تصوّره من غريب الكلام.

لكن يان لم يُظهِر ذرّة شفقة.

وبسرعة البرق، ومن دون حسّ تقريباً، عَبَر الطيف الممرّ متوجّهاً إلى غرفة النوم. بوغت فرانز وفاجأه عدم انطلاق صفارة الإنذار، كما لاحظ عنكبوتاً رمادية مرسومة على قميص الرجل، تحت كتفه تماماً، وندباً دقيقاً يعبُر جبينه الشاحب تحت المصباح الجبهي.

ثمّ أبصر السلاح. صوّب الرجل مسدسه إليه، فرفع يده في حركة يائسة ليحتمي وهو يفكّر في أوغست. نعم، بينما كانت حياته في خطر حقيقي والخوف ينشب أنيابه فيه، فكّر في ابنه، ولا شيء غير ابنه. لا يهمّه أن يموت هو، لكن ليس أوغست، فهتف:

- لا تقتل ابني! إنّه متخلف ذهنياً ولا يفهم شيئاً.

لم يَكَد بالدر ينهي جملته حتى تجمّد كلّ ما من حوله، وبدا كما لو أنّ الليل والعاصفة في الخارج انقضّا عليه، واسودّت الدنيا في عينيه.

ضغط يان هولستر على الزناد وتأكّدت بذلك توقعاته: تصويبه لا يخطئ الهدف أبداً. أصاب فرانز بالدر برصاصتين في الرأس، فخرّ على الأرض صريعاً بكل تأكيد. لكن شيئاً ما بدا له في غير موضعه. داعبت قفا يان هبّةُ ريح آتية من البحر كما لو أنّها كائن من جليد، وتساءل لثانية أو ثانيتين عمّا يحدث له.

كلّ الأمور جرت حسبما توقّع، وأبصر حاسوب بالدر في المكان الذي قيل له تماماً، ولم يعُد أمامه إلّا أن يلتقطه ويختفي بسرعة، لكنّه ظلّ مع ذلك متسمّراً في مكانه، ولم يفهم سبب ذلك إلّا بعد أن نظر حواليه.

كان ثمّة طفل صغير مشعّث الشعر، ممدّد على السرير الواسع، يكاد لا يظهر تحت الغطاء، يراقبه بنظرات كابية، وهي نظرات حرّكت

مشاعره، لا لأنّها بدت كما لو أنّها تقرأ ما يجول في ذهنه فحسب، بل لسبب آخر أيضاً.

ومهما يكن، فلن يغيّر هذا من الأمر شيئاً. ينبغي أن ينهي مهمّته، ويطمس ما قد يهدّد سريّة العملية أو يعرّض فريقه ومن كلّفه بالعملية لأدنى خطر. وهو قد وجد نفسه هنا أمام شاهد عيان. من المستحيل أن يخلّف وراءه شاهداً، لا سيما لمّا ينفذ العملية بوجه مكشوف. هكذا صوّب مسدسه إلى الطفل، وحدّق في عينيه المتلألئتين على نحو غريب، وغمغم للمرّة الثالثة:

- فلتكن مشيئتك، آمين.

ترجّل مايكل بلومفيست من سيّارة الأجرة وهو ينتعل حذاء عالياً أسود وسترة فرو بيضاء بياقة واسعة من جلد الغنم عثر عليها بخزانة ملابسه، وقبّعة فرو ورثها عن أبيه.

كانت الساعة تشير إلى الثانية وأربعين دقيقة. وكان برنامج إيكونيتي قد أعلن عن وقوع حادثة سير خطيرة تسبّبت فيها شاحنة كبيرة بإغلاقها فارمدوليدن. لكن مايكل والسائق لم يلاحظا شيئاً خلال عبروهما الضاحية المُظلمة التي لم يكن يُسمع فيها غير صفير الرياح. وقد كان مايكل في غاية الإرهاق، ولا يرغب إلّا في شيء واحد: العودة إلى بيته والخلود إلى سريره بجانب إريكا.

لكن شقّ عليه أن يرفض طلب بالدر، وهو أمر لم يفهم مبعثه. ربّما لأنّ الأمر يتعلّق بواجب من واجباته، أو لأنّه تحرّج من الخلود للراحة في وقت تجتاز فيه الجريدة ظروفاً عصيبة. كما أنّه شعر بالتعاطف مع هذا الرجل، فرانز بالدر، الذي يبدو وحيداً ومذعوراً. وهو مع كلّ ذلك لم يتوقّع أن يعثر لديه على شيء مثير. وبذلك هيّأ

نفسه للخيبة. ربّما ألفى نفسه يلعب دور معالج نفسي أو حارس في ليلة عاصفة. كيف له أن يعرف من دون أن يجازف بالتجربة؟ ثمّ تذكّر ليزبث. فهي لا تُقدِم أبداً على شيء من دون مسوّغات وثيقة. ثمّ إنّ فرانز بالدر هذا شخص مثير حقّاً، لم يوافق قطّ على إجراء حوار مع الصحافة. وقال مايكل في نفسه وهو ينظر إلى الظلمة من حوله إنّ اللقاء سيكون بلا شكّ مميّزاً.

كان ثمّة مصباح إنارة عمومية ينشر نوراً خافتاً ضارباً للزرقة يضيء منزلاً أنيقاً ذا هندسة متميّزة، بنوافذ زجاجية ضخمة تشبه في تنضيدها وشكلها نوافذ قطار. وإلى جانب صندوق البريد وقف شرطي فارع الطول في حوالي الأربعين من عمره، ذو بشرة مشوبة بسمرة، يبدو على وجهه مزيج من الارتباك والتوتّر. وأبعد منه قليلاً في الشارع يتشابك زميل له، قصير القامة، مع رجل ثملٍ يلوِّح بذراعيه. كان المكان أشدّ حركة ممّا توقّع.

سأل الشرطي الطويل:

- ماذا وقع؟

لم يُجب الشرطي عن السؤال، وفجأة أخذ هاتفه يرنّ، وفهم مايكل من خطابه أنّ أمراً خطيراً حدث. الظاهر أنّ نظام إنذار المنزل اختلّ، وفي تلك الأثناء سمع دويّ فرقعة في البعيد حوّلت انتباهه عن الإنصات لكلام الشرطي. وربط مايكل بصورة غريزية بين الفرقعة وموضوع المكالمة. تقدّم لبضع خطوات إلى اليمين، فأبصر منحدراً يقود إلى جسر ينشر عليه مصباح عمومي ثانٍ الضوء نفسه المائل إلى الزرقة، وفي تلك الأثناء لمح طيفاً يخرج من الظلمة، فأيقن أنّ الوضع بدأ يأخذ منحى خطيراً.

كان يان هولستر على وشك أن يضغط على الزناد لتصفية الطفل لمّا تناهى إلى سمعه صوت سيارة تعبُر الشارع، فزاده ذلك تردّداً. لم يكن ذلك بسبب السيارة فحسب، بل لأنّ صدى عبارة «متخلف ذهنياً» كان لا يزال يتردّد في ذهنه. فالبروفسور كانت له كلّ الذرائع، وهو في آخر لحظات حياته، ليكذب. على أنّ يان تساءل وهو يتفرّس الطفل عمّا إذا كان قول بالدر صادقاً.

كان الطفل في منتهى الهدوء، تشي تعابير وجهه بالدهشة أكثر من الخوف، كما لو أنه لم يفهم شيئاً ممّا يقع. كان من المتعذّر أن يستنتج المرء من نظرته الساهمة أنه استوعب أي شيء.

كانت نظرته نظرة كائن أبله أخرس، وتذكر فجأة مقالة قرأها في أثناء تحرياته عن البروفسور. لبالدر طفل يعاني من إعاقة شديدة. وتبعاً لما أوردته الجرائد، فإنّ المحكمة رفضت أن تمنحه حضانة الطفل بعد طلاقه. لكن الطفل موجود هنالك، ولم يجد يان الشجاعة للإجهاز عليه. لم يعد يرى لذلك ضرورة. سيكون عملاً عبثياً، هذا فضلاً على أنه لا يتماشى مع أخلاقيات مهنته. وما إن اتخذ قراره حتى غمره شعور كبير بالارتياح، وهو أمر كان سينتبه لخطورته لو كان في كامل وعيه في تلك الأثناء.

خفض سلاحه وتناول الحاسوب الموضوع على منضدة السرير ووضعه في حقيبة ظهره، ثم اختفى في الظلمة. على أنه لم يكد يتوغل قليلاً حتى سمع صوتاً خلفه فاستدار. كان ثمة رجل يقف في الأعلى قرب الطريق. لم يكن شرطياً، بل رجلاً يلبس سترة فرو ويضع على رأسه قبعة، تشي هيئته بهيبة غريبة. ربما هذا هو ما جعل يان يُشهر سلاحه كما لو أنه اشتمّ رائحة الخطر.

كان الرجل الهارب يرتدي لباساً أسود، ويعلّق مصباحاً في جبينه، فوق قبعته. وكان فيما يبدو في كامل لياقته البدنية. وتهيّأ لمايكل أنّ هذا الشخص يمثّل جزءاً من عملية منسّقة، وتوقّع أن يلمح أشخاصاً آخرين مثله في الظلام، ممّا ولّد لديه شعوراً بالضيق. فصرخ:

- توقّف يا هذا!

وما إن أبصر مايكل الشخصَ يتسمّر في مكانه على شاكلة محارب في ساحة المعركة حتّى أدرك أنّه أخطأ. ولمّا أخرج الشخص سلاحه وأطلق الرصاص بتلقائية مذهلة، كان مايكل قد اختبأ خلف ركن البيت. بالكاد سُمِعت الطلقة، لكن بمجرّد ما ارتطمت الرصاصة بصندوق بريد بالدر، أيقن الصحافيّ أنّ الوضع في غاية الخطورة. أوقف أطول الشرطيين المكالمة الهاتفية فجأة وتجمّد في مكانه، كما لو أصابه الشلل. وكان الشخص الوحيد الذي بدر منه ردّ فعل فوري هو السكران الذي راح يصرخ بصوت عالٍ، صوت لم يكن غريباً عن بلومفيست:

- تبّاً، ما هذه الفوضى؟ ماذا جرى؟

أما الشرطيان، فراحا يوشوشان بصوت متوتّر:

- أأطلقَ أحدهم النار؟

- هذا ما تهيّأ لي.

- ماذا نفعل؟

- ينبغي طلب التعزيزات.

- لكنّه سيلوذ بالفرار.

فأجاب الشرطي الطويل:

- ينبغي أن نتأكّد من الأمر.

أخرجا سلاحيهما بحركة ثقيلة متردّدة، كما لو أنّهما قصدا إلى

إتاحة الفرصة للشخص الذي أطلق النار ليهرب، ثمّ نزلا باتجاه الجسر.

كان ثمّة كلب ينبح بعيداً في الظلام، كلب صغير شرس، وقوّة الريح القادم من البحر تتزايد، وندف الثلج تسقط على الأرض المكسوة بالجليد. زلق الشرطي القصير وكاد أن يسقط، فلوّح بيديه في الهواء مثل مهرّج. ولولا أن حالفهما الحظ لكانا التقيا الرجل ذا اللباس الأسود. وقال مايكل في نفسه لو صادفاه لما وجد صعوبة في إزاحتهما من طريقه. فالسرعة التي استدار بها وأخرج مسدّسه تشهد على أنه مدرب على هذا النوع من المواقف، وتساءل للحظة عمّا إذا كان عليه هو أيضاً أن يفعل شيئاً من جانبه.

لم يكن يملك شيئاً يدافع به عن نفسه، لكنّه نهض ونفض الثلج عن ملابسه ثمّ ألقى نظرة حذرة إلى أسفل المنحدر. بدا الوضع هادئاً، والشرطيان يسيران بمحاذاة الماء باتجاه الفيلا المجاورة. أمّا الرجل فلم يعُد له أثر. وشرع مايكل ينزل بدوره، فلمح أنّ إحدى النوافذ مكسّرة.

كان ثمّة ثقب ضخم يفضي إلى المنزل، وتساءل ما إذا كان عليه أن ينادي الشرطيين، لكنّه لم يفعل. وسمع صوتاً خافتاً، أنيناً بالكاد يُسمع، فتسلّل إلى الداخل. قطع ممرّاً كانت أرضيته الخشبية الجميلة تلمع لمعاناً خافتاً في الظلام. وتقدّم ببطء نحو الباب المفتوح. لا مجال للشكّ، فالصوت قادم من هناك.

هتف:

– أنا مايكل بلومفيست يا بالدر، ماذا وقع؟

لم يصله أيّ جواب، لكنّ صوت الأنين علا. أخذ نفَساً عميقاً ودخل إلى الغرفة قبل أن يتسمّر في مكانه. لم يستطع لاحقاً أن يذكر ما رأى لأوّل وهلة، ولا ما الذي أرهبه أكثر.

لم يكن منظر الجسد الميّت الممدّد على الأرض، والدم وتعبير الوجه والنظرة الجامدة هو ما أخافه. لعلّ ما أفزعه أكثر هو المشهد على السرير الواسع، وإن كان لم يستوعب ذلك على الفور. طفل في السابعة أو الثامنة من العمر، ذو قسمات دقيقة وشعر أشعث بالغ الشقرة، يرتدي منامة موشّاة بمربعات زرقاء، يضرب جسده بقوة إلى رأس السرير وإلى الجدار. بدا كما لو أنّه يسعى لإيذاء نفسه بكل ما أوتي من قوّة. وهو حين يئنّ، لا يصدر صوت طفل يبكي ويتألم، بل صوت ضربات عنيفة. هرع مايكل إليه من دون أن يفكّر، لكن ذلك لم يسوّ من الأمر شيئاً، إذ شرع الطفل يضرب برجليه في كلّ الاتجاهات.

هتف مايكل:

- اهدأ، اهدأ!

طوّقه بذراعيه، لكنّ الطفل شرع يتلوّى بقوة مذهلة وتمكّن في رمشة عين -ربما لأنّ مايكل كان يخشى من أن يطبق عليه بقوّة- من أن يحرّر نفسه ويهرب باتجاه الممرّ إلى أن بلغ النافذة، وارتمى بقدمين حافيتين على حطام الزجاج. تبعه مايكل وهو يصرخ: «كلا، كلا!»، وحينئذٍ التقى بالشرطيين.

كان الارتباك الشديد بادياً على وجهيهما.

11

الواحد والعشرون من نوفمبر

لوحظ من جديد بعد هذا الحادث أنّ الشرطة لم تتّخذ الإجراءات اللازمة، ولم تنصب أيّ نقطة تفتيش بالقرب من المكان، بحيث تمكّن الرجل الذي اغتال بالدر من مغادرة مسرح الجريمة بسهولة، لا سيما وأنّ الشرطيين اللذين وصلا أولاً إلى هناك، بيتر بلوم ودان فلينك، واللذين كانا يُنعتان بنوع من السخرية «زيرَي النساء»، تأخّرا في إطلاق الإنذار، أو أنّهما لم يطلقاه بما يلزم من حزم وجدية.

لم يصل تقنيّو ومحقّقو الشرطة الجنائية إلى عين المكان إلّا عند الساعة الثالثة وأربعين دقيقة صباحاً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى شابّة قدّمت نفسها باسم غابرييلا غران. مَن يشاهد سحنتها المرهقة الشاحبة لأوّل وهلة يعتقد أنّها إحدى قريبات الهالك، لكن سرعان ما سيتبين أنّها محلّلة بعثها رئيس السابو شخصيّاً. على أنّ هذا اللقب الجديد لم يغيّر شيئاً كبيراً من وضع غابرييلا. فسواء أكان ذلك بسبب الأفكار المسبقة المعادية للنساء، المترسّخة بين رجال الشرطة، أو لِمجرّد الرغبة في إشعارها بأنّها غريبة عن القضية، فإنهم كلّفوها بمهمة واحدة هي العناية بالطفل.

قال إيريك زيترلاند، المسؤول عن التحقيقات هذه الليلة، لمّا رأى غابرييلا تنحني على قدم الطفل لتتفحّص جراحه:

- يبدو أن لديك معرفة بالعلاجات الأوليّة.

سارعت غابرييلا إلى الردّ بنوع من الحدّة بأنّ لديها أموراً أخرى تفعلها، لكنّها ما لبثت أن استسلمت لنظرات الطفل. كان مرعوباً وجاثماً على الأرض في حالة بائسة، يمسح بيده على السجّاد الفارسي الأحمر. أما بيتر بلوم، الذي لم يُظهر حتّى تلك اللحظة همّة متقدة، فراح يضع ضمادات على رجلي الطفل بعد أن نزع جوربيه. وقد لوحظت على كامل جسده كدمات زرقاء، وفلحة على شفته، فسّرها الصحافي مايكل بلومفيست -الذي كان حضوره يزيد الجو في المنزل توتراً- بأنّه ضرب رأسه بالسرير وجدار غرفة الطابق الأرضي، قبل أن يدوس بقدميه الحافيتين حطام الزجاج في الممر.

وما لبثت غابرييلا غران، التي تردّدت على نحوٍ غريب في تقديم نفسها إلى بلومفيست، أن تنبّهت إلى أنّ أوغست كان شاهداً، لكنّها لم تنجح في التواصل معه وتهدئته. وبطبيعة الحال لم تحقّق ملاطفاتها أيّ نتيجة. وبدا أوغست أكثر هدوءاً لمّا جلست غابرييلا على مَبعدة منه، وانشغلت بشؤونها. ولم تظهر عليه الاستجابة إلا لمّا ذكرت في معرض حديثها مع هيلينا كرافت رقم الشارع: 79. لكنّها لم تنتبه لذلك فوراً.

بعد ذلك بقليل، نجحت في الاتصال بوالدة أوغست التي صدمها الخبر، وعبّرت عن رغبتها في استرجاع ابنها حالاً. كما أنّها طلبت منها طلباً غريباً: أن تأتيه فوراً بقطع البوزل، ولا سيما تلك التي تمثّل السفينة الحربية فازا. عدا أنها لم تتّهم، بالمقابل، طليقها بمحاولة اختطاف الطفل. ولم تستطع أن تقدِّم توضيحات إضافية حول حلول خطيبها بمنزل فرانز، وإن كان ظاهراً أنّ ما جاء بـ«لاس ويستمان» إلى هناك ليست هي عاطفة الأبوة.

يساعد الطفل في نظر غابرييلا على تفسير أمور عديدة. فهمت الآن لماذا كان بالدر يبدو مراوغاً أحياناً، ولماذا رفض الحصول على

كلب حراسة. وطلبت حضور محلّل نفسي وطبيب على وجه السرعة، لكي يقدّما لأوغست الإسعافات الأولية، كما نصحت بتسليمه لأمه شريطة أن تكون قادرة على رعايته. ثمّ انصرف ذهنها إلى أمر آخر.

قالت في نفسها إنّ الدافع إلى الاغتيال ليس بالضرورة إسكات بالدر. لعلّ المجرم اقتحم البيت لسرقة شيء ما غير المال بطبيعة الحال. وفكّرت في أعمال بالدر. كانت تجهل ما تفرّغ له طوال هذه السنة. قد لا يكون أحدٌ عالِماً بذلك سواه. لكن يمكن افتراض أنّه واصل تطوير برنامج الذكاء الاصطناعي الذي قيل عنه في الفترة التي قُرصِن فيها إنّه برنامج ثوري.

وحسَبَ ما ألمح إليه فرانز مرّة، فإنّ كلّ زملائه في سوليفون حاولوا التسللّ إلى ذلك البرنامج، لكنه كان يرعاه مثلما ترعى أمّ صغيرها، وهو ما يعني أنّه لم يكُن يُفارقه، حتّى خلال الليل. نهضت وطلبت من بيتر بلوم أن يراقب أوغست ثمّ نزلت إلى الطابق الأرضي حيث توجد الغرفة التي شرع تقنيو الشرطة العمل فيها.

سألت:

- هل عثرتم على حاسوب هنا؟

حرّك التقنيون رؤوسهم دلالة على النفي، فأخرجت غابرييلا هاتفها لكي تتّصل بهيلينا كرافت.

تنبّه زيترلاند بسرعة إلى اختفاء لاس ويستمان. لعلّه اغتنم الفوضى العارمة التي وقعت لكي يتوارى عن الأنظار. وممّا ضاعف من غضب إيريك زيترلاند، المسؤول المؤقت عن التحقيقات، هو أنّ ويستمان لم يكن موجوداً في بيته أيضاً.

عزم المحقّق على إصدار مذكرة بحثٍ عنه، ممّا جعل زميله

الشاب أكسل أندرسون يسأل عمّا إذا كان لاس ويستمان يعدّ عنصراً خطيراً. لا شكّ أن الأمور التبست على أندرسون بحيث لم يعُد يميّز بين ويستمان والشخصيات التي يؤدّيها في السينما.

لم يكن الاغتيال ناتجاً عن خلاف عائلي مألوف بالطبع، أو عن سكر أو حتى عن غضب، بل هو عملية قتل متعمّدة استهدفت باحثاً سويدياً مرموقاً. ولعلّ ما عقّد العملية أكثر هو اتّصال قائد الشرطة يان هنريك رولف، وتنبيهه إلى أنّ الاغتيال ينبغي أن يُعتبر ضربة خطيرة وجِّهت للمصالح الصناعية السويدية. هكذا وجد زيترلاند نفسه فجأة مسؤولاً عن التحقيق في قضية سياسية داخلية ذات أهمية بالغة. ولم يكن بحاجة إلى أن يكون خريج مدرسة الشرطة ليدرك أنّ كل حركة من حركاته قد تكون له تداعيات خطيرة على مستقبل التحقيق.

لم يسبق لزيترلاند الذي احتفل بعيد ميلاده الواحد والأربعين قبل يومين -وما زال يعاني من مخلّفات الحفل- أن واجه تحقيقاً من هذا النوع. وهم إنّما كلفوه مؤقتاً بهذه المسؤولية لغياب موظفين أكفاء تلك الليلة، ولأنّ رئيسه لم يشأ إيقاظ أولئك السادة أعضاء لجنة الريكسريم(*) (Rikskrim) المكلّفة بالتحقيق الجنائي أو محققين آخرين من شرطة ستوكهولم يفوقونه خبرة.

كان زيترلاند يصرخ وسط هذه الفوضى العارمة بالأوامر وقد تملّكه شعور شديد بعدم الثقة في النفس. بدأ باستجواب سكان المنازل المحيطة. رغب في الحصول بسرعة على أكبر عدد من الشهادات الممكنة، رغم عدم تعويله كثيراً على النتائج التي يمكن أن تسفر عنها. من المستبعد أن يكون الجيران رأوا شيئاً في جوف ليلة مظلمة عاصفة. لكن لا بدّ من المحاولة. استجوب أيضاً مايكل بلومفيست، وسأله عن

(*) اختصار Rikskriminalpolisen أي الشرطة الجنائية الوطنية.

سبب وجوده هناك. لم يكن وجود أحد أشهر صحافيي السويد في مسرح الجريمة ليسهّل مهمة زيترلاند. وتهيّأ له أنّ بلومفيست يتفحّصه بعين ناقدة، كما لو أنّه كان يهيّئ لمقالة قاتلة. لكن، لعلّ هواجسه هي التي توحي له بهذه التهيؤات. فالظاهر أنّ بلومفيست كان لا يزال متأثراً بالصدمة، وأنّه بدا لبقاً خلال كلّ أطوار الاستنطاق، وأظهر أقصى ما يستطيعه من تعاون. لكنّ شهادته لم تكن ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى التحقيق. فقد وقعت الأحداث بسرعة فائقة، وهو ما يشكل معلومة أولى بحسب الصحافي.

إنّ نجاعة المشتبه وسرعة تنقّله تدعو إلى افتراض أنّه جنديّ أو سَبَقَ أن خدم في الجيش، بل قد يكون من جنود النخبة. بدا من حركاته لحظة استدارته، واستعماله للسلاح أنّه شخص متمرّس.

رغم المصباح المثبت على القبعة السوداء المشدودة، لم يستطع بلومفيست تمييز قسمات وجهه. كانت المسافة الفاصلة بينهما بعيدة، ثمّ إنّه ارتمى على الأرض بمجرّد ما استدار الشخص ناحيته. وعليه أن يحمد الله حقّاً على أنّه ما زال على قيد الحياة. وكلّ ما يستطيع القيام به هو وصف هيئته الجسدية وملابسه، وهو أمر لا يخلو من أهميّة. فحسب تصريحاته، لم يكن الرجل شابّاً، بل ربّما تجاوز الأربعين، لكنّه يتمتع بلياقة بدنيّة عالية. وهو طويل القامة، بين متر وخمسة وثمانين سنتيمتراً ومتر وخمسة وتسعين، قويّ البنية، رشيق وعريض المنكبين. ينتعل حذاء عالياً، ويرتدي بذلة سوداء من الطراز العسكري. كما أنه يحمل حقيبة ظهر ويعلق ربّما سكيناً على ساقه اليمنى.

يظنّ بلومفيست أنّ الرجل فرّ هارباً باتّجاه البحر والمنازل المجاورة، وهو ما يتساوق مع شهادتَي بلوم وفلينك. وقد أفاد الشرطيان من جانبهما بأنّ الوقت لم يسعفهما لرؤية الرجل، وأنّهما تعقّباه اعتماداً على وقع خطواته بمحاذاة الشاطئ، لكن من دون

جدوى. هذا ما زعماه على الأقل. وزيترلاند يخامره شيءٌ من الشكّ في تصريحاتهما.

من الراجح أنّ بلوم وفلينك عجزا عن التصرّف بسبب الوجل والذعر في الظلمة. ومهما يكن، فالخطأ الأخطر ارتُكِب في هذه المرحلة. كان من اللازم تنظيم تدخّل بوليسي وجرد كلّ منافذ المنطقة لإقامة نقط تفتيش، لكن فلينك وبلوم فيما يظهر كانا ما زالا لم يعلما بوقوع الجريمة. ثمّ ألفيا نفسيهما إثر ذلك منشغلين بطفل صغير مذعور خرج من المنزل جارياً. من الصعب أن يحافظ المرء على هدوئه في مثل هذه الظروف. لكنهما ضيَّعا الوقت مع ذلك. ورغم أن مايكل بلومفيست بدا رزيناً في نقله للوقائع، لكن الانتقاد كان جلياً في وصفه لمجرياتها. ذلك أنه سأل الشرطيين مرّتين عمّا إذا كانا قد وجَّها إنذاراً، ولم يتجاوز الجواب الذي تلقاه إيماءة غامضة من رأسيهما.

ولمّا التقط مايكل لاحقاً بضع جُملٍ من الحديث الذي دار بين فلينك ومقر الشرطة، فهم أنّ تلك الإيماءة كانت تدل ربّما على النفي، أو في أحسن الأحوال على عدم الفهم. باختصار تأخّر إطلاق الإنذار، وحتى بعد إطلاقه، لا شيء جرى كما ينبغي، ربّما لأنّ الشلل أصاب المتدخلين على كلّ المستويات بسبب تقرير فلينك المرتبك. وقد سرّ زيترلاند لكون هذا الخطأ لم يُحسب عليه. فهو لم يكن قد تدخل بعد في هذه المرحلة. أما الآن فهو حاضر بعين المكان، وعليه أن يحرص على ألّا يزيد الطين بلة، لا سيما أن خدماته في الآونة الأخيرة لم تكن متألقة، والوقت ليس مناسباً لكي يرتكب خطأ يثير عليه موجة من السخرية، بل لربما كانت هذه فرصة مواتية ليبرهن على كفاءته.

وهو واقف عند عتبة باب غرفة الجلوس راح يتأمل المحادثة التي أجراها من توّه مع ميلتون للأمن حول الطيف الذي ظهر على صور كاميرات المراقبة في وقت سابق من الليل. ذلك أن أوصاف هذا

الشخص لا تتناسب مع المعطيات التي أدلى بها بلومفيست حول المجرم المفترض، إذ وصفوه له على أنه مدمن مخدرات، عجوز وضعيف البنية. لكن يبدو أنه يمتلك مع ذلك مؤهلات تكنولوجية لا يُستهان بها. فاستناداً إلى ما أوردته ميلتون للأمن، فإنه هو مَن قرصن جهاز الإنذار وعطّل كلّ الكاميرات وأجهزة الكشف، وهو ما يزيد الوضع إرباكاً. لا يبدو ترتيب الاغتيال عملاً احترافياً فحسب، بل إن عدم تراجع المجرم عن تنفيذ جريمته أمام الحراسة البوليسية ولا أمام أجهزة الإنذار الفائقة التطور، يشهد على ثقة بالنفس لا حدود لها.

كان على زيترلاند أن يلتحق بالتقنيين في الطابق الأرضي، لكنه ظل متسمراً يحملق في الفراغ وهو مشوش البال، ثم حطّ بصره على ابن بالدر. فهذا الطفل هو شاهدهم الوحيد، لكنه يبدو عاجزاً عن الكلام وعن فهم كلمة ممّا يُقال له، ومن ثمة فلا داعي للتعويل عليه.

راقب زيترلاند للحظة الطفل الذي كان يمسك بقطعة بوزل كبيرة، ثمّ اتجه نحو السلم الدائري المفضي إلى الطابق الأرضي، لكنه سرعان ما تجمّد في مكانه. تذكّر الانطباع الأول الذي ولَّده الطفل في نفسه. ذلك أنه عندما حلّ بالمكان في بادئ الأمر، ولم يكن يعرف حينئذٍ شيئاً عمّا وقع، بدا له الطفل عادياً، لا يختلف عن بقية الأطفال. لا شيء يميزه باستثناء نظرته المشوشة وجسده المتصلب، بل كان من الممكن أن يصفه زيترلاند بأنّه طفل لطيف، بعينيه الواسعتين وشعره المجعّد. ولم يعلم بأنّه متوحد وذو إعاقة شديدة إلّا لاحقاً، وهو أمر لم ينتبه إليه بنفسه، ممّا يعني أنّ القاتل -في نظره- يعرف الطفل، أو يعرف حالته، وإلا ما كان ليُخاطر بتركه حيّاً. ثمّ تقدّم زيترلاند باتّجاه الطفل بخطى سريعة وهو مستغرق في أفكاره، وقال بلهجة حادّة وصوت أعلى ممّا قصَد:

- ينبغي استجواب الطفل حالاً.

فأجابه بلومفيست الذي كان موجوداً بجواره صدفة:
- يا إلهي، رفقاً بالطفل!
فهتف به زيترلاند:
- هذا أمر لا يعنيك. لعلّه يعرف المجرم، علينا أن نأتيه بألبوم صور ونعرضه عليه. ينبغي أن نعثر على وسيلة. . .
قاطعه الطفل ببعثرة قطع البوزل بحركة غاضبة، فغمغم زيترلاند معتذراً، ثمّ التحق بالتقنيين.

لما اختفى إيريك زيترلاند باتجاه الطابق الأرضي، بقي مايكل هناك يراقب الطفل. وشعر كما لو أنّ شيئاً يقع بداخله من جديد، لعلها نوبة جديدة تتهيأ، فخشي من أن يجرح نفسه ثانية. لكن عوض ذلك، تسمّر ومضى يحرك يده اليمنى فوق السجادة بسرعة فائقة.

ثمّ توقف فجأة ورفع رأسه وهو ينظر نظرة متضرّعة، فتساءل مايكل للحظة خاطفة عن دلالة تلك النظرة، لكنّه هجر هذه الفكرة لمّا جلس أطول الشرطيين، بيتر بلوم كما سمعهم ينادونه، بجانب الطفل وحاول أن يَشْغَلَه من جديد بلعبة البوزل. اغتنم مايكل هذه الفرصة ليلوذ بالمطبخ بحثاً عن شيء من الهدوء. كان في غاية التعب ووَدَّ لو يعود إلى بيته. لكن يبدو أنّهم يريدون منه أن يتفحّص بضع صور التقطتها إحدى كاميرات المراقبة من دون أن يحدّدوا له متى سيكون ذلك. كان كلّ شيء يجري بطيئاً ويعوزه النظام، وقد كادت رغبته في الخلود إلى فراشه أن تتحوّل إلى يأس.

كان قد اتّصل بإريكا مرّتين وأخبرها بما وقع تلك الليلة. ورغم شحّ المعلومات التي توفّرت لهما حينئذٍ، كانا متفقين على ضرورة أن يكتب مايكل ورقة مطولة للعدد القادم. لم تكن قصة الاغتيال وحدها

التي تستحقّ أن تُحكى، بل هناك أيضاً حياة فرانز بالدر. فقد شاءت الظروف أن يطّلع مايكل مباشرة على القضيّة، وهو ما يعطيهم امتيازاً مقارنة بمنافسيهم. وستشكّل المكالمة التي تلقّاها في وقت متأخّر من الليل، والتي كانت سبباً في مجيئه إلى هناك، الحدث الأبرز في المقالة.

لم يشعر أيّ منهما بالحاجة للعودة إلى الحديث الذي دار بينهما حول موضوع سيرنر والأزمة التي تجتازها المجلة. لم يعد ثمّة شكّ في أنّهما سيكافحان، وقد كانت إريكا قد قررت أن تعهد للصحافي المؤقّت أندري زاندر بالقيام بالأبحاث التمهيدية في الوقت الذي سيأوي فيه مايكل إلى فراشه لأخذ قسط من الراحة. قالت له بصوت يمزج بين حنان الأمّ وسلطة رئيسة التحرير إنّها ترفض أن ترى أفضل مراسليها منهك القوى وهو ما زال لم يبدأ العمل.

رحّب مايكل بالعرض. فأندري شخص مثابر ولطيف، وسيكون من الرائع أن يجده بعد أن يستيقظ قد جمع كلّ الوثائق اللازمة، وربّما وضع أيضاً لائحة بأسماء أشخاص من محيط بالدر عليه استجوابهم. وتذكّر في لمحة خاطفة، كما لو أنّه أراد أن يريح فكره قليلاً، تلك الليالي التي حدّثه فيها أندري بحانة كفارنين عن مشاكله الدائمة مع النساء. كان شابّاً ذكياً وجذّاباً، وكلّ شيء فيه يؤهله ليكون زير نساء. لكنّ الأمر كان ينتهي بهنّ دائماً إلى هجره، ربّما بسبب عدم ثقته في نفسه أو لضعف شخصيته، وهو ما كان يؤذيه كثيراً. كان أندري شخصاً رومانسياً لا سبيل لتغييره، دائم الحلم بحب عظيم وبسبقٍ صحفي كبير.

جلس مايكل ومضى يتأمّل الظلمة في الخارج. كان على الطاولة أمامه علبة عود ثقاب وعدد من مجلة **نيو ساينتست** وكراسة مليئة بمعادلات ملغزة وبجانبها رسم ساحر يصوّر ممرّاً لعبور الراجلين، وشخصاً مقطّباً، ذا نظرة مشوشة وشفتين دقيقتين بجانب ضوء المرور.

رُسم وهو يتحرك، ومع ذلك كانت صورته من الوضوح بحيث يستطيع المرء أن يرى أدقّ تجعيدة على وجهه، وكذا الطيّات الموجودة على سترته وسرواله. لم يكن بادي اللطف، وكان بالإمكان تمييز شامة تشبه قلباً على ذقنه.

لكن الشيء الأبرز في الرسم كان هو ضوء المرور، بنوره الساطع المحيّر. كان قد رسم بدقة رياضية، بحيث تكاد تظهر الخطوط الهندسية الخفيّة التي تسند الرسم للعيان. لا شكّ أن فرانز بالدر كان يرسم خلال أوقات فراغه. وتساءل مايكل عن هذا الموضوع غير المألوف الذي اختار معالجته في هذا الرسم.

ثمّ، ماذا سيدعو شخصاً مثل بالدر إلى رسم مشاهد الغروب أو المراكب؟ مهما يكن، فضوء المرور لا يقلّ أهمية عن باقي المواضيع. وقد أعجب مايكل بانطباع الآنية الفوتوغرافية التي يوحي بها الرسم. الظاهر أنّ بالدر قضى وقتاً طويلاً في دراسة هذا المشهد، ولعله لم يستطع -عن حقّ- أن يطلب من الرجل عبور الشارع مرّات ومرّات، بل لربما كان الشخص من خياله، وإلا فإنه يملك ذاكرة فوتوغرافية على غرار. . . وشرد مايكل في أفكاره. ثمّ تناول هاتفه واتصل بإريكا للمرّة الثالثة.

سألته:

- أأنت في طريق العودة إلى بيتك؟

- ليس بعد للأسف. سيعرضون عليّ بعض الصور قبل انصرافي. أريد أن أطلب منك خدمة.

- أنا هنا لخدمتك.

- هل يمكن أن تذهبي إلى حاسوبي وتَصِليه بالشبكة؟ تعرفين كلمة المرور، أليس كذلك؟

- أعرف عنك كلّ شيء.

- ممتاز. اذهبي إلى المستندات وافتحي الملف الذي يسمى [علبة ليزبث].
- أظنني خمّنت قصدك.
- صحيح؟ أرجو أن تكتبي ما يلي في الملف...
- انتظر لحظة، ينبغي أن أفتحه أولاً. ها هو قد فتح... انتظر هناك أشياء كثيرة مكتوبة فيه.
- دعيها عنك. أريدك أن تدوّني هذا تحت ما هو مكتوب، أتتابعيني؟
- أتابعك.
- اكتبي:

[لقد مات فرانز بالدر -وهو أمر قد تكونين على علم به- يا ليزبث. قُتل بطلقتين في رأسه. هل يمكن أن تبحثي عن الباعث الذي قد يكون وراء اغتياله؟]

- هذا كلّ ما هناك؟
- هذا يكفي. انقطع الاتصال بيننا منذ مدّة. من المؤكد أنّها ستجد طلبي هذا غير مهذّب، لكن مساعدتها لن تكون عديمة الجدوى.
- تقصد أنّ قليلاً من القرصنة لن يكون عديم الجدوى.
- لم أسمع شيئاً. سأعود إلى البيت بعد قليل، إنْ حالفني الحظ.
- أتمنى أن يحالفك.

نجحت ليزبث في العودة إلى النوم، ولمّا استيقظت كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحاً. لا يمكن القول إنّها كانت في كامل لياقتها. كانت تعاني من صداع شديد وقلبها يؤلمها. لكنّها شعرت بنفسها مع

ذلك أفضل. ارتدت ملابسها بسرعة وتناولت فطوراً عبارة عن فطيرتين محشوّتين باللحم سخّنتهما في الميكرويف، وكأس كوكا. ثمّ حشرت ملابس رياضية في حقيبتها السوداء وغادرت. كانت العاصفة قد مرّت، ونفايات وأوراق جرائد جرفتها الرياح متناثرة في الشوارع. نزلت إلى ميدان موزباك قبل أن تسير بمحاذاة غوتغاتن.

لعلّها كانت تغمغم بمفردها وقد بدا عليها الغضب. تنحّى شخصان عن طريقها مذعورين، عدا أنّها لم تكن غاضبة. كلّ ما في الأمر أنها هادئة وواثقة. ورغم أنّها لم تكن مستعدّة لحصّة تداريبها الرياضية، صمّمت المحافظة على إيقاعها المألوف، وتخليص جسمها من سمومه. مرّت إذاً على هورنسغاتن وانعطفت يميناً قبل أن تصل هورنسغاتبوكلن لتقصد نادي الملاكمة زيرو الواقع في قبو، والذي بدا ذلك اليوم أسوأ من المعتاد.

كان المكان بحاجة إلى إصلاحٍ وإلى تجديد طلائه. لم يتغيّر فيه شيء منذ عام 1970، لا مظهره الداخلي ولا ملصقاته. ما زالت صورتا محمّد علي وفورمان تزيّنان جدرانه. وما زال يبدو كما كان غداة المقابلة الخرافيّة التي جرت بكنشاسا، ربّما لأنّ أوبنز، المسؤول عن المحلّ، شهد المقابلة في طفولته قبل أن ينطلق جارياً تحت الأمطار الموسميّة وهو يصيح بأعلى صوته: «علي بومايي!» كان ذلك الجري هو أسعد ذكرى في حياته، الذكرى التي ترسم حدود ما يسميه: «آخر يوم من زمن البراءة».

اضطرّ بعد وقت قصير من ذلك إلى الفرار مع أسرته من الرعب الذي نشره موبوتو. ومنذئذٍ تغيّر كلّ شيء. لذلك لم يكن غريباً ربّما أن يحرص على حفظ تلك اللحظة التاريخية في قاعة ملاكمة بئيسة بستوكهولم. وما زال أوبنز لا يترك فرصة تبدر إلّا ويتحدّث عن تلك المقابلة.

أمّا ما عدا ذلك، فلم يكن لسانه يفتر عن الكلام، وفي كلّ المواضيع. لم يكن، بقامته الطويلة، وجثّته الهائلة، ورأسه الأصلع، يضاهيه أحد في الثرثرة. كما كان أحد أعضاء النادي الكثر الذين لا يخفون إعجابهم بليزبث، رغم أنّ معظمهم يعتبرونها مجنونة. فهي تدمن أحياناً على التدريبات، وتُظهر طاقة وشراسة لم يرَ لهما أوبنز مثيلاً أبداً، حتّى إنه اقترح عليها يوماً، قبل أن يعرفها، أن تتبارى معه، فما كان جوابها إلّا أن زمجرت في وجهه. ومنذئذٍ لم يعُد لهذا الطلب. لكنّه لم يعرف قطّ لماذا كانت تتدرّب بتلك القساوة، رغم أنّ لا شيء يدعوها لكلّ تلك التدريبات. ولعلها كانت محقّة لما زعمت ذات مساء، قبل ذلك بسنة تقريباً، أنّها تريد أن تكون مستعدّة جسدياً تحسباً لأيّ طارئ أو ورطة غير متوقّعة.

كان يعلم أنّها تواجه بعض المشاكل. بحث على غوغل، وقرأ عن كلّ ما يتعلّق بها، وفهم -هو من قُتِل والداه على يد رجال موبوتو- بأنّها ترغب في أن تكون مستعدّة لمواجهة أيّ شبح يعود من الماضي لإيذائها.

ما لم يفهمه بالمقابل هو السبب الذي كان يدعوها أحياناً للتخلّي تماماً عن التدريب، والخلود إلى الخمول والعيش على الوجبات السريعة غير الصحية. كان عاجزاً عن فهم تقلّب مزاجها. وهي لما تخطّت باب القاعة هذا الصباح، بلباسها الأسود وتخاريمها (Piercings) كان قد مضى أسبوعان على آخر لقاء لهما.

- صباح الخير أيتها الحسناء، أين اختفيت؟

- كنت أقوم بأشياء لا قانونية.

- هذا ما ظننته. لعلّك أوسعت عصابة من الدراجين لكماً؟

لم تُجِبْ على دعابته وتوجّهت عابسة إلى حُجرة إيداع الملابس.

كان يعرف أنّها تمقت كلّ ملاطفاته، لكنّه انتصب أمامها مع ذلك وقال:

- عيناك حمراوان.
- أعاني من خُمار شديد، تنحَّ عن طريقي!
- اعلمي أنّني لا أريد أن أراك هنا.
- كفاك هراء.

زمجرت وهي تتّجه إلى غرفة إيداع الملابس:

- أريدك أن تجعلني ألفظ رئتيّ.

عادت وهي ترتدي شورت ملاكمة واسعاً وقميصاً أبيض رسمت عليه عند الصدر جمجمة سوداء. ولم يجد بدّاً من أن جعلها تلفظ رئتيها. مضى يدرّبها إلى أن قاءت ما في معدتها في سلة المهملات، كلّ ذلك وهو يصرخ بها مقرّعاً ومؤنّباً. ولم تكن هي تسكت له، بل كانت تصرخ في وجهه بدورها. ثمّ هبّت لارتداء ملابسها وانصرفت من دون حتّى أن تودّعه. وانتاب أوبنز، كعادته في مثل هذه اللحظات، شعور بالفراغ. لعلّه متعلّق بها. مهما يكن، فإنّها أثّرت فيه، وكيف للمرء ألا يتأثّر بشابة بارعة في الملاكمة مثلها؟

كان آخر شيء أبصره منها بطّتي ساقيها وهما تختفيان عند أعلى السلم. لم يعلم أنّ ليزبث شعرت بالدوار بمجرّد خروجها إلى الشارع. استندت إلى جدار العمارة، والتقطت نفساً عميقاً، ثمّ أكملت طريقها إلى شقّتها في فيسكارغاتن. شربت بمجرّد وصولها كأساً آخر من الكوكا، ونصف لتر من العصير، ثمّ اضطجعت على سريرها وراحت تتأمّل السقف لبضع دقائق، تاركة ذهنها يشرد مفكّراً في الفرادة وأفق الأحداث والثقوب السوداء، وبعض خصائص معادلة شرودينغر وإيد دي نيد، وأشياء كثيرة أخرى.

انتظرت إلى أن فارقها الدوار، فقامت وعادت إلى حاسوبها. كان

يشدّها إليه رباط لا ينفصم منذ طفولتها. غير أنّها لم تكن تنوي بالمقابل الاستغراق في أشياء بالغة التعقيد هذا الصباح. اكتفت بالدخول إلى حاسوب بلومفيست، وما كادت تفعل حتّى تسمّرت في مكانها. رفضت تصديق ما قرأت. في اليوم السابق فقط، كانت تمزح مع بالدر، وها هو مايكل يقول إنه لقي حتفه بطلقتين في الرأس.

غمغمت وهي تقرأ آخر الأخبار على الإنترنت:

- اللعنة!

لم يُذكر اسمه صراحة، لكن لم يكن من الصعب التعرّف عليه من خلال الأسطر القليلة المخصّصة لـ«اغتيال أكاديمي سويدي في بيته في سالتسخوبادن». كانت الشرطة تسعى للحفاظ على سرّية الحدث فيما يبدو، والصحافيون ما زالوا لم يحفلوا بالقضية لأنهم لم يقدّروا بعد أهميتها. هذا فضلاً عن انشغالهم بتغطية أحداث أخرى تلك الليلة، من قبيل العاصفة والأعطال التي تعرضت لها شبكة الكهرباء في البلد بكامله، وتأخّرات القطارات وأخبار غيرها تتعلّق بالمشاهير.

كلّ ما رشح عن الاغتيال هو أنّه وقع حوالي الثالثة صباحاً، والشرطة ما زالت تبحث عن شهود بين الجيران. لم يكن ثمّة مشتبه به، لكن بعض الشهود أفادوا بأنهم رأوا أشخاصاً مشبوهين في حديقة المنزل. والبحث ما زال جارياً عن هؤلاء الأشخاص. وذكرت المقالات أنّ مؤتمراً صحفياً سيُعقد في وقت لاحق من النهار برئاسة المفتش جان بابلانسكي. فابتسمت ابتسامة كئيبة. ذلك أنّها تعاملت في مناسبات عديدة مع بابلانسكي أو «بوبول» كما يلقّبونه أحياناً. إن لم يفرضوا على فريقه بعض الأغبياء، سيقود التحقيق بكفاءة كبيرة على الأغلب.

ثمّ قرأت رسالة مايكل مرّة ثانية. هو يطلب مساعدتها، فأجابت على الفور ومن دون تفكير: «موافقة»، ليس نزولاً عند رغبته فحسب،

بل لأنّها جعلت هي أيضاً من هذه القضية قضيّة شخصية. لم يكن الحِداد من عاداتها، على الأقل بمعناه التقليدي، بخلاف الغضب. وهو غضب هادئ مقيم. وهي إن كانت تحترم جان بابلانسكي، فإنها لا تثق بالمقابل في الشرطة ثقة عمياء.

كانت متعوّدة على أخذ زمام المبادرة، ثمّ إنّ دواعي البحث عن أسباب اغتيال بالدر لم تكن قليلة. لم يكن اتّصالها به، واهتمامها بقصّته من باب الصدفة. فأعداء بالدر هم أيضاً أعداؤها.

كلّ شيء انطلق من السؤال القديم المتعلّق بمعرفة ما إذا كان أبوها سيستمرّ في أنشطته بشكلٍ من الأشكال أم لا. فألكسندر زالاشنكو، أو زالا، لم يقتل أمّها ويدمّر طفولتها فحسب، بل كان يرأس شبكة إجرامية، ويتاجر في المخدرات والأسلحة، وقضى حياته في استغلال النساء وإهانتهن. وقد كانت ليزبث واثقة من أنّ شرّاً كهذا لا يزول، بل يعمد إلى تغيير شكله فقط. ومنذ أن أيقظها حلم ذات صباح بإحدى غرف فندق شلوس إلمو بمنطقة الألب البافارية، قبل ما يزيد قليلاً عن سنة، وهي تحقّق بنفسها لكي تكشف ما تبقّى من ذلك الإرث.

معظم شركائه في الجريمة صاروا لصوصاً قذرين أو قوّادين. لم يكن أحد منهم من عيار أبيها، وقد اعتقدت ليزبث لفترة طويلة أنّ منظّمته الإجرامية تفكّكت بعد موته، لكنّها لم تتخلّ مع ذلك عن بحثها، وانتهى بها الأمر إلى أن عثرت على خيط يقود باتّجاه لم يكن متوقّعاً البتّة. خيط ينطلق من أحد الشابين الذين استقطبهما زالا، ويدعى سيغفريد غروبر.

منذ أن كان زالا على قيد الحياة، عُدَّ غروبر أحد أذكى أعضاء الشبكة. فهو، بخلاف الأعضاء الآخرين، درس في الجامعة وحصل في الآن ذاته على دبلوم في الإعلاميات وتدبير المقاولات، ممّا مهّد له

الطريق لولوج شبكات أكثر انغلاقاً. واسمه يظهر اليوم في العديد من قضايا القرصنة المعلوماتية وسرقة المعلومات التكنولوجية والابتزاز وجرائم ذوي التخصص العالي.

لم تكن ليزبث تنوي المضيّ بعيداً في تتبّع هذا الخيط. فرغم تورّط غروبر، لم تكن صلته بأنشطة أبيها سابقاً ظاهرة. ثمّ إنها لا تعبأ بسرقة ابتكارات بعض الشركات الغنية. لكن شيئاً جعلها تغيّر رأيها. فقد عثرت بالصدفة على تقرير سري لـ GCHQ اكتشفت فيه بعض أسماء الشفرات المرتبطة بهذه العصابة التي بدا أنّ غروبر التحق بها، وهي أسماء بثّت الفزع في نفسها. ومنذئذٍ لم تترك تلك الحكاية. بحثت عن كلّ ما بوسعها أن تعثر عليه عن هذه الجماعة إلى أن وقعت على إشاعة التقطها أحد مواقع القرصنة الإلكترونية، تفيد بأنّ إحدى المنظمات الإجرامية قد تكون سرقت معطيات فرانز بالدر التكنولوجية، وباعتها لشركة روسية أميركية تحمل اسم تروغيمز (Truegames).

كان هذا هو سبب حضورها محاضرة البروفسور بالمعهد الملكي للتكنولوجيا، ومشاكسته في موضوع الفرادة الجذبية الكامنة في قرار الثقوب السوداء، أو هو بالأحرى سبب من بين أسباب أخرى على كلّ حال.

II

متاهة الذاكرة

21-23 نوفمبر

الإيديطيقا (Eidétique) هي دراسة الأشخاص الذي يملكون ذاكرة فوتوغرافية أو مشهديّة. وقد أبرزت الأبحاث أنّ من يتوفّرون على هذه الذاكرة هم أسرع من غيرهم إلى التوتّر والانفعال العصبي. ومعظم مَن لديهم هذه الذاكرة متوحّدون، لكن ليسوا جميعاً. هناك علاقة أيضاً بين الذاكرة التصويريّة والتكامل الحسّي (Synesthésie)، تلك الظاهرة التي تجمع بين حاسّتين أو أكثر - من قبيل التناسب بين الحروف والألوان أو الربط بين الأرقام ومواقع مكانية.

12

الواحد والعشرون من نوفمبر

ابتهج بابلانسكي لأنّه سيستفيد من يوم عطلة ويستمتع بمحادثة مطوّلة مع الحَبر غولدمان، من طائفة سودر، حول بعض القضايا المرتبطة بوجود الله التي شغلت باله في الآونة الأخيرة، لا لأنّه أخذ ينزلق نحو الإلحاد، بل لأنّ مفهوم الله بدأ يصير لديه إشكالياً أكثر فأكثر، فشعر من ثمّة بحاجة ملحّة إلى الحديث عنه، وكذا الحديث عن إحساسه بأنّ كلّ الأشياء بدأت تفقد معناها، أو عن حُلمه بمغادرة الشرطة. كان جان بابلانسكي يعتبر نفسه محقّقاً ماهراً. وقد كانت نسبة توفّقه في التحقيقات استثنائية، ولذلك كان عمله يستهويه. لكنّه لم يكن متأكّداً من رغبته في قضاء بقية حياته في حلّ ألغاز جرائم القتل. عليه ربّما أن يغيّر هذه المهنة قبل فوات الأوان. كان يحلم بالتعليم ومساعدة الناس على الارتقاء والثقة في أنفسهم، ربّما لأنّه كان يعاني هو نفسه من التشكّك. لكن أيّ شعبة يختار؟ لم يختَرْ جان أبداً العمل في مجال من مجالات الخبرة، بل القدر هو الذي ساقه إلى مجال القتل العنيف وانحرافات البشر المرضيّة. من المؤكّد أنّ هذا ليس هو ما يرغب في تدريسه. كانت الساعة تشير إلى الثامنة وعشر دقائق. وقف أمام المرآة، واعتمر طاقيته اليهودية. وحدّث نفسه بأنّ أيام عزّها ولّت، يوم كانت تلفت الأنظار بزرقتها الفاتحة. أما الآن فتبدو باهتة

كابية، مثله تقريباً. كان أصلع متعباً، وشَعَر بنفسه ثخيناً. رفع رواية سانجر: **ساحر لوبلان** (*Le Magicien de Lublin*) وهو شارد. وقد كان مولعاً بها أيّما ولع إلى حدّ أنّه تركها بالقرب من المرحاض منذ سنوات، يلجأ إلى قراءة مقطع منها كلما اختلّت حركة أمعائه. وفي هذه المرّة ما كاد يقرأ بضعة أسطر حتى رنّ هاتفه. كان المتّصل هو النائب العام إكشتروم، وهو أمر لم يكن ليرفع من معنويّاته. فإكشتروم لا يتصل في الغالب إلّا إذا تعلّق الأمر بقضية ذات رهانات سياسية-إعلامية.

ردّ بابلانسكي مجاملاً:

- مرحباً ريتشارد، سعدتُ بمكالمتك، لكنّني مشغول للأسف...

- ما الذي يشغلك...؟ كلا يا جان، لا يمكن أن تفوّت هذه الفرصة. قيل لي إنّك في عطلة اليوم.

- تماماً، أتأهب للذهاب...

وفضّل ألا يذكر له «الكنيس». فلا أحد في العمل يعلم بعقيدته اليهودية. ثمّ استرسل:

- ... إلى الطبيب.

- هل أنت مريض؟

- ليس تماماً.

- ماذا تقصد؟ هل تعاني من اضطراب الشخصية الحدي[1]؟

- شيء أشبه بهذا.

- الأمر ليس خطيراً إذاً. كلّنا نعاني منه. اتّصلت بك من أجل

(1) Borderline: نوع من أنواع اضطراب الشخصيّة من أبرز أعراضه وجود اندفاعية مميّزة وعدم اتّزان في التعبير عن المشاعر وفي العلاقات مع الأشخاص وفي صورة الذات.

قضيّة مهمة يا جان، تتابعها وزيرة الصناعة شخصيّاً وبدا لها من البديهي أن تقود أنت التحقيق.

- لا تزعم أنّ ليزا غرين تعرفني!

- لعلّها لا تعرفك بالاسم، والقرار لا يعود إليها، لكنّنا متفقون جميعاً على حاجتنا إلى شخص محنّك.

- الإطراء لا يفيد معي يا ريتشارد.

لكنّه سرعان ما ندم لمّا سأل:

- بِمَ يتعلّق الأمر؟

ورأى ريتشارد إكشتروم في إقدامه على طرح هذا السؤال نجاحاً صغيراً.

- اغتيل البروفسور فرانز بالدر هذه الليلة في منزله بسالتسخوبادن.

- ومن يكون فرانز بالدر هذا؟

- أحد أشهر باحثينا على المستوى العالمي. عالم دولي في مجال الذكاء الاصطناعي.

- في أيّ مجال؟

- كان يبحث في شبكات الخلايا الدماغية، والعمليات الكوانتية المطبّقة في الإلكترونيات، وفي أمور من هذا القبيل.

- ما زلت لم أفهم شيئاً.

- ببساطة كان يحاول أن يُكسِبَ الحواسيب ملكة التفكير، ويجعلها قادرة على محاكاة الدماغ البشري.

- محاكاة الدماغ البشري؟

وتساءل جان بابلانسكي عن رأي الحَبر غولدمان في هذا الأمر.

استرسل ريتشارد إكشتروم:

- نشتبه في أنّه كان ضحيّة تجسّس صناعي في الآونة الأخيرة. هذا هو ما دعا وزارة الصناعة إلى الاهتمام بهذه القضية. من المؤكد

أنك على علم بخطابات ليزا غرين حول أهمية حماية البحوث والابتكارات السويدية.

- نعم، ربّما.

- الظاهر أنّ بالدر تلقّى تهديدات. وقد كان تحت الحماية البوليسية.

- أتقصد أنّه قتل رغم الحماية؟

- لعلّهم كلّفوا بحراسته رجلَي شرطة ليسا من أجود العناصر في البلد... فلينك وبلوم.

- تقصد زيرَي النساء؟

- نعم، بُعِثا على وجه السرعة إلى عين المكان هذه الليلة. لكنّ الجو كان عاصفاً. وحتّى لا نظلمهما، ينبغي الاعتراف بأنّ مهمتهما لم تكن سهلة. أصيب فرانز بالدر برصاصتين في رأسه حين كان الشرطيان يحاولان شلّ حركة سكّير لا يعرفان كيف حلّ بالمكان. لعلّ القاتل استغلّ انشغالهما بهذه الواقعة.

- هذا لا يبشر بخير.

- تماماً، فقد نُفّذت العملية باحترافيّة كبيرة، والأخطر هو أنّ الجُناة قرصنوا نظام الإنذار فيما يظهر.

- كانوا جماعة إذاً؟

- هذا ما يُعتقد، فضلاً عن...

- عمّاذا؟

- أنّ هناك كمّاً كبيراً من التفاصيل المؤسفة.

- التي ستستغلها وسائل الإعلام استغلالاً فظيعاً؟

واستطرد إكشتروم:

- سيبتهجون بها. السكّير مثلاً هو لاس ويستمان.

- الممثل؟

- هو بلحمه ودمه. وهذا أمر مزعج للغاية.

- لأنّه سيظهر في عناوين الصحف؟

- هذا من جهة، لكننا قد نجد أنفسنا أمام قصة طلاق معقّدة. فويستمان يلحّ على أنّه حلّ بالمكان ليَستعيد ربيبه ذا الثماني سنوات. وقد كان برفقة بالدر، طفل... انتظر قليلاً... إذا لم أخطئ... فبالدر هو أبوه البيولوجي، لكنّ المحكمة أصدرت حكماً بسحب الحضانة منه بحجّة عدم قدرته على العناية به.

- كيف لبروفسور يعلّم الحواسيب محاكاة ذكاء الإنسان ألّا يكون قادراً على العناية بابنه؟

- لأنّه أخلّ بمسؤولياته على نحو خطير. إذا صحّ فهمي، فقد تفرَّغ لعمله عوض العناية بابنه. باختصار، كان أباً حقيراً. ومهما يكن، فالقضيّة حساسة. والراجح أنّ هذا الطفل كان شاهداً على الجريمة.

- يا إلهي! وماذا قال؟

- لا شيء.

- هل صُدِم؟

- بالتأكيد، إلا أنّه أخرس على كلّ حال، ويعاني من إعاقة شديدة. الظاهر أنّه لا يمكن أن يفيد التحقيق بشيء.

- الأمر يتعلّق إذاً بجريمة قتل بلا مشتبه به.

- إلّا إذا كان وصول ويستمان لحظة دخول المجرم إلى المنزل وقتل بالدر من قبيل الصدفة. إذا أردت رأيي، من صالحك أن تستدعيه على الفور لاستجوابه.

- هذا إذا كُلّفتُ بالتحقيق!

- أنت مَن سيُشرف عليه.

- تبدو واثقاً ممّا تقول!

- في الحقيقة أنت لستَ مخيّراً. آه تذكّرت، لقد تركت الأفضل لأختم به كلامي.

- هات ما عندك.

- مايكل بلومفيست.

- ما صلته بالموضوع؟

- تصوّر أنّه هو أيضاً كان موجوداً في عين المكان هذه الليلة. أظن أنّ بالدر اتّصل به ليكشف له عن بعض الأسرار.

- في ذلك الوقت المتأخر من الليل؟

- فيما يظهر.

- ثمّ قتل؟

- قُبيل أن يطرق بلومفيست بابه، بل لعلّ الصحافي أبصر القاتل.

انفجر جان بابلانسكي ضاحكاً، وهو سلوك لم يكن لائقاً، ولم يفهمه حتى هو نفسه. لعلّه ردّ فعل ناتج عن التوتّر؟

- كيف؟

قال معتذراً:

- إنّها نوبة سعال! تخشون إذاً أن تجدوا أنفسكم تواجهون محقّقاً خاصاً قد لا يقدّم عنكم صورة مشرّفة.

- همم، نعم، تقريباً. مهما يكن، فإننا ننطلق من مبدأ أن **ميلينيوم** على علم بالقضية، وأنا أبحث عن وسيلة قانونية لسدّ الطريق أمامهم، أو على الأقلّ حصر مجال تحرّكاتهم. من الممكن أن يُنظر إلى القضية على أنّها تتّصل بأمن المملكة.

- أرى أنّ علينا أن نواجه السابو أيضاً؟

أجاب إكشتروم:

- من دون تعليق.

فلتذهب إلى الجحيم، قال بابلانسكي في نفسه.

- هل لراينر أولوفسون وأفراد مجموعة الحماية الصناعية دخْلٌ بالموضوع؟

- قلت لك: من دون تعليق.

فكرّر بابلانسكي في سرّه ثانية: فلتذهب إلى الجحيم.

- قبل إبداء موافقتي، لدي بعض الشروط. أريد أن أعمل مع فريقي المألوف: سونيا موديغ وكورت بوليندر وجيركر هولمبورغ وأماندا فلود.

- حسناً، لك ذلك. لكن سيشتغل معك أيضاً هانز فاست.

- كلا! لن أقبل بأن يعمل معي ما دمت حيّاً!

- آسف يا جان. هذا أمر لا نقاش فيه. ينبغي أن تشعر بالسعادة للسماح لك باختيار بقية أعضاء الفريق.

- هل تعلم أنّك مرهِق؟

- قيل لي ذلك من قبل.

- سيكون فاست إذاً جاسوس السابو علينا.

- إطلاقاً. أظن أنّ أيّ فريق سيسرّ بأن يكون بين أعضائه شخص يملك قدرات فكرية مثل قدراته.

- هذا الشخص لا شغل له غير توزيع الأحكام المسبقة. لا يضع نفسه موضع تساؤل أبداً.

- لا تطلق الكلام على عواهنه.

- هانز فاست شخص معتوه.

- أنت مخطئ يا جان. لنقُل بالأحرى إنه...

- ماذا نقول؟

- إنه محافظ. لا ينظر بعين الرضا لمطالب الحركات النسائية.

- هذا أكيد. ما زال يتحفّظ على حق النساء في التصويت.

- كفاك مبالغة. هانز فاست محقّق موثوق به وجدّي، ولا أقبل أن يناقش. هل لديك شروط أخرى؟

قال بابلانسكي في نفسه: سحقاً لك!

- سأذهب أوّلاً إلى موعد الطبيب، وفي انتظار وصولي أريد أن تقود سونيا موديغ التحقيق.

- فكرة جيّدة حقّاً.

- تماماً.

ردّ إكشتروم مُكرهاً:

- حسناً، سأحرص على أن يسلّم لها إيريك زيترلاند مقاليد المهمّة.

لم يعُدْ مقتنعاً من جانبه بأنّه أحسَنَ التصرف بقبول التحقيق في هذه القضية.

نادراً ما تشتغل ألونا كاساليس ليلاً. أفلتت من ذلك لسنوات بذريعة معاناتها من مضاعفات الروماتيزم التي تجبرها في بعض الفترات على تناول جرعات قوية من الكورتيزون، ممّا يتسبب في انتفاخ وجهها بحيث تصير أشبه بسمكة القمر، وفي ارتفاع ضغطها الدموي ارتفاعاً كبيراً. عندئذٍ تزيد حاجتها إلى النوم وإلى إيقاع حياة منتظم. على أنّها هذه المرّة كانت حاضرة هناك رغم الوقت المتأخّر، إذ كانت الساعة تشير إلى الثالثة وعشر دقائق صباحاً. غادرت بيتها في لوريل، ركبت سيارتها ومضت في الطريق الشرقية رقم 175 تحت مطر خفيف. وبعد أن تجاوزت اللوحة التي تشير إلى NSA، والسياج الكهربائي ومختلف نقاط التفتيش، قصدت بناية فورت ميد السوداء الضخمة المكعّبة الشكل، ثم ركنت سيارتها في موقف سيارات شاسع، يمين قبّة

الرادارات الزرقاء الفاتحة والصحون المقعرة. اجتازت إثر ذلك نقط تفتيش أمنية أخرى لكي تصل إلى مكتبها في الطابق الحادي عشر.

لم تكن الحركة نشيطة بالداخل باستثناء أقصى الطابق، الذي بدت الأجواء السائدة في فضائه المفتوح محمومة، وأدركت توّاً أنّ سبب هذا الحضور الحاشد هو إيد دي نيد وفريق القراصنة الشباب العاملين معه.

كانت تعرف إيد معرفة جيدة، لكنّها لم تكلّف نفسها تحيّته. كان يبدو متوتّر الأعصاب وهو يؤنّب شابّاً أبيض البشرة غريب المظهر، شأن كلّ القراصنة المحيطين بإيد. كان الشاب الأحدب الهزيل الشاحب، ذو الحلاقة المهملة، متشنّجاً من الاضطراب. ولعلّ خوفه تضاعف لمّا ركل إيد كرسياً ركلة عنيفة طيّرته في الهواء. بدا كما لو أنّه خشِي لطمة أو لكمة.

ما أثار دهشة ألونا هو أنّ إيد ما لبث أن هدأ فجأة، وراح يمسح على رأس الشاب بحنوّ أبوي، وهو ما لم يكن يتناسب مع طبيعة شخصيته. ذلك أن إيد ليس من الأشخاص العاطفيين. فهو أميل في حياته اليومية إلى طراز رعاة البقر المعروفين بخشونتهم. أيكون اليأس هو ما دفعه إلى إظهار هذا الحنان؟ كانت أزرار سرواله مفكوكة لأنّه أراق قهوة أو كوكا على قميصه. كما أنّ وجهه كان ممتقعاً وصوته مبحوحاً ربّما بسبب المبالغة في الصراخ. وقالت ألونا في نفسها إنّه يرهق نفسه في العمل، ويخاطر بصحّته بحكم سنّه المتقدم ووزنه الزائد.

لم تكن قد مضت سوى بضع ساعات، لكن إيد وفريقه بدوا كما لو أنّهم ضربوا أطنابهم هناك منذ أسبوع. كانت أكواب القهوة وبقايا الوجبات السريعة والقبّعات والأقمصة متناثرة في كلّ أرجاء المكان، وأجسادهم تنبعث منها روائح عرق نتنة. كانوا مستغرقين جميعهم في

البحث عن القرصان. وانتهى الأمر بألونا أن صاحت بهم بحماس مفتعل:

- هيّا يا رجال!

- لو كنت تعلمين!

- تشجعوا! هيّا اقبضوا على هذا النذل!

لم تكن صادقة تماماً. فقد ابتهجت في قرارة نفسها لهذا الاختراق. ذلك أنّ كثيراً من أفراد المنظمة كانوا يظنّون أنّهم يستطيعون التصرّف على هواهم، كما لو أنّهم يملكون بطاقة بيضاء. ووجدت أنّه من المُجْدي أن يدركوا أنّ الجانب الآخر قادر على الردّ. والظاهر أنّ القرصان ترك الرسالة الآتية: «من يراقب الشعب سينتهي الأمر بالشعب يوماً إلى مراقبته هو أيضاً». وقد راقتها العبارة رغم اقتناعها بخطئها.

كانوا يقومون هنا في بوزل بالاس بمراقبة شاملة. ذلك أنّ الفجوات الحقيقية لم تكن تظهر إلّا حين يواجهون وضعية خطيرة مثلما هو الحال في هذه الأثناء. فقد أيقظتها كاترين هوبكنز في جوف الليل لتخبرها بمقتل البروفسور السويدي في بيته، بضاحية من ضواحي ستوكهولم. وحتى لو لم تكن لهذه الواقعة أهميّة كبيرة بالنسبة إلى الوكالة، على الأقل في الوقت الراهن، فإنها تكتسي أهميّة بالغة بالنسبة إلى ألونا.

تشهد جريمة القتل هذه على أنّ تأويلها للإشارة صحيح، وعليها الآن أن تمضي أبعد. ربطت إذاً حاسوبها بالشبكة، وفتحت جدول التنظيم: ظهر في أعلى القائمة الاسم الملغز: تانوس، لكن إلى جانبه ظهرت أسماء أخرى أيضاً من قبيل إيفان غريبانوف، أحد أعضاء الدوما، وغروبر، وهو لصّ ألماني سابق متورّط في العديد من عمليات التهريب.

لم تفهم في الحقيقة لماذا لا تعتبر الوكالة هذه القضية من

الأولويات، ولماذا يعمَدْ مسؤولوها إلى إحالة المشكلة على سلطات أخرى مكلّفة بالقضايا الجنائية بخاصّة. لم تكن تستبعد أن تكون الدولة هي مَن يحمي هذه الشبكة، أو أنّ لها علاقة بمصالح الاستعلامات الروسية، بحيث ينبغي النظر إلى القضية كمكوّن من مكوّنات الحرب التجارية بين الشرق والغرب. ورغم أنّ وجهة نظرها هذه لم تكن تسندها حجج دامغة، فقد كانت ثمّة مع ذلك علامات واضحة تشير إلى أنّ معطيات تكنولوجية غربية سُرقت لصالح روسيا.

كانت لا تزال تجد صعوبة في تكوين فكرة واضحة عن مجموع الشبكة، بل كان من المتعذّر التمييز بين ما إذا كان الأمر يتعلق بمنظمة مشبوهة أم بمعطيات تكنولوجية جرى تطويرها بالصدفة في مكان ما. هذا فضلاً عن أنّ مفهوم السرقة في المجال الصناعي صار بالغ الغموض.

كثيراً ما تزرع الشركات الكبرى الرعب في شركات أصغر بإمطارها بالمراسلات الرسمية والاستدعاءات من دون أن يأبه أحد بحرمان ابتكارات أناس مستقلين من حقوق الملكية الفكرية. فكثيراً ما اعتبر التجسّس الصناعي والقرصنة المعلوماتية مجرّد استراتيجيات عادية تعتمدها الشركات. لكن الأمر لم يكن كذلك هنا في بوزل بالاس. فهم يحاولون إضفاء مسحة أخلاقية على هذا المجال.

على أنّه من الصعب إضفاء طابع النسبية على جريمة قتل، ممّا جعل ألونا تعقد العزم على تفحّص كلّ قطعة من البوزل قد تُمكّنها من إماطة اللثام عن المنظمة. وما كادت تشرع في العمل، وبينما كانت تتمطى وتدعك قفاها، حتى سمعت وَقْعَ خطى مسرعة خلفها.

إنّه إيد. كانت ملامحه غريبة، بوجهه المتجهّم وهيئته القمئة. بدا محطّم الظهر، وما إن رأته حتى شعرت بألم في عنقها:

– شرّفت يا إيد.

- لا أدري ما إذا كنّا نواجه المشكلة نفسها.

- اجلس يا رفيقي. لعلّك بحاجة إلى استراحة.

- أو إلى عقاب. اسمعي، من وجهة نظري المتواضعة...

- لا تحطّ من شأنك يا إيد.

- لا أحطّ من قيمتي إطلاقاً. أنت تعرفين أنّني لا أحفل بمَن هم فوقي أو تحتي، أو بمن يفكّر بهذا النحو أو ذاك. كلّ ما يعنيني هو حماية أنظمتنا، وشيء واحد يستهويني حقّاً: كفاءتي المهنية.

- ما كنت لتتوانى عن توظيف الشيطان لو كان عالم كمبيوتر موهوباً.

- على كلّ حال، فأنا أحترم عدوّي إذا أبان عن مهارة فائقة. هل تفهمين هذا؟

- نعم.

- بدأت أقول في نفسي إنّه يشبهني. وحده القدر فرّق بيننا، ووضعنا في جانبين متقابلين. لعلّه بلغك أنّ برنامج تجسّس اخترق خوادمنا وشبكتنا الداخلية. وهذا البرنامج يا ألونا...

- ما هو؟

- موسيقى خالصة. كُتِبَ بدرجة عالية من التعقيد، ومن الرشاقة أيضاً...

- ها أنت تعثر على عدوّ في مستواك.

- بكلّ تأكيد، والأمر نفسه بالنسبة إلى أعضاء فريقي. هم مستعدّون للمنازلة والمواجهة، لكنّهم يحلُمون في الواقع بلقاء هذا القرصان ومقارعته. قلت لنفسي: حسناً، ما وَقَعَ وقع، ينبغي أن نتجاوزه لشيء آخر! الظاهر أن الخسائر ليست فادحة. هو مجرّد قرصان ماهر يسعى للمباهاة، بل لعلنا نستطيع أن نستخلص من هذه

الواقعة أموراً إيجابية. فقد تعلّمنا أشياء كثيرة حول فجوات نظامنا من تعقّب أمثال هذا الشخص، لكنّنا فيما بعد...

- ماذا؟

- ثمّ بدأت أتساءل حول ما إذا كانوا خدعوني، وما إذا لم تكن هذه العملية التي تعرّض لها خادم علبتي الإلكترونية مجرّد ستار يُخفي شيئاً آخر.

- مثل ماذا؟

- مثل الاستخبار عن بعض الأشياء مثلاً.

- ها أنت بدأتَ تثير فضولي.

- اكتشفنا الموضوع الذي انصبّت عليه أبحاث القرصان. تبيّن أنها تركزت كلّها على الشيء نفسه: الشبكة التي تشتغلين عليها يا ألونا. السبايدرز (العناكب)، هكذا تسمّونها؟

- سبايدر سوسايتي تحديداً. لكن لا ينبغي الاعتداد بدلالة هذا الاسم المباشرة في نظري.

- بحث القرصان عن معلومات متعلّقة بهذه العصابة وعن تعاونها مع سوليفون. وبناء على ذلك قلت في نفسي لا شكّ أنّه ينتمي إلى هذه الشبكة ويريد أن يعرف ما نعرفه عنهم.

- فكرة لا تعدم الوجاهة. الظاهر أنّ لديهم مؤهّلات في مجال القرصنة الإلكترونية.

- ثمّ خامرني شكّ.

- لماذا؟

- لأنّ القرصان سعى أيضاً لأن يُظْهِرَ لنا شيئاً. فقد حصل على حساب مستخدم مميَّز، واستطاع أن يضع يده على مستندات لا تستطيعين حتّى أنتِ الوصول إليها، مستندات في غاية السرية. والمستند الذي نقله وحمّله رُمِّز بكيفية بالغة التعقيد بحيث تتعذّر عليه

وعلينا نحن أيضاً قراءته طالماً أنّ من رمّزه لم يسلّمنا المفتاح، ومع ذلك. . .

- مع ذلك؟

- كشف القرصان من خلال نظامنا الخاص عن أنّنا نحن أيضاً نشتغل مع سوليفون بالطريقة نفسها التي يشتغل بها السبايدرز. أتعرفين هذا الأمر؟

- كلا، تبّاً!

- هذا ما كنت أتوجّس منه. أخشى أن يكون بعض العاملين معنا يتعاونون مع فرقة إكيروولد. الخدمات التي تسديها سوليفون لِسبايدرز تستفيد منها الوكالة أيضاً: فالشركة تتكفّل بجزء من تجسّسنا الصناعي. لهذا لم يولوا ملفّك أهمية بالغة. لا بدّ أنهم خائفون من أن يشملنا تحقيقك.

- يا لهم من أوغاد!

- أنت على حقّ، ومن غير المستبعد أن يسعوا لإبعادك من هذه القضية.

- سأنفجر في وجوههم.

- هوّني عليكِ، هناك حلّ آخر، وهو ما دعاني للمجيء إلى مكتبك. يمكنك أن تشرعي العمل معي عوض ذلك.

- كيف؟

- هذا القرصان الوغد يعرف خيطاً يفضي إلى السبايدرز. إنْ استطعنا الكشف عن هويته، سنتمكن من التقدم في البحث معاً، وستواتيك الفرصة عندئذٍ للكشف عن كلّ الحقائق التي تريدين.

- فهمت قصدك.

- موافقة إذاً؟

- موافقة. سأركز كلّ جهودي على مقتل فرانز بالدر.

- لكن أخبريني بكل ما يستجدّ.

- موافقة.

- حسناً.

ثمّ استرسلت قائلة:

- انتظر، هناك أمر، إذا كان القرصان بهذا القدر من المهارة، لا بدّ أن يكون مسح آثاره؟

- لا تلقي بالاً لهذا، سنكتشف آثاره ونتعرّف عليه مهما كان ذكاؤه.

- وأين احترام غريمك في كلّ هذا؟

- في الحفظ والصون يا صديقتي. لكن هذا لا يمنع من إسقاطه وتقديمه للعدالة. لا أحد يخترق نظامي ويفلت من العقاب.

13

الواحد والعشرون من نوفمبر

جفا النوم مرّة أخرى جفنَي مايكل بلومفيست. فقد شوّشت الأحداث التي وقعت تلك الليلة باله. وعند الحادية عشرة والربع تخلّى عن فكرة الاستراحة، وغادر سريره.

توجّه إلى المطبخ لتهيئ قطعة خبز محشوّة بالجبن ولحم خنزير مدخن، وملأ زبدية باللبن والفواكه الجافة، لكنه لم يأكل شيئاً ذا بال. واكتفى في نهاية المطاف بشرب القهوة والماء، وتناولَ حبوباً لتسكين الصداع. شرب خمسة أكواب من الماء المعدني أو ستة، وتناول حبتي باراسيتامول، ثم أخرج دفتراً ذا غلاف مشمّع وراح يدوّن فيه ملخّصاً لما وقع، لكنّه ما كاد يشرع في الكتابة حتّى سمع هاتفه يرن. ولم تكد تمضي هنيهة حتّى فهم ما حدث.

انتشر الخبر انتشار النار في الهشيم. «الصحافي الشهير مايكل بلومفيست والممثل لاس ويستمان» وجدا نفسيهما «متورّطين في جريمة قتل». وممّا غذّى الجانب الملغز في الأمر هو أنّ لا أحد فهم سبب وجود هذين الرجلين، معاً أو كلاً منهما على حدة، هناك لحظة مقتل البروفسور السويدي بطلقتين في الرأس. وسرعان ما اتّخذت أسئلة زملائه الصحافيين طابعاً لا يخلو من تلميحات، ممّا حدا بمايكل إلى

الكشف عن أنّ ذهابه إلى هناك في وقت متأخّر من الليل إنّما كان تلبيّة لطلب بالدر. فقد دعاه إلى بيته لمفاتحته في أمر عاجل ومُلحّ.

- ذهبتُ إلى هناك وفاءً بما تمليه عليّ مهنتي.

كان جواباً متحذلقاً، لكنّه شعر بأنّ الشبهات تحوم حوله، فرغب في أن يوضّح الأمر مع المجازفة بإثارة اهتمام صحافيين آخرين بالموضوع. أمّا ما عدا ذلك، فاكتفى بأن أجاب: «من دون تعليق». لم يكن هذا الجواب ربّما هو الجواب المثالي، لكنّ مزيّته هو أنّه واضح لا لُبس فيه. إثر ذلك أطفأ هاتفه النقال، وارتدى معطف الفرو الذي ورثه عن أبيه، وانطلق باتجاه غوتغاتن.

ذكّرته الحركة النشيطة بالماضي الزاهر. كان زملاؤه في مختلف الأرجاء مستغرقين في أعمالهم. لا بدّ أنّ إريكا ألقت فيهم خطبة من خُطَبِها الملتهبة، فأدرك الجميع خطورة الرهان. لم يتبقّ على الموعد إلا عشرة أيّام، وكان تهديد ليفين وسيرنر مثل سيف مصوّب على رقابهم، وبدت المجموعة كلّها مستعدّة للكفاح.

توقّف العمل عند وصوله. كان الجميع بطبيعة الحال يتوقون إلى معرفة المزيد عن الأحداث التي وقعت في الليلة السابقة، وردوده على مناورات الفريق الصحفي النرويجي. لكنّه لم يشأ أن يقدّم نموذجاً سيئاً، ويكسّر دينامية العمل، واكتفى بأن أجاب قبل أن يلتحق بأندري زاندر:

- سأحدّثكم عن ذلك لاحقاً.

كان زاندر، وهو في السادسة والعشرين من عمره، أصغر العاملين بهيئة التحرير. قضى تدريبه المهني بالجريدة، واختار البقاء فيها كمتعاونٍ منتَدَبٍ تارة، وكمستقلّ أخرى. وقد كان مايكل يتحرّج من عجزه على توفير منصب قارّ له، لا سيما وأنّهم وظفوا إميل غراندن وصوفي ميلكر. كان يأمل في الواقع أن يوظّفوا أندري، لكنّ هذا

الصحافي الشاب كان ما زال لم يكتسب اسماً بعد، وعليه أن يواصل شحذ قلمه.

يتقن أندري العمل داخل الفريق، وهو ما كان في صالح المجلة، لكنّه لم يكن بالمقابل يخدم مستقبله المهني الشخصي، على الأقل في هذا المجال الذي تشتدّ فيه المنافسة. لم يكن الطموح الجامح من مزاياه، بل كان أشبه بأنطونيو بنديراس: رغم صغر سنّه، فهو أقدر من زملاءه على التقاط جواهر الأمور. كما أنّه لم يكن من النوع الذي يسعى إلى الظهور بكلّ الوسائل. كلّ ما كان يتوق إليه هو أن يمارس الصحافة الحقّة، ويبرهن على حبّه لميلينيوم. وقال مايكل في نفسه فجأة إنّه يحبّ من يخلصون في حبّ ميلينيوم، وأنه لا بدّ أن يفعل يوماً شيئاً من أجل أندري زاندر.

قال له:

- مرحباً أندري، كيف حالك؟

- لا بأس. وإن كنت مُجْهَداً قليلاً.

- هذا أكيد. ماذا وجدت؟

- أشياء كثيرة. لقد وضعتها على مكتبك، وهيّأتُ لك ملخّصاً أيضاً. هل تقبل منّي نصيحة؟

- هذا ما أنا بحاجة إليه الآن.

- اذهب إلى شارع زينكين على الفور للقاء فرح شريف.

- مَن تكون؟

- أستاذة علوم كمبيوتر حسناء، تسكن هناك. وهي في عطلة هذا اليوم.

- تقصد أنّني بحاجة إلى امرأة ذكية وفاتنة الآن؟

- ليس هذا بالضبط. الأستاذة فرح شريف اتّصلت هاتفياً قبل قليل، استشفّت أنّ فرانز بالدر كان يرغب في أن يحدّثك عن شيء،

وهي تظنّ أنها تعرف هذا الشيء، وتريد أن تفضي لك به، بل ربّما تريد أن تُكمِل ما لم يجد هو الوقت لإتمامه. أظنّها نقطة بداية مناسبة.

- هل استخبرتَ عنها؟

- طبعاً. من غير المستبعد أن تكون لها دوافعها الخاصة، لكنّها كانت مقرّبة من بالدر. درسا معاً، وحرّرا بعض المقالات العلمية معاً. وهناك ثلاث أو أربع صور يظهران فيها معاً التُقِطت في أمسيات ساهرة. وفرح من العيار الثقيل في مجال تخصّصها.

- حسناً، سأذهب. أخبِرْها بأنّني قادم.

ردّ أندري وهو يناوله عنوانها:

- سأفعل.

وعلى غرار الليلة السابقة، ما كاد مايكل يصل إلى المجلة حتى غادرها مشياً متوجّهاً إلى هورنسغاتن وهو يقرأ الوثائق التي هيّأها له أندري. اصطدم بالمارّة مرتين أو ثلاثاً، لكنّه كان مستغرقاً بحيث بالكاد كان يعتذر لهم. وتنبّه إلى أنّه لا يسير صوب بيت فرح، فتوقّف بمقهى ميلكفيست واحتسى فنجاني قهوة متتاليين.

كان يأمل في التخلّص من التعب الجسدي، لكنّه كان يعوّل على الكافيين أيضاً ليخفّف عنه ما يشعر به من صداع. ثمّ تساءل عمّا إذا كان قد أحسن صنعاً. ذلك أنّه شعر بنفسه وهو يغادر الحانة في حال أسوأ ممّا كان. على أنّ القهوة لا دخل لها في ذلك، بل يعود السبب لأولئك المغفلين الذين قضوا الليلة في تصفّح المقالات المنشورة حول الحادث المأسوي، وراحوا يعقّبون عليها بتعليقاتهم البلهاء. يُشاع أنّ الشباب لا يرغبون إلّا في شيء واحد: أن يصيروا مشهورين. ينبغي أن يفهموا أنّ الأمر لا يستحقّ كلّ هذا العناء. يشعر بعقله على وشك أن يطير من قلّة النوم ومن هول ما رأى في الليلة السابقة.

ثم استأنف سيره في شارع هورنسغاتن، مارّاً بمحاذاة ماغدونالد

و«كوب»، وقبل أن يَعبُر باتجاه رينغفيغن، نظر إلى اليمين فتسمّر في مكانه فجأة، كما لو تنبّه لتفصيل هام. عدا أنّه لم يكن ثمّة غير ملتقى طُرقٍ مشبَعٍ بغازات عوادم السيارات، مرتع لحوادث السير لا أقل ولا أكثر. ثم فهم السرّ.

إنه ضوء المرور الذي رسمه فرانز بالدر بدقّة رياضية. وتساءل مايكل من جديد عن هذا الاختيار. فلا شيء يثير الانتباه في هذا المكان. إنّه مكان تافه ومبتذل، اللهمّ إلّا إذا كان هذا الجانب هو سرّ اختياره. بمعنى أنّ العبرة ليست بالصورة، بل بما توحي به، عملاً بالفكرة القائلة: إنّ وجود العمل الفنّي رهين بالنظرة التي يلقيها عليه المُشاهد.

مهما يكن، فهذا يعني أنّ فرانز بالدر مرّ من هنا، وأنّه ربّما جلس في مكان ما لحظة درس فيها ضوء المرور قبل رسمه، ثم واصل طريقه مارّاً بجانب ملعب زنكينسدام قبل أن ينعطف يميناً إلى شارع زينكين.

بعد أن قضت المفتّشة سونيا موديغ صبيحة مُضنية، انزوت أخيراً في مكتبها، وراحت تتأمّل صورة ابنها أكسل ذي السبع سنوات، المتهلّل إثر تسجيل هدف في مرمى الخصم. فمنذ أن صارت أمّاً عازبة وهي تشقى من أجل تحقيق توازن في حياتها، وهو شقاء لا تبدو نهايته وشيكة. ثمّ سمعت طَرْقاً على الباب. إنّه بابلانسكي. ستتمكّن أخيراً من أن تعهد له بمسؤولية الاستمرار في التحقيق رغم أنّ مظهره لا يشي بأنّه مستعدّ لتحمّل أي مسؤولية مهما كانت.

كان لباسه أنيقاً على غير عادته: سترة وربطة عنق وقميص أزرق مكوي، وشعر مصفف بكيفية أخفت صلعته، ونظرة حالمة توحي بأنّه شارد في شيء آخر أبعد ما يكون عن الجريمة.

- ماذا قال طبيبك؟

- الإيمان بالربّ ليس هو الأهمّ. فالربّ ليس تافهاً. ما يهمّ هو أن يفهم المرء أنّ الحياة ثمينة وغنية. علينا أن نقدّرها حقّ قدرها، ونعمل من أجل عالم أفضل. فمن توفّق في الموازنة بين هذين الأمرين هو الأقرب إلى الله.

- كنت مع حَبْرِك إذاً؟

- نعم.

- حسناً يا جان، لا أعرف ما عليّ أن أفعله بالضبط لكي أساعدك على حبّ الحياة وتقديرها، اللهمّ أن أهديك مربّع شوكولاتة سويسرية بالبرتقال معي لوح منها أودَعْتُه درج مكتبي. لكن إن توفّقنا في القبض على قاتل فرانز بالدر، سنجعل العالم أفضل قليلاً بلا شكّ.

- شوكولاتة سويسرية بالبرتقال وفكّ لغز جريمة قتل، إنّها بداية جيّدة.

أخرجت سونيا لوح الشوكولاتة، وقطعت منه مربّعاً ناولته لبابلانسكي الذي مضى يقضمه بانتشاء. وقال:

- إنّها لذيذة حقّاً!

- ألم أقل لك؟

فردّ وهو يشير إلى صورة أكسل المتهلّل الموضوعة على المكتب:

- ليت الحياة تكون أحياناً هكذا.

- هكذا؟

فاسترسل يقول:

- ليت البهجة تتجلّى بالقوّة نفسها التي يتجلى بها الألم.

- نعم، ليتها كذلك.

- كيف حال ابن بالدر، أظنّه يدعى أوغست؟

- تماماً. إنّه في حالة صعبة. هو الآن مع أمّه، وقد فحصه طبيب نفسي.

- ما العناصر المتوفّرة التي سننطلق منها؟

- لا شيء ذا بال حتى هذه اللحظة للأسف. كُشف عن نوع السلاح: ريمنغتون R1 1911 كاري، اقتُني في الآونة الأخيرة على الأرجح. يحاول المحقّقون اتّباع هذا الخيط، لكنّني لست متأكّدة من أنّهم سيصلون إلى شيء بسهولة. أما صور كاميرات المراقبة فلا تزال قيد التحليل. رغم تقليبها من كلّ الأوجه، لم تفصح عن وجه الرجل الذي لا يحمل أيّ علامة مميّزة: لا شامة ولا ندب. لا شيء باستثناء ساعة يد ظهرت في إحدى اللقطات، وهي من النوع الفاخر. لباس الرجل أسود، وقبّعته رمادية، لا كتابة عليها، وجيركر يقول إنّ إيماءاته تشبه إيماءات تاجر مخدّرات سابق... بدا في إحدى اللقطات وهو يحمل علبة سوداء صغيرة، لعلّها حاسوب صغير أو علبة جهاز تحديد المواقع. لا بدّ أنّه استعملها لقرصنة نظام جهاز الإنذار.

- سمعتهم يتداولون هذا فعلاً. كيف تتمّ قرصنة جهاز إنذار؟

- شاهد جيركر أيضاً اللقطات، وقال إنّه ليس من السهل قرصنة جهاز الإنذار، لا سيما إذا كان من طراز متطوّر، لكن ذلك يبقى محتملاً. كان النظام موصولاً بالإنترنت عبر 3G، ويبعث معلومات على نحوٍ آني إلى ميلتون للأمن عبر سلوسن. وقد استطاع ذلك الشخص اعتراض معطيات جهاز الإنذار بواسطة علبته، وقرصن النظام، أو لعلّه صادف بالدر في إحدى نزهاته وسرق معلومات من الـ NFC الخاص به.

- ممّاذا؟

- من Near Field Communication، وهي وظيفة موجودة في هاتف بالدر، تسمح بتشغيل جهاز الإنذار.

علّق بابلانسكي:

- كان الأمر أسهل في الماضي، لمّا كان اللصوص يستعينون بالعتلات الحديدية. ألم تكن في محيط البيت سيارة؟

- كانت سيارة غامقة اللون مركونة على بعد مائة متر من جانب الطريق، وكان محرّكها يُشغّل بين الفينة والأخرى، لكن هذه السيارة لم يرها إلّا شاهد واحد: سيدة مسنة تدعى بريجيتا روز، لكنّها لم تتعرّف على الطراز. رجّحت أن تكون سيارة فولفو. أو ب. إم. دابليو شبيهة بسيارة ابنها.

- ألم يخرج أحد من نزل الشباب؟

- كلا. التحقيق بخصوص هذه النقطة ما زال غامضاً. الظلام والعاصفة كانا في صالح المجرمين، إذ تمكّنوا من الحركة بحرّية في المنطقة. وباستثناء شهادة مايكل بلومفيست، لا نتوفر في الواقع سوى على شهادة واحدة تعود لشاب في الثالثة عشرة من عمره، يُدعى إيفان غريد. ولدٌ نحيل غريب الأطوار، عانى في صغره من اللوكيميا، غرفته مؤثثة على الطراز الياباني، وهو يتحدّث على نحوٍ أكبر من سنّه. نهض إلى المرحاض في جوف الليل، فرأى من نافذة الحمام رجلاً أميل إلى السمنة بجانب الماء. كان يراقب البحر ويرسم بساعديه في الهواء ما يشبه الصليب. قال إنّ المشهد كان يشي بشيء من الجلال الديني والعنف في آن.

- يجمع بين أمرين متضادين.

- كلا. الجمع بين الدين والعنف لا ينبئ بخير. لكنّ إيفان ليس متأكّداً من أنّ الأمر يتعلّق بإشارة الصليب. قال إنّها شبيهة بها، لكنّها أعقد. لعلّها قسم عسكري. وفي لحظة من اللحظات خشي من أن يدخل الرجل إلى الماء وينتحر. كان الموقف يوحي بالمهابة والخطر.

- لكن الانتحار لم يحدث.

- كلا. استأنف الشخص مسيرته باتجاه منزل بالدر. كان يحمل حقيبة ظهر، ويرتدي لباساً غامقاً، لعلّه بذلة تمويه. يبدو قويّ البنية، وذا لياقة بدنية جيدة، ذكّره بمحاربي النينجا.

- وهذا أيضاً لا ينبئ بخير.

- نعم. لا شكّ أن هذا الشخص هو مَن أطلق الرصاص على بلومفيست.

- ألم يرَ بلومفيست وجهه؟

- كلا. ارتمى أرضاً لمّا استدار الرجل لكي يصوّب عليه مسدّسه. ثمّ إن هذه الوقائع مرّت بسرعة البرق. لكن حركات الرجل بحسب بلومفيست كانت أشبه بحركات عسكري، وهو ما يتطابق تماماً مع شهادة غريد. لا مناص من التأكيد على أن سرعة تنفيذ العملية ودقتها تؤيّدان هذه الفرضية.

- لنبدأ التحقيق، هل عُرف سبب وجود بلومفيست هناك؟

- نعم. إن كان ثمّة من شيء أُنجِز بإتقان تلك الليلة، فهو استجواب بلومفيست. يمكن أن تلقي عليه نظرة.

وناولته محضر الاستجواب.

- كان بلومفيست على صلة بأحد مساعدي بالدر القدامى، أكّد له بأنّ البروفسور تعرّض للقرصنة الإلكترونية، وسُرقت منه معطياته التكنولوجية. وهو موضوع يهم بلومفيست، فسعى إلى الاتصال ببالدر. لكن البروفسور لم يستجب لدعوته. ذلك أنّه كان يعيش في آخر أيامه عزلة بحيث قطع كلّ صلاته بالعالم الخارجي. كلّ ما يتعلق بشؤون المنزل والتسوّق عهِد به لخادمة تدعى... انتظر قليلاً، لوتي راسك. بالمناسبة فالسيّدة راسك تلقّت أمراً صارماً بعدم الحديث لأحد عن وجود ابنه في البيت. سأعود إلى هذه النقطة. لكنّ شيئاً ما وقع تلك الليلة. في نظري كان بالدر قلقاً، وأراد أن يزيح عن كاهله عبئاً.

للإشارة فإنّه أُخبِر قبيل ذلك بأنّ تهديداً جدياً يتربّص به. يُضاف إلى هذا أن جهاز إنذاره أطلق صافرته ذلك المساء، وكان ثمّة شرطيّان يحرسان بيته. ربّما شعر بأنّ أيامه صارت معدودة. لست أدري. على كلّ حال، هاتَفَ بلومفيست في ساعة متأخّرة من الليل ودعاه إلى بيته لكي يتحدّث إليه.

- في الماضي كان الناس يستدعون أسقفاً في مثل هذه المواقف.

- الظاهر أنّهم يفضلون اليوم استدعاء صحافي. باختصار، كلّ هذا لا يعدو أن يكون تخمينات. كلّ ما بين أيدينا الآن هي الرسالة التي تركها بالدر على جهاز بلومفيست الأوتوماتيكي للردّ على المكالمات. وليست لدينا أدنى فكرة عمّا كان يريد الكشف عنه. ويزعم بلومفيست أنّه يجهل ذلك هو أيضاً، وأنا أصدّقه، لكنّني الوحيدة فيما يظهر. فريتشارد إكشتروم -وهو شخص مزعج- مقتنع تماماً بأنّ بلومفيست يحتفظ لنفسه ببعض المعلومات التي ينوي نشرها في جريدته. وأنا أستبعد ذلك. الجميع يعلم بأنّ بلومفيست داهية، لكنّه ليس من النوع الذي يعيق تحقيق الشرطة عن قصد.

- هذا واضح.

- المشكلة هي أنّ هذا الوغد، إكشتروم، يُشيع في كلّ مكان أن بلومفيست يجب أن يعتقل لأنّه ينكر الشهادة ويرفض التعاون مع الشرطة، والربّ وحده يعلم ما يروّجه عنه غير ذلك. يزعم أنّه يعلم أكثر ممّا يقول. أظنّ أنّه سيتدخل.

- لن يأتي ذلك بخير.

- كلا، وأنا أعتقد أنّه سيكون من الأفضل، بالنظر إلى مهارة بلومفيست، أن نحافظ على علاقة جيدة به.

- أظن أنّه ينبغي استجوابه مجدّداً.

- بالتأكيد.

- وقصة لاس ويستمان؟

- استجوبوه قبل قليل، وقصّته ليست بناءة على كلّ حال. كان في مطعم KB وفي تيترغريلن ثمّ في أوبيرابارن وفي ريتش، وفي أماكن أخرى لا يعلمها سوى الربّ. قضى الليلة يتحدّث عن بالدر وعن الولد حتى أرهق رفاقه بهذا الموضوع. وبمقدار ما كان يشرب، كان يمعن في تبذير المال، وفي الحديث عن بالدر والولد بنوع من الهوس.

- ما سرّ اهتمامه بهذا الموضوع؟

- ربّما هو ضرب من التعلّق الهوسي بالأفكار الذي يصيب المدمنين على الكحول. هذا بالضبط ما وقع لخالي. كان كلّما ثمل، لا يتكلّم إلّا في موضوع واحد. لكن بالنسبة إلى ويستمان، لا يقتصر الأمر على هذا بالطبع. تحدّث بإسهاب عن الحكم بالحضانة الذي صدر. لو كان هذا الشخص عاطفياً، لمكّن ذلك من تفسير أمور كثيرة، ولصدّق الناس أنّ مصلحة الطفل هي ما يشغله. لكن... لعلك تعلم أنّ لاس ويستمان سبق أن اعتُقِل بتهمة سوء المعاملة؟

- كلا، لا علم لي بذلك.

- كان يخرج قبل سنوات مع المدوِّنة التي تهتمّ بالأزياء المدعوّة رناتا كابوسينكي، وكان يضربها، بل أظن أنّه مزّق وجنتها.

- جريمة ثقيلة.

- ثمّ إنّ...

- ماذا؟

- ... بالدر حرّر شكاوى لم يبعث بها قط، ربّما بسبب وضعه القانوني، يظهر منها بوضوح أنّه كان يشتَبِه في أن ويستمان يسيء معاملة ابنه.

- كيف؟

- لاحظ كدمات على جسد الطفل، وملاحظته مدعومة بشهادة معاينة سلّمتها له محللة نفسانية من مركز التوحد. إذاً ف. . .

- . . . بطبيعة الحال لم يذهب لاس ويستمان إلى سالتسخوبادن حبّاً في الطفل، أو خوفاً على صحته.

- كلا، بل ذهب من أجل المال. منذ أن استعاد بالدر ابنه، توقّف عن صرف مبلغ النفقة الذي كان التزم بأدائه، أو لعلّه قلّصه على الأقل.

- ألم يحاول ويستمان أن يتقدّم بشكوى ضدّه؟

- الراجح أنّه لم يجرؤ على ذلك بالنظر إلى ملابسات القضية.

وسأل بابلانسكي:

- ماذا يوجد أيضاً في حكم الحضانة؟

- أنّ بالدر قد لا يكون أباً جيّداً.

- وهل كان الأمر كذلك فعلاً؟

- لم يكن شريراً مثل ويستمان، لكن حادثاً وقع له هو سبّب هذا الحكم. كان يصطحب ابنه بعد الطلاق مرّة كلّ أسبوعين. وكان حينئذٍ مستقرّاً في شقة مليئة بالكتب بحي أوسترمالم. وبينما كان جالساً في الصالون خلال إحدى هذه الزيارات بعدما ترك أوغست عاكفاً على حاسوبه في الغرفة المجاورة، ولم يكن قد تجاوز السادسة من عمره، ارتقى الولد سلّماً صغيراً كان مسنوداً إلى إحدى المكتبات، ربّما للوصول إلى كتاب موضوع في مكان عالٍ، فسقط. كُسِر مرفقه وأغمي عليه. لكنّ فرانز لم ينتبه لشيء. استمرّ في العمل، ولم يكتشف الطفل المغمى عليه بين الكتب إلّا بعد ساعات. أصابه ذُعر شديد ونقله إلى الطوارئ.

- إثر ذلك سُحب منه حق الحضانة؟

- استنتجوا بعد الحادث أنّه غير ناضجٍ عاطفياً، وغير قادرٍ على

العناية بابنه. ومنذئذٍ لم يعُد له الحقّ حتى في الانفراد بأوغست. لكنّ هذا الحكم في نظري لا قيمة له.

- لماذا؟

- لأن المحاكمة كانت من دون دفاع. ففي الوقت الذي اجتهد محامي الطليقة لكسب القضية، تراجع فرانز بالدر، وراح يلوم نفسه ويقول إنّه لا يصلُح لشيء، ولا يقدّر المسؤولية وما إلى ذلك. وبرّرت المحكمة حكمها بأنّ فرانز لم يستطِع يوماً الارتباط بالآخرين، وأنّه اعتاد على اللوذ بالحواسيب، وهو ما بدا لي مبنياً على سوء نيّة، ولا يستند إلى أدلّة موضوعية. الآن وقد أتيحت لي فرصة التعمّق قليلاً في معرفة حياته، لم أعد أطمئنّ كثيراً لهذه الصورة التي رُسمت له. لم يكن المال الذي أخذته المحكمة إلّا نتيجة جَلْد بالدر لنفسه، وتعبيراً عن ندمٍ صادق. على كلّ حال بدا فيما بعد مبالغاً في التفهّم والتعاون. رَضِيَ بدفع نفقة بمبلغ مهمّ، أربعين ألف كرونة في الشهر فيما أظن، فضلاً عن مبلغ جزائي يقدّر بتسعمائة ألف كرونة. وبعد مدّة قصيرة سافر إلى الولايات المتّحدة.

- لكنّه عاد بعد ذلك.

- نعم. يمكن تفسير عودته بأسباب عديدة. سُرقت منه معطياته التكنولوجية، بل اكتشف بلا شكّ مَن يقف وراء هذه السرقة. ووجد نفسه في خلاف خطير مع مشغِّله. أظنّ أيضاً أنّه عاد من أجل طفله. المرأة التي تشتغل في مركز التوحّد التي أشرت لها سابقاً، وتدعى هيلدا ملين، عبّرت في البداية عن تفاؤل بالغ بشأن تطوّر الولد. لكن لا شيء جرى كما كانت تأمل. تلقّت أيضاً تقارير تفيد بأنّ هانا ولاس ويستمان أخلّا بمسؤوليتهما فيما يتعلّق بتمدرس الطفل. فحسبما هو وارد في منطوق الحكم، كان يلزم أن يتابع أوغست تعليمه في البيت، لكن يبدو أنّ المدرسين المتخصّصين المكلّفين بتعليمه حُرّض بعضهم

على بعض، وممّا لا شكّ فيه أنّ تدليساً وقع بحيث اختُلِقت أسماء أساتذة وهميين. باختصار لم يدّخرا جهداً من أجل تحويل المال المرصود لتعليم الصبي إلى نفقات أخرى. لكن هذه مشكلة أخرى ينبغي أن يعكف عليها أحد المحقّقين لاحقاً.

- ما قصّة هذه المحللة النفسانية العاملة بمركز التوحّد؟

- تقصد هيلدا ملين؟ لمّا بدأ يخامرها الشكّ، هاتفت هانا ولاس، فأكّدا لها بأنّ كلّ شيء على ما يرام. لكنّ شكوكها استمرت، بل تضاعفت. وزارت من ثمّة بيتهما، على غير عادتها، وعلى حين غرّة، فساورها إحساس واضح بأنّ الطفل ليس على ما يرام، وأنّ نموّه النفسي والجسدي تباطأ. ثمّ لاحظت الكدمات. ولمّا عادت إلى المركز، هاتفت فرانز بالدر بسان فرانسيسكو، وتحدّثت إليه مطوّلاً. لم يكد يمضي وقت طويل حتّى عاد إلى هنا وأخذ ابنه إلى منزله الجديد بسالتسخوبادن رغم حكم المحكمة بنزع الحضانة.

- كيف استطاع ذلك ولاس ويستمان حريص على مبلغ النفقة؟

- هذا هو السؤال الذي أطرحه على نفسي. فحسب تصريحات ويستمان، اختطف بالدر الطفل، لكن هانا قدّمت رواية أخرى. قالت إنّ بالدر طرق بابهما، وأنّها لاحظت أنّه تغيّر، فسمحت له بأخذ ابنه، بل فكّرت في أنّ أوغست سيكون أفضل حالاً معه.

- وويستمان؟

- كان ويستمان ثملاً حسبما قالت، منتشياً بحصوله على دور مهمّ في إنتاج تلفزي جديد. ولم يمانع هو أيضاً في أن يأخذ الأب طفله. رغم ادّعائه بأنّ كلّ ما يهمّه هي مصلحة الطفل، أظن أنّه فرح للتخلص منه.

- وماذا وقع إثر ذلك؟

- بعد ذلك ندم. وممّا زاد الطين بلّة هو أنّهم طردوه من السلسلة

التلفزية لأنّه لم يكن يصحو من السكر في أثناء التصوير. ومن ثمّة فكّر في استعادة أوغست، أو على الأقل. . .

- على الأقل مبلغ النفقة.

- هذا ما أكّده رفاقه في الحانة أيضاً، بمن فيهم ذلك الشخص الذي دأب على تنظيم الحفلات، المسمّى رانديفال. وقد بدأ ويستمان يهذي بالطفل على الخصوص لمّا سحبوا منه بطاقته الائتمانية. اقترض خمسمائة كرونة من امرأة شابّة في الحانة واستقلّ سيارة أجرة إلى سالتسخوبادن في ساعة متأخّرة من الليل.

بقي بابلانسكي مستغرقاً في أفكاره وهو يلقي نظرة أخرى على صورة أكسل الظافر.

- يا لها من فوضى.

- نعم.

- لو كانت حالة عاديّة، لكنّا على وشك الوصول إلى الحلّ. لكان الدافع إلى الجريمة واضحاً، أيّ الطلاق والخلاف على الحضانة. لكنّ هؤلاء الأشخاص الذين يقرصنون أنظمة الإنذار، ويشبهون محاربي النينجا، لا يتناسبون مع عناصر المشهد.

- فعلاً.

- ثمّ إنّني أطرح سؤالاً آخر.

- ما هو؟

- إذا كان أوغست لا يعرف القراءة، فما شأنه بالكتب؟

كان مايكل بلومفيست جالساً إلى مائدة المطبخ أمام فنجان شاي قبالة فرح شريف وهو يتأمّل من النافذة حديقة تانتولوندن. تمنّى لو لم يكُن ملزَماً بكتابة مقالة، رغم إدراكه بأنّ في ذلك اعترافاً بالضعف. ودّ

لو أنّه حلّ على هذه المرأة ضيفاً، لا بوصفه صحافياً جاء ليضغط عليها.

لم يكن بادياً عليها أنها ترغب في الكلام، بل كانت تبدو منهارة تماماً. عيناها الغامقتان اللتان اخترقتاه منذ أن واربت الباب، تبدوان الآن شاردتين. كانت تغمغم بين الفينة والأخرى باسم فرانز، كما لو أنّها تردّد تعويذة أو صلاة. لعلّها أحبّته يوماً. أمّا هو فلا شكّ في أنّه أحبّها. كانت فرح في الثانية والخمسين من العمر، ذات جمال نادر، وطلعة ملكية.

سألها بشيء من التردّد:

- كيف كان؟

- مَنْ، فرانز؟

- نعم.

- مفارقة في صورة إنسان.

- بأيّ معنى؟

- بكلّ معاني الكلمة. كان عاكفاً على موضوع يشغله أكثر من أيّ شيء آخر، أشبه قليلاً بـ«أوبنهايمر» في لوس ألاموس. كان واعياً بأنّ ما يفعله قد يتسبّب في خرابنا.

- لم أفهم كلامك.

- كان فرانز يرغب في محاكاة التطور البيولوجي على المستوى الرقمي. يشتغل على لوغاريتمات تطوّرية تستطيع، من خلال عمليات عشوائية، أن تطوّر نفسها بنفسها. كما كان يشارك في تطوير ما يسمّى بالكومبيوتر الكوانتي الذي كانت تشتغل عليه غوغل وسوليفون ووكالة الأمن القومي. وقد كان هدفه هو أن يُخرِجَ إلى الوجود الـ AGI، الذكاء الاصطناعي العام.

- بمعنى؟

- كيان لا يقلّ عن الإنسان ذكاء، لكنّه يتّصف في الآن نفسه بسرعة ودقّة الحاسوب في كلّ التخصصات الميكانيكية. ابتكارٌ كهذا له مزايا كبيرة في كلّ مجالات البحث.

- أظنّ ذلك.

- إنّه مجال بالغ الشساعة، ورغم أنّ معظم أقطاب البحث لا يطمحون ظاهرياً إلى بلوغ AGI، فإنّ المنافسة تقودنا إليه لا محالة. فلا أحد يمكن أن يحرم نفسه من ابتكار تطبيقات تتّسم بأكبر قدر من الذكاء، وإلّا فإنّ التطور سيتوقف. يكفي أن تتأمّل ما أنجزناه إلى حدّ الآن. قارن بين قدرات هاتفك قبل خمس سنوات، وقدراته الآن.

- هذا صحيح.

- كان فرانز يقدّر -قبل أن يصير متكتّماً- أنّ بلوغ هذه المرحلة تلزمها ثلاثون أو أربعون سنة. قد تبدو لك هذه الفترة قصيرة، لكنّني أتساءل من جانبي عمّا إذا لم يكن مغالياً في حذره. ذلك أنّ قدرات الحواسيب تتضاعف كلّ ثمانية أشهر، ودماغنا يجد صعوبة في تمثّل كلّ المترتّبات التي تُسفر عنها ثورة استثنائية كهذه. الأمر أشبه بحبّة أرز على رقعة شطرنج، هل تعرف هذا الأمر؟ ضع حبّة أرز على المربع الأول، حبتين على المربع الثاني، أربعاً على الثالث، ثماني حبات على الرابع...

- وما هي إلّا هنيهة حتى يغرق العالم كلّه في الأرز.

- وتيرة التطور في تزايد، وسينتهي بها المطاف إلى أن تصير خارج السيطرة. والأهمّ في الواقع ليس هو معرفة متى سنصل إلى AGI، بل هو ما سيقع بعدها. هناك سيناريوهات كثيرة، وهي تتوقّف على الكيفية التي سنبلغ بها ذلك. لكنّنا سنصل بالتأكيد إلى صياغة برامج مستقلّة، تُجري التحديثات وتتطوّر من تلقاء نفسها. ولا ينبغي أن يعزب عن البال أنّنا سنجد أنفسنا حينئذٍ أمام تصوّر جديد للزمن.

- ماذا تقصدين؟

- أنّنا سنتجاوز الحدود الإنسانية، وسيُقذَف بنا في نظام جديد تُجري فيه الآلات عمليّات التحديث بسرعة البرق على مدار الساعة. فمباشرة بعد حصولنا على AGI، سنواجه الـ ASI.

- وما هو؟

- الذكاء الاصطناعي الخارق، أيّ ذكاء يفوق ذكاءنا، وهو يتطور بسرعة فائقة. ذلك أنّ الحواسيب ستكون قادرة على تحسين ذاتها بنفسها بوتيرة متصاعدة. ربّما سيكون الحاسوب قادراً على تطوير نفسه أكثر منّا بحيث ينتقل من عشرة إلى مائة مرّة، ومن مائة إلى عشرة آلاف مرّة. فماذا سيقع عندئذٍ؟

- مَن يعلم؟

- بالضبط، فالذكاء في حدّ ذاته ليس معطى يمكن التنبؤ به. فنحن لا نعرف إلى أين سيقودنا الذكاء الإنساني. والأمر أخطر حين يتعلق بالذكاء الاصطناعي الخارق.

قال مايكل وقد تذكّر ما كتب لليزبث:

- لن نكون بالنسبة إلى هذه الحواسيب في أسوأ الحالات أفضل من جرذان مخابر.

- في أسوأ الحالات؟ نشترك مع الجرذان في تسعين بالمائة من حمضنا النووي، ومع ذلك نقدر أنّ الإنسان يفوقها ذكاء بمائة مرّة تقريباً. مائة مرّة لا أكثر. أمّا في هذه الحالة فسنجد أنفسنا أمام بُعد جديد تماماً، وضع لا يعرف مثل هذه الحدود تبعاً للنماذج الرياضية. ذكاء يمكن أن يفوق ذكاء الإنسان بملايين المرّات. تخيّل!

فردّ مايكل وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة حذرة:

- أحاول أن أتخيّل هذا.

- أقصد، كيف سيشعر الحاسوب لمّا سيستيقظ يوماً ويكتشف أنّ

دُوَيْبات بدائية مثلنا هي التي تحتجزه وتتحكّم فيه؟ لماذا سيقبل بهذا الوضع؟ لماذا سيعيرنا أدنى اعتبار؟ هذا دون الحديث عن السماح لنا بتفتيش أحشائه لوقف العملية. قد نجد أنفسنا في وضعيّة ينفجر فيها الذكاء، وضعيّة تكنولوجية فريدة على حدّ وصف فيرنر فينج[1]. وكلّ ما يمكن أن يترتب عن ذلك يتجاوز أفق توقعاتنا.

- فنحن إذاً حين نبتكر ذكاء خارقاً، سنفقد السيطرة عليه.

- المشكلة حينئذٍ هي أنّ إدراكنا العام لهذا العالم لن يكون صالحاً. وهو ما يعني نهاية الوجود البشري.

- لعلّك تمزحين؟

- أعرف أنّ هذا قد يبدو غريباً لمن ليست له دراية بهذه الإشكالية. لكنّها قضية واقعية. هناك آلاف الأشخاص يعملون اليوم في مختلف بقاع العالم لوقف مثل هذا التطور، لكن كثيراً منهم متفائلون، بل طوباويون. هناك من يتحدّث عن **أصدقاء** الذكاءات الاصطناعية الخارقة النافعة، التي تُبرمجُ منذ إطلاقها على مساعدتنا فقط. شيء أشبه بما تخيّله أسيموف في كتابه عن «الروبوتات»: قوانين مدمجة تمنع الآلات من الإساءة إلينا. أمّا المبتكر والكاتب راي كورزويل فتخيّل عالماً عجيباً نندمج فيه مع الحواسيب بواسطة النانوتكنولوجيات، ونربط مستقبلنا بمستقبلها. لكن لا توجد بالطبع أيّ ضمانة على تطوّر من هذا النوع، لأنّ القوانين يمكن أن تُلغى. ودلالة عمليات البرمجة الأولية يمكن أن تُعدّل، ومن السهل ارتكاب أخطاء ذات طبيعة إنسانية، كإضفاء صفات إنسانية على الآلة، وإساءة تقدير

---

(1) Vernor Steffen Vinge: كاتب روايات خيال علمي أميركي، ولد سنة 1944 بالولايات المتحدة الأميركية، اشتهر برواية **نار على الهاوية** (1993) وبحث حول «الفرادة التكنولوجية». وهو فضلاً عن ذلك أستاذ إلكترونيات ورياضيات بجامعة سان دييغو.

قوّتها الحركية الداخلية. كان فرانز مهووساً بهذه الأسئلة كما أسلفت، وكان ممزّقاً. فبمقدار ما كان يحلم بحواسيب ذكية، كانت تشكّل مصدر قلق بالنسبة إليه.

- لم يكن يقوى على مقاومة مشروع ابتكار هذه الوحوش؟

- نعم، الأمر أقرب إلى ذلك في الواقع.

- ما المرحلة التي بلغها؟

- أظن أنّه مضى أبعد ممّا قد يتصوّر أيّ كان. وربّما هذا هو ما جعله يظلّ متكتماً بخصوص عمله لدى سوليفون. كان يخشى أن يسقط عمله بين أيادٍ آثمة، بل كان يخاف من أن يوصل برنامجه بالإنترنت، فيشيع. وقد سمّاه باسم ابنه: أوغست.

- وأين هو هذا البرنامج الآن؟

- لم يكن يفارقه. ومن ثمّة لا بدّ أنّه كان موجوداً بجانب سريره عند مقتله. لكن ما يخيفني هو أن تصرّح الشرطة بأنّها لم تعثر على حاسوب. سيكون خبراً رهيباً.

- أنا أيضاً لم أرَ حاسوباً وإن كان انتباهي انصرف إلى شيء آخر في تلك الأثناء.

- لا بدّ أنّ الأمر كان مفزعاً.

فقال مايكل:

- لعلّك تعلمين أنّني رأيت المجرم أيضاً. كان يحمل حقيبة ظهر.

- كلّ هذا لا ينبئ بخير. تحدّثتُ إلى الشرطة حديثاً عابراً. يتهيّأ لي أنّهم ما زالوا لم يسيطروا على الوضع. بقليل من الحظّ، قد يعثرون على الحاسوب في مكان ما في المنزل.

- أتمنّى ذلك. هل لديك فكرة عمّن قد يكون سرق عمله في المرّة الأولى؟

- نعم.

- ها أنتِ تثيرين فضولي حقّاً.

- أعرف. ما يُحزنني هو أنّني أتحمّل مسؤولية شخصية فيما وقع. كان فرانز يرهق نفسه في العمل، وكنت أخشى أن يُصاب بنوبة اكتئاب. لم يكن قد مضى وقت طويل حينئذٍ على فقدان حضانة أوغست.

- متى كان ذلك؟

- قبل سنتين. كان مُنهكاً من السهر وتأنيب الضمير، ومع ذلك لم يوقف أبحاثه. كان عاكفاً عليها بكلّ جوارحه، كما لو أنّها كانت هي كلّ ما تبقى له في الحياة. حاولت إذاً أن أعثر على بعض المساعدين عساهم يخفّفون عنه. وضعت رهن إشارته أنبَه تلامذتي. كنت أعلم بأنّهم طيبون، لكنّهم طموحون وموهوبون، ومعجبون أيّما إعجاب ببالدر. وكان كلّ شيء يبدو واعداً. لكن فيما بعد...

- ... تعرّض للسرقة.

- تأكّد له ذلك لمّا أودَع طلب براءة اختراع تروغيمز لدى مكتب براءات الاختراع الأميركي السنة الماضية. وكان يتضمّن كلّ مميّزات تكنولوجيته، منسوخة ومفصّلة. اشتبهوا في بادئ الأمر في أن تكون حواسيبهم قُرصنت. أمّا أنا فكنت متحفّظة. كنت أعرف عن حقّ مقدار صعوبة فكّ ترميزات فرانز. لكن في غياب تفسير آخر، اعتمدت هذه الفرضية، وربّما صدّقها حتّى فرانز نفسه لفترة من الزمن. لكنّ الأمر لم يكن كذلك مطلقاً.

فهتف مايكل مستغرباً:

- كيف؟! فعمليّة الاختراق الإلكتروني أكّدها الخبراء.

- نعم، أكّدها وغد من FRA وجد المناسبة سانحة لكي يتباهى ويتبجّح. لا بدّ أن فرانز رأى في ذلك طريقة لحماية العاملين معه، لكنّني أخشى ألا يكون الأمر مقتصراً على ذلك. أشتَبِهُ أيضاً في أنّه حاول أن يلعب دور المحقّق. يا لها من فكرة! أرأيت؟...

التقطت فرح نفَساً عميقاً. فسألها مايكل:

- ماذا؟

- بلغتني تفاصيل القضية منذ بضعة أسابيع. حلّ فرانز وأوغست ببيتي للعشاء. وشعرتُ على التوّ بأنّ ثمّة شيئاً مهماً يريد إخباري به. كان الجوّ متشنجاً. طلب منّي أن نشرب بضعة كؤوس وأن أطفئ هاتفي النقال، وشرع يتحدّث همساً. لا أخفيك أنّني تضايقت في البداية، لا سيما لمّا مضى يتحدّث عن تلك القرصانة الموهوبة.

فسأل مايكل بنبرة اجتهد أن تكون محايدة:

- القرصانة الموهوبة؟

- فتاةٌ كان من كثرة حديثه عنها يصيبني بالدوار. لن أرهقكَ أنا أيضاً بحديثها. امرأة ظهرت في إحدى محاضراته، لا أحد يعرف من أين جاءت، ولجّت في مناقشته في مفهوم الفرادة.

- كيف؟

شردت فرح لحظة ثمّ أجابت:

- الواقع... أنّ هذا لا صلة له بالموضوع، ولكن مفهوم الفرادة التكنولوجية آتٍ من مفهوم فرادة الجاذبية.

- وما هي؟

- هذا ما أسمّيه قلب الظلمة، ما يوجد في قرارة الثقوب السوداء، آخر محطّة من محطات معرفتنا حول الكون، والتي تفضي ربّما إلى عوالم أخرى وأزمنة أخرى. يتصوّر كثيرون أنّ الفرادة تشكّل منطقة اللامعقول التام، ويقدّرون أنّها لا بدّ أن تكون محميّة بأفق الوقائع. كانت هذه الفتاة تبحث عن صيغ حساب مستمدّة من الميكانيكا الكوانتية، وتقول بإمكانية وجود فرادات عارية غير مقيّدة بأفق الوقائع. باختصار، لا أريد الإطالة في هذا الموضوع. لكنّها أثارت إعجاب

فرانز كثيراً، وشرع يثق فيها، وهو أمر مفهوم إلى حدّ ما: ذلك أنّ شخصاً متخصّصاً مثله نادراً ما يعثر على مَن يتحدّث إليه في مجال تخصّصه. فلمّا عَلِمَ أنّ الفتاة قرصانة، طلب منها أن تفحص حواسيبهم. وقد كانت كلّ التجهيزات موجودة عند أحد مساعديه، وهو شخص يدعى لينوس براندل.

وقرّر مايكل مرّة أخرى ألّا يبوح بما يعرف.

- لينوس براندل.

- تماماً. طرقت الفتاة بابه بأوسترمالم وطردته من بيته، ثمّ شرعت في فحص الحواسيب، فلم تعثر على أدنى أثر للاختراق. لكنّها لم تكتفِ بهذا: كانت لديها قائمة بأسماء كلّ معاوني فرانز، وانطلاقاً من حاسوب لينوس، قرصنتهم جميعاً. لم يلزمها وقت طويل لكي تكتشف بأنّ أحدهم باع معطياتهم لسوليفون تحديداً.

- مَن هو؟

- لم يفصح لي فرانز عن اسمه رغم إلحاحي. الظاهر أنّ الفتاة اتصلت مباشرة من هاتف لينوس، وكان فرانز بسان فرانسيسكو. بإمكانك أن تتصوّر الصدمة، صدمة خيانة أحد رجاله! كنت أتوقّع أن يكشف عن اسمه، ويفضحه للملأ... لكنّه لم يفعل. طلب من الفتاة أن تدّعي بأنّهم تعرضوا لاختراق إلكتروني.

- لماذا؟

- خشي من أن يدفع ذلك إلى محو الآثار وإزالة الأدلة. كان يرغب في معرفة المزيد عمّا وقع، وهو أمر مفهوم رغم كلّ شيء. أن تسرق شركة إلكترونية متطوّرة معطياته التكنولوجية أخطر بالطبع من أن يخدعه طالب حقير لا يحفظ عهداً ولا يرعى ذمّة. لم تكن سوليفون إحدى شركات البحث الأشهر في الولايات المتّحدة فحسب، بل سعت أيضاً بتوالي السنوات إلى استقطاب فرانز، وهو ما كاد يُفقده صوابه.

كان يقول: «لقد كان هؤلاء الأوغاد يحاولون إغرائي بينما كانوا ينهبونني».

- انتظري قليلاً، إذا كنتُ قد فهمتُ جيّداً، فأنت تقولين إنّه وافق على العمل لدى سوليفون حتّى يكتشف لماذا وكيف سُرق؟

- إذا كان من حكمة استخلصتها من تجربتي فهي أنّنا لا يمكن أن نفهم بوضوح دوافع الناس. من المؤكّد أن للراتب والحرية دورهما أيضاً. لكن بالنسبة إلى الباقي، أجيب: نعم، طبعاً! كان يشتبه في أنّ سوليفون متورّطة في السرقة حتّى قبل أن تفحص تلك الفتاة الحواسيب. لكنّها قدّمت له معلومات غاية في الدقة، وانطلاقاً منها بدأ يثير المشاكل. وهذا بدا أصعب ممّا كان يتصوّر. بدأوا يحتاطون منه، وسرعان ما استحكمت العداوة بينهم وبينه إلى أن صار معزولاً تماماً. لكنّه اكتشف أمراً.

- ما هو؟

- وهنا بدأت الأمور تتّخذ منحى خطيراً. الحقيقة أنّه يتعيّن علي ألّا أخبرك بذلك.

- ومع هذا، فها أنتِ تفعلين.

- نعم، ها أنا أخبرك. لطالما شعرتُ بالاحترام اتّجاه عملك الصحفي، وهو أمر زاد هذا الصباح. فقد اندهشت لكون فرانز بالدر هاتَفَكَ أنت في ساعة متأخرة من الليل عوض أن ينادي على فريق الحماية الصناعية بسابو الذي كان على اتّصال به. قلت في نفسي إنّ الأمر ليس ملغزاً. أظنّه بدأ يشتبه في وجود تسريبات من هذا الجانب. قد يكون الأمر عائداً لاستبداد الوساوس القهرية بفكره. فقد ظهرت عليه كلّ أعراض هذيان الاضطهاد. لكنّه اتّصل بكَ أنت، والآن آمل، إن حالفني الحظ، أن أنفّذ رغبته.

- فهمت.

ثمّ استرسلت فرح قائلة:

- هناك عند سوليفون قسم يسمّى بحرف واحد: "Y". وهي فكرة استوحوها من غوغل إكس لاب "Google X Lab"، وهي وحدة في غوغل تعنى بما يسمّى Moonshots، أيّ أفكار قد تبدو لأوّل وهلة حمقاء أو شاذّة، مثل البحث عن الحياة الخالدة أو ربط محركات البحث بخلايا الدماغ. إذا كان ثمّة مكان سيتحقّق فيه يوماً AGI أو ASI، سيكون هو هذا المكان بالتأكيد. ففي هذا القسم تحديداً "Y"، تمّ تعيين فرانز. وهي فكرة لم تكُن على قدرٍ كبير من الذكاء.

- لماذا؟

- لأنّه عَلِمَ من تلك القرصانة بوجود فريق سرّي مكوّن من محلّلين استراتيجيين بـ"Y"، يترأسهم رجل اسمه زيغموند إكيروولد.

- زيغموند إكيروولد؟

- يلقَّب بـ«زيكي».

- ومَن هو؟

- هو الشخص الذي كان على اتصال بمعاون فرانز الخائن.

- إكيروولد إذاً سارق؟

- يمكن أن نقول ذلك. سارق من مستوى رفيع. إذا نظر إلى ما يقوم به فريق إكيروولد من الخارج، فإنه شرعي تماماً: شُكِّلت مجموعات من الباحثين المهرة، ومشاريع خارجية واعدة. كلّ شركات التكنولوجيات العالية تقوم بمثل هذه الأنشطة. يريدون معرفة ما يُحاك، وتحديد الأشخاص المهمين لتوظيفهم. لكن بالدر أدرك أنّ الفريق تجاوز بكثير مرحلة الإحصاء والجَرْد. لم يكونوا يكتفون بجَرْد المشاريع التي تهمهم وتتبعها، بل كانوا يستولون عليها باستعمال القرصنة الإلكترونية والتجسّس، ويستعينون بالجواسيس والرشاوى.

- لماذا لم يعمَدْ إلى فضحهم؟

- توفير الأدلة أمر متعذّر. فهم على قدرٍ بالغٍ من الحذر. وفي الأخير، طلب لقاء الرئيس نيكولاس غرانت. كان غرانت في غاية الارتباك، وأنشأ، بحسب بالدر، لجنة تحقيق داخلية. لكن هذه اللجنة لم تعثر على شيء، إمّا لأن إكيروولد تخلّص من الأدلة، أو لأنّ التحقيق لم يكن سوى مناورة لذرّ الرماد في العيون. ووجد فرانز نفسه في وضعٍ لا يُطاق، خاضعاً لكلّ الضغوط. وأظنّ أنّ إكيروولد هو محرّك هذه العمليّة، ولم يجد صعوبة كبيرة في استدراج الآخرين. وفي هذه الفترة كانوا قد بدأوا ينظرون إلى فرانز على أنّه شخص بالغ الحيطة إلى درجة الهوس، وبدأ يجد نفسه معزولاً أكثر فأكثر. يتراءى لي بوضوح الآن وهو جالس في ركنه وقد احتدّت عدوانيّته، ويرفض توجيه الكلام لأيّ كان.

- تقصدين أنّه لم يكن يملك أيّ دليل ملموس؟

- بلى، فقد قدّمت له تلك القرصانة الدليل على أن إكيروولد سرق منه معطياته التكنولوجية، وباعها.

- كان واثقاً من ذلك إذاً؟

- كلّ الوثوق، بل أدرك أنّ فريق إكيروولد لم يكن يشتغل بمفرده. كان يستفيد من دعم خارجي، الاستخبارات الأميركية على الأرجح، وأيضاً...

وصمتت فرح.

- مَن؟

- لم يكن الأمر واضحاً بهذا الخصوص، الراجح أيضاً أنّه لم يكن يعرف عنه الشيء الكثير. لكنّه وقع على اسم مُشفّر يشير إلى القائد الحقيقي، خارج سوليفون. تانوس.

- تانوس؟

- أجل. فهذا الاسم يخفي شخصيّة مهابة الجانب. هذا كلّ ما

أفصح عنه. قال إنّه سيكون بحاجة إلى عقدة تأمين الحياة إنْ هاجمه المحامون.

- قلتِ إنّك تجهلين مَن خانه مِنْ معاونيه. لكن كان عليكِ التفكير في هذا السؤال.

- بالطبع... وفي بعض الأحيان... لا أعرف...

- ماذا؟

- أتساءل ما إذا لم يكن الفريق بكامله.

- ما الذي يدعوك إلى هذا الاعتقاد؟

- لمّا بدأوا العمل مع فرانز، كانوا شباباً موهوبين وطموحين. ربّما استغلّهم فرانز حتّى استنفد كلّ طاقاتهم، أو ربّما كان ثمّة شيء يضايقهم.

- هل تعرفين أسماءهم جميعاً؟

- طبعاً. للأسف فهم أبنائي، بمعنى من المعاني. هناك أولاً لينوس براندل، الذي أشرتُ إليه سابقاً. هو الآن في الرابعة والعشرين من عمره، وهو يقضي أوقاته في ألعاب الفيديو والشرب. شغل منصباً جيّداً لفترة بوصفه مصمّم ألعاب فيديو لدى كروسفاير، لكنّه لمّا تمادى في الإجازات المرضية، واتّهم زملاءه بالتجسس طردوه. ثمّ هناك أرفيد رانج، لعلّك سمعت به. كان في الماضي لاعب شطرنج واعد. مارَسَ عليه أبوه ضغطاً جهنمياً إلى أن ضاق ذرعاً بذلك، فالتحق بي ليدرس معي. كان من المفروض أن يكون ناقش أطروحته لنيل الدكتوراه منذ مدّة طويلة، لكنّه مضى عوض ذلك يطوف على حانات ستوربلان. وهو اليوم تائه تماماً. لمّا اشتغل مع فرانز، انبسط لفترة، لكنّ المنافسة كانت مستعرة بين الأولاد، بحيث استحكم البغضاء بين أرفيد وباسم، وهو اسم الشخص الثالث. مهما يكن، فقد كان أرفيد يكره باسم. والحقّ أنّ باسم مالك لم يكن حقوداً، بل كان ولداً رهيف الحس،

متعدّد المواهب، وظّفه الفرع الشمالي من سوليفون قبل سنة. لكنّه انهار بسرعة، وهو يقيم الآن بمشفى إيرستا بسبب نوبة اكتئاب. هاتفتني أمّه التي أعرفها قليلاً هذا الصباح لتخبرني بأنّهم وصفوا له المهدئات. لمّا علم بما وقع لفرانز، حاول أن يصفد نفسه. إنّه موقف مؤثّر، وأنا أتساءل في الآن نفسه عمّا إذا كان تصرّفه هذا بدافع الحزن فقط، أم بسبب الشعور بالذنب أيضاً.

- كيف هو الآن؟

- لا خطر عليه من الناحية الجسدية. ثمّ هناك نيكلاس لاغرستيد، وهو... ماذا أقول لك؟ إذا نظرتَ إليه من الخارج، بدا لك إنساناً عادياً. ليس من النوع الذي يُتلف دماغه بالكحول أو يدمّر نفسه. بل هو شاب ذو مبادئ أخلاقية، يلتزم بها حتّى في ألعاب الفيديو أو البورنو. وهو عضو نشيط في البعثة الإنجيلية. زوجته طبيبة أطفال رزق منها بطفل يسمى ياسبر. وهو عدا ذلك خبير لدى الريكسكريم، مسؤول عن النظام الإلكتروني الذي سيُعتمد بعد أعياد الميلاد، ممّا يعني بالطبع أنّهم أجروا عليه تحقيقاً يتعلّق بالسلامة. لكنّي لا أعلم مدى عمقه.

- لماذا تقولين هذا؟

- لأنّ هذا المظهر اللماع يخفي نذلاً جشعاً. وقد شاءت الصدف أن أعرف أنّه استولى على جزء من ثروة زوجته وصهره. إنّه منافق بارع.

- هل استُجوِب هؤلاء الأولاد بعد السرقة؟

- تحدّثتْ إليهم السابو، لكنّها لم تحصل منهم على شيء. تنبغي الإشارة إلى أنّ فرانز في ذلك الوقت كان يعتقد حقيقة أنّه ضحية اختراق إلكتروني.

- أظنّ أن الشرطة ستستجوبهم من جديد الآن.

- هذا ما أفترضه.

- على فكرة، هل تعلمين أنّ بالدر كان يقضي معظم وقت فراغه في الرسم؟

- الرسم؟

- وأنّه كان بارعاً في رسم الأشياء بأدقّ تفاصيلها.

- كلا، لا علم لي بهذا. لماذا تسألني هذا السؤال؟

- رأيت في بيته رسماً رائعاً يمثّل ضوء المرور الموجود بمكان قريب من هنا، عند ملتقى طرق هورنسغاتن ورينغفيغن. الرسم مطابق تماماً، أشبه بصورة فوتوغرافية في الظلام.

- غريب. فرانز لا يأتي أبداً إلى هنا، إلّا إذا جاء للعشاء معي.

- غريب.

- نعم.

ثمّ قال مايكل:

- هناك شيء ما لفت نظري في هذا الرسم.

وتفاجأ عندئذٍ وهو يشعر بفرح تُمسِك بيده.

داعَبَ شعرها، ثمّ قام لينصرف. تهيأ له أنه عثر على خيط من خيوط القضية.

هاتف إريكا وهو يعبر شارع زينكين، وطلب منها أن تكتب سؤالاً جديداً في [علبة ليزبث].



14

الواحد والعشرون من نوفمبر

كان أوف لوفين في مكتبه المشرف على سلوسن وردارفياردن. لكي يشغل نفسه، كتب اسمه على محرّك البحث غوغل عساه يعثر على شيء يروقه، لكنّه عثر عوض ذلك على مدوّنة طالبة شابة بالمدرسة العليا للصحافة تلومه على تخاذله وتخلّيه عن مُثله العليا، وجريه وراء المصالح. استشاط غضباً لحدّ أنّه نسي تدوين اسمها على اللائحة السوداء التي لن يُسمح لمن هم فيها بالاشتغال في سيرنر أبداً. لم يشأ أن يشغل ذهنه بهؤلاء الأوغاد الذين لا يعرفون شيئاً عن ثمن النجاح، والذين يقبلون العمل في مجلات ثقافية ظلاميّة برواتب بئيسة. وعوض أن يضيّع وقته في هذه الأفكار العقيمة، ارتبط بمصرفه عبر الإنترنت ليطّلع على محفظة أسهمه، وهو ما سرّى عنه قليلاً، على الأقل في بادئ الأمر. كانت السوق المالية جيّدة ذلك اليوم: فقد ارتفع مؤشّرا النازداك والداو جونز في مساء اليوم السابق، ممّا انعكس على بورصة ستوكهولم التي صعد مؤشرها بـ 1,5 في المائة. كما أنّ الدولار الذي استثمر فيه، ارتفع سعره أيضاً، ومن ثمّة فإن قيمة محفظته ارتفعت بحسب آخر تحديث إلى 389 661 12 كرونة. وهو مبلغ لا بأس به بالنسبة إلى شخص كان يشقى لتحرير مقالات حول أخبار متناثرة في النسخة الصباحية من جريدة **إكسبريسن**. اثنا عشر مليوناً فضلاً عن شقة

بفيلاستادن ومنزل بمدينة كان الفرنسية! **فليكتبوا ما شاءوا في مدوناتهم الحقيرة!** لماذا سيلوم نفسه؟ ثمّ تفحّص قيمة ثروته من جديد. 101 149 12. اللعنة! لماذا تنخفض؟ 737 131 12. بدأ وجهه يتجهّم. لا شيء يبرّر هذا الانخفاض لا سيما وأنّ أرقام التشغيل جيّدة. واعتبر هذا الانخفاض هجوماً على شخصه، وهو ما أعاد **ميلينيوم** إلى ذهنه من جديد. عاوده الغضب. رغم سعيه لطرد هذه الذكرى من رأسه، لم يستطع التخلّص من وجه إريكا الفاتن الذي بدا على قدر كبير من العدوانية في اليوم السابق. ولا يمكن الزعم بأنّ الأمور سوِّيت هذا الصباح.

كاد يُصاب بسكتة قلبية. فمايكل بلومفيست يظهر في كلّ المواقع الإلكترونية، وهو أمر آذاه للغاية. لكنّه ما لبث أن لاحظ بانتشاء كبير أنّ الجيل الجديد لا يكاد يعرف مَن هو بلومفيست. فقد كان يكره هذا المنطق الإعلامي الذي يحوّل مَن هبّ ودبّ إلى نجوم: صحافيون وممثلون وغيرهم، لا لشيء إلا لأنّهم واجهوا مشاكل. هذا في الوقت الذي كان حقّهم أن يتحدّثوا عنه كشخص تجاوزه الزمن، غير قادر حتى على تأمين منصبه في المجلة إن قرّر أوف وسيرنر ميديا طرده منها.

لماذا وجب أن يكون فرانز بالدر من بين كلّ هؤلاء الخلق؟ لماذا وجب أن يكون بالدر هو من يُقتل على مرأى من بلومفيست؟ إنّها حالة خاصة ومؤسية. ورغم أنّ كلّ هؤلاء الصحافيين الأوغاد ما زالوا لم يستوعبوا شيئاً، يدرك أوف أنّ فرانز بالدر كان رجلاً من العيار الثقيل. فقد سبق لجريدة تملكها سيرنر تحمل اسم **الأعمال اليوم** (*Dagens Affärsliv*) أن قدّرت قيمته بأربعة بلايين كرونة، وهي قيمة لا يعلم أحد كيف قدروها. ومهما يكن، كان بالدر نجماً على شاكلة نجوم السينما، لكنّه لم يكن يقبل أيّ استجواب صحفي، ممّا عزّز هيبته.

كم طلباً تلقّى من صحافيي سيرنر وحدها، ورفضها جميعاً، أو بالأحرى تجاهلها؟ كان أوف يعلم أنّ كثيراً من زملائه يعتقدون أنّ هذا الشخص جالس فوق قنبلة حقيقية. ومن ثمّة، فإنه لا يطيق مجرّد التفكير في أن بالدر اتّصل -بحسب الجرائد- ببلومفيست في ساعة متأخرة من الليل وطلب منه القدوم عنده. ثمّ، **ألم يكن مايكل يحضّر لسبق صحفي؟ سيكون هذا هو الأدهى**. ووجد نفسه يتصفّح موقع **أفتونبلاديت** (*Aftonbladet*) مكرَهاً، فأثار انتباهه هذا العنوان:

بماذا أراد الباحث الشهير
أن يُسرّ لبلومفيست يا ترى؟
محادثة ملغزة قبيل مقتله

كان المقال مصحوباً بصورة كبيرة لمايكل، لا شيء يوحي فيها بالضعف. وقد اختار له هؤلاء المحرّرون الأوغاد صورة مغرية بالطبع، وهو ما ضاعف من نقمته. وحدّث نفسه: **عليّ أن أتصرّف، ولكن كيف**؟ كيف أوقف مايكل من دون أن أبدو رقيباً من طينة رقباء ألمانيا الشرقية؟ ألقى من جديد نظرة على ردارفياردن. وخطرت بباله فكرة مفاجئة. قال في نفسه: وليام بورغ، **ألا يمكن أن يصير عدوّ عدوي أفضل صديق؟**

وهتف:

- سانا!

سانا ليند هي سكرتيرته الشابّة.

- نعم أوف؟

- اتّصلي فوراً بوليام بورغ، وادعيه للعشاء بستورهوف. إذا كان مشغولاً، قولي له إنّ الأمر بغاية الأهمية، وأنّ علاوة ستُصرَف له في نهاية اللقاء.

ثمّ أضاف بنبرة حالمة:

- ولم لا؟ إذا قبل مساعدتي في هذه الورطة، فلا ضَيْرَ في أن يحصل على مكافأة صغيرة.

كانت هانا بالدر في وسط صالونها تراقب أوغست بنظرات حزينة وقد أخرج من جديد ورقاً وأقلاماً. فحسبما تلقّت من تعليمات، عليها أن تمنعه من الرسم، لكنّها لم تَمْتَثِل. ساورها شكٌ في وجاهة هذه التعليمات من دون أن ترتاب في مؤهلات المحللة النفسانية. فأوغست عاينَ مقتلَ أبيه... لماذا ستمنعه من الرسم إن رغب؟

كان عليها أن تسلّم بأنّ الرسم لن يهدئ من روعه. ما كاد يمسك القلم ويشرع حتّى أخذ جسمه يرتعش، وبدأت عيناه المرعوبتان تشعّان بألق شديد. ثمّ، إذا بالمربعات السوداء والبيضاء التي انتشرت وتضاعفت في المرايا تتحوّل إلى زخرف غير متوقّع. لكن ماذا تراها تعرف عنه في الواقع؟ كان الأمر أشبه بسلسلة الأعداد: لم تفهم منها شيئاً، لكنّها بالتأكيد تحمل معنى بالنسبة إليه. مَن يدري؟ لربّما كان عقله يتمثّل الأحداث من خلال هذه الشبكة. عليها ربّما أن تتجاهل هذا المنع، ولن تخبر بذلك أحداً. لا تذكر أين قرأت أنّ على الأمّ أن تنصت لغريزتها. فالحدس يكون أحياناً أنفع من أيّ نظرية سيكولوجية. وقرّرت أن تترك أوغست يرسم رغم كلّ شيء.

لكنّ ظَهْرَ الطفل تقوّس فجأة، فاهتزت هانا من جديد. تقدّمت خطوة إلى الأمام وحدّقت في الورقة، فانتفضت وقد انتابها قلق شديد. وجدت صعوبة في تأويل ما رأت.

مربعات رقعة الشطرنج نفسها تتناسخ في مرآتين بدقّة لا تصدّق. لكن ثمّة شيء آخر. ظِلّ يتعالى من المربعات مثل عفريت أو شبح

مرعب. وانصرف فكر هانا توّاً إلى أفلام الرعب التي تقدم أطفالاً تسكنهم كائنات شريرة، ومن دون أن تفهم لماذا، انتزعت الرسم من بين يدي الولد لكي تمزّقه بحركة سريعة. ثمّ أغمضت عينيها، في انتظار صوت التمزيق الذي كانت تعرفه جيّداً.

لكنّها لم تسمع غير غمغمة يكاد المرء يميز فيها بضع كلمات. شيء مستحيل. فأوغست لا يتكلّم. وأخذت تترقّب حلول النوبة، أن يهيج ويلقي بنفسه على أرض الصالون، لكنّ شيئاً من ذلك لم يحدث. تناول أوغست بتصميم هادئ وصامت ورقة أخرى وراح يرسم من جديد المربّعات البيضاء والسوداء نفسها. ولم تجد بدّاً من إيقافه ومرافقته إلى غرفته. وقد وصفت هذا المشهد فيما بعد بأنّه كان لحظة رعب حقيقي.

شرع أوغست يركل برجليه ويضرب بيديه في كلّ الاتجاهات وهو يصرخ. ووجدت صعوبة كبيرة في تهدئته. مكثت ممدّدة فوقه طويلاً على السرير، تشدّه بين ذراعيها. شعرت هي أيضاً بأنّها على حافة الهاوية. وخطر ببالها أن توقظ لاس، وتطلب منه أن يحشر في مؤخرته تحميلات مهدّئة وصفها له الطبيب، لكنّها سرعان ما أعرضت عن الفكرة. سيكون مزاج لاس سيّئاً. وبما أنّها تكره تقديم مهدئات للأطفال، ماذا لو التهمت هي بضع حبات من الفاليوم؟ لا بدّ من وجود حلّ آخر.

أحسَّت بأنّها على وشك الانهيار. وراحت تقلّب الحلول الواحد تلو الآخر. فكرت في أمّها بكاترينهولم، ومساعدتها ميا، وفي غابرييلا، المرأة التي هاتفتها بلطف تلك الليلة، ثمّ تذكرت من جديد الطبيب النفساني إينار فورسبورغ الذي جاءها بأوغست. لكنّها لا تستلطفه. هو مَن اقترح عليها التكفّل بأوغست مؤقّتاً. هو المسؤول عن هذه الورطة. هو مَن نصح بعدم السماح لأوغست بالرسم، فعليه إذاً أن

يجد حلاً لهذا الوضع. وانتهى بها المطاف أن سرّحت ابنها لكي تبحث عن بطاقة زيارته. وبينما كانت تركّب رقمه الهاتفي، جرى أوغست إلى الصالون، وراح يرسم من جديد مربّعاته المنحوسة.

لم يكن لإينار فورسبورغ خبرة كبيرة. يُخيّلُ لمن يراه وهو في الثامنة والأربعين من العمر، بعينيه الزرقاوين الغائرتين، ونظارتيه الجديدتين من طراز ديور، وربطة عنقه المخملية، أنّه مثقف. لكن يكفي التحدّث إليه ليتبيّن أنّ في طريقة تفكيره شيئاً من التصلب والدغمائية، وأنّه كثيراً ما يخفي جهله خلف أفكارٍ مكرورة وتصريحات عشوائية.

لم تكن قد مضت سنتان على حصوله على شهادة الطب النفسي. وقد كان قبل ذلك أستاذ رياضة بدنية في تيريسو. ولو سُئل تلامذته عن رأيهم فيه لهتفوا جميعاً: «**الصمت، يا بهائم!**» وهي العبارة المفضلة التي كانت تجري على لسانه كلّما طلب من التلاميذ أن يصمتوا. ولم يكن التلاميذ يعرفون أكان يقول ذلك مازحاً أم جادّاً. كما أنّهم لم يكونوا يحبّونه، لكن من الصعب الزعم بأنّه لم يكن مُهاباً، بل هذا هو ما أقنعه بضرورة استثمار مؤهلاته السيكولوجية هذه.

مضى عليه عام وهو يشتغل في مركز أودن لاستقبال الأطفال والمراهقين الواقع بمنطقة سفيفيغن بستوكهولم. كان أودن يستقبل حالات الأطفال المستعجلة التي يكون فيها الآباء، لسبب أو لآخر، عاجزين عن العناية بأبنائهم. ورغم أنّ إينار كان مستعدّاً للدفاع عن جودة الخدمة التي يقدّمها المستشفى، إلا أنّه لم يكن راضياً عن الكيفية التي يشتغل بها. فهُم يخصّصون معظم الوقت للعناية بالنوبات، ويهملون العمل على المدى البعيد. ذلك أنّ الأطفال لا يأتون إلّا بعد أن يكونوا قد عاشوا تجارب مؤلمة في بيوتهم، فينشغل الأطباء بتدبير

هذه النوبات العصبية وردود الأفعال العدوانية عوض انشغالهم بتحليل أسبابها العميقة. وقد كان يُعتقد أنّه يتدبر أمره في العمل أكثر من الآخرين، لا سيما وأنّه يستفيد من سلطته كأستاذ سابق، فينجح في إسكات الأطفال المصابين بنوبات هستيرية أو السيطرة على مواقف حرجة في الميدان.

كان العمل مع الشرطة يروقه، كما أنّه كان يعشق التوتّر والصمت الذي يخيّم على مسرح الوقائع المأسوية. لما حلّ بمنزل سالستخوبادن، وكان يؤمّن الحراسة الليلية، شعر بإثارة كبيرة. فقد كان في القضيّة جانب شبيه بالأفلام الهوليودية. باحث سويدي قُتل على مرأى من ابنه ذي الثماني سنوات، وعُهد إليه هو، إينار، بالتكفّل بالطفل، وحَمْلِه على تذكّر ما رأى. سوّى شعره ونظارتيه في مرآة السيارة مراراً على نحو عصبي وهو في طريقه إلى مسرح الجريمة.

كان يأمل أن يدخل بكيفية مثيرة للانتباه، لكنّه ما كاد يصل حتّى واجهه فشل ذريع. لم يفهم من الطفل شيئاً. سأله المحقّقون كيف يستجوبونه، ورغم أنّه لم يكن يملك أدنى فكرة عن ذلك، لقيت أجوبته كثيراً من التقدير والاحترام، ممّا أشعره بثقة زائدة في نفسه، وشجّعه على بذل ما في وسعه لكي يقدِّم يد العون. أخبروه بأنّ الطفل متوحّد، وأنه لم ينطق كلمة أبداً، ولم يظهر يوماً قادراً على التواصل مع محيطه.

قال:

- لا يمكن فعل شيء الآن. فقدراته العقلية محدودة للغاية. وأنا بوصفي طبيباً نفسانياً ملزمٌ بوضع مصلحته فوق كلّ اعتبار.

مضى الشرطيون ينصتون إليه واجمين قبل أن يسلّموا الطفل لأمّه.

وممّا دفعه إلى هذا التصرّف أيضاً أنّ أمّ الطفل هي الممثلة هانا بالدر. كان مولعاً بها منذ أن شاهدها في فيلم **المتمرّدون**. تذكّر ردفيها

وساقيها الطويلين. رغم تقدّمها في السن، لا تزال فاتنة. كان واضحاً أنّ زوجها الحالي نذل. وقد أجهد إينار نفسه ليبدو مثقّفاً وجذّاباً من دون أن يكون ثقيل الظلّ. كما أنّ الفرصة واتته سريعاً ليُبدي بعض الصرامة، وهو ما لم يكن راضياً عنه كلّ الرضا.

مضى الطفل يرسم مكعّبات أو مربّعات بالأبيض الأسود وقد ارتسمت على وجهه تعابير غريبة، وهو أمر لم يخامر إينار بشأنه أدنى شكّ: إنّه سلوك مؤذٍ. ذلك أنّ الأطفال المتوحّدين كثيراً ما يأتون هذا النوع من التصرفات القسرية الهدّامة، وبذلك ألحّ على أن يتوقّف الطفل عن الرسم فوراً. ورغم أنّ نصيحته لم تلقَ الترحاب المطلوب، شعر بأنّه أبدى تصميماً لا هوادة فيه. استبدّ به الحماس، فكاد يهنّئ هانا على دورها في **المتمردون**، لكنّه قال في نفسه إنّ الظرف غير مناسب. لعلّه فوّت تلك الفرصة.

كانت الساعة تشير إلى الواحدة بعد الزوال، وكان قد عاد من توّه إلى بيته الواقع في فالينغبي. كان واقفاً في الحمام ينظّف أسنانه بالفرشاة الكهربائية وهو يشعر بالإنهاك حين رنّ هاتفه. شعَرَ بالضيق في بادئ الأمر، ثمّ تطلّقت أساريره. إنّها هانا بالدر.

أجاب بصوت أراده أن يوحي بالاسترخاء:

- فورسبرغ.

فقالت:

- ألو.

كانت تبدو يائسة وغضبى. وقد وجد في البداية صعوبة في فهم ما وقع.

- أوغست. . .

- ماذا به؟

- يصرّ على أن يرسم مربّعاته، عدا أنّك أمرتَ بألّا أتركه يفعل.

- هدّئي من روعك، إنّه سلوك قهري.

- كيف تريدني أن أهدأ؟

- إن أوغست بحاجة إلى هدوئك.

- لكنّني لا أستطيع. فهو يصرخ ويضرب كلّ ما يصادفه في طريقه. قلتَ لي إنّك تستطيع مساعدتي.

فأجاب بنبرة متردّدة:

- بالطبع.

ثمّ تهلّل وجهه كما لو أنّه حقق نصراً.

- سأعمل جاهداً من أجل أن أعثر له على مكان في أودن.

- لكنّه سيشعر بأنّني تخلّيت عنه، أليس كذلك؟

- بالعكس، فأنت ستقدّمين له ما هو بحاجة إليه. وسأحرص شخصيّاً على أن تتمكّني من زيارته متى شئت.

- ربّما سيكون هذا أفضل بالنسبة إليه؟

- أنا واثق من ذلك.

- هل ستأتي حالاً؟

فردّ وهو يقول في نفسه إنّ عليه أن يعتني أولاً بمظهره.

- سآتي في أقرب وقت ممكن.

ثمّ اغتنم الفرصة ليضيف:

- هل أخبرتك بأنّني أعجبت كثيراً بدورك في **المتمردون**؟

لم يستغرب أوف لوفين أن يجد وليام بورغ بانتظاره في ستورهوف، مثلما لم يستغرب طلبه أغلى ما يوجد على قائمة الطعام: سمك موسى بالزبد والليمون مرفوقاً بنبيذ أبيض رفيع. فالصحافيون عادة ما يستغلّون هذه المناسبات التي يُدعَون فيها للطعام. لكن ما

أدهشه بالمقابل هو أن يأخذ وليام المبادرة، كما لو كان هو مَن يملك المال والسلطة. لماذا استشاط غضباً إلى حدّ أنّه أثار قصة الزيادة؟ كان عليه أن يتريّث ويترك وليام ينضج على نار هادئة.

قال وليام بورغ:

- وقع في خلدي أنّ لديك مشكلة مع **ميلينيوم**.

وحدّث أوف نفسه: **مستعد لبذل الغالي والنفيس من أجل أن أمحو هذه البسمة الواثقة من وجهه**. ثمّ أجاب بانفعال:

- معلوماتك خاطئة.

- صحيح؟

- الوضع تحت السيطرة.

- كيف؟ أرجو أن تعذرني على هذا السؤال.

- إذا كانت هيئة التحرير مستعدّة لقبول التغييرات، وأبدت تفهّمها للإشكالية، سندعم المجلة.

- وإلا . . .

- وإلا سننسحب، وعندها لن تستطيع **ميلينيوم** أن تصمد أكثر من بضعة شهور في تقديري. وقد سبق أن رأينا كيف أنّ جرائد أهم من **ميلينيوم** أفلست. الاستثمار فيها بالنسبة إلينا ليس مهمّاً، يمكننا الاستغناء عنه.

- **دعك من هذا الكلام** يا أوف، أعلم أن القضية بالنسبة لك قضية كبرياء.

- بل قضية بيزنس، لا أقل ولا أكثر.

- بلغني أنّك تريد أن تزيح بلومفيست من هيئة التحرير.

- فكّرنا في نقله إلى لندن.

- ألا ترى في ذلك شيئاً من التحامل بالنظر إلى ما قدّمه للمجلة؟

فاسترسل أوف يقول وقد شعَرَ بأنّه في موقف دفاع:

- قُدِّم له تعويض جيّد.
وكاد ينسى موضوع اللقاء.
فأضاف وليام بورغ:
- لستُ أنا مَن يلومك على ذلك. من وجهة نظري، أرسلوه إلى الصين، هذا الأمر لا يهمّني. كلّ ما في الأمر هو أنّني تساءلت عمّا إذا كانت عودة بلومفيست الصاخبة إلى الواجهة مع قصة فرانز بالدر لا تضايقك...
فردّ أوف ساخراً:
- لماذا ستضايقني؟ لقد فَقَدَ بريقه مثلما أوضحت أنت بنجاح.
- صحيح، وإن كنت تلقّيتُ المساعدة في ذلك.
- ليس منّي على كلّ حال. يمكنك أن تطمئن من هذه الناحية. لم يعجبني عمودك، كتب على نحوٍ سيئ ومُغرض. لعلّك تعلم أنّ تورفالد سيرنر هو مَن أثار الضجّة.
- لكنّك لم تستهجن تماماً المآل الذي آلت إليه الأمور، أليس كذلك؟
- اسمع يا وليام، أنا أكنّ احتراماً كبيراً لمايكل بلومفيست.
- لا داعي لهذا الدهاء السياسي معي يا أوف.
كان لوفين يسعى لأن يجعله يقبل قصّة السياسة هذه، ومن ثمّة يخرسه.
- كّل ما في الأمر أنّني صريح معك. بلومفيست بالنسبة لي صحافي رائع، من عيار غير عيارك وعيار الآخرين من جيله.
فردّ وليام بنبرة تشي بالإحباط وهو ما بعث الرضا في نفس مخاطبه:
- هكذا إذاً!
- بالطبع، لا يسَع المرء إلّا أن يعترف بفضله في كلّ الفضائح

التي كشفها. وأنا لا أتمنّى له إلّا الخير. لكن عملي للأسف لا يسمح لي بأن أستسلم للحنين، وعليّ أن أعترف بأنّك محقّ فيما ذهبتَ إليه من أنّ بلومفيست لم يعُد يساير المرحلة، ويمكن أن يكون عائقاً أمام تجديد ميلينيوم.

- تماماً.

- لهذا أظنّ أنه من غير المحبّذ أن يُكتب عنه كثيراً في هذه الفترة.

- تقصد كتابات تقريظيّة؟

- نعم، ولهذا تحديداً دعوتكَ للغذاء.

- أشكرك. أظنّ أنّني أحتفظ بأمور قد تكون مفيدة لهذا الوضع.

ثمّ استرسل يقول وقد بدا أنّه بدأ يستعيد ثقته بنفسه:

- هذا الصباح تلقّيت مكالمة من مرافقي السابق في لعبة السكواتش.

- مَن؟

- النائب العام ريتشارد إكشتروم. هو المسؤول عن التحقيقات الأولية حول مقتل بالدر. وهو ليس عضواً في نادي المعجبين ببلومفيست.

- منذ قضية زالاشنكو، أليس كذلك؟

- تماماً. انهارت كلّ مشاريعه حينئذٍ بسبب بلومفيست، وهو الآن متوجّس من أن يفسد عليه هذا التحقيق أيضاً، إن لم يكن أفسده.

- كيف؟

- فبلومفيست يرفض التصريح بكلّ ما يعرف. تحدّث إلى بالدر قبيل مقتله، ووجد نفسه وجهاً لوجه مع المجرم، لكنّه لم يُطلق لسانه خلال التحقيق. وإكشتروم يشتبه في أنّه يحتفظ بالأمور المهمة لمقالٍ سينشره.

- شيء مهم.

- وبالجملة إنّنا نتحدّث عن شخص، بعد أن هوى نجمه في مجال الإعلام، ويئس من تحقيق سبقٍ صحفي صار مستعدّاً للتغاضي عن مجرم، وتَرْكِه يفلت من العدالة. إنّه مستعدّ، أمام الصعوبات المالية التي تواجهها جريدته، لأن يضحي بمسؤوليته اتجاه المجتمع. هذا فضلاً عن تلقّيه خبر إزاحته من هيئة التحرير. لا غرابة إذاً في أن يفقد رشده.

- فهمت قصدك. هل يهمّك هذا الموضوع؟

- بصدق، لا أظنّ أنّها فكرة جيّدة. فأنا وبلومفيست كالكلب والقط، وهو أمر معروف. عليك أن تسرّب الخبر إلى أحد الصحافيين، ثمّ تؤكده بعد ذلك في افتتاحياتك. عندئذٍ ستحصل على تصريحٍ رائع من إكشتروم.

فقال أوف وقد حوّل بصره نحو ستوربلان، فلمح امرأة حسناء بشعر طويل أشقر، ترتدي معطفاً أحمر قانياً:

- همم.

ولأوّل مرّة ذلك اليوم، ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، ثمّ أضاف:

- فكرة ليست سيئة على كلّ حال.

ثمّ طلب نبيذاً بدوره.

كان بلومفيست يسير بمحاذاة هورنسغاتن باتجاه مارياتورغيت. على مقربة من كنيسة ماريا ماغدالينا مضى رجلان يلوّحان بأذرعهما ويتصايحان أمام شاحنة صغيرة حُطّم غطاء محرّكها تماماً. وإذا كان المشهد قد لفت أنظار المارّة، فبِالْكاد لمَحه مايكل.

كان يفكّر في الكيفية التي مدّ بها ابن فرانز بالدر يده أعلى السجادة الفارسية، في منزل سالتسخوبادن الشاسع. يدٌ بيضاء ظهرت على ظهرها وعلى أصابعها بقع متناثرة، شبيهة بآثار قلم حبر، وتلك الحركة فوق السجادة، كما لو أنّ الطفل يرسم شكلاً معقداً في الهواء. وتراءى له المشهد فجأة في مظهر آخر، وتبادرت إلى ذهنه الفكرة نفسها التي راودته في بيت فرح شريف: قد لا يكون فرانز هو مَن رسم صورة ضوء المرور. لعلّ هذا الطفل يملك موهبة خفية؟

الغريب هو أنّ هذه الفكرة لم تُثِر استغرابه. استشعر منذ أوّل نظرة ألقاها على الطفل في غرفة النوم، بجانب جثّة أبيه النازفة على الأرضية ذات المربعات، وهو يضرب جسده إلى أسفل السرير، أنّه يملك قدرات خاصة. وبينما كان يعبُر مارياتورغيت، خطرت له فكرة فريدة ربّما، لكنّها لازمته. وعندما بلغ غوتغاتسباكن، توقّف بغتة.

كان عليه أن يتثبّت. بحَثَ عن رقم هاتف هانا بالدر، فوجده على القائمة الحمراء مع أنّها ليست من نوع الشخصيات التي توجد عادة في دليل ميلينيوم الهاتفي. ما العمل؟ وتذكّر فريبا غرانليدن. كانت فريبا تعمل لدى إكسبريسن، وأعمدتها -حول الطلاق ومغامرات المشاهير الغرامية ونمائم المملكة- ليست من عيون الكتابات الصحفية، لكن المرأة كانت ذكيّة، حاضرة البديهة، وقد قضيا معاً لحظات ممتعة خلال لقاءاتهما القليلة. فركّب رقم هاتفها.

كان الخط مشغولاً بالطبع. ذلك أنّ صحافيي الجرائد الشعبية في أيّامنا يقضون معظم أوقاتهم مشدودين إلى هواتفهم. ففي سباقهم ضدّ الساعة، لم يعودوا يجدون الوقت لكي يتركوا مكاتبهم، وينزلوا لاكتشاف الوجه الحقيقي للواقع. يلتصقون إلى كراسيهم، ويعكفون على النسخ. وقد نجح مع ذلك في الاتصال بها. لم تدهشه صرختها من الفرح:

- أهذا مايكل؟ يا له من تشريف! فكّرتَ أخيراً في أن تتفضّل عليّ بسبق صحفي؟ لطالما انتظرتُ هذا.

- آسف، هذه المرّة أنا مَن أحتاج مساعدتكِ. أبحث عن عنوان ورقم هاتفٍ.

- وماذا ستقدّم لي بالمقابل؟ ربّما تصريحاً مثيراً حول ما صنعت هذه الليلة؟

- أتسمحين بأن أسدي لك بعض النصائح المهنيّة؟

- مثل ماذا؟

- كفّي عن كتابة الترّهات.

- إذا فعلت، أين سيعثر الصحافيون الجادّون على الأرقام الهاتفية التي يحتاجونها؟ عمّن تبحث؟

- هانا بالدر.

- أظنّ أنني خمنت السبب. الظاهر أنّ رفيقها ثَمِل بالأمس. لعلّكما التقيتما هناك؟

- لا داعي لتصيّد الأخبار. هل تعرفين مسكنها؟

- شارع تورسغاتن، رقم 40.

- تذكرينه من دون العودة إلى المفكرة؟

- حين يتعلّق الأمر بالتفاهات، أملكُ ذاكرة قوية. انتظر قليلاً لكي أعطيك شفرة الأنترفون ورقم الهاتف.

- شكراً لكِ.

- هل تعلم...

- ماذا؟

- أنّكَ لست الوحيد الذي يبحث عنها. نحن أيضاً نهتمّ بموضوعها، وبحسب معلوماتي، لم تُجِب هذا اليوم على أيّ مكالمة.

- إنّها امرأة في غاية الحكمة.

بعد إنهاء المكالمة، ظلّ مايكل واقفاً لثوانٍ، متردّداً فيما سيفعل. ففكرة مطاردة أمّ مسكينة برفقة صقور الصحافة الفضائحيّة لا تروقه إطلاقاً. ومع ذلك لوّح لسيارة أجرة، وتوجّه إلى فاساستن.

رافقت هانا بالدر أوغست وإينار فورسبورغ إلى مركز استقبال الأطفال والمراهقين الواقع في سفيفيغن، قبالة أوبسيرفاتوريلوندن، وهو عبارة عن شقّتين، جرى تعديلهما ودمج إحداهما في الأخرى. تصميمه الداخلي وباحته يضفيان عليه طابعاً ودوداً ومؤنساً، لكنّه يحافظ مع ذلك على جانبه المؤسّسي الظاهر من سحنات الموظفين المتجهّمة أكثر ربّما من الممرات الطويلة والأبواب الموصدة. وقد بدا العاملون كما لو أنّهم اكتسبوا نوعاً من الحذر اتّجاه الأطفال الذين يُعهَد بهم إليهم.

مدير المركز توركل ليندن رجل متبجّح، قصير القامة، يدّعي امتلاك تجربة كبيرة في علاج الأطفال المتوحّدين، لكن هانا لم تستلطف الكيفية التي كان ينظر بها إلى أوغست. كما أنّها لم تطمئن لفارق السن الكبير بين الأطفال في المأوى، إذ فيهم المراهقون والصبية الصغار، لكنّ الوقت كان قد فات لتغيّر رأيها. وفي طريق العودة، واسَت نفسها بأنّ إقامته هناك لن تطول. ربّما استرجعته في مساء ذلك اليوم نفسه؟

شردت في أفكارها، وتذكّرت جلسات شراب لاس، وقالت في نفسها للمرّة الألف إنّ عليها أن تتشجّع وتتركه لتستأنف حياتها من جديد. وما كادت تخرج من المصعد حتّى كاد قلبها ينخلع. كان ثمّة رجل وسيم واقف في بسطة الدرج، يدوّن شيئاً في كراسة. فلمّا رفع رأسه لتحيّتها، تنبّهت إلى أنّه مايكل بلومفيست، فارتعبت. كان

شعورها بالذنب عظيماً بحيث خالته جاء ليفضحها. لكنّه لم يكن سوى ردّ فعل أخرق بالطبع. أمّا هو فاكتفى بأن ابتسم لها وقد ظهر عليه الضيق، واعتذر مرّتين عن إزعاجها، فساورها شعور بالارتياح من جديد أمام هذا الرجل الذي طالما نالَ إعجابها.

قالت بصوت يوحي بعكس ما تقول:

- ليس لديّ أيّ تعليق.

فقال مطمئناً:

- ليس لهذا الأمر أتيت.

وتذكّرت أنّ بلومفيست إن لم يكن وصل هو ولاس معاً، فعلى الأقل حلّا بمنزل فرانز في الوقت نفسه من الليلة السابقة. ولم تستطع أن تخمّن ما الذي قد يكون جمع بينهما. فقد تأكّد لها الآن أنّهما على طرفَي نقيض.

سألته:

- أتبحث عن لاس؟

- ألتمس منكِ أن تحدّثيني عن رسوم أوغست.

رغم الخوف الذي استبدّ بها، دعته للدخول إلى البيت. قد تكون جازفت. فلاس خرج لمعالجة خُمارِه في أحد المطاعم القذرة القريبة، ويمكن أن يعود في أيّ لحظة. سيستشيط غضباً إنْ وجد صحافياً من هذا الحجم في البيت. لكنّ هانا كانت تشعر أيضاً بنوع من الفضول. كيف علم بلومفيست برسوم ابنها؟ أجلسته على أريكة الصالون الرمادية ثمّ انصرفت إلى المطبخ لتحضير الشاي والبسكويت. ولمّا عادت حاملة صينيّة، قال لها:

- ما كنت لأزعجكِ بمجيئي لولا أنّ الأمر ملحّ للغاية.

- لم تزعجني زيارتك.

- لعلّك تعلمين أنّني لقيتُ أوغست هذه الليلة، وقد فكّرت فيه كثيراً.

فردّت بذهول:

- صحيح؟

- لم أفهم الأمر حينئذٍ، شعرت بأنّه يريد أن يقول لنا شيئاً، لكنّني أظنّ الآن بأنّه كان يرغب في أن يرسم شيئاً. كان يحرّك يده فوق الأرضية بإلحاح شديد.

- هو مهووس بذلك.

- استمرّ إذاً في البيت؟

- تصوّر، عاد إلى الرسم بمجرّد وصوله. رسوم في منتهى الدقة، وبالغة الجمال حقّاً. لكنّ وجهه امتقع، وتنفّسه ضاق، فقال لي الطبيب الذي رافقه: عليه أن يتوقّف عن الرسم حالاً. هو يرى أنّه سلوك قهري مدمّر.

- ماذا رسم؟

- لم يرسم شيئاً محدّداً... أظنّها رسوم مستوحاة من لعبة البوزل. لكنّها متقنة، بالظلال والمنظور...

- لكن ما مضمونها؟

- عبارة عن مربّعات.

- أيّ نوع من المربّعات؟

- مربّعات رقعة شطرنج فيما أظن.

لعلّها تتوهّم، لكنّها خالت أنّها أبصرت بريقاً في عيني مايكل بلومفيست.

- مربّعات رقعة شطرنج فقط، لا شيء غيرها؟

- ومرايا أيضاً. مربّعات رقعة شطرنج تنعكس في مرايا.

فسألها بصوت عالٍ:

- هل زرتِ بيت أبيه؟

- لماذا تسألني هذا السؤال؟

- لأنّ أرضية غرفته، الغرفة التي قُتل فيها، عبارة عن مربعات تشبه رقعة الشطرنج، تنعكس على مرايا الدولاب.

- غير صحيح!

- لماذا تقولين هذا؟

- لأنّ. . .

واجتاحها شعور بالندم.

- لأنّ آخر شيء رأيته قبل أن أنزع الورقة من بين يديه هو ظلّ متوعّد يتعالى من المربّعات.

- هل احتفظتِ بالرسم؟

- نعم. . . الواقع، لا.

- لا؟

- أخشى أن أكون رميته.

- غير معقول!

- لكنّه ربّما. . .

- ماذا؟

- ربّما لا يزال في القمامة.

تلطّخت أصابع مايكل بلومفيست بثفل القهوة والياغورت وهو يُخرِج ورقة مكمّشة من القمامة، وبسطها بحذر على حوض المطبخ. مسحها بظهر يده وتأمّلها في ضوء المصابيح المخفيّة تحت دولاب المطبخ. لم يكن الرسم كاملاً، وهو مؤلّف، كما قالت هانا، من

مربّعات رقعة شطرنج، صوّرت من أعلى أو من الجانب. ومن المؤكّد أنّه يصعب على مَن لم يرَ غرفة بالدر أن يدرك أنّ المربعات تمثّل أرضية. لكن مايكل سرعان ما تعرّف على مرايا الدواليب على اليمين، والظلمة التي غشيته في الليلة السابقة.

بل تهيأ له أنّه عاد إلى اللحظة التي وثَبَ فيها من النافذة الزجاجية الضخمة. كان ثمّة فارق جزئي واحد دال، وهو أنّ الغرفة التي دخل إليها كانت غارقة في ظلام دامس تقريباً، بينما على الرسم يظهر ضوء خافت قادم من فوق على نحو مائل، ينتشر على المربّعات، كاشفاً عن ظلّ غير واضح ومبهم، ممّا يزيد الرسم التباساً.

يمدّ الظلّ ذراعاً، ولم يجد مايكل، الذي كان ينظر بعين مخالفة لعين هانا، صعوبة في فهم ما تمثّله هذه اليد. إنّها يدٌ تسعى للقتل. ففوق المربّعات والظل، يمكن تخمين صورة تقريبية لوجه أحدهم.

وسأل:

- أين هو أوغست الآن؟ أهو نائم؟

- كلا، هو...

- أين؟

- أودَعته بأحد المراكز. صراحة، لم أستطِع تحمّله.

- أيّ مركز؟

- مركز أودن لاستقبال الأطفال والمراهقين المتوحدين الموجود في سفيفيغن.

- هل يعرف أحد أنّه موجود هناك؟

- كلا.

- أنتِ وموظفو المركز فقط؟

- نعم.

- لا ينبغي أن يعلم بذلك أحد. اسمحي لي لحظة.

أخرجَ مايكل هاتفه الجوّال وركّب رقم جان بابلانسكي. كان قد صاغ في ذهنه سؤالاً جديداً لـ[علبة ليزبث].

شعر جان بابلانسكي بالإحباط لأن التحقيق يراوح مكانه؛ ذلك أنّهم لم يعثروا على هاتف فرانز بالدر ولا على حاسوبه. ورغم تحريّاتهم العميقة لدى شركة الاتصالات الهاتفية، لم يتمكّنوا من جرد اتّصالاته مع العالم الخارجي، مثلما لم يتمكّنوا من تكوين فكرة واضحة عن الإجراءات القانونية التي قام بها.

كانت رؤيته لا تزال مضبّبة، وكان عليه الاكتفاء بكليشيهات من قبيل محارب النينجا الذي خرج من العدم ليعود إلى الظلام. كان المشهد العام بالغ الإحكام، كما لو أنّ العملية أنجزها شخص ماهر لا يعرف الخطأ، ولا يعتريه أيّ مظهر من مظاهر الضعف الإنساني التي عادة ما تعتري جرائم القتل. ففي هذه الجريمة كلّ شيء نظيف، بحيث أنجزت بمنتهى الإتقان. ولم يستطع بابلانسكي التخلّص من فكرة أنّ ذلك اليوم كان بالنسبة إلى القاتل يوماً عادياً لا يختلف عن بقيّة الأيام. هذا ما كان يشغل باله لحظة تلقّي مكالمة مايكل بلومفيست.

- مرحباً، كنّا نتحدّث عنك. نرغب في استجوابك من جديد وفي أقرب وقت.

- أنا رهن إشارتكم طبعاً. لكن لدي الآن أمر أكثر استعجالاً أريد إطلاعك عليه. الشاهد أوغست بالدر متوحّد من نوع المتوحّدين العلماء.

- كيف؟

- قد يكون هذا الولد يعاني من إعاقة شديدة، لكنّه يملك موهبة

فريدة. فهو يرسم بمهارة مثيرة، وبدقّة رياضية. هل شاهدت رسم ضوء المرور الذي كان موضوعاً على مائدة المطبخ بسالتسخوبادن؟

- نعم، ألقيت عليها نظرة سريعة. تقصد أنّ الرسوم ليست لفرانز بالدر؟

- كلا، أنجزها الطفل.

- هذه الرسوم تشهد على نضج كبير جدّاً.

- ومع ذلك فأوغست هو مَن أنجزها. وهذا الصباح شرع في رسم أرضية غرفة نوم بالدر ذات المربعات. لكنّه لم يقتصر عليها: رسم أيضاً شعاع ضوء وظلاً. الأمر يتعلق في نظري بظلّ القاتل، والضوء ضوء مصباح على جبينه. لكن لا شيء يمكن تأكيده هذه اللحظة، لأنّ الطفل مُنِع من إتمام رسمه.

- أتمزح؟

- لا أظنّ أن هذا وقت مزاح!

- وكيف عرفت كلّ هذا؟

- أنا أشاهد الرسم مع أمه هانا بالدر في بيتها، لكن أوغست ليس هنا. أودع بـ. . .

وبدا التردّد على الصحافي. ثمّ أضاف:

- أظنّ أن هذا كلّ ما يمكن إخبارك به عبر الهاتف.

- قلت إنّ الطفل مُنع من الرسم.

- أمر أحد الأطباء النفسانيين بمنعه من الرسم.

- كيف سمح لنفسه بأن يفعل هذا؟

- لعلّه لم يفهم ما يمثّله الرسم. لم يرَ فيه غير تصرّف قهري. أنصحك بأن تبعث أحداً إلى هنا على وجه السرعة. الشاهد موجود.

- سنلحق بك حالاً، وسنغتنم الفرصة لنتحدّث قليلاً.

- سأنصرف للأسف، عليّ أن أعود إلى المجلّة.

- سيكون من الأفضل أن تنتظر قليلاً، لكنّني أفهم، على فكرة...

- ماذا؟

- شكراً!

أقفل بابلانسكي الخط، وانصرف لكي يُخبر بقية الفريق من دون أن يعلم بأنّه يرتكب خطأ جسيماً.

15

الواحد والعشرون من نوفمبر

كانت ليزبث سالاندر موجودة بنادي روشر للشطرنج في هالسينغاتن. لم تكن ترغب في اللعب، إذ كانت تعاني من صداع شديد، لكنّها تسكّعت مع ذلك طيلة اليوم، وقد قادتها قدماها إلى هنا. لمّا علمت أنّ خائن فرانز بالدر هو أحد مقرّبيه، وعدته بألا تتدخل وتترك الخائن وشأنه. ورغم أنّ ذلك لم يَرُقها، وَفَت بوعدها. أمّا وقد قتل بالدر، شعرت كما لو أنّها تحرَّرت من ذلك الوعد.

ستتصرّف بأسلوبها الخاص. على أنّ الأمر لم يكن بتلك السهولة التي تصوّرتها. لم يكن أرفيد رانج في بيته، وهي لا ترغب في الاتصال به هاتفياً. صمّمت على أن تنزل عليه كالصاعقة. بحثت عنه إذاً في الحي، وقد أخفت رأسها في قبّ معطفها. كان أرفيد يعيش حياة خمولة. وكمعظم الخمولين، تتّبع حياته نظاماً يسهل على المرء تخمينه انطلاقاً من الصور التي وضعها على إنستاغرام وفيسبوك: ارتياد مطاعم ريش في بيريير يارلسغاتن وتيترغريلن في نيبروغاتن، وكذا نادي روشر للشطرنج ومقهى ريتورنو في أودنغاتن، هذا فضلاً عن قاعة الرماية بالرصاص الموجودة في فريدهامسغاتن، ومنزلي عشيقتين من عشيقاته. وقد تغيّر أرفيد رانج كثيراً منذ آخر مرّة رصدته راداراتها. لم يعُد يلبس النظارات، وتخلّى عن سَمْتِه الأخلاقي. وقد لاحظت

ليزبث، من دون أن تكون من أتباع التحليل النفسي، أنّ الإثم الأوّل قادَ إلى سلسلة كاملة من الآثام. لم يعُد أرفيد ذلك الطالب المتعطّش للمعرفة، بل صار يتردّد على المواقع الإباحية من دون وازع، ويشتري الجنس عبر الإنترنت، ليس أيّ جنس، بل الجنس العنيف، بل إنّ امرأتين أو ثلاثاً التقاهنّ بهذه الكيفية هدّدنه بالتبليغ عنه.

استبدل ألعاب الفيديو والبحث عن الذكاء الاصطناعي بالعاهرات وجلسات الشرب كلّ مساء في وسط المدينة. والظاهر أنّ المال لم يكُن يعوزه، كما لم تكن تعوزه المشاكل. ذلك أنّه بحث ذلك الصباح على غوغل مستعملاً الكلمات: «حماية الشهود، السويد»، وهو تهوّر من جانبه. فرغم أنّ علاقته بسوليفون انقطعت، على الأقل عبر حاسوبه، كانوا ما زالوا يراقبونه على الأرجح. لو لم يفعلوا ذلك، لبدوا أبعد ما يكونون عن المهنية. لعلّه بدأ ينهار خلف المظهر الجديد، وهو أمر جيّد بالنسبة إلى ليزبث.

ولمّا هتفت للمرّة الألف لنادي الشطرنج -وهو الرابط الوحيد الذي ما زال يصله بحياته السابقة فيما يظهر- أخبروها بأنّ أرفيد رانج وصل من توّه.

نزلت إذاً سلم هالسينغاتن، واجتازت ممرّاً يفضي إلى محلّ صغير كئيب متداعٍ، يجلس فيه رجال مسنّون في جماعات، عاكفين على رقع شطرنج. كانوا جميعهم مستغرقين، فلم ينتبه لدخولها أحد، ولم يسألها أحد. كان المحلّ صامتاً إلّا من طقطقة ساعات الشطرنج وبعض الهمهمات هنا وهناك. وكانت الجدران مزيّنة بصور كاسباروف وماغنوس كارلسن وبوبي فيشير، بل هناك أيضاً صورة أرفيد رانج أيّام مراهقته وهو يواجه نجمة الشطرنج جوديث بولغار. ثمّ أبصرته وقد صار أكبر سنّاً. كان جالساً إلى اليمين، وبدا كما لو أنّه يجرّب بداية جولة جديدة. وعند قدميه وضعت بضعة أكياس. كان يرتدي كنزة

صوفية صفراء، وقميصاً أبيض مكوياً حديثاً، وحذاء إنجليزياً لامعاً. بدا بالغ الأناقة في هذا المكان. اقتربت منه ليزبث بخطى حذرة وسألته إن كان يرغب في اللعب. تفحّصها من رأسها إلى قدميها ثمّ أجاب:

- حسناً.

ردّت بنبرة مؤدبة قبل أن تجلس بصمت:

- شكراً.

- لمّا حرّكت قطعتها الأولى إلى e4 أجاب هو بتحريك قطعته إلى b5. أدركت أنّه ينفّذ المناورة البولندية، لكنّها تجاهلت الأمر وتركته يواصل.

كان أرفيد رانج يحاول التركيز على اللعب، لكنه وجد صعوبة في ذلك. لحسن حظّه أنّ الصعلوكة الجالسة قبالته ليست بطلة شطرنج. من الصعب القول إنّها مبتدئة، بل هي بالأحرى لاعبة شغوفة. لكن ذلك لن يغيّر شيئاً. كان مسيطراً من الناحية التقنية، ولم يكن يخامره شكّ في أنه نال إعجابها، ومَن يدري، لعلّها ترافقه إلى شقته عند الفراغ من اللعب. بدت متجهّمة، وأرفيد لا يستلطف الفتيات العابسات. لكنّها تملك نهدين لا بأس بهما، قد يخففان من إحباطه. قضى صباحاً سيئاً. لمّا بلغه مقتل فرانز بالدر، كاد ينهار.

لا يمكن الادّعاء أنّ الخبر أثار حزنه، لكن أصابه بالذعر. لم يكفّ أرفيد رانج عن ترديد أنّه فعل ما كان يلزم أن يفعل. بما أنّ هذا الأستاذ اللعين تصرّف معه باستخفاف كما لو أنّه لا يساوي شيئاً، فماذا كان عليه أن ينتظر؟ ستتلطّخ سمعته بالطبع لمّا سيُعرف أنّه هو مَن خانه. من المحتمل أن يكون لذلك صلة بمقتله، وإذا صحّ هذا الأمر،

فإنّه لا يعرف على وجه التحديد ما هي، ويطمئن نفسه بأنّ وغداً مثل بالدر أثار عليه آلاف العداوات.

لكنّه كان مقتنعاً في قرارة نفسه بأنّ هذه الأحداث مترابطة، وهو ما كان يرعبه.

منذ أن بدأ فرانز العمل لدى سوليفون، خشي أرفيد من أن تأخذ القضية منحى خطيراً، والآن ها هو هنا يحلم بأنّ كلّ هذا سيختفي. لم يجد شيئاً يفعله هذا المساء أفضل من أن يذهب إلى المدينة ليتجوّل في المحلات التجارية، ويشتري بهوس كمية كبيرة من ألبسة الماركات العالمية. ثمّ جاء إلى هنا، لأنّ الشطرنج ما زال قادراً على التخفيف من عذاباته، ومن ثمّة فهو يشعر بنفسه الآن أفضل. أحسّ بأنّه بدأ يستعيد السيطرة على نفسه، وأنّه على قدرٍ من الدهاء يمكنه من الاستمرار في خداعهم جميعاً. لا أدلّ على ذلك من الكيفية التي يسيطر بها على الجولة مع أنّ مستوى الوافدة الجديدة لا بأس به.

بل إنّ أسلوبها في اللعب يتّسم بشيء من عدم الوثوقية ومن الإبداعية، بحيث إنّها قادرة على الأرجح على تلقين درس لا يُنسى لمعظم الرجال الذين يتدرّبون في هذا النادي. لكن هذا لن يمنع أرفيد رانج من أن يسحقها. فقد كانت طريقته في اللعب من الذكاء والإتقان بحيث إنّها لم تنتبه إلى أنّ ملكتها على وشك أن تسقط. ودفع ببيادقه على نحوٍ خادع إلى الأمام. ولم يكلّفه الاستيلاء على ملكتها سوى التضحية بفارس لا غير، وهتف بنبرة مرحة:

- آسف صغيرتي. ملكتك ماتت!

لم تبتسم الفتاة، ولم تنطق ببنت شفة، واكتفت بأن رفعت وتيرة اللعب، كما لو أنّها رغبت في المسارعة بالتخلص ممّا تلقته من إهانة. ولِمَ لا؟ سيعجّل هو أيضاً بهذه النهاية. إثر ذلك سيرافقها ليشربا كأسين

أو ثلاثة قبل أن يضاجعها. لن يرفق بها، ولن يبرّ، لكنّها في النهاية هي من ستشكره. لعلّ هذه المرأة المتجهّمة لم تذُق الجنس منذ فترة طويلة، وأنّها غير معتادة ربّما على لقاء رجال من طينته، لهم مستوى كمستواه في لعبة الشطرنج. وقرّر أن يستعرض عليها عضلاته، وأن يلقّنها درساً في اللعب البارع. لكن لا شيء جرى كما توقّع. لا بدّ أن ثمّة مشكلة. بدأ يلمس في لعبها مقاومة لم يستطِع فهمها. قال في نفسه في البداية لا يعدو الأمر أن يكون مجرّد تهيّؤات أو نتيجة بعض التحرّكات غير الحذرة من جانبه، وأنّه سيتدارك الوضع بشيء من التركيز. ورغم أنها ستنفر كلّ غرائز القتل لديه، لم يزد ذلك الوضعية إلّا تدهوراً.

شعر بنفسه في ورطة. كلّما هاجمها، ردّت بشراسة. وفي الأخير اضطرّ إلى التسليم بأن ميزان القوى اختلّ على نحوٍ لا رجعة فيه. فبعد أن أخذ منها ملكتها، كان من اللازم أن يتعزّز تفوّقه، لكن عوض ذلك، وجد نفسه في وضع كارثي. ماذا وقع؟ لا يُعقل أن تكون ضحّت بملكتها عمداً؟ وفي مرحلة متقدّمة من الجولة؟ مستحيل. هذه التقنيات تطالَع في الكتب، لكنّها لا تتحقق أبداً في نادٍ من نوادي الأحياء مثل هذا، ومع صعلوكة طائشة كهذه. لكن الواقع لا يرتفع: هو الآن في ورطة لا مخرجَ منها.

لم يفْضُل غير أربع أو خمس تحركات وينهزم. ولم يجد بدّاً من إسقاط ملكه وهو يغمغم ببضع عبارات تهنئة. ودّ لو يعثر على ذريعة يبرّر بها هزيمته، لكنّ هاتفاً أوحى له بأن ذلك سيزيد الطين بلّة. شعر بأنّ هزيمته لم تكن نتيجة مصادفة سيّئة، فتملّكه الخوف من جديد. مَن تكون هذه الفتاة اللعينة؟

تفحّصها، فإذا به يجدها فجأة غير تلك الفتاة المضجرة المتجهّمة. إنّها فاترة فتور المفترس الذي يراقب فريسته، فشعر بضيق

شديد، كما لو أنّ هزيمة الشطرنج ليست إلّا تمهيداً لوقائع أدهى. ونظر ناحية باب المدخل، فقالت له:

- لن تخرج من هنا.

- مَن أنتِ؟

- لست أدري.

- ألم يسبق لنا أن التقينا؟

- بمعنى من المعاني.

- كيف؟

- التقينا في كوابيسك يا أرفيد.

- أتمزحين؟

- تقريباً.

- ماذا تقصدين؟

- أظنّك تعرف قصدي.

- من أين لي أن أعرف؟

لم يستطِع أن يفهم لماذا تملّكه كل هذا الخوف.

واسترسلت تقول بصوت رتيب:

- قُتِل فرانز بالدر هذه الليلة.

فغمغم:

- نعم. . . قرأت هذا.

- شيء فظيع، أليس كذلك؟

- صحيح.

- لا سيما بالنسبة لك، أليس كذلك؟

- لماذا سيكون فظيعاً بالنسبة لي أنا بالتحديد؟

- لأنكَ خدعته يا أرفيد. لأنّك غدرت به.

فشعر بجسده يتصلّب، وهتف:

- كلام فارغ!

- كلا، فقد قرصنتُ حاسوبك، وفككتُ ترميزك. أعرف ما صنعت. أأخبرك بأمر آخر؟

شعر بالاختناق.

- أنا مقتنعة بأنّك استيقظت هذا الصباح وأنت تتساءل عمّا إذا لم تكن مسؤولاً عن مقتله. وأنا أستطيع أن أساعدك بهذا الخصوص: الخطأ خطؤك. لو لم تكن جشعاً وحقيراً لما بعتَ معطيات فرانز بالدر التكنولوجية لسوليفون، ولكان الآن لا يزال على قيد الحياة. وينبغي أن تعلم يا أرفيد أنّ هذا يوغر صدري عليك. سأؤلمك كثيراً، وسأذيقك ممّا تذيقه لأولئك النساء اللواتي تتصيّدهن على الإنترنت.

- لا شكّ أنّك مريضة؟

- نعم، قليلاً. لا أعرف الشفقة، وتنتابني نوبات من العنف. أعراض من هذا القبيل.

وأمسكَت بيده بقوة أفزعته.

- أصدُقُك القول يا أرفيد: إنّك في موقف سيئ للغاية. أتعرف ما أنا صانعة؟ أتعرف لماذا أبدو حالمة؟

- كلا.

- أنا متردّدة في اختيار العذاب الذي سأُنزِله بك. أفكّر في أن أجعلك تتألّم ألماً لا حدود له. لهذا تراني شاردة قليلاً.

- ماذا تريدين منّي؟

- أطلب الانتقام. يبدو أنّ كلامي في منتهى الوضوح، أليس كذلك؟

- كلام فارغ.

- كلا، أظنّك واثق من أنّه ليس كذلك. لكن ثمّة مخرج.

- ماذا عليّ أن أفعل؟

لم يفهم لماذا قال: ماذا عليّ أن أفعل؟ إنه اعتراف ضمني وإعلان عن الاستسلام، وهو ما دعاه إلى أن يُعيد الكرّة فوراً ليتأكّد ممّا إذا كانت تملك عليه حججاً كما ادّعت، أم أنّها مجرّد مزاعم. لكنّه لم يجد الشجاعة لذلك، ولم يدرك أنّها أخضعته لإرادتها إلّا بعد فوات الأوان. لم يكن ذلك بسبب تهديداتها وقوّة يديها الرهيبة فحسب، بل بسبب جولة الشطرنج، وتضحيتها بالملكة. لقد أصابته هذه الاستراتيجية بالصدمة، ولاشعوره يقول له إنّ فتاة تلعب بهذا المستوى، لا يمكن إلّا أن تكون بحوزتها حجج ودلائل.

وكرّر:

- ماذا عليّ أن أفعل؟

- عليكَ أن ترافقني إلى الخارج يا أرفيد، وأن تتكلّم. عليك أن تحكي لي بدقة ما وقع حين خُنت فرانز.

قال بابلانسكي الذي كان في مطبخ هانا بالدر يراقب الرسم المكمّش الذي أنقذه بلومفيست من القمامة:

- إنّها معجزة.

فردّت سونيا موديغ التي كانت واقفة بجانبه:

- لا تبالغ في الاندفاع.

لم تكن مخطئة. مهما كان، فالأمر لا يتعلّق إلّا بمربعات رُسمَت ببراعة رياضية على ورقة، على حدّ تعبير بلومفيست في الهاتف، كما لو أنّ ما كان يشغل الولد هي الدقة الهندسية في استنساخ المربعات في المرايا أكثر من الظلّ المتربص من فوق. ومع ذلك لم يستطع بابلانسكي أن يهدأ. لم يتوقفوا عن ترديد أنّ أوغست بالدر طفل متخلّف ولن يستطيع أن يقدّم لهم أيّ عون. لكن ها هو ينجز رسماً

يحيي الأمل في نفس بابلانسكي أكثر من أيّ عنصر آخر في هذا التحقيق. وهو ما يعزّز نظريته القديمة التي تقضي بعدم الاستهانة بأيّ كان، وتجنّب الأفكار الجاهزة.

لم يكن واثقاً بالطبع حتّى من أنّ أوغست التقط مشهد القتل. من الناحية النظرية يمكن أن يحيل الظلّ على أمور أخرى، وليس ثمّة أيّ ضمانة على أنّ الطفل رأى وجه القاتل، وأنّه يستطيع أن يرسمه. ومع ذلك... صدّق جان بابلانسكي هذا الأمر في قرارة نفسه.

لم يصدّقه بناء على براعة هذا الرسم فحسب، بل لأنّه تفحّص رسوماته الأخرى، بل التقط لها صورة شمسية أخذها معه. من المؤكد أنّها تُظهر ممرّاً للراجلين وضوء مرور، لكن ترى فيها أيضاً صورة رجل متعَبٌ، ذي شفتين دقيقتين، وهي صورة إذا نُظر إليها من الزاوية البوليسية، فهي تقدّم الرجل في حالة تلبّس: يعبُر الطريق مع أنّ الضوء أحمر. وقد رُسم وجهه بدقّة جعلت أماندا فلود، وهي عضو في الفريق، تتمكّن من التعرّف عليه. إنه الممثل السابق العاطل روجر وينتر، الذي سبق أن صدرت في حقّه أحكام قضائية بسبب السكر خلال السياقة والتعنيف.

إنّ وضوح نظرة أوغست بالدر الفوتوغرافية تعدّ نعمة كبيرة بالنسبة إلى محقّق الشرطة الجنائية. لكن بابلانسكي كان واعياً بأنّ المحقّق المحنّك لا ينبغي أن يعقد آمالاً كبيرة على هذا الأمر. فلعلّ القاتل كان مقنّعاً لحظة تنفيذ جريمته، أو أنّ وجهه قد يكون امّحى من ذاكرة الطفل. هناك سيناريوهات كثيرة ممكنة. ونظر بابلانسكي لسونيا موديغ نظرة كئيبة وقال:

- تقصدين أنّني واهم؟

- يُخيّل لشخص بدأ يشكّ في وجود الرب أنّك لا تزال تؤمن بالمعجزات.

- أتّفق معك، لكن الأمر يستحقّ الاستقصاء مع ذلك.
- فلنذهب للقاء الطفل إذاً!

خرج بابلانسكي من المطبخ، وأومأ برأسه لهانا بالدر. كانت جالسة على الأريكة بالصالون، شاردة في أفكارها.

خرجت ليزبث وأرفيد رانج إلى فساباركن وقد شبكا ذراعيهما كصديقين قديمين. لكنّ المظاهر خدّاعة بالطبع: فقد استسلم أرفيد المرعوب لليزبث التي قادته إلى أحد المقاعد. لكنّ الوقت لم يكن مناسباً للجلوس ولإطعام الحمام، إذ أخذ الريح يهبّ من جديد، وانخفضت درجة الحرارة حتّى أن أرفيد راح يرتعش من البرد. عدا أن المقعد كان ملائماً تماماً بالنسبة إلى ليزبث. سحبته من ذراعه وهي تأمره بالجلوس:

- هيّا، اجلس! ينبغي أن نفرغ من هذا الموضوع حالاً.
- هل تعدينني بألّا تذكري اسمي؟
- لا أستطيع أن أعدك بشيء يا أرفيد. لكنّ حظوظك في العودة إلى حياتك البئيسة تزيد إن أنت لم تبُحْ بكلّ ما عندك.
- حسناً. هل تعرفين الداركنت؟
- أعرفه.

لا أحد يتفوّق على ليزبث سالاندر في معرفة الداركنت: غابٌ بلا ضوابط ولا قوانين في عالم الإنترنت. لا يمكن ولوجه من دون استعمال برنامج مرموز خاص. وفي هذا العالم، لا يخشى المستعمل انكشاف هويّته، ولا يستطيع أحد أن يتجسّس عليه أو يتقفّى أثره. لذلك فهو حافل بتجّار المخدرات والإرهابيين ورجال العصابات ومهرّبي الأسلحة والقوّادين والقراصنة. لا وجود لقذارة كهذه في أيّ

مكان آخر من العالم الرقمي. لو كان في العالم الافتراضي جحيم، لكان هذا هو بلا منازع.

لكن الداركنت ليس سيّئاً في ذاته، وهو أمر لم يكن خافياً على ليزبث. ففي زمنٍ تُراقِبُ فيه منظّمات التجسّس وشركات المعلوماتية العملاقة أبسطَ تحرّكاتنا على الإنترنت، يحتاج عدد كبير من الناس الشرفاء إلى مكان لا يراهم فيه أحد. كما أنّ الداركنت صار ملاذاً للمنشقّين والمُنْذِرين والمصادر التي لا تريد الكشف عن نفسها. بواسطته يستطيع أشرس معارضي الأنظمة السياسية التعبير والإدانة من دون أن تتمكّن حكوماتهم الإمساك به. ففيه أنجزت ليزبث سالاندر تحرّياتها وهجماتها الأكثر سرّيّة.

كانت معرفتها بالداركنت جيّدة إذاً، خبيرة بمواقعه ومحرّكات بحثه، ببطئه وتصميمه الغرافي المتجاوَز، البعيد كلّ البعد عن الإنترنت المعروف الذي يستعمله سائر الناس.

وسألته:

- عرضتَ معطيات بالدر التكنولوجية للبيع على الداركنت إذاً؟

- كلا. كلّ ما قمت به هو أنّني أجريتُ أبحاثاً بالصدفة. كنت ناقماً على فرانز لأنّه بالكاد كان يحيّيني. كان يتجاهلني، لا يكاد يراني. ولا أخفيك، لم يكن يهتمّ أيضاً بأعماله. كان يريد فقط أن يستعين بها في أبحاثه، من دون أن يحفل بتوسيعها لكي تُستعمل على نطاق واسع. كان الجميع يعرفون أنّ هذه المعطيات التكنولوجية يمكن أن تعود بالمال الوفير، وتجعل المرء غنيّاً. لكنّه كان يستهين بها، ويكتفي بتجريبها كما يفعل طفل صغير. وذات يوم شربت شيئاً من النبيذ فانتشيت، وطرحت سؤالاً على أحد مواقع المهووسين بعلوم الكومبيوتر: «مَن يرغب في شراء معطيات تكنولوجية ثورية حول الذكاء الاصطناعي؟».

- وحصلتَ على جواب بالطبع؟

- ليس على الفور، بل نسيت أنّني طرحتُ ذلك السؤال. ثمّ أجابني أخيراً شخص يدعى بوجي. طرح عليّ بضعة أسئلة دقيقة. في البداية أجبتُ من دون أن أعيره أيّ اهتمام، كما لو أنّ الأمر يتعلّق بلعبة مُخاتلة. لكنّني تنبّهت ذات يوم إلى أنّني خُدعت، وكاد يُجنّ جنوني عندما أدركت أنّ بوجي سرق المعطيات.

- من دون أن يدرّ عليك ذلك شيئاً.

- لم أنتبه إلى مدى خطورة اللعبة التي شاركتُ فيها. إنّه أسلوب معروف فيما أظن. لبيع برامج فرانز، كان عليّ أن أتكلم عنه. لكنّني إن قلت أكثر ممّا يلزم، سأخسره قبل الاستفادة منه. كان بوجي يجاملني بطريقة جهنّميّة. وفي نهاية المطاف، عرف بالضبط أين بلغ تطور البرنامج الذي كنّا نشتغل عليه.

- أكان ينوي سرقة معطياتك؟

- ربّما. إثر ذلك تمكّن من العثور على اسمي بطرائق ملتوية، وهو ما حطّمني تماماً. أُصبت بجنون الاضطهاد، وأعلنت له بأنّني أرغب في الانسحاب، لكنّ الأوان كان قد فات. فبوجي لم يهدّدني مباشرة على الأقل. كان يكرّر باستمرار بأنّنا سننجز أموراً عظيمة معاً، وسنربح كثيراً من المال. انتهى بي المطاف إلى أن قبلت لقاءه بستوكهولم. أذكر أنّ الجو كان بارداً ذلك اليوم وعاصفاً. مضت نصف ساعة ولم يأتِ، وأتساءل عمّا إذا كان قد وضعني تحت المراقبة بطريقة أو بأخرى.

- ثمّ جاء؟

- نعم. تملّكتني الحيرة في البداية. لم أستطع التصديق بأنّ هذا الشخص هو بوجي. كان أشبه ببائع مخدّرات أو شحّاذ. ولو أنني لم ألمَح على معصمه تلك الساعة الفاخرة، لسارعتُ للتكرُّم عليه بصدقة.

كانت تظهر على مرفقه ندوب وأوشام مشبوهة، يلبس معطفاً طويلاً يبدو فيه مُهمل المظهر. وهو مظهر يوحي بأنّه قضى فترة من حياته في الشارع. وما يثير الاستغراب أكثر هو أنه فخور بذلك. وحدهما الساعة والحذاء يوحيان بأنّه خرج من حياة البؤس. أمّا ما عدا ذلك، فيشير إلى أنّ ماضيه كان بئيساً. ثمّ لاحقاً، بعد أن بُحت له بكلّ شيء، وبعد أن احتفلنا بالاتفاق الذي جرى بيننا بشرب زجاجات من الخمر، طرحت عليه بضع أسئلة عن أصوله.

- أتمنّى أن يكون باحَ لك ببعض التفاصيل.

- إن كنت تنوين لقاءه، أنصحك. . .

- لست بحاجة إلى نصائح يا أرفيد، أنا بحاجة إلى وقائع، ولا شيء غيرها.

- حسناً. بدا محترساً بالطبع، لكنّني نجحتُ في أن أنتزع منه بعض التفاصيل. لعلّ الرغبة في الكلام استبدّت به. نشأ في روسيا، بمدينة كبيرة، لم يعيّنها. وقال إنّ كل شيء كان يعاكسه. كلّ شيء! كانت أمّه عاهرة ومدمنة على الهيروين، وأبوه مجهول، وأنّه وجد نفسه منذ طفولته المبكّرة بأحد ملاجئ الأيتام حيث عاش ظروفاً عصيبة. كان ثمّة معتوه دأب على تمديده على طاولة المطبخ، وجلده بعصاً مكسوّة بالشوك. وما كاد يبلغ الحادية عشر من عمره حتى فرّ من الملجأ، وعاش في الشارع. كان يسرق ويأوي إلى الأقبية والسلالم لينعم بشيء من الدفء، كما كان يدمن على الفودكا الرخيصة، ويستنشق سائل المذيب الكيميائي واللصاق. كانوا يستغلّونه ويضربونه، لكنّه اكتشف شيئاً أيضاً.

- ما هو؟

- أنّه يملك مواهب. تكفيه بضع ثوانٍ لينجز ما ينجزه الآخرون في ثلاث ساعات. كان بارعاً في سرقة المنازل إلى حدّ أنّه صار يفتخر

بذلك، بل صار جزءاً من هويته. قبل ذلك لم يكن غير شخص حقير مسترذل من حثالة الشارع. لكنّه صار فيما بعد الشخص القادر على النفاذ إلى أيّ مكان في وقت قياسي. وما لبث أن أصبح مهووساً بذلك. كان يقضي يومه حالماً بأن يصير مثل الساحر هوديني[1]، لكن بمعنى معكوس: لم يكن يتوق إلى الفرار، بل إلى الاقتحام، وكان يتدرّب بلا توقف ليتفوّق عليه، عشر ساعات أحياناً، أو اثنتي عشرة أو أربع عشرة ساعة في اليوم. وانتهى به المطاف أن صار أسطورة الشارع، بحسب زعمه على الأقلّ. ثمّ تعاطى لعمليات أخطر إلى أن صار يستعمل حواسيب كان يسرقها ويعدّلها. هكذا استعمل القرصنة الإلكترونية لكي يتسلّل حيثما أراد، وتمكّن من تحصيل أموال كثيرة. لكنّه بدّدها في الكحول والحماقات. كانوا ينهبونه ويستغلّونه. وهو إن كان يحافظ على يقظته وصفاء ذهنه في أثناء تنفيذ سرقاته، فإنّه سرعان ما يفقد وعيه فيما بعد بسبب المخدرات. وكان ثمّة دائماً مَن يهزأ به. «هو عبقري ووغد في الآن نفسه» على حدّ قوله. ثمّ تغير كلّ شيء ذات يوم. أُنقِذ وانتُزِع من هذا الجحيم.

- ماذا وقع؟

- نام في بناية مهجورة أشبه بكوخ، وكان في منتهى القذارة. فتح عينيه فأبصر في الضوء الشاحب ملاكاً واقفاً أمامه.

- ملاك؟

- هذا ما قال. ربّما بدا له كذلك مقارنة بما يحيط به من إبر حقنٍ وبقايا طعام وما إلى ذلك. كانت أجمل امرأة رآها في حياته، بل وجد مشقّة في النظر إليها، وتهيّأ له أنّه على مشارف الموت. وتملّكه شعور بالمهابة، لكنّ المرأة شرحت له بقدر كبير من البساطة بأنّها ستحوّله إلى

---

(1) هاري هوديني (1874-1926): ساحر أميركي شهير من أصل مجري.

رجل غنيّ وسعيد. وإذا كنت قد فهمت كلامه، فإنّها أوفتِ بوعدها. أودعته مركزاً للعلاج، وداوت كلّ أسنانه، وحرصت على أن يتابع دراسته في مجال الهندسة الإلكترونية.

- ومنذئذٍ يتعاطى لقرصنة الحواسيب والسرقة لفائدة تلك المرأة وشبكتها؟

- إلى حدّ ما. مقارنة بما عاشه في السابق، عاد إلى الانحراف نفسه. لكنّه لم يعُد يقرب المخدرات. يقضي كلّ وقت فراغه في اكتشاف التكنولوجيات الحديثة. ووجد في الداركنت منجماً ثميناً، جنى منه مالاً وفيراً.

- وتلك المرأة، هذا كلّ ما قاله عنها؟

- نعم. ظلّ كتوماً بشأنها. تحدّث عنها على نحوٍ مراوغ وبقدر كبير من الاحترام جعلني أتساءل لحظة عمّا إذا لم تكن مجرّد استيهام أو هذيان. لكنّني أظنّها موجودة حقيقة. كان صوته يشي بخوف حقيقي وهو يتحدّث عنها. قال إنّه يفضل الموت على خيانتها. إثر ذلك أراني صليباً أرثوذكسياً روسياً من الذهب وَهَبَته إياه. أتعرفه؟ ذاك الذي يحتوي على عارضة مائلة في الأسفل. وشرح بأنّها تشير إلى إنجيل لوقا وإلى اللصين اللذين صُلبا إلى جانب المسيح. أحدهما آمن به، وصعد إلى السماء، والثاني شتمه، فألقي في جهنم.

- أيقصد أن هذا هو مصير مَن يخونها؟

- بالجملة، نعم.

- كانت تتشبّه إذاً بالمسيح؟

- لا علاقة للصليب بالمسيحيّة في هذا السياق على الأرجح. إنّها الرسالة التي تريد تمريرها.

- إما الوفاء أو عذاب جهنّم.

- شيء من هذا القبيل.
- ومع ذلك ها أنت تفشي أسرارها يا أرفيد.
- لم تتركي لي خياراً.
- أتمنّى أن يكونوا دفعوا لك الأجر المناسب.
- همم... نعم.
- ثمّ بيعت معطيات بالدر التكنولوجية إلى سوليفون وتروغيمز.
- نعم، ولكنّني حين أفكّر الآن في... لا أفهم...
- لا تفهم ماذا؟
- كيف اطلعتِ على ذلك؟
- لأنّك تصرّفت على نحو أخرق يا أرفيد حين بعثت رسالة إلكترونية إلى إكيروولد لدى سوليفون، ألا تذكر؟
- لكنّني لم أكتب شيئاً يشير إلى أنّني بعثُ شيئاً. توخّيت منتهى الحذر.
- ما كتبته كان كافياً بالنسبة إليّ.
ثمّ نهضَت، فشعر كما لو أنّ كيانه أصابه الانهيار:
- هيه، والآن، ماذا سيحدث؟ هل ستغضين الطرف عنّي في هذه القضية؟
فأجابته قبل أن تنطلق باتجاه أودينبلان بخطى متسارعة وثابتة:
- لا حياة بلا أمل.

بينما كان بابلانسكي ينزل سلّم تورسغاتن، رنّ هاتفه. إنّه البروفسور شارلز إيدلمان. كان بابلانسكي قد حاول الاتّصال به منذ عَلِمَ بكون الطفل من المتوحّدين العلماء. قاده بحث أجراه على الإنترنت إلى اسمين سويديين يمثّلان سلطة في الموضوع، يُحال عليهما

باستمرار: البروفسورة لينا إيك، من جامعة لوند، وشارلز إيدلمان من معهد كارولينسكا. لكنّه لم يتوفّق في الاتصال بأيّ منهما، فهجر هذه الفكرة وتوجّه إلى بيت هانا بالدر. وها هو شارلز إيدلمان يهاتفه أخيراً وقد بدت عليه الصدمة. كان موجوداً في بودابيست للمشاركة في ندوة حول قدرات الذاكرة الاستثنائية، وعلم من توّه بمقتل بالدر من خلال قناة CNN.

قال موضّحاً:

- لو علمت بالخبر من قبل لاتّصلت بك فوراً.

- لماذا؟

- لأنّ فرانز بالدر اتّصل بي مساء أمس.

وسرت في أوصال بابلانسكي قشعريرة مألوفة لديه كلّما فاجأته صدفة.

- لماذا اتّصل بك؟

- أراد أن يحدّثني عن ابنه وعن موهبته.

- أكنتما تتعارفان؟

- إطلاقاً. اتّصل بي لأنّه شعر بالقلق على ابنه، وهو ما حيّرني.

- لماذا؟

- لأنّ الأمر يتعلّق بفرانز بالدر تحديداً! بالنسبة لنا نحن علماء الأعصاب، هذا الاسم يمثل رمزاً. اعتدنا على القول إنّه مثلنا: يحاول فهم الدماغ، مع فارق هو أنّه يسعى أيضاً لصُنعه، وإدخال تحسينات على هذا الدماغ الاصطناعي.

- سبقَ أن سمعتُ عن هذا.

- لكنّي فهمت أنّ الرجل كان شديد الانطواء على نفسه، ومن الصعب مقابلته. كنّا نتندّر أحياناً بأنّه أشبه بآلة لا تتألف إلّا من دارات منطقية. لكنّه أبدى في تعامله معي رهافة لا تصدّق، وهو أمر، لا

أخفيك، أثّر فيّ بالغ الأثر. . . كان الأمر كما لو أنّك رأيت شرطيّاً بالغ القسوة يبكي. وأذكر أنّني قلت في نفسي لا بدّ أنّ ثمّة شيئاً ما غير ما كنّا نخوض فيه.

- لعلّك على حقّ. كان قد علم بأنّه مهدّد، وأنّ خطراً يحدّق به.

- لكن كانت لديه أسباب أخرى دعته إلى أن يبدو مضطرباً. تنبّه إلى أنّ رسومات ابنه تلفت الانتباه، وهو أمر نادر لدى الأطفال في سنّه، حتّى بين المتوحّدين العلماء، لا سيما إذا اقترنت هذه الموهبة بقدرات كبيرة في مجال الرياضيات.

- في الرياضيات؟

- فحسب بالدر، يملك ابنه قدرات في مجال الرياضيات، وشاءت الصدفة أن تكون معرفتي بهذا الموضوع في منتهى العمق.

- كيف؟

- اندهشتُ بطبيعة الحال، لكنّ دهشتي لم تكن كبيرة. نعرف اليوم أنّ ثمّة عاملاً وراثياً في متلازمة عالم، وفي هذه الحالة بالتحديد، فإنّ الأب يمثّل أسطورة في مجال اللوغاريتمات المتقدّمة. وفي الآن نفسه. . .

- ماذا؟

- أنّ المواهب الفنية لا تقترن بالمواهب الرقمية لدى هؤلاء الأطفال.

- أليس من مظاهر جمال الحياة هو أنّها تصيبنا أحياناً بالذهول؟

- صحيح، سيّدي المفتّش. كيف يمكنني أن أساعدك؟

تذكّر بابلانسكي كلّ ما وقع في سالتسخوبادن وقال في نفسه ما أجدره بالتزام الحيطة.

- لنقل باختصار إنّنا بحاجة إلى مساعدتك وخبرتك على نحوٍ مستعجل.

- شهد الطفل جريمة القتل، أليس كذلك؟
- نعم.
- وتريدون الآن أن أحمِلَه على رسم ما رأى؟
- هذا ما نريده بالضبط.

كان شارلز إيدلمان موجوداً في باحة الاستقبال بفندق بوسكولو في بودابيست حيث تجري وقائع المؤتمر، غير بعيد عن مياه الدانوب المتلألئة. كان هذا الفندق بفضائه الداخلي المهيب، وسقفه العالي، وقببه وأعمدته القديمة، أشبه بقاعة أوبرا. وقد سُرّ البروفسور لفكرة قضاء أسبوع ها هنا، موزّعاً بين الوجبات الفاخرة والمحاضرات، لكنّه الآن مكفهرّ وهو يمسح بيده على شعره. كان عليه أن ينصح المفتّش بابلانسكي بالاتّصال بالأستاذ المحاضر الشاب مارتن فولبير.

قال موضّحاً:

- للأسف، لا أستطيع مساعدتك شخصيّاً. لديّ محاضرة مهمّة غداً.

كان قد أمضى بضعة أسابيع في تحضير مداخلة من شأنها إثارة الجدل بين العديد من المتخصّصين البارزين في مجال الذاكرة. لكنّه ما كاد يقفل الخط وتلتقي عيناه بعيني لينا إيك التي مرّت بسرعة فائقة حاملة ساندويتشاً في يدها، حتّى تملّكه الندم، بل شعر بالغيرة من الأستاذ مارتن الشاب. فهذا الشاب ذو الخمسة وأربعين ربيعاً، الذي يجمع بين الجاذبية والوقاحة، بدأ هو أيضاً ينحت اسمه.

وجد شارلز إيدلمان صعوبة كبيرة في تصوّر ما وقع على وجه الدقّة. ذلك أنّ كلام المفتش يكتنفه الغموض، ربّما خشية أن يكون أحد يتنصّت على المكالمة. لكنّه فهم مع ذلك الخطوط العريضة:

يملك الطفل موهبة في الرسم، وقد شهد جريمة القتل، وهذا لا يمكن أن يدلّ إلّا على شيء واحد. كلّما أمعن إيدلمان في التفكير فيه، زاد عذابه. قد تؤاتيه الفرصة لحضور مؤتمرات أخرى مهمّة، لكن المشاركة في كشف خيوط جريمة قتلٍ بهذا الحجم، قد لا تتكرر أبداً. وإذا نظر إلى المهمّة، التي تنازل عنها بسهولة لمارتن، من كافة جوانبها، بدت أهمّ بكثير من هذا المؤتمر في بودابيست. ومَن يدري، فقد تجلب له هذه القضيّة حظاً من الشهرة.

وراح يتخيّل عناوين الصحف المكتوبة بالبنط العريض: «عالم أعصابٍ شهير يساعد الشرطة في الكشف عن القاتل» أو «أبحاث إيدلمان فتحت الباب لاعتقال القاتل». كيف تصرّف بكل هذا الغباء ورفض العرض؟ يا له من أبله! ثمّ تناول الهاتف وركّب رقم بابلانسكي.

أقفل بابلانسكي الخط. كان قد عثر مع سونيا موديغ على مكان قرب مكتبة ستوكهولم الوطنية ركنا فيه السيارة، وعبرا الشارع. كان الجو قد ساء من جديد، وبابلانسكي يشعر بالبرد في يديه.

سألت سونيا:

- هل غيّر رأيه؟
- نعم. سيتخلّى عن المؤتمر.
- متى سيصل؟
- ما زال لا يعرف الساعة بالضبط. سيصل غداً صباحاً في أقصى تقدير.

توجّها إلى مركز أودن للقاء المدير توركل ليندن. لم يكن موضوع المقابلة في الواقع غير الظروف الإجرائية المتعلّقة بشهادة أوغست بالدر، هذا على الأقل ما كان يظنّه بابلانسكي. أما توركل ليندن فلم

يكُن يعلم بفحوى مهمّتهما، لكنّه بدا في غاية التحفّظ أثناء المكالمة الهاتفية، وأخبرهما بأنّه مهما يكن لن يسمح بإزعاج الطفل في الوقت الراهن. وقد لمس بابلانسكي في نبرته خلال المكالمة نوعاً من الجفاء، وقال في نفسه إنّه على قدر من الغباء بحيث لم يظهر ما يلزم من الودّ، وهو ما لم يكن ينذر بخير.

لم يكن توركل ليندن، بخلاف ما تصوّره بابلانسكي، شخصاً متين البنية. بالكاد يبلغ متراً وخمسين سنتمتراً، يعلو رأسه شعر بنيّ قصير، مصبوغ على الأرجح، وتوحي شفتاه المضمومتان بطبعه العنيد. يرتدي سروال جينز وقميصاً أسود ذا ياقة مدورة، ويتدلّى على صدره صليب صغير معلّق إلى خيط يطوّق رقبته. كان أشبه بكاهن. أمّا عدائيته، فبادية للعيان.

كانت عيناه تتّقدان غطرسة، وهو ما ذكّر بابلانسكي فجأة بأصله اليهودي. إنّه أمر يحدث له كلّما واجه مثل هذه النظرات الحاقدة. كما أنّ نظرات هذا الرجل تنضح بضربٍ من التعالي الأخلاقي. كان واضحاً أن ليندن يسعى لأن يُظهر لهما سلطته بالقول إن صحة الطفل النفسية فوق كلّ اعتبار، ورفض استغلاله لمرامي بوليسية. ولم يجد بابلانسكي بدّاً من إظهار أقصى ما يستطيع من لطف. فقال:

- تشرّفنا.

فردّ ليندن:

- صحيح؟

- نعم، إنّه للطف منك أن استقبلتنا بهذه السرعة، وما كنّا لنزعجك لولا أنّ القضية في غاية الأهمية.

- أظنّكما تبحثان عن وسيلة تستجوبان بها الطفل.

فردّ بابلانسكي بنبرة أقلّ لطفاً:

- تقريباً. . . نريد بالأحرى. . . قبل ذلك ينبغي أن أوضّح بأنّ ما سأفضي لك به ينبغي أن يظلّ سرّاً بيننا. إنّها مسألة أمنية بالغة الأهمية.

فقال ليندن كما لو أنّه يلمّح إلى أنّ التسريبات إن حصلت، قد تأتي من الشرطة:

- السريّة أمر طبيعي. لا وجود للتسريبات عندنا.

فأجاب بابلانسكي وقد بدأ التوتّر يتمكّن منه:

- كلّ ما أقصد إليه هو أن أطمئِنَّ إلى أن الطفل في أمان.

- أهذا من أولوياتك؟

- نعم. أُلح إلحاحاً على أنّ ما سأقوله لا ينبغي أن تُطلِع عليه أحداً مهما كان، ولا سيما عبر البريد الإلكتروني أو الهاتف. هل يمكن أن ننفرد بك في مكان منعزل؟

لم يرُق هذا المكان لسونيا موديغ. كان صراخ الأطفال يملأ المكان، ولم يكن عويلهم بلا سبب. ففي مكان ما غير بعيد، كانت طفلة تبكي بصوت عالٍ. قادهما ليندن إلى غرفة تفوح برائحة مواد التطهير، ممزوجة برائحة أخرى، ربّما بقايا بخور، عُلّق على أحد جدرانها صليب ودمية قديمة، وعلى الأرضية رُميَ دبّ بنّيّ متآكل. الظاهر أن القائمين على المكان لم يبذلوا أدنى جهد لإضفاء شيء من الأنس والألفة عليه. وبابلانسكي الذي عادة ما يكون رائق المزاج، كان على وشك أن يستشيط غضباً، ممّا جعل سونيا تأخذ المبادرة، وراحت تفسّر بموضوعية وهدوء ما وقع.

- بلغنا أنّ زميلك الطبيب النفساني إينار فورسبورغ قرّر عدم السماح لأوغست بالرسم.

- هذا تقديره بوصفه متخصّصاً، وأنا أشاطره هذا التقدير. فالرسم لن يفيده في شيء.

- مهما يكن، فنحن نتفهّم أنّ حالة الطفل ليست على ما يرام. لقد شهد مقتل والده.

- لذلك لا ينبغي أن نفاقم حالته.

- بكلّ تأكيد، لكنّ هذا الرسم الذي لم يتمكّن من إنهائه قد يفيد التحقيق كثيراً. لذلك فنحن نلحّ على هذا الأمر، مع الحرص على أن يكون ذلك بمحضر أطرٍ طبية بطبيعة الحال.

- . . . ومع ذلك أجدني مضطرّاً لرفض طلبكما.

لم تصدّق سونيا ما سمعت.

- المعذرة!؟

فاسترسل ليندن يقول بنبرة هادئة:

- لا أستطيع تلبية طلبكما مع كلّ الاحترام الذي أكنّه للعمل الذي تقومان به. نحن هنا نساعد الأطفال المعرّضين للخطر. هذه مهمتنا وواجبنا. لسنا تابعين للشرطة، وهذا يمثّل مصدر فخر لنا. طالما يوجد الأطفال في مؤسستنا، ينبغي أن يطمئنّوا إلى أن مصلحتهم هي همّنا الأوّل.

وضعت سونيا موديغ يدها على فخذ بابلانسكي لتهدئته وقالت:

- يمكن أن نحصل بسهولة على قرار مستعجل من المحكمة، لكنّنا لا نريد أن نبلغ هذا المبلغ.

- ستُحسِنان صنعاً إن فعلتما.

- دعني أسألك، هل تقدّر أنت وإينار فورسبورغ حقّاً مصلحة أوغست ومصلحة هذه الطفلة الصغيرة التي تبكي هناك؟ ألا تظنّ أننا جميعاً بحاجة إلى أن نعبّر؟ أنا وأنت نستطيع الكلام والكتابة، ونستطيع حتّى توكيل محامين، أمّا أوغست بالدر، فلا يتوفّر على وسائل التعبير

هذه. لكنّه يستطيع أن يرسم، ويبدو أنّه يريد أن يقول شيئاً. فلماذا نمنعه؟ إنّ منعه من الرسم لا يقلّ وحشية عن منع أطفال آخرين من فتح أفواههم. ألا يتعيّن علينا السماح له بالإفصاح عمّا يعذبه؟

- من وجهة نظرنا. . .

فقاطعته:

- كلا، لا تتحدّث عن وجهة نظرك. فقد اتّصلنا بأكبر متخصّص في علم الأعصاب في البلد ليعطينا وجهة نظره في هذه المسألة، وهو البروفسور شارلز إيدلمان. وقد غادر هنغاريا، وهو الآن عائد للقاء أوغست. ألا ترى من الحكمة السماح لهذا الرجل بأن يقرّر؟

- يمكننا بطبيعة الحال أن ننصت لرأيه، لكنّ من دون المبالغة في التحمّس له.

- المطلوب ليس أن تنصت له فحسب، بل أن تأخذ برأيه.

- أعدكما بأن يكون الحوار بيننا بنّاء، حوار متخصّصين.

- حسناً. ماذا يفعل أوغست في هذه الأثناء؟

- نائم. وصَلَنا منهكاً.

وأدركت سونيا أنّه لا لزوم للمطالبة بإيقاظه.

- سنعود غداً صباحاً برفقة البروفسور إيدلمان. آمل أن نتعاون جميعاً في هذه القضية.

16

مساء الواحد والعشرين وصباح الثاني والعشرين من نوفمبر

أخفت غابرييلا غران وجهها بين كفّيها. فهي لم تنَم منذ أربعين ساعة، وقلّة النوم هذه لم تعمل إلّا على تأجيج شعورها بالذنب. ومع ذلك قضت يومها كاملاً في الكدّ. فقد انضمّت منذ الصباح إلى فريق أنشأته السابو -أشبه بفريق تحقيق سرّي- لكي يشتغل على مقتل فرانز بالدر، هدفه الرسمي هو تقييم رهانات السياسة الداخلية، لكن الهدف الحقيقي هو التدخل في أبسط جزئيات هذه القضية.

يرأس الفريق كبير المفتشين مارتن نيلسون. وكان قد عاد توّاً من مريلاند حيث قضى سنة دراسية في جامعتها. رجل ذكي ومثقّف، لكنّه متشدّد قليلاً في نظر غابرييلا. فهو يمثل خليطاً فريداً من نوعه: سويدي مهذّب يناصر الجمهوريين الأميركيين، بل يجهر بأنّه يشاطر حركة تي بارتي جملة من المبادئ. وهو مؤرّخ متحمّس أيضاً، يحاضر في المدرسة العسكرية العليا، ويملك، رغم صغر سنه -تسعة وثلاثين سنة- شبكة واسعة من العلاقات الدولية. على أنه يجد صعوبة بالمقابل في فرض نفسه. ذلك أنّ مَن يقود الأمور في الواقع هو راينر أولوفسون. فهو يكبره سنّاً، ويفوقه ثقة بنفسه، بحيث يكفي أن يتأفّف أو يقطّب حاجبيه الكثّين حتّى يلزم مارتن الصمت. ولعلّ ما زاد الأمر

تعقيداً هو وجود لارس أكي غرانفيست ضمن المجموعة. فقبل التحاقه بسابو، كان غرانفيست قد اكتسب شهرة خلال عمله بلجنة التحقيق الجنائي التابعة للريكسكريم، بفضل ثباته في الشرب، بحيث لم يكن يصمد أمامه أحد، وبسبب وسامته الخشنة كذلك التي مكّنته، بحسب الإشاعة، من أن يتّخذ عشيقةً في كلّ مرفأ. هكذا كان من الصعب على المرء أن يفرض نفسه في جماعة كهذه. فحتّى غابرييلا كانت تحاول ألّا تثير الانتباه إليها. لم يكن ذلك خوفاً من هؤلاء المتبجّحين، بقدر ما كان بسبب شعورها المتزايد بعدم اليقين: ذلك أنّ الشكّ ينتابها أحياناً حتّى في القليل الذي تعرفه.

انتبهت إلى أنّ ما يُستدلّ به من حُجج على الاختراق الإلكتروني واهية، إن لم تكن معدومة. فكلّ ما هو متوفّر تصريح ستيفان مولد، عن FRA، الذي اعترف فيه بأنّه غير واثق من نفسه تماماً. وقد وجدت أنّ تحليله لا يعدو أن يكون كلاماً سخيفاً. أمّا فرانز بالدر، فيبدو أنّه كان يثق في تلك القرصانة التي استعان بها، والتي لا يذكر التحقيق حتى اسمها، مع أنّ مساعد بالدر، لينوس براندل، قدّم وصفاً دقيقاً لها. من البديهي أن يكون بالدر قد أخفى أشياء كثيرة عن غابرييلا قبل سفره بكثير إلى الولايات المتّحدة الأميركية.

أكان قبوله لمنصبٍ لدى سوليفون مصادفة؟

أمام كل هذه الشكوك، شعرت بالحنق من عدم إمكانية الاستعانة بفورت ميد. أمّا ألونا كاساليس، فكان من المتعذّر الاتصال بها، كما أنّ الوكالة الأميركية للاستخبارات أوصدت كلّ الأبواب من جديد، وبذلك لم تعُد تتوفّر على أي مصدر للمعلومات. وهكذا وجدت نفسها، على غرار نيلسون وغرانفيست، تستظلّ بمظلّة راينر أولوفسون الذي كان يتوصل بمعلومات فورية من الفرقة الجنائية، ينقلها توّاً إلى رئيسة السابو، هيلينا كرافت.

كانت غابرييلا تتضايق من طريقة العمل هذه. وقد حذّرت من أنّ تبادل المعلومات بهذه الكيفية يرفع مخاطر تسرّبها، ويُفقدهم الاستقلالية، لكنّها لم تجد آذاناً صاغية. فعوض القيام بالتحرّي اعتماداً على شبكتهم الخاصة، كانوا يعتمدون اعتماداً أعمى على ما يُنقل لهم عبر قناة بابلانسكي.

قالت أمام أعضاء الفريق:

- إنّنا أشبه بغشاشين في الامتحان ينتظرون مدّهم بالإجابات عوض التفكير والاعتماد على أنفسهم.

وهو ما دمّر ما كان قد بقي من شعبيّتها.

هي الآن في مكتبها، وقد عقدت العزم على أن تشتغل بمفردها. ستفعل ما بوسعها لتوسيع دائرة التحرّي. قد لا تتوصّل إلى شيء ذي بال، لكن ما فائدة أن تسجن نفسها في الجُحر نفسه مع الآخرين؟

سمعت وقع خطوات واثقة في الممرّ لم تجد صعوبة في تخمين صاحبها أو بالأحرى صاحبتها. وما لبثت هيلينا كرافت أن دخلت عليها. كانت تضع على كتفيها سترة فاخرة، وشعرها مصفف على نحو أنيق. كانت غابرييلا تقدّرها بالغ التقدير، حتّى أنها تتحرّج أحياناً من تلك المحاباة التي تعاملها بها.

بادرتها قائلة:

- كيف حالك؟ أما زلت قادرة على الوقوف؟

- بالكاد.

- عودي إلى بيتك فوراً. ينبغي أن تنامي. نحن بحاجة إلى محلّلة صافية الذهن.

- معك حقّ.

- أتعرفين ماذا كان يقول إيريك ماريا رومارك؟

- الناس لا يحتفلون في الخنادق أو شيئاً من هذا القبيل.

- كلا. الأشخاص الغلط هم دائماً الذين يشعرون بالذنب. وأولئك الذين يتسبّبون في المعاناة في هذا العالم، لا يعبؤون بها. أما أولئك الذين يدافعون عن القضايا العادلة، فتنهشهم الحسرة والأسى. لا داعي لأن تلومي نفسك يا غابرييلا. فقد قُمت بما عليك.

- لست متأكّدة من ذلك. لكن أشكرك على كلّ حال.

- هل سمعت بابن بالدر؟

- سمعت راينر يذكره بشكل عابر.

- غداً عند الساعة العاشرة، سيذهب المفتش بابلانسكي والمفتشة موديغ مصحوبين بالبروفسور شارلز إيدلمان لملاقاته في مركز أودن لاستقبال الأطفال والمراهقين في سفيفيغن. سيحاولون حمله على الرسم.

- لنتمنّ خيراً، وإن كنت لا أحبّذ معرفة مثل هذا الخبر.

- اهدئي يا غابرييلا، دعي هذا الهوس لي أنا.

- حسناً.

- أريد أن أطلعك على أمر.

- ما هو؟

- صور الشخص الذي قرصن أجهزة إنذار بالدر.

- سبق أن رأيتها، بل درستها بعناية.

فردّت هيلينا كرافت وهي تناولها صورة معصم مكبرة وغير واضحة:

- أأنت متأكدة؟

- ما خطب هذه الصورة؟

- انظري جيداً، ألا ترين شيئاً؟

حدّقت غابرييلا في الصورة ولاحظت تفصيلين: الساعة الفاخرة التي سبق أن رأتها سابقاً، وفوقها قليلاً، في الفجوة الفاصلة بين كمّ السترة والقفازة، توجد خطوط أشبه بوشوم غير دقيقة.

- يبدو الأمر متناقضاً: وشوم من النوع الرديء وساعة ثمينة.

فقالت هيلينا كرافت:

- أكثر من ذلك، الساعة من نوع باتيك فيليب، تعود إلى سنة 1951، طراز 2499، من الطراز الأول أو الثاني.

- هذا لا يعني شيئاً بالنسبة إليّ.

- إنّها أغلى الساعات في العالم. بيع النوع نفسه في المزاد العلني لدى كريستيز في جنيف قبل سنوات بأكثر من مليوني دولار.

- أتمزحين؟

- كلا، وكان المشتري هو يان فان دير وال، المحامي لدى داكستون وشركاه. اشتراها لأحد زبائنه.

- داكستون وشركاه التي تمثل سوليفون؟

- تماماً.

- تبّاً!

- يُجهل بطبيعة الحال ما إذا كانت الساعة الموجودة على الصورة هي تلك التي بيعت في جنيف، ولم ينجحوا أيضاً في تحديد هوية هذا المشتري، لكنّها البداية يا غابرييلا. شخص طويل ونحيل أشبه بمدمن مخدرات ويرتدي ساعة بهذه القيمة، هذا قمين بحصر مجال البحث.

- هل يعلم بابلانسكي بهذا؟

- مساعده التقني جيركر هولمبورغ هو مَن اكتشف الأمر. الآن أريدك أنت ودماغك التحليلي أن تعمّقي البحث في هذا الاتجاه. عودي إلى بيتك ونامي شريطة أن تعكفي على هذه القضيّة غداً.

كان الرجل الذي يسمّي نفسه يان هولستر في شقته بهوبيرسغاتن في هلسينكي، غير بعيد عن الإسبلاناد، يتصفّح ألبوماً يضمّ صور ابنته أولغا، التي تبلغ اليوم الثانية والعشرين من عمرها، وتتابع دراستها الطبية في غدانسك في بولندا.

كانت أولغا، وهي فتاة طويلة القامة، كئيبة ومتمرّدة، هي قرّة عينه. عبارة كان يكرّرها كثيراً ليضفي على نفسه صورة الأب المسؤول، لكنّه لم يكن هو نفسه يصدّق ذلك، بل حتّى أولغا بدأ يخامرها الشك في حقيقة تلك الصورة، لا سيما منذ أن أدركت طبيعة العمل الذي يمارسه.

سألته يوماً:

- أتحمي السّفلة؟

ومنذئذٍ صارت تتشدّد أكثر فأكثر اتّجاه ما كانت تسميه التزاماً بالدفاع عن «الضعفاء والمحتاجين».

أما هولستر فلم يكن يرى في ذلك إلّا سخافات يسارية لا تناسب إطلاقاً طبع أولغا، وأنّ الأمر لا يعدو أن يكون مرحلة تحرّرية. فرغم هذا الخطاب المهدّئ حول أشقياء الأرض، كان يتصوّرها شبيهة به. فخلال فترة من الزمن كانت أولغا عداءة مائة متر واعدة، بقامتها الفارعة التي تناهز متراً وستة وثمانين سنتمتراً، وعضلاتها المفتولة. مضى وقت كانت فيه مولعة بأفلام الإثارة، حيث لم يكن شيء أحبّ إليها من الإنصات لأبيها وهو يحدثها عن ذكريات الحرب. أمّا في المدرسة، فأدرك الجميع خطورة التعرّض لها، إذ كانت كالمحاربة، لا تتورّع في ردّ الضربة بمثلها. كلّ شيء فيها كان يوحي بأنّها لم تُخلق للعناية بالضعفاء.

ومع ذلك كانت تقول إنّ نفسها تهفو للعمل مع أطباء بلا حدود، أو للسفر إلى كالكوتا على غرار الأم تيريزا، وهو ما كان يشقّ على

هولستر الذي يرى أنّ البقاء في هذا العالم للأقوياء فقط. ورغم ما كانت تسبّبه له من عناء، كان يحبّها. كانت ستعود إلى المنزل لقضاء عطلة تمتدّ لبضعة أيام بعد غياب دام ستة أشهر. ووطّن هولستر نفسه على أن ينصت إليها من دون الدخول معها في جدل عن ستالين وكبار الزعماء وكلّ تلك المواضيع التي يبغضها.

سيحاول بالمقابل التقرب إليها، لا سيما وأنّه يعلم مقدار حاجتها إليه وحاجته هو أيضاً إليها. توجّه إلى المطبخ وعصر ثلاث برتقالات، ثمّ صبّ في العصير شيئاً من الفودكا. كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساء، وكان هذا الكوب هو الثالث ذلك اليوم. كان قادراً بعد إنجاز مهماته على شرب ستة أكواب أو سبعة، وربّما هذا ما سيفعله هذا المساء. أرهقته المسؤوليات الملقاة على عاتقه، ومن ثمّة فهو بحاجة إلى شيء يهدّئ أعصابه. تسمّر لبضع دقائق في مكانه والكوكتيل في يده، وراح يحلم بحياة أخرى مختلفة تماماً. عدا أنّ حلمه لم يَطُل.

كسَر رنين هاتفه المحمول السكينة المخيّمة على المكان. إنّه يوري بوغدانوف. وتمنّى يان لو تكون الغاية من هذه المكالمة الثرثرة قليلاً قصد التخفيف من التوتّر المصاحِب لتنفيذ كلّ مهمة. إلّا أنّ زميله اتّصل به لسبب آخر. ولاحظ أنّه يتحدّث بصوت مضطرب.

- تحدّثتُ إلى «ت».

انتاب يان مزيج من المشاعر المتداخلة، ربّما كانت الغيرة أبرزها.

لماذا هاتفتْ كيرا يوري ولم تهاتفه هو؟ فرغم أنّها تكسب مالاً أكثر مع يوري، يعتقد يان أنّها تؤْثِرُه هو.

وما لبثت تلك الغيرة أن استحالت قلقاً: أوَقَعَ شيء خطير؟

سأل:

- هل ثمّة مشكلة؟

- العملية لم تنته.
- أين أنت؟
- في المدينة.
- تعال فسّر لي ما حدث.
- حجزت مائدة في بوسترز.
- لست بحاجة إلى وجبة في مطعم فاخر ولا إلى خطة من خطط نعمتك الطارئة. اِلْحق بي.
- لم آكل.
- سأحضّر لك شيئاً.
- حسناً، تنتظرنا ليلة طويلة.

لم يكن هولستر يرغب في قضاء ليلة طويلة، كما لم يكن يودّ أن يعلن لأولغا بأنّه سيتغيّب عن البيت في اليوم الموالي، لكن ليس أمامه من خيار آخر. كان واثقاً من ذلك وثوقه من حبّ ابنته. لا يمكن أن يرفض لكيرا طلباً.

كانت لها عليه سلطة غريبة. لم ينجح أبداً في التصرّف أمامها بالهيبة المطلوبة رغم محاولاته. كان يتحوّل بمحضرها إلى طفل صغير مستعدّ لتقديم أيّ شيء مقابل بسمة ساحرة من محيّاها.

كانت كيرا فاتنة على نحوٍ مدوّخ، لا تضاهيها امرأة في استغلال جمالها. كما كانت تتقن لعبة الاستحواذ. قد تُظهر الضعف والتضرّع، لكنّها تُبطن جموحاً أبرد من الجليد وأصلب، بل قد تُظهر قساوة لا حدود لها. ولم يكن يعرف أحد كيف يستخرج السادية الكامنة في نفسها مثله.

قد لا يكون ذكاؤها -بالمعنى التقليدي للكلمة- استثنائياً. وهو

أمر لم يكن خافياً على معظم مَن كانوا يتعاملون معها. لكنّهم ما إن يجدوا أنفسهم معها حتى يصيبهم الارتباك. كانت تعرف كيف تحمل الناس على الانقياد لها، وكيف تجعل أيّ وقح يحمرُّ خجلاً بحضرتها.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساء، وكان يوري يلتهم شريحة الضأن التي أعدّها له يان. ما يثير الاستغراب هو أنّه جلس إلى المائدة على نحو مهذّب، وهو أمر يرجع ربّما إلى تأثير كيرا. وإذا كان يوري يُبدي في هذه الأثناء الكثير من مظاهر الإنسان المتحضّر، فإنّه من نواحٍ أخرى لم يتغيّر قيد أنملة. لم تنجح حركاته المتكلّفة في إخفاء طباع النذل المدمن على المخدرات المتأصّلة فيه. فرغم خضوعه لعلاج الإدمان منذ زمن بعيد، ورغم حصوله على دبلوم مهندس إلكترونيات، ما زالت علامات الإدمان ظاهرة على سحنته، وهو ما تؤكده أيضاً إيماءاته وحركاته المتقطّعة.

- أين هي ساعتك الفاخرة؟
- معطّلة.
- هل فقدت حظوتك؟
- فقدناها معاً.
- إلى هذا الحدّ؟
- ربّما لا.
- قلت إنّ العملية لم تنته؟
- تماماً. بسبب ذلك الولد.
- أيّ ولد؟

تظاهر هولستر بعدم الفهم.
- ذاك الذي قادكَ نُبلكَ إلى تركه على قيد الحياة.

- وأين المشكلة؟ هو يعاني من خلل عقلي.

- ربّما، لكن تبيّن الآن أنّه يرسم.

- كيف يرسم؟

- إنّه متوحّد عالِم.

- ماذا؟

- تمنّيت لو أنك تقرأ شيئاً آخر غير تلك المجلات المتخصّصة في السلاح.

- ماذا تقصد؟

- العالِم شخص يعاني من التوحّد أو من إعاقة شبيهة، ويتمتّع بموهبة استثنائية. قد يكون هذا الطفل عاجزاً عن الكلام وعن التعبير عن أفكار ذكيّة، لكنّه يملك ذاكرة فوتوغرافية. ورجال الشرطة يعتقدون أنّه قادرٌ على رسم وجهك بأدقّ تفاصيله، وهم يأملون في فحص هذا الرسم ببرنامج التعرّف على الوجوه. عندئذٍ سيفتضح أمرك. لا بدّ أن يعثروا على صورتك في أحد سجلات أنتربول، أليس كذلك؟

- لا تقل لي إنّ كيرا تطلب...

- هذا ما تطلبه بالضبط. ينبغي أن نتكفّل بالصبي.

وبدأت موجة من الشعور بالاضطراب تجتاح هولستر، وتراءت له من جديد تلك النظرة الساهمة التي أربكته. وقال من دون أن يكون مقتنعاً بما يقول:

- هذا مستحيل.

- أعرف أنّ لديك مشكلة مع الأطفال. أنا أيضاً لا أحبّ هذا الأمر. لكن أخشى ألّا يكون أمامنا من خيار آخر. ثمّ إنّ عليك أن تعتبر نفسك محظوظاً. كان بإمكان كيرا أن تتخلّص منك.

- حسناً.

- اسمع، أحمل في جيبي التذاكر. نركب أوّل طائرة إلى أرلاندا

غداً عند الساعة السادسة والنصف، ونتوجّه رأساً إلى مركز أودن في سفيفيغن.

- أهو في مركز إيواء؟

- نعم، ومن ثمّة فإن الأمر يتطلّب تنظيماً محكَماً. أفرغ من الأكل ونباشر الأمر.

أغمض الرجل الذي يسمي نفسه يان هولستر عينيه ومضى يفكر فيما سيقول لأولغا.

استيقظت ليزبث سالاندر عند الساعة الخامسة صباحاً، وقرصنت حاسوب NSF Miri العملاق بمعهد نيو جيرزي للتكنولوجيا. كانت بحاجة إلى أقصى قوّة حساب تستطيع تجميعها، ثمّ أطلقت برنامجها الرياضي الخاص.

إثر ذلك بذلت ما بوسعها لفكّ شفرة ملف الوكالة الذي حمّلته. لكن كلّ محاولاتها ذهبت سدى. وهي في الواقع لم تعتقد يوماً بأنّها قادرة على ذلك. فترميزه متطوّر من نوع RSA. ذلك أنّ هذا النوع من التشفير -الذي اكتسب اسمه من الأحرف الأولى لأسماء مبتكريه: Adleman, Shamir, Rivest- يملك مفتاحين: أحدهما عمومي، والآخر خصوصي يقوم على مؤشر أولر (Euler) وعلى مبرهنة فيرمات (Fermat). من السهل ضرب عددين أوليين كبيرين، إذ تقدم الآلة الحاسبة النتيجة في طرفة عين. لكن من المستحيل عكس العملية، والعثور على العددين الأولين اللذين استُعمِلا انطلاقاً من النتيجة. لم يُعثَر بعد على كيفية تدبير التحليل العاملي للأعداد الأولية بواسطة الحاسوب، وهي نقطة ضعف كانت ليزبث وكلّ مصالح الاستعلامات في العالم، تبغضها.

وقد كانت تعدّ اللوغاريتمة GNFS هي الأنجع للقيام بذلك. لكنها بدأت تعتقد منذ سنة تقريباً أن الأمر أسهل بواسطة طريقة ECM. قضت إذاً ليالي طويلة في صياغة برنامج التحليل العاملي الخاص بها. وقد أدركت ذلك الصباح أنّ عليها أن تدقّقه أكثر إن هي شاءت أن يكون النجاح حليفها. وبعد ثلاث ساعات من العمل، توقّفت قليلاً، وتوجّهت إلى المطبخ لشرب عصير برتقال معلّب والتهام شطيرتين بعد تسخينهما في الفرن.

ثمّ استأنفت العمل. قرصنت حاسوب مايكل بلومفيست لترى ما إذا كانت لديه أخبار جديدة. كان قد طرح عليها سؤالين جديدين، وقالت في نفسها: إنّ حالته ليست ميؤوساً منها على كلّ حال.

سأل: [مَن خائن بالدر من بين مساعديه؟]

وهو سؤال مشروع تماماً.

لكنّها لم تجب. لم يكن بأرفيد رانج يشغل بالها البتة، لكنها تقدّمت في البحث، وتعرّفت على مَن يكون مدمن المخدرات ذو العينين المطوّقين بهالتين سوداوين الذي اتّصل به رانج. يسمي نفسه بوجي وترينيتي، من هاكر ريبوبليك. وتذكّرت بأنّ أحدهم كان يستعير هذا الاسم في عدد من مواقع القرصنة قبل سنوات. واستبعدت أن يكون هو.

لم يكن بوجي اسماً مستعاراً أصيلاً وفريداً. لكنّ ليزبث دوّنته وتتبّعت التعاليق التي كُتبت عنه في تلك المواقع. وقد ساعدها تعليق أسرّ فيه صاحبه في لحظة سهو بأنّه عالم كمبيوتر حاصل على دبلوم من جامعة موسكو، على التقدّم أكثر في تحرياتها.

لم تستطع تعيين سنة حصوله على الدبلوم، ولم تتوفّق في العثور على أيّ إشارة زمنيّة. لكنّها حصلت بالمقابل على ما هو أهمّ: بوجي

مولع بالساعات اليدوية الرفيعة، ويعشق شخصية أرسين لوبان[1]، ذلك اللص الظريف، التي ظهرت في السبعينيات. وهو ذوق أبعد ما يكون عن روح الموضة.

تصفّحت عدداً لا حصر له من مواقع طلبة جامعة موسكو القدامى والجدد لكي ترى ما إذا كان أحدهم يعرف مدمناً سابقاً على المخدرات، ذا عينين غائرتين، عاش طفولة متشرّدة، وكان شغوفاً بسرقة المنازل، ومعجباً أيّما إعجاب بشخصية أرسين لوبان. وما لبثت أن كتبت لها فتاة قدّمت باسم غالينا:

- هذا الاسم يشبه اسم يوري بوغدانوف.

كان يوري بحسب غالينا شخصية خرافية في الجامعة، نجح في قرصنة حواسيب بعض الأساتذة، وسرق منها أشياء ابتزّ بها عدداً منهم. كما أنّه اعتاد على إطلاق رهانات من قبيل: «مَن يراهن بعشرين روبلاً على أنّني أستطيع التسلّل إلى ذلك المنزل؟».

كان مَن لا يعرفونه يظنّونها فرصة لكسب بعض المال، لكن يوري كان قادراً على التسلل إلى أيّ مكان، وفتح أيّ قفل كيفما كان نوعه. فإذا ما فشل في ذلك، وهو أمر نادر، يعمد إلى تسلق الواجهات والجدران. كما كان مشهوراً بتهوّره وقسوته، إذ يحكى أنّه ركل ذات يوم كلباً ضايقه في العمل، فأرداه قتيلاً. وكان لا يكفّ عن سرقة الناس، لا لشيء إلّا للتنكيد عليهم في غالب الأحيان. وأضافت غالينا لربّما كان يعاني من هوس السرقة. لكنّه كان يُعتبر قرصاناً منقطع النظير أيضاً، يملك موهبة تحليلية مذهلة. وعند إنهاء دراسته، صار قادراً على تركيع العالم عند قدميه إن شاء، لكنّه كان يزعم بأنّه لا يبحث عن

(1) Arsène Lupin: بطل قصة **توقيف أرسين لوبان** التي نشرها الكاتب الفرنسي موريس لوبلان سنة 1905 بمجلة **أعرف كلّ شيء**، وأعيد نشرها في مجموعة **أرسين لوبان اللص الظريف**.

المناصب. كان يريد أن يشقّ طريقه بنفسه. ولم تحتج ليزبث لكثير من الوقت لتعرف ما الذي شغله منذ نهاية دراسته، بحسب الرواية الرسمية على الأقل.

كان يوري بوغدانوف في الرابعة والثلاثين من العمر حينئذٍ. ترك روسيا واستقر في شارع بودابيست، رقم 8، في برلين، غير بعيد عن مطعم هيوغوس. كان يسيّر شركة وايت هات آوتكاست سيكيوريتي، ويشغّل سبعة أشخاص، ويحقّق رقم معاملات، بحسب آخر سنة محاسباتية، يقدر باثنين وعشرين مليون يورو. كان تسييره لشركة يفترض أنّها تحمي مجموعات صناعية من أناس مثله ينطوي على قدر من السخرية، لكنّها لا تخلو من منطق أيضاً. ويبدو أنّ نزاعاته مع العدالة توقّفت منذ حصوله على الدبلوم سنة 2009، كما يبدو أنّه يتوفر على شبكة واسعة، إذ يوجد ضمن مجلس إدارته إيفان غريبانوف، عضو الدوما الروسي، وأحد المساهمين المهمّين في شركة غازبروم البترولية. هذا كل ما اكتشفته ليزبث، ولا شيء غيره.

وكان سؤال بلومفيست الثاني هو:

[مركز أودن لاستقبال الأطفال والمراهقين في سفيفيغن: أهو مكان آمن؟ (امسحي هذه الجملة فور قراءتها.)]

لم يذكر سبب اهتمامه بهذا المكان، لكنّها تعرف أنّ مايكل بلومفيست لا يطرح الأسئلة عشوائياً، وأنّه ليس من النوع الذي يؤثر الغموض.

لا شكّ أن داعياً دعاه إلى جعل كلامه غامضاً. كما أنّ إلحاحه على مسح الجملة فوراً يشير إلى أنّ المعلومة بالغة الحساسية. لا بدّ أنّ ثمّة أموراً تُحاك حول هذا المركز. واكتشفت ليزبث بسرعة أنّ مركز أودن كان موضوع شكايات متعدّدة. حوادث إهمال، أطفال تُركوا

لحالهم فأصيبوا إصابات بليغة. إنّها مؤسسة خاصة يسيّرها شخص يدعى توركل ليندن وشركته كير مي. كان تدبيره يقوم على السلطوية بحسب تصريحات بعض العاملين القدامى، ويلحّ على أن يؤخذ كلامه ككلام مقدّس. هذا فضلاً على أنّه لم يكن يسمح بأيّ نفقات غير ضرورية، وهو ما يفسر جزئياً الأرباح الكبيرة التي حقّقتها شركته.

أما عن سيرته الشخصية، فقد كان في السابق لاعب جمباز محترف، توّج بطلاً للسويد في العديد من الرياضات من ضمنها القضيب الأفقي. وهو اليوم مولع بالقنص. كما أنّه عضو بمجموعة أصدقاء المسيح التي تشكّل جبهة معادية للمثليين. كلّ هذا حمل ليزبث على تصفّح مواقع ياغارفوربوندت، وموقعَي الفيدرالية الوطنية للقنص وأصدقاء المسيح لتطّلع على مستجدّات أخبارهم. ثمّ بعثت رسالتين إلكترونيتين وهميتين بالغتَي اللطف باسم هاتين المنظمتين، تتضمّن كلّ منهما ملف بي دي إف (PDF) مصاباً بفيروس تجسّس متطوّر، يشتغل تلقائياً بمجّرد ما يفتح توركل ليندن الرسالة.

وعند الثامنة وثلاث وعشرين دقيقة، اخترقت مركز الاستقبال. وبعد بحث قصير، تأكّدت شكوكها: أودع أوغست بالدر في المركز بعد ظهر اليوم السابق. وقد كتب في تقرير التكفّل به:

طفل متوحّد يعاني من إعاقة ذهنية شديدة. مضطرب ومصدوم بمقتل أبيه. وهو بحاجة إلى عناية فورية. صعب المراس. أتى ومعه لعبة بوزل. لا ينبغي أن يرسم! لأن الرسم نشاط إلزامي مؤذٍ. قرار عالم النفس فورسبورغ، أيّده ت. ل.

وقد أضيفت فقرة في وقت لاحق فيما يظهر:

البروفسور شارلز إيدلمان، والمفتش بابلانسكي والمفتشة موديغ

سيزورون الطفل يوم الأربعاء 22 نوفمبر عند الساعة العاشرة. سيحضر ت. ل. الحصة. رسمٌ تحت المراقبة.

وأسفل ذلك كُتب:

جرى تغيير مكان الموعد. سيرافق ت. ل. والبروفسور إيدلمان الطفل إلى بيت أمه، هانا بالدر بتورسغاتن، حيث سيلتقون بالمفتش بابلانسكي والمفتشة موديغ. فقد قُدِّر أنّ الطفل سيرسم على نحو أفضل في محيطه العائلي.

أجرت ليزبث بحثاً بسيطاً عن شارلز إيدلمان علمت منه أنّه باحث متخصّص في متلازمة عالم، وعندئذٍ فهمت ما يجري. إنّهم ينتظرون من الطفل أن يُدلي بما يشبه شهادة على الورق، وإلّا فما سرّ اهتمام بابلانسكي وسونيا موديغ برسومه؟ ولماذا بدا مايكل بلومفيست حذراً في سؤاله؟

كان من اللازم ألا يتسرّب أيّ شيء عن العملية بطبيعة الحال. ولا ينبغي أن يعلم أحد بأنّ الطفل قادر ربّما على رسم صورة تقريبية للمجرم، ولا سيما المجرم نفسه. وقرّرت أن تتأكّد ممّا إذا كان توركل ليندن قد توخّى السرية في مراسلاته. لحسن الحظ أنّه لم يقدّم في رسائله أيّ تفاصيل حول رسوم الطفل، لكنّه كان قد تلقى بالمقابل رسالة إلكترونية من شارلز إيدلمان عند الساعة الحادية عشر وعشر دقائق من الليلة السابقة، بُعثت منها نسخة إلى سونيا موديغ وجان بابلانسكي. ويتّضح أنّ هذه الرسالة هي التي كانت وراء تغيير مكان الموعد. كتب شارلز إيدلمان:

[مساء الخير توركل، إنّه للطف منك أن وافقت على استقبالي في مركزك. أشكرك على هذا، لكنّني مضطر إلى

إزعاجك قليلاً. أظنّ أنّ حظوظنا في الحصول على نتيجة جيّدة ستكون أفضل إن نحن حرصنا على أن يتمكّن الطفل من الرسم في جوّ يُشعره بالأمان. أرجو ألا يُفهَم من كلامي أنّني أنتقد مؤسستكم، فقد سمعت عنها كلاماً طيباً كثيراً.]

قالت ليزبث في نفسها قبل أن تسترسل في القراءة: **هراء!** ثم واصلت القراءة:

[أتمنى أن نتمكّن من أخذ الطفل إلى بيت أمّه غداً صباحاً. تؤكّد الأدبيات أنّ لحضور الأمّ أثراً إيجابياً على الطفل المُصاب بمتلازمة عالم. أقترح عليك أن تنتظرني غداً بصحبته أمام المركز عند الساعة التاسعة والربع. سآتي لمرافقتكما. وستتاح لنا الفرصة عندئذٍ لنتجاذب أطراف الحديث.

مع مودتي،

شارلز إيدلمان]

أجاب بابلانسكي وموديغ على التوالي عند الساعة السابعة ودقيقة واحدة ثمّ الساعة السابعة وأربع عشرة دقيقة. كتبا بأنّهما يثقان في خبرة إيدلمان، ويؤيّدان نصيحته. وفي السابعة وسبع وخمسين دقيقة، ردّ ليندن بأنّه سينتظر إيدلمان بصحبة الطفل أمام المركز. وظلت ليزبث ساهمة للحظة، ثمّ توجهت إلى المطبخ. تناولت قطعة بسكويت قديمة من الدولاب قبل أن تجول ببصرها في سلوسن وردارفياردن. وفكرت: **هكذا إذاً جرى تغيير الموعد.**

عوض أن يرسم الطفل في المركز، سيُنقل إلى بيت أمّه، وهو ما سيكون له «أثر إيجابي» حسبما كتب إيدلمان [أن لحضور الأم

أثراً إيجابياً]. هناك شيء ما في هذه الجملة أزعج ليزبث. أسلوب عتيق وجمل منمّقة. هي لا تعرف كيف يعبّر إيدلمان عادة، لكن هل يحتاج عالم أعصاب ذو شهرة عالمية إلى أن يحيل على ما تؤكّده الأدبيات العلمية؟ ألم يكن حريّاً به أن يُظهر شيئاً من الثقة بالنفس والسلطة؟

راجعت بعض منشورات إيدلمان على الشبكة، ولاحظت فيها نفحة من الغرور مثيرة للسخرية، نفحة قد تحضر أحياناً حتّى في التحليلات الموغلة في الموضوعية، لكن من دون تكلّف أو سذاجة سيكولوجية خاصة. بالعكس، يتمتّع الرجل بأسلوب رشيق وقوي. عادت إلى الرسالة وفحصت خادم SMTP الذي بعثت منه. كان اسمه غير معروف لديها: بيردينو، وهو أمر لم يكن في حدّ ذاته عادياً. وجّهت له سلسلة من التعليمات لتعرف المزيد. وما هي إلّا لحظة حتى تلقّت الجواب واضحاً وضوح الشمس. لم يكن الخادم محميّاً، وهو ما يسمح لأيّ مرسل بأن يبعث رسائله من أيّ عنوان إلكتروني.

بعبارة أخرى، كانت رسالة إيدلمان رسالة مزوّرة، والنسختان المبعوثتان لبابلانسكي وموديغ كانتا وهميّتين، إذ جرى اعتراضهما، وحيل دون وصولهما إلى المرسَل إليهما. وهكذا لم يعُد من داعٍ تقريباً للتأكّد من الأمر. كانت واثقة من أنّ ردّ الشرطيين وموافقتهما على تغيير الموعد لا يعدو أن يكون حيلة وخدعة. وانصرف ذهنها على الفور إلى التفكير فيما يمكن أن يترتّب عن هذا. معنى هذا أنّ أحدهم تقمّص شخصية إيدلمان، وهو ما يعني أنّ تسريباً وقع، لا سيما وأنّ الأمر يدور حول إخراج الطفل من مركز الإيواء.

أيسعى أحدهم إلى إخراج الطفل إلى الشارع حيث يكون بلا حماية... ليعمد إلى اختطافه أو قتله؟ نظرت إلى ساعتها: كانت تشير إلى الثامنة وخمس وخمسين دقيقة. بعد عشرين دقيقة سيغادر توركل

ليندن وأوغست بالدر مركز الإيواء وينتظران شخصاً ليس هو شارلز إيدلمان. شخص قد لا تكون نواياه حسنة.

ماذا ينبغي أن تفعل؟ أتخبر الشرطة؟ فكرة لا تحبّذها، لا سيما وأن الخبر يمكن أن يتسرب. دخلت إذاً إلى موقع مركز الإيواء حيث عثرت على رقم توركل ليندن الهاتفي، وحاولت الاتّصال به، لكنّهم أخبروها بأنّه يحضر اجتماعاً. ثمّ بحثت عن رقم هاتفه المحمول، واتّصلت به، فردّ عليها المجيب الآلي. استشاطت غضباً، وبعثت له برسالة نصيّة ورسالة إلكترونية طالبة منه عدم الخروج إلى الشارع مع الطفل مهما كانت الذريعة. ولم تجد ما توقّع به سوى اسم: واسب.

ثمّ ارتدت سترتها الجلدية وغادرت مسرعة، لكنها عادت أدراجها على التوّ لتحشر حاسوبها المحمول الذي يحوي الملف المرموز، وسلاحها في حقيبتها الرياضية السوداء، ثمّ خرجت جارية. تردّدت بين أن تركب سيارتها البي إم دابليو المكشوفة التي تراكم عليها الغبار في المرآب أو تستقلّ سيارة أجرة. اختارت سيارة الأجرة وهي تقول في نفسها لعلّها أسرع من السيارة، لكنها سرعان ما ندمت على هذا الاختيار. ذلك أنّ سيارة الأجرة تأخّرت كثيراً بعدما علقت في زحمة الصباح.

كانت حركة المرور على الجسر المركزي متوقّفة تماماً. أوَقَعت حادثة؟ كان كلّ شيء يسير ببطء عدا الزمن الذي كان يمضي بسرعة. التاسعة وخمس دقائق، التاسعة وعشر دقائق. الأمر في غاية الاستعجال. لعلّ الأوان فات. ربّما خرج توركل ليندن والطفل قبل الموعد بقليل فيتمكّن المجرمون، مهما كانت هويّتهم، من تنفيذ عمليّتهم.

ركّبت رقم ليندن من جديد. هاتفه يرن هذه المرّة، لكن لا مجيب، ممّا أثار حنقها. فكّرت في مايكل بلومفيست الذي لم تتحدّث

إليه منذ أمد بعيد، فاتّصلت به فوراً. أجاب بصوتٍ كئيب في البداية لكنّه انتفض بمجرّد ما تنبّه إلى أنها هي من تخاطبه:

- هذه أنت ليزبث؟

- اخرس وأنصت إلى ما أقول لك.

كان مايكل موجوداً بمقرّ المجلة معكّر المزاج، ليس لأنّه لم ينم جيّداً في الليلة السابقة فحسب، بل لأن TT، وهي وكالة أنباء جادة ومحترمة، أصدرت، من بين كلّ وسائل الإعلام، برقيّة مفادها أنّ مايكل يعيق التحقيق حول مقتل فرانز بالدر بإخفائه معلومات بالغة الأهمية، وسعيه لنشرها على صفحات ميلينيوم.

وأضافت البرقيّة أنّ غايته من هذه المناورة هي إنقاذ مجلته من الإفلاس، وتلميع صورته «التي خبا بريقها». وكان مايكل قد علم أنّ بلاغاً صحفياً يُهيّأ، وأنّ نشره وشيك، وتحدّث مطولاً إلى كاتبه، هارولد والين مساء الليلة السابقة، لكنّه لم يتخيّل أبداً أن تكون النتيجة مدمّرة إلى هذا الحد، لا سيما وأنّ الأمر لا يتعلّق في الحقيقة إلا بتلميحات سخيفة واتهامات واهية.

لكن هارولد والين نجح مع ذلك في دسّ هذه الورقة العارية من المصداقية والموضوعية. كان يملك فيما يبدو مصادر عليمة داخل مجموعة سيرنر وفي الشرطة على السواء. لم تكن مقالته المعنونة بـ«مؤاخذات المدعي العام على بلومفيست» من النوع الذي يتوخى الإثارة، وقد أفسح فيها حيّزاً كبيراً لبلومفيست ليدافع عن نفسه. والحقيقة أنّ هذا البلاغ لم يكن مؤذياً في حدّ ذاته، لكن أعداءه الذين أذاعوا الخبر يعرفون جيّداً منطق الآلة الإعلامية. فما أن تذيع وكالة أنباء جادة مثل TT بلاغاً من هذا النوع، حتّى يلتقطه آخرون، ويعمدون

إلى تهويله. كما تبتهج به المنابر الفضائحية، وتعمد إلى النفخ فيه. إنّه مبدأ صحفي قديم. لمّا استيقظ بلومفيست، اكتشف أنّ الصحف الإلكترونية نشرت عنه مقالات بعناوين من قبيل: «بلومفيست يعيق التحقيق حول جريمة قتل» و«بلومفيست يسمح للقاتل بالإفلات من العدالة لينقذ جريدته». ورغم لجوء الصحافيين إلى وضع الجمل الصادمة بين مزدوجتين، فإنها توحي للقارئ مع ذلك بأنّه يتلقى حقيقة جديدة مع قهوة الصباح، بل إنّ كاتب أعمدة يدعى غوستاف لوند، وقد نصّب نفسه مدافعاً عن هذا النوع من النفاق، كتب في مقدمة مقالته:

لطالما سعى مايكل بلومفيست إلى الظهور بمظهر الصحافي المتميّز، لكن ها هي سفالته تنكشف للجميع.

علّق كريستر مالم، المتخصّص في الفنون الغرافية والمساهم في ميلينيوم، وكان واقفاً بجانب مايكل وهو يلوك العلكة بعصبية:

- أتمنى ألّا يتّخذوا تدابير قسرية في حقك.

فأجاب بلومفيست:

- أتّمنى ألّا ينشروا قوّات الجيش.

- ماذا؟

- لا شيء، أحاول أن أضفي على الموقف مسحة من الفكاهة. مجرّد سخافات.

- بالطبع، لكنني لا أطيق هذا الجو.

- لا أحد يطيقه. ليس أمامنا إلّا التحمّل والاستمرار في العمل كالعادة.

- هاتفك يرن.

ظلّ يرنّ بلا توقف.

- حريّ بك أن تردّ حتّى تتجنّب افتراءات أدهى؟

فغمغم بلومفيست قبل أن يفتح الخط ويبادر مخاطبه بنبرة لا تخلو من جفاء:

- نعم، نعم.

لم يكن الصوت النسائي على الطرف الآخر من الخط خافياً عنه، لكن بما أنّ المكالمة كانت مفاجئة، وجد صعوبة في بادئ الأمر في التعرّف على صاحبه.

- مَن المتكلم؟

ردّ الصوت:

- سالاندر.

فتهلّل وجه مايكل.

- هذه أنت ليزبث؟

- اخرس وأنصت إلى ما أقول لك.

كانت حركة المرور سلسة، وبلغت سيارة الأجرة التي يقودها شاب عراقي يدعى أحمد، اكتوى بنار الحرب، وفقد أمّه في أحد الهجومات الإرهابية، إلى سفيفيغن، وتجاوزت إلى اليسار قاعة الحفلات الموسيقية بستوكهولم. شعرت بالإحباط من عدم قدرتها على التصرّف، فبعثت رسالة نصيّة أخرى إلى توركل ليندن، وحاولت أن تتّصل بأيّ شخص في مركز الإيواء يستطيع أن يحذّره، لكن بلا جدوى. تذكّرت مايكل، وتمنّت أن تكون محاولاته توفقت.

قال السائق أحمد:

- أراك مذعورة؟

فأجابت:

- نعم.

فَعَبَر بسرعة رغم اشتعال ضوء منع المرور، منتزعاً بذلك ابتسامة خاطفة من وجه ليزبث.

وركّزت تفكيرها على الأمتار التي قطعتها السيارة. ولمحت أبعد قليلاً إلى اليسار المكتبة الوطنية. لم تعد تفصلها عن المركز إلّا مسافة قصيرة، وراحت تتطلّع إلى الأرقام على الواجهات الموجودة إلى اليمين، وتعرّفت فجأة على العنوان. لم تلحظ لحسن الحظ أيّ جثة تنزف على الرصيف. كان يوماً عادياً من أيام نوفمبر، والناس ذاهبون إلى أعمالهم. **ولكن ماذا**. . . ناولت أحمد بضعة أوراق نقدية. ولفت انتباهها طيفٌ أمام جدار مطليّ بالأخضر في الجانب الآخر من الشارع.

شخص قويّ البنية يضع قبّعة على رأسه ونظارات سوداء تحجب عينيه المصوّبتين على مدخل مركز الإيواء. كانت هيئته غريبة، ويده اليمنى مشدودة كما لو أنّها متأهبة للقيام بفعل ما، لكنّها مخفيّة. نظرت ليزبث من جديد إلى الباب الموجودة قبالته وهي لا تزال في سيارة الأجرة، فرأتها تنفتح.

انفتحت ببطء كما لو أنّ الشخص الذي يهم بالخروج متردّد، أو أنّ الباب بالغ الثقل، فصرخت ليزبث بأحمد أن يتوقف، ثمّ قفزت من السيارة وهي لا تزال تتحرّك بينما كان الرجل في الجانب الآخر من الشارع يرفع يده اليمنى مصوّباً بندقية قنص مجهّزة بمنظار على الباب الموارب.

17

الثاني والعشرون من نوفمبر

لم يرُق للرجل الذي يُدعى يان هولستر الموقع الذي يحتلّه، لأنه مكشوف والوقت غير مناسب: كانت الحركة نشيطة في الحي هذه الساعة. ورغم أنّه كان مقتّعاً، فإنّ ضوء النهار والمتسكّعين خلفه في الحديقة شتّتوا تركيزه. وما زاد الطين بلّة هو أنّه شعر، وأكثر من أيّ وقت مضى، بأنّه لا يحتمل فكرة قتل طفل.

لكن الأمور أخذت هذا المنحى، وعليه أن يعترف بأنّه هو المسؤول.

استهان بالطفل، وعليه الآن أن يُصلح خطأه. عليه ألّا يستسلم للأوهام هذه المرّة. سيركّز ذهنه على تنفيذ المهمة، وسيصير من جديد القاتل المحترف الذي لا تعرف الشفقة سبيلاً إلى قلبه. عليه ألا يفكّر في أولغا وألّا يتذكّر تلك النظرة الساهمة التي صوِّبت عليه في غرفة بالدر.

كان عليه أن يركّز على الباب في الجانب الآخر من الشارع، وعلى البندقية التي يخفيها تحت سترته، والتي يمكن أن يُشهِرها في أي لحظة. لماذا لا يحدث شيء؟ شعر بجفاف في فمه، وببرد قارس ينفذ إلى عظامه. كان الثلج يغطّي الرصيف والناس في حركة دؤوب. شدّ قبضته على سلاحه وألقى نظرة على ساعته اليدوية.

التاسعة وست عشرة دقيقة، التاسعة وسبع عشرة دقيقة، ولم يخرج أحد، فغمغم: هل وقع طارئ أفسد الخطة؟ لم يكن ثمّة شيء يطمئنه غير المعلومات التي استقاها من يوري، والتي عادة ما تكون كافية. فيوري شخص يتمتّع بقدرات عجيبة في مجال الإلكترونيات، وقد قضى ردحاً من الليلة السابقة يحرّر رسائل إلكترونية مزوّرة، مستعيناً فيما يتعلق بالجانب اللغوي ببعض معارفه من السويديين، بينما كان يان عاكفاً على البقية: البحث عن صور المكان، اختيار السلاح الأنسب، ولا سيما كيفية الهرب بواسطة السيارة التي استعارها دينيس ويلتون من نادي الدراجين MC Svavelsjö باسم مزوّر، والتي كانت مركونة في مكان غير بعيد، يقودها يوري.

شعر هولستر بحركة خلفه مباشرة، فجفل، عدا أن الأمر لم تكن فيه خطورة. كل ما هنالك رجلان مرّا على مقربة منه. بدأت حركة المارّة تنشط من حوله، وهو ما لم يحبّذه. وتملّكه على غير عادته شيء من الارتباك. تناهى إلى سمعه نباح كلب آتياً من مكان بعيد، وزكمت أنفه رائحة شياط منبعثة ولا شك من ماكدونالد. ثمّ. . . لاح أخيراً من خلف الباب الزجاجي رجل يرتدي معطفاً رمادياً، وبجانبه طفل أشعث يرتدي سترة طويلة حمراء. رسم هولستر كعادته هيئة الصليب في الهواء بيده اليسرى ثمّ وضع أصبعه على زناد سلاحه.

ثمّ. . . لا شيء؟ لم ينفتح الباب. بدا الرجل متردّداً وهو ينظر إلى هاتفه. وقال هولستر في نفسه: اللعنة، هيا! اخرُج! وانفتح الباب ببطء أخيراً وخرجا. رفع يان بندقيته، ونظر في المنظار المصوّب على وجه الطفل، فتراءت له من جديد عيناه الكابيتان، واعترته نزوة عنيفة. شعر برغبة مفاجئة في قتل هذا الصبي، والقضاء تماماً على هذه النظرة المشوشة.

لكن في تلك اللحظة بالذات، ظهرت على نحوٍ مفاجئ شابة

ارتمت على الطفل. أطلق عدّة طلقات، لكن الطفل والشابة كانا قد اختبآ خلف إحدى السيارات بسرعة البرق. التقط هولستر أنفاسه، ونظر حواليه، ثمّ اندفع باتجاه الجانب الآخر من الشارع ليشنّ ما كان يسمّيه هجوماً خاطفاً.

عليه ألّا يفشل هذه المرة.

لم تكن علاقة توركل بهاتفه على ما يُرام. فبخلاف زوجته ساغا التي كانت تنتفض عند كلّ اتصال آملة أن يحمل عرض عمل جديد، كان يشعر هو بضيقٍ غامض عندما يرنّ هاتفه.

انهالت الانتقادات على مركز الإيواء ومديره من كلّ حدب وصوب. وقد كان ذلك طبيعياً بشكل من الأشكال. فأودن كان يستقبل الحالات المستعجلة في سياقات غالباً ما تطغى عليها العاطفة. لكنّه كان مقتنعاً في قرارة نفسه بأنّ تلك الاتهامات لم تكن باطلة. فقد بالَغَ في تقليص النفقات. كان كثيراً ما يفضّل الهرب والتنزه في الغابة تاركاً الآخرين يتدبّرون الأمور بمفردهم. على أنّه كان يتلقى أحياناً، وهو أمر لا يمكن أن ينكره أحد، إطراء البروفسور إيدلمان شخصياً، كما حصل مؤخراً.

في بداية الأمر، ضايقته فكرة تدخّل البروفسور. لا يروقه أن يتدخّل الغرباء في تدبير العمل الذي يقوم به. لكن بعد ثناء الرسالة الإلكترونية التي وصلته ذلك الصباح، شعر بالاطمئنان، ومَن يدري، قد ينجح في جلب مساندة البروفسور لكي يظلّ الطفل فترة أطول في أودن. كان يشعر بأنّ بقاءه في غاية الأهمية رغم أنّه لا يستطيع تفسير سبب ذلك.

اعتاد توركل على التعامل بتحفّظ مع الأطفال، لكن طابع أوغست

الملغز شدّه إليه. وقد انزعج كثيراً من مطالب الشرطة، لأنّه يرغب في الاستئثار بهذا الصبي. كان الأمر كما لو أنّه يطمح للنّفاذ إلى مجاهل لغزه. كان يتوق إلى أن يفهم على الأقل معنى السلاسل الرقمية التي كتبها على قصة بامز المصورة في قاعة اللعب. إلا أنّ الأمر كان يمثل تحدّياً حقيقيّاً. إذ الظاهر أنّ أوغست بالدر يكره كلّ أشكال التواصل، وها هو الآن يرفض الخروج. أبدى من جديد عناداً شديداً بحيث اضطرّ توركل إلى سحبه.

غمغم قائلاً:

- هيّا! تعال.

عندئذٍ رنّ هاتفه.

يلحّ أحدهم على الاتصال به، لكنّه لم يكلّف نفسه الردّ على المكالمة. لعلّها شكاية أخرى تنضاف إلى الشكايات السابقة. ولمّا بلغ باب المركز، اكتفى بإلقاء نظرة على شاشة هاتفه، فانتبه إلى أنّه تلقى رسائل نصية غريبة من رقم هاتفي محجوب. قد يكون أحدهم يحاول أن يمازحه أو يدبّر له مقلباً. يطالبه بـ«ألّا يتجاوز عتبة الباب»، وألّا «يخرج إلى الشارع إطلاقاً».

إنّه أمر غير مفهوم. وفي تلك اللحظة بالذات، بدا أوغست كما لو أنّه يحاول الفرار، فأحكَم توركل قبضته على ذراعه، وأدار مقبض الباب. بدا كلّ شيء عادياً في بادئ الأمر. الناس يذهبون ويروحون كالعادة. وتساءل من جديد حول تلك الرسائل النصية، وبينما هو شارد في أفكاره، إذا بأحدهم يرتمي على الطفل من جهة اليسار بسرعة البرق بينما سمع دويّ طلقات نارية.

أدرك أنّه في خطر، وألقى نظرة مرعوبة إلى الجانب الآخر من الشارع، فرأى رجلاً رياضياً فارع الطول يتّجه نحوه، وقد أشهر مسدساً.

ومن دون أن يلقي بالاً لأوغست، حاول أن يعود أدراجه، ويلجَ باب المركز، وظنّ للحظة خاطفة أنه سيتمكن من ذلك، لكنّ الوقت لم يمهله لكي يختبئ.

تصرّفت ليزبث على نحوٍ غريزي، واندفعت باتجاه الطفل لكي تحميه، فارتطمت بالرصيف ارتطاماً عنيفاً، وأصيبت، أو هذا على الأقل ما تهيّأ لها. شعرت بألم حاد في كتفها وصدرها، لكنّها لم تكن تملك الوقت لكي تتبيّن الأمر. تناولت الطفل بين ذراعيها، واحتمت خلف إحدى السيارات. وبينما كان أحدهم يطلق عليهما الرصاص، بقيا هناك لاهثين. ثمّ خيَّم صمت مريب. ولمّا تفحصت الشارع من تحت هيكل السيارة، أبصرت ساقي الرجل الذي أطلق الرصاص: ساقان قويتان تعبران الشارع بسرعة. وخطر لها في لمح البصر أن تُخرج المسدس من حقيبة يدها، وتردّ على الطلقات، لكنّها أدركت بأنّ الوقت لن يسعفها. وفي تلك اللحظة بالذات مرّت سيارة فولفو ضخمة ببطء... فأمسكت بالطفل واندفعت باتجاه السيارة المتحرّكة، فتحت بابها الخلفي وارتمت داخلها مرعوبة وقد لاحظت أنّ الدم يسيل على المقعد، من دون أن تتمكن من معرفة ما إذا كان ينزف منها أم من الطفل، ثمّ صاحت بالسائق:

- انطلق بسرعة!

كان جاكوب شارو في الثانية والعشرين من عمره، مزهوّاً بسيارة الفولفو XC60 التي اشتراها بواسطة قرض وبمساعدة والده. كان في طريقه إلى أوبسالا ليستمتع بتناول وجبة الغذاء مع عمّه وزوجته

وبناتهما. كان مستعجلاً لكي يُخبرهم بأنّ فريق كرة القدم سيريانسكا FC من القسم الأول تعاقد معه.

وبينما كانت السيارة تمرّ بمحاذاة دار الحفلات، ومن مذياعها تنبعث أنغام أغنية أفيسي *Wake Me Up*! وأصابعه تنقر على المقود مصاحبة إيقاعاتها، لاحظ أنّ حركة المرور في الشارع مضطربة، والناس يجرون في كلّ الاتجاهات. أبصر رجلاً يصرخ، والسيارات تتحرّك ببطء، فخفّف السرعة من دون أن يعبأ بالأمر. إنّ كان الأمر يتعلّق بحادثة سير، يستطيع المساعدة في الإسعاف. لطالما حلم جاكوب شارو بأن يصير بطلاً.

لكن المشهد أشعَرَه بالسخط، ربّما بسبب الرجل الذي عَبَرَ الشارع بسرعة فائقة. كان أشبه بجندي ينفّذ عملية كوماندوس. توحي حركاته بالعنف والقسوة. وبينما همّ جاكوب بالضغط على دواسة السرعة، سمع ضجّة خلفه: حاول أحدهم اقتحام سيارته! وهتف بشيء لم يفهمه هو نفسه: كلام غامض لعلّه بلغة غير السويدية. واكتفت الشابة التي كانت تمسك طفلاً بأن أجابت صارخة:

- انطلق بسرعة!

تردّد لحظة. مَن يكون هذان الشخصان؟ أتريد هذه الشابة نهبه وسرقة سيارته؟ لم يعُد قادراً على التفكير بصفاء، ذلك أنّ الموقف كان عبثياً. لكنّه اضطرّ في اللحظة الموالية إلى أن يتصرّف: سمع صوت زجاج السيارة الخلفي يتحطّم. أحدهم يطلق عليه النار. ضغط على دواسة السرعة بأقصى ما يستطيع وقلبه يخفق، غير عابئ بالضوء الأحمر في مفترق طرق شارع أودنغاتن.

وصرخ:

- ما هذه المصيبة؟ ماذا جرى؟

فردّت الشابة:

- صهْ!

رفع بصره إلى مرآة القيادة فرآها تفحص بخبرة الممرضة طفلاً صغيراً مرعوب العينين. عندئذٍ تنبّه إلى أنّ المقعد الخلفي لم يكن يغطيه حطام الزجاج فحسب، بل هو ملطخ بالدم كذلك.

- هل أصابته رصاصة؟

- لست أدري. واصل السياقة في هذا الاتجاه... كلا، انعطف يساراً، هنا... انعطف الآن!

فردّ مذعوراً:

- حسناً، حسناً.

انعطف يساراً عند فاناديسفاغن، وانطلق بسرعة جنونية باتجاه فاساستان، وهو يتساءل عمّا إذا كان أحدهم يتعقبّه، وما إذا كان سيطلق عليه النار من جديد.

كان عاكفاً على المقود فشعر بتيار الهواء البارد الذي يندفع من النافذة المكسورة. اللعنة! كيف سِيقَ إلى هذه الورطة؟ ومَن تكون هذه الشابة؟ ألقى نظرة إلى مرآة القيادة فبدت له بشعرها الأسود ونظرتها الكئيبة، والخروم في وجهها، وتهيّأ له للمحة خاطفة أنّها لا تشعر بوجوده. ثمّ غمغمت بنبرة أقرب إلى المرح.

سألها:

- أثمّة أخبار سارة؟

لم تجِب. نزعت سترتها الجلدية، وتناولت قميصها و... تبّاً! ماذا تُراها ستفعل؟ مزّقت القميص بحركة عنيفة، فبدا صدرها عارياً تماماً من دون حمّالة ولا ثوب يستره، فراح يحدّق فيها مذهولاً. كان نهداها منتصبين يلطخهما الدم ويسيل على بطنها وسروال الجينز كجدول صغير.

أصابتها رصاصة في مكان ما تحت الكتف، غير بعيد عن القلب،

وهي تنزف بغزارة. وفهم أنّها تريد أن تستعين بالقميص لإيقاف النزيف. ضمّدت الجرح وضغطت عليه لتوقف الدم الفائر، ثمّ ارتدت سترتها، وهو ما أضفى عليها مسحة من الغطرسة المضحكة، لا سيما وأنّ الدم يلطخ وجنتها وجبينها، بحيث بدت كجندي صبغ وجهه استعداداً للحرب.

سألها:

- لعلّ الخبر السار هو أن الرصاصة أصابتك أنت ولم تُصِب الطفل؟

- نعم، شيء من هذا القبيل.

- أأقودك إلى مستشفى كارولينسكا؟

- كلا.

عثرت ليزبث على المكان الذي نفذت منه الرصاصة، ذلك أنّها اخترقت كتفها. كان الجرح ينزف بشدّة، وهو ما جعلها تشعر بخفقان في صدغيها. لكنّها استبعدت أن تكون الإصابة بلغت أحد شرايينها، أو بالأحرى هذا ما كانت تأمله. لو أصيب شريانها لكان حالها أسوأ. نظرت إلى الخلف. لا بدّ أنّ المجرم فرّ بسيارته، لكنّ الظاهر أنّ لا أحد يتعقّبهم. وقالت في نفسها لعلّها استطاعت الهرب بسرعة، ثمّ خفضت بصرها لتنظر إلى أوغست.

ظلّ شابكاً يديه على صدره، وراح يؤرجح جسده من الأمام إلى الخلف. قالت في نفسها إنّ عليها أن تتصرّف. وأوّل ما خطر ببالها هو أن تنزع شظايا الزجاج من شعره وساقيه، وهو ما قد يهدِّئه للحظة. لكنّها لم تكن متأكّدة من أنّ حالته تبشِّر بخير. فقد كانت نظرته كابية. أومأت له برأسها محاوِلَةً أن تبدو له رابطة الجأش، لكنّ النتيجة لم

تكن مُرضية تماماً. فحالها بدأت تسوء، وقميصها تبلّل بالدم تماماً، وأخذت تشعر بالدوار. أهي على وشك الإغماء؟ هذا ما كانت تخشاه، وأجهدت نفسها لكي تضع خطّة. ليس اللجوء إلى الشرطة بالحل المناسب. ذلك أنّهم ألقوا بالطفل في أحضان القاتل، ولا يبدو أنهم يسيطرون على الوضع. فما الخيارات الأخرى المتاحة؟

لا يمكنها منطقياً أن تستمرّ في هذه السيارة. فقد شوهدت في مسرح الجريمة، وهي تثير الانتباه بنافذتها المكسورة. عليها إذاً أن تستعين بهذا الرجل للوصول إلى بيتها، ثمّ تأخذ سيارتها البي إم دابليو المسجّلة بهويّتها الأخرى، باسم إيرين ناصر. لكن، هل تقوى على قيادتها؟

كانت تشعر بالألم.

أمرته قائلة:

- توجّه إلى فاستربرون.

فأجاب قائلاً:

- حسناً، حسناً.

- هل لديك مشروب؟

- عندي زجاجة ويسكي.

- أين هي؟

فناولها زجاجة غرانتس التي اشتراها لعمّه. لكنّها وجدت صعوبة كبيرة في فتحها.

نزعت الضمّادة، وسكبت الويسكي على الجرح، ثمّ شربت جرعة أولى وثانية وثالثة، وهمّت بأن تناول الزجاجة لأوغست، لكنّها سرعان ما تنبّهت إلى أنّها فكرة غير حكيمة. فالأطفال لا ينبغي أن يشربوا الويسكي، حتّى لو كانوا في حالة صدمة. وبدأت أفكارها تتشوّش.

قالت للرجل:

- ينبغي أن تنزع قميصك.

- ماذا؟

- أنا بحاجة إلى ضمّادة أخرى أضعها على الجرح.

- حسناً، ولكن...

- لا تكن مقرفاً.

- إذا كان عليّ أن أساعدك، أريد أن أعرف على الأقل لماذا أطلقوا عليكِ الرصاص. أأنت مجرمة؟

- أحاول حماية هذا الطفل الصغير، هذا كلّ ما في الأمر. هناك جماعة من الأوغاد يتعقّبونه.

- لماذا؟

- هذا لا يعنيك.

- هو إذاً ليس ابنك؟

- لا أعرفه.

- فلماذا تساعدينه إذاً؟

تردّدت ليزبث، ثمّ قالت:

- نحن معاً نواجه الأعداء نفسهم.

وراح الشخص ينزع كنزته ويده اليسرى تمسك بالمقود، ثمّ فكّ أزرار قميصه، خلعه ومدّه لها، فلفّته حول كتفها بعناية من دون أن تحوّل بصرها عن أوغست. كان مرعوباً وجامداً في مكانه على نحوٍ غريب، وعيناه مخفوضتان تنظران إلى ساقيه النحيلين. وتساءلت ليزبث من جديد عمّ عساها تفعل.

بإمكانها بطبيعة الحال أن تختبئ في شقّتها التي لا يعرفها أحد باستثناء بلومفيست، والتي يستحيل بلوغها انطلاقاً من اسمها. لكن عليها ألّا تخاطر. سبق لها في وقت من الأوقات أن ظهرت على

الصفحات الأولى من الجرائد، اعتبروها مغفّلة، والعدو الذي واجهته كان يملك ما يكفي من الموهبة لكي يصل إليها.

ليس من المستبعَد أن يكون أحدهم تعرّف عليها في سفيفيغن، وأن تكون الشرطة بصدد البحث عنها. ومن ثمّة فهي بحاجة إلى مخبأ لا صلة له بأيّ هوية من هوياتها. هي بحاجة إلى المساعدة، ولكن إلى مَن ستلجأ؟ إلى هولجر؟

كان صديقها هولجر بالمغرين قد شُفِيَ تقريباً من مضاعفات السكتة الدماغية التي أصابته، وانتقل للسكن في شقة مكونة من غرفتين في ليليومستورغيت. إنه الشخص الوحيد الذي يعرفها حقّاً. وقد ثبت على وفائه لها في كثير من المواقف، ومن ثمّة سيبذل ما في وسعه لكي يساعدها. لكنّه شخص مسنّ، كثير المخاوف والهواجس، وهي لا تريد إقحامه في هذه القضية.

هناك بالطبع بلومفيست. هو أيضاً شخص أهل للثقة. ومع ذلك فهي متردّدة في إعادة الاتصال به. إنه رجل طيّب ومستقيم، ولائحة مزاياه طويلة... ثم، تبّاً!... هي لا تتّصل به إلّا لتكيل له اللوم. لا يمكنها أن تستمرّ في معاداته والحقد عليه. وهاتفته أخيراً. ردّ على الفور، وبدا مضطرباً:

- أنا سعيد بسماع صوتك. ماذا جرى؟
- لا يمكن أن أخبرك الآن.
- يقولون إنّك مصابة. هناك آثار دماء هنا.
- الطفل بحالة جيدة.
- وأنتِ؟
- لا بأس.
- أأُصبت؟
- سنتحدّث في هذا لاحقاً يا بلومفيست.

ألقت نظرة إلى الخارج، وتنبّهت إلى أنّهم اقتربوا من فاستربرون، فالتفتت إلى السائق وقالت:

- توقّف ها هنا، عند محطة الباص.

- ستغادرين السيارة؟

- أنتَ مَن سيغادرها. ناولني هاتفك وانتظر بالخارج إلى أن أنهي المكالمة. مفهوم؟

- حسناً، حسناً.

ناولها هاتفه المحمول وقد بدا عليه الخوف، ثمّ أوقف السيارة وترجّل منها. استأنفت ليزبث المحادثة.

- ماذا جرى؟

- لا تشغل بالك بهذا. عليك منذ هذه اللحظة أن تحصل على هاتف ذكي لا يفارقك، من نوع سامسونغ مثلاً. لديكم هذه الهواتف في إدارة التحرير؟

- نعم، لا بدّ أنّها متوفرة.

- حسناً، إثر ذلك اذهب توّاً إلى غوغل بلاي وحمّل تطبيق ريدفون وكذا تطبيق ثريما الخاص بالرسائل النصية SMS. ينبغي أن نتواصل بأمان تام.

- سأفعل.

- ابحث عمّن يساعدك، لكن من دون أن تُخبر أحداً. لا ينبغي أن نخاطر.

- لا تقلقي من هذه الناحية.

- ثمّ...

- ماذا؟

- لن نلجأ للهاتف إلّا في الحالات المستعجلة. عدا ذلك

سنتواصل عبر رابط خاص على حاسوبك. أريدك أنت، أو بالأحرى أريد من الشخص الذي سيساعدك أن يذهب إلى موقع pgpi.org ويحمّل برنامج ترميز تستعمله في مراسلاتك الإلكترونية. عليك أن تفعل هذا حالاً. إثر ذلك ابحث لي أنا والطفل عن ملجأ آمن، شرط ألّا تكون له علاقة بك ولا بميلينيوم. حين تعثر عليه، ابعث لي رسالة نصية مرموزة.

- اسمعي يا ليزبث، حراسته ليست من شأنكِ أنت.

- لا أثق في الشرطة.

- علينا إذاً العثور على شخص تَثِقين فيه. فالصبي متوحّد، وهو بحاجة إلى علاجات خاصة. وبهذا لا ينبغي أن تتحمّلي مسؤوليته، لا سيما إذا كنت مصابة...

- لقد طلبتُ منك مساعدتي لا أن تمطرني بهذه السخافات...

- سأساعدك بالطبع.

- حسناً. راجع [علبة رسائل ليزبث] بعد خمس دقائق. سأترك لك فيها بعض المعلومات. إثر ذلك، عليك أن تختفي.

- أنصتي إليّ يا ليزبث، ينبغي أن تذهبي إلى المشفى. عليكِ أن تتعالجي. أسمع من صوتك...

أقفلت الخط، ونادت على صاحب السيارة الذي كان ينتظر عند محطة الباص، ثمّ أخرجت حاسوبها المحمول، وقرصنت حاسوب مايكل بلومفيست بواسطة هاتفها. سجلت بعض التعليمات المتعلقة بالطريقة التي ينبغي اتّباعها لتحميل برنامج الترميز.

ثمّ طلبت من الرجل أن يقودها إلى ساحة موزباك. كان في الأمر مخاطرة، لكن لم يكن أمامها من خيار آخر. بدأ كلّ ما حولها يتكدّر أكثر فأكثر.

راح بلومفيست يلعن في صمت. كان موجوداً بسفيفيغن، غير بعيد عن الجسد الذي فارقته الحياة، قرب الشرائط التي كانت تنصبها الشرطة لتطويق مسرح الجريمة. منذ أن تلقى مكالمة ليزبث الأولى لم يتوقّف عن الحركة. استقلّ سيارة أجرة، وبذل كلّ ما استطاع خلال الرحلة لكي يجنّب الطفل والمدير الخروج إلى الشارع.

كلّ ما استطاع أن يفعله هو الاتصال بموظفة مركز الإيواء، امرأة تدعى بيرجيتا ليندغرين. انطلقت على الفور جارية في السلم، فلاحَ لها رئيسها ينهار فجأة على الباب بسبب رصاصة أصابته في الرأس. ولمّا وصل مايكل بعد عشر دقائق، كانت بيرجيتا ليندغرين في غاية الاضطراب، لكنها استطاعت مع ذلك أن تقدِّم له صورة عمّا جرى، صورة أكمل عناصرها أحد الشهود، امرأة تدعى أولريكا فرانزن، عاينت الحادثة وهي في طريقها إلى دار نشر ألبير بونيي، الواقعة على مسافة غير بعيدة من الشارع.

وقبل أن يرن الهاتف من جديد، أدرك مايكل أنّ ليزبث أنقذت حياة أوغست بالدر، وأنها توجد هي والطفل في تلك الأثناء على متن سيارة شخص مجهول قد لا يكون قادراً على مساعدتهما، بما أنّه تعرَّض هو أيضاً لإطلاق النار. لكن ما أثار انتباه مايكل أكثر هي آثار الدم على الرصيف. ورغم أن هذه المكالمة الهاتفية الثانية طمأنته قليلاً، ظلّ مع ذلك قلقاً. فقد لمس في صوت ليزبث أنّها منهكة القوى، لكنّها مصمّمة كلّ التصميم مع ذلك على المضي في خطتها. وهو ما لم يُثِرْ استغرابه.

رغم إصابتها بالرصاص، كانت تبحث للطفل عن مكان آمن، مع الحرص على أن تفعل ذلك بنفسها، وهو أمر لا يفهمه إلّا مَن يعرفها جيّداً. ولكن هل يتعيّن عليه هو وميلينيوم أن يتورطا في هذه المناورة؟ مهما كان تدخّلها في سفيفيغن بطولياً، فإن العملية يمكن أن تُعدّ من

الزاوية القانونية الصرفة اختطافاً. وهو لا ينبغي له أن يشارك في مثل هذا العمل. لديه ما يكفي من المشاكل مع وسائل الإعلام ومع النائب العام.

غير أنّ الأمر يتعلّق بليزبث، وهو قد وعدها بالمساعدة. سيساعدها طبعاً، رغم أنه سيثير حفيظة إريكا، ورغم أنه يجهل مآل هذا الأمر. تنفَّس عميقاً وأخرج هاتفه، وبينما كان يهمّ بتركيب الرقم، سمع صوتاً مألوفاً ينادي باسمه. إنّه جان بابلانسكي. كان يحثّ الخطو نحوه عابساً، تسير إلى جانبه سونيا موديغ وشخص آخر فارع الطول، ذو بنية رياضية، في حوالي الخمسين من عمره، لعلّه البروفسور الذي ألمحت إليه ليزبث في مكالمتها.

سأل بابلانسكي لاهثاً:

- أين الطفل؟

- اختفى ناحية الشمال في سيارة فولفو حمراء. أحدهم أنقذه.

- مَن يكون؟

فاجأ السؤال مايكل، فردّ مرتجلاً:

- سأخبركما بما أعرف. لكن اسمحا لي قبل ذلك بإجراء مكالمة.

- كلا، كلا... تحدّث إلينا أوّلاً. سنُطلق تحذيراً على المستوى الوطني.

- اذهبا إلى المرأة هناك، تدعى أولريكا فرانزن. هي تعرف أكثر منّي، لأنّها شهدت الواقعة، بل تستطيع أن تقدّم لكما أوصافاً دقيقة للشخص الذي أطلق النار. أمّا أنا فلم أصل إلى هنا إلّا بعد عشر دقائق من الحادث.

- والشخص الذي أنقذ الطفل؟

- المرأة التي أنقذت الطفل؟ أولريكا فرانزن تستطيع أيضاً أن تصفها لكم... أنا الآن مضطر لأطلب منكم المعذرة...

فبادرته سونيا موديغ قائلة وقد استشاطت غضباً:

- اشرح لي أوّلاً كيف علمتَ أنّ شيئاً كان سيقع هنا؟ قيل على المذياع إنّك اتّصلت بالنجدة حتّى قبل إطلاق الرصاص.

- تلقّيتُ معلومات سرّية عن الحادثة.

- ممّن تلقيتها؟

تنفس مايكل بعمق ثانية، وحدّق في عيني سونيا برباطة جأش، وقال:

- بخلاف السخافات التي تنشرها الجرائد، أنا مصمّم على التعاون معكم بكلّ الأشكال الممكنة، آمل ألّا يخامركم شك في ذلك.

فردّت سونيا:

- منذ مدّة طويلة وأنا أثق فيك يا مايكل، لكن ينبغي أن أعترف بأن هذه هي المرة الأولى التي تساورني فيها كثير من الأسئلة.

فردّ وهو يشير إلى جثّة توركل ليندن:

- حسناً، أتفّهم موقفكما، لكن عليكما ألّا تنزعجا إذا قلت إنني لا أثق فيكما بدوري. فقد حدث عندكم تسريب خطير للمعلومات، أليس كذلك؟ لولا ذلك لما وقعت هذه المأساة.

فهمس بابلانسكي:

- صحيح، يا لها من ورطة!

فقال مايكل وهو يبتعد قليلاً حتّى يتحدّث براحة بال:

- حسناً، عليّ الآن أن أجري مكالمتي.

لكنّه لم يُجْرِ تلك المكالمة. قال في نفسه لقد آن الأوان ليتّخذ الموقف المطلوب من الشرطة. أخبر بابلانسكي وموديغ إذاً بأنّ عليه أن

يعود إلى مقرّ المجلة، وأنّه سيظل رهن إشارتهما. لكنّه اندهش لمّا رأى سونيا تمسك بذراعه وتقول له بنبرة عنيفة:

- عليك أن تشرح لنا أوّلاً كيف علمتَ بالواقعة قبل حدوثها؟

فردّ مايكل وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة لا تخلو من ضيق:

- من واجبي للأسف أن أتكتّم على مصادري.

ثمّ لوّح لسيارة أجرة وعاد إلى مقرّ المجلة مستغرقاً في أفكاره. ففيما يتعلّق بالمشاكل الإلكترونية، لجأت ميلينيوم منذ مدّة إلى مقاولة تيك سورس المؤلَّفة من جماعة فتيات يمتزن بالسرعة والنجاعة. لكنّه لم يشأ إقحامهنّ في هذه القضية الآن. كما أنّه لم يرد أن يقحم كريستر مالم، رغم أنّه يُعدّ من أمهر أعضاء فريق التحرير في مجال الإلكترونيات. فكّر بالأحرى في أندري. كان على علم بالقضية، وهو قادر على تدبّر أموره جيّداً في مجال الحاسوب. هكذا قرّر أن يستعين به، وصمّم على أن يبذل كلّ ما في وسعه لكي يساعده على الحصول على منصب إن تمكّن هو وإريكا من تجاوز هذه الورطة.

بدأ يوم إريكا بكابوس حتّى قبل إطلاق الرصاص على سفيفيغن بسبب ذلك البلاغ الإخباري اللعين الذي صدر عن TT. كان ذلك امتداداً لعمليّة الطرد التي يتعرّض لها مايكل بشكل من الأشكال. فقد انطلقت الأحقاد من عقالها، وانهالت القذارات على تويتر والمنتديات الإلكترونية. وانضم العنصريون المسعورون المعادون لميلينيوم إلى الجوقة.

الجانبُ المرهق في هذا كلّه هي الصعوبة التي صار يواجهها أعضاء فريق التحرير في القيام بمهامّهم. فقد بدا الناس فجأة وكأنّهم متحفّظون على تقديم الأخبار للمجلّة. ثمّ هناك من ناحية أخرى

الإشاعة التي انتشرت، ومفادها أنّ النائب العام ريتشارد إكشتروم يتأهّب لإصدار أمر بتفتيش مقرّ المجلة، وهي إشاعة كانت إريكا برجر متحفّظة بشأنها، لأنّ تفتيش مكاتب التحرير يُعدّ مسألة خطيرة، لا سيما فيما يتعلّق بحماية المصادر الصحفية.

لكنّها كانت تشاطر كريستر رأيه: ساءت أجواء العمل بحيث صار من الممكن أن يفكّر موظفو القضاء في الخروج عن الأطر المألوفة. وبينما كانت إريكا تفكّر في أفضل أشكال الردّ دخل مايكل إلى مكتب التحرير. وتعجّبت كيف أنّه لم يعبأ بوجودها، ولم يوجّه لها الكلام، بل اندفع باتجاه أندري زاندر، وقاده إلى مكتبه.

لحقت بهما بعد لحظات، وكانت أوّل كلمة طرقت سمعها من محادثتهما هي "PGP". كانت تعرف معناها بحكم أنّها أجرت تدريباً في مجال الأمن الإلكتروني. كان التركيز والتوتّر باديين على أندري، ولاحظت بأنّه يدوّن ملاحظات في مفكّرته. وبعد بضع دقائق، ومن دون أن يكلّف أندري نفسه حتّى النظر إليها، غادر المكتب وجلس أمام حاسوب مايكل المحمول الموجود في الفضاء المفتوح.

- ماذا جرى؟

استعرض عليها بصوت خفيض الأحداث مع الإشارة إلى مترتّباتها. على أنّها لم تستقبل المعلومات بصفاء ذهن، ووجدت صعوبة في تمثّلها، حتّى إن مايكل اضطرّ مراراً إلى تكرار كلامه.

سألت:

- وتريدني أن أجد لهما مخبأ؟

- آسف على إقحامكِ في هذه الحكاية يا إريكا. لكنّني لا يمكن أن أعتمد على أحد يعرف أصحاب المنازل الريفية سواك.

- لا أعرف يا مايكل، صدّقني.

- لا يمكن أن أتخلّى عنهما يا إريكا. فليزبث مصابة برصاصة. إنّه موقف حرج.

- إنْ كانت مصابة، فعليها أن تذهب إلى المشفى.

- هي ترفض. تريد أن تحمي الطفل مهما كلّفها الثمن.

- لكي يتمكّن من رسم القاتل؟

- نعم.

- إنّها مسؤوليّة جسيمة، يا مايكل. مخاطرة. إن وقع لهما أيّ شيء، سنؤدّي نحن الثمن، وستنهار المجلّة تماماً. إنّها قضية جنائية، وهي من اختصاص الشرطة. تصوّر فقط الجوانب السيكولوجية والعناصر البالغة الأهمية المفيدة للتحقيق التي يمكن أن تكشفها هذه الرسوم. لا بدّ أنّ ثمة حلاً آخر.

- الأكيد أنّ ثمة حلاً آخر لو لم تكن ليزبث سالاندر في القضية.

- أحياناً أضيق ذرعاً باستماتتك في الدفاع عنها.

- أحاول فقط أن أنظر إلى الموقف من منظور واقعي. فالسلطات ارتكبت خطأً جسيماً في حقّ أوغست بالدر، وعرّضت حياته للخطر. وهذا هو سبب حنق ليزبث.

- وبناء عليه ليس أمامنا إلّا أن نرضخ للأمر الواقع، هذا ما تقصد؟

- لا خيار آخر. هي الآن هاربة وفي غاية الغضب، ولا تجد مكاناً تلجأ إليه.

- خبئها في ساندهام إذاً.

- تربطني بليزبث علاقات قريبة. إن عثروا على اسمي، سيعمَدون مباشرة لتفتيش عناويني.

- حسناً.

- هل أنتِ موافقة؟

- سأحاول.

لم تصدّق نفسها أنّها نطقت بهذه الجملة. لكن الأمور تجري دائماً على هذا النحو مع مايكل. حين يحتاج إليها، لا تستطيع أن ترفض له طلباً. وكانت واثقة من أنّه هو أيضاً لن يرفض لها طلباً إن احتاجت إليه، وسيفعل ما بوسعه من أجلها.

- هذا رائع يا ريكي، أين؟

فكّرت ملياً، لكنّها لم تعثر على شيء. كانت تشعر كما لو أنّها عاجزة عن التفكير. لم يتبادر إلى ذهنها أيّ اسم، أيّ شخص... وأحسّت فجأة كما لو أنّ شبكة معارفها تبدّدت. ثمّ قالت:

- أمهلني قليلاً.

- فكّري بسرعة، وأخبري أندري بالعنوان وكيفية الوصول إليه. فهو يعرف ما ينبغي القيام به.

كانت إريكا بحاجة إلى أن تأخذ نفساً. وبينما كانت تستعرض في ذهنها الأسماء الواحد تلو الآخر من دون أن تعثر على الاسم المناسب، نزلت السلم وخرجت إلى غوتغاتن للتنزه قليلاً باتجاه ساحة المدينة. فالقضية في غاية الخطورة، والأسماء التي تبادرت إلى ذهنها بدت لها إمّا غير مؤاتية، أو لا تريد أن تعرّضها للخطر أو تزعجها بهذه الحكاية. ربّما لأنّ هذه القضية كانت تزعجها أيّما إزعاج. ثمّ إن الأمر يتعلّق، من ناحية ثانية، بطفل حاولوا اغتياله بالرصاص، وهي قد وعدت بالمساعدة. عليها أن تعثر على حلّ.

تردّد صوت صفارة إنذار الشرطة في البعيد، وألقت نظرة إلى الحديقة ومحطّة الميترو ثم المسجد. مرّ شابّ بمحاذاتها، حاملاً بعض الوثائق، يعالجها خفية كما لو أنّه تلقى من توّه معلومات سريّة، فتبادر إلى ذهنها فجأة اسم غابرييلا غران. فاجأها الاسم في بادئ الأمر. فغابرييلا لم تكن صديقة مقرّبة، وهي تعمل في حقل لا يسمح بخرق

القوانين. يا لها من فكرة خرقاء! مجرّد التفكير في اقتراح الأمر عليها يمكن أن يكلّفها منصبها. ومع ذلك... علِقَت هذه الفكرة بذهنها، وظلّت تلحّ عليها.

كانت غابرييلا امرأة طيبة ومسؤولة. وطفت على السطح إحدى الذكريات. كان ذلك خلال الصيف الماضي، ذات صباح باكر بعد مأدبة جراد بحر في مأوى غابرييلا الخشبي بإنيارو. كانتا جالستين معاً على أرجوحة في الشرفة تنظران إلى البحر الذي يبدو في البعيد من خلال الأشجار. فقالت إريكا:

- سألوذ بهذا المكان حين تطاردني الضباع.

ولم تفهم هي أيّ ضباع تقصد.

كانت تلك ربّما لحظة من لحظات التعب التي شعرت فيها بالضعف، وأوحى لها شيء ما في هذا المنزل بأنّه يصلح ليكون ملاذاً مناسباً.

يقع المنزل فوق صخرة بعيداً عن الأنظار، تحفّ به الأشجار. وتذكّرت بوضوح ما قالته لها غابرييلا:

- لمّا تشعرين بخطر الضباع، مرحى بك ها هنا يا غابرييلا.

وبينما كانت تتذكّر هذه الكلمات، قالت في نفسها لربّما لا يعدّ الاتصال بغابرييلا فكرة سيئة.

قد يكون مجرّد السؤال تجاوزاً لحدود اللباقة، لكنّها صمّمت مع ذلك على أن تحاول. بحثت عن الرقم في مفكرتها، وعادت إلى المكتب لكي تتّصل بها انطلاقاً من تطبيق ريدفون الذي ثبّته أندري على حاسوبها هي أيضاً.

18

الثاني والعشرون من نوفمبر

بينما كانت غابرييلا غران تتأهّب للذهاب إلى اجتماع عاجل مع هيلينا كرافت وفريق السابو حول المأساة التي وقعت مؤخّراً في سفيفيغن، ارتعد هاتفها المحمول، وبدا لها رقم المتّصل مخفيّاً. ورغم أنّها كانت تستشيط غضباً -أو ربّما لهذا السبب بالتحديد- ردّت بسرعة.

- مَن؟

- أنا إريكا.

- مرحباً. أنا مشغولة الآن. سأتّصل بك لاحقاً.

- أريد أن. . .

لكن غابرييلا أقفلت الخط: ليس هذا وقت المحادثات الودّية. ودخلت قاعة الاجتماع وكلّها تصميم وتأهّب للمواجهة. ذلك أنّ معلومات بغاية الأهمية تسرّبت، ممّا تسبّب في موت شخص ثانٍ، وربّما في جرح ثالث جرحاً بليغاً. فخلال بحثهم عن مستجدات الأخبار، تصرّفوا بكيفية عشوائيّة، وبتهوّر يستحقّون عليه التوبيخ. كان الغضب قد أخذ منها مأخذه بحيث سهت لنصف دقيقة تقريباً لم تسمع فيها كلمة ممّا كانوا يقولون. ثمّ لفت انتباهها اسم.

كان أحدهم يقول إنّ بلومفيست اتّصل بالنجدة قبل إطلاق النار

بسفيفيغن. وها هي إريكا برجر، التي لم تعتد على مهاتفتها من دون سبب، لا سيما خلال ساعات العمل، تتّصل. إنّه أمر غريب، أليس كذلك؟ ألا تكون لديها معلومات هامّة، بل حاسمة، تريد أن تفضي لها بها؟ نهضت واستأذنت بالخروج.

فخاطبتها هيلينا كرافت بفظاظة غير معهودة:

- أظنّ أن ما يدور في هذا الاجتماع في غاية الأهمية يا غابرييلا.

فأجابت غير مكترثة بكلام رئيسة السابو:

- ينبغي أن أجري مكالمة.

- أيّ نوع من المكالمات؟

فردّت قبل أن تغادر القاعة وتلوذ بمكتبها لتتصل بإريكا برجر:

- مكالمة.

طلبت إريكا من غابرييلا أن تقفل الخط، وتتّصل بها على هاتفها المحمول سامسونغ. وعند سماع صوتها من جديد، شعرت بأنّها لم تكن عادية. لم تلمس في نبرتها حرارة الصداقة التي تجمع بينهما. بل بدت غابرييلا، بخلاف ذلك، فاترة ومضطربة، كما لو خمّنت أنّ إريكا تهمّ بأن تطلب منها طلباً خطيراً.

اكتفت بالقول:

- مرحباً، أنا مشغولة للغاية. لعلّك اتصلت لكي تحدّثيني عن أوغست بالدر؟

وشعرت إريكا على الفور بالضيق.

- كيف عرفت؟

- أنا بصدد التحقيق في القضية، وعلمت توّاً أنّ مايكل بلومفيست عَلِمَ من مصادره السريّة بما جرى في سفيفيغن قبل وقوعه.

- أبَلغك ذلك؟

- نعم، ونحن نريد أن نعرف من أين جاءته المعلومة بالضبط.

- آسفة، أنا مُلزَمة بالحفاظ على سريّة المصادر.

- حسناً، ولكن ماذا تريدين؟ لماذا اتّصلت؟

أغلقت إريكا عينيها وتنفّست بعمق. كيف سمحت لنفسها بأن تكون بهذا الغباء؟ ثمّ قالت:

- سأستعين بشخص آخر. لا أريد أن أتسبّب لك في أزمة ضمير.

- أنا مستعدّة لتحمّل أيّ أزمة مهما كانت يا إريكا، لكن ما لا أطيقه هو أن تخفي عنّي أشياء. فأهمية هذا التحقيق بالنسبة لي تفوق ما تتصوّرين.

- حقّاً؟

- نعم. أنا أيضاً علمت من بعض مصادري أنّ حياة بالدر في خطر، لكنّني لم أستطع أن أحول دون وقوع الجريمة. وعليّ أن أعاني بقية حياتي من عبء هذا الفشل. لذلك لا تخفي عنّي شيئاً من فضلك.

- ليس لدي خيار يا غابرييلا. آسفة، لا أريد أن يصيبك أذى بسببنا.

- التقيت بمايكل بسالتسخوبادن ليلة الجريمة.

- لم يخبرني بذلك.

- قدّرت أنّه لا فائدة من أن أكشف له عن نفسي.

- ربّما أحسنت صنعاً.

- يمكن أن نتعاون فيما بيننا في هذه المعضلة.

- بطبيعة الحال. سأطلب من مايكل الاتّصال بك. أمّا الآن، فعليّ أن أعكف على هذا الأمر.

- أنا على علم مثلكم بأنّ تسريباً وقع في مفوضية الشرطة.

وبالنظر إلى المرحلة التي بلغناها في التحقيق، أدرك أنّه يتعيّن البحث عن مصادر بديلة.

- حتماً. آسفة، ينبغي أن أعود إلى العمل.

فقالت غابرييلا بنبرة تشي بالخيبة:

- حسناً، سأتصرّف كما لو أنّ هذه المكالمة لم تجرِ. أتمنى لك حظاً سعيداً.

فردت إريكا:

- شكراً.

واستأنفت استعراض الأرقام الموجودة في مفكرتها.

عادت غابرييلا غران إلى الاجتماع بذهن تشغله أسئلة شتّى. ماذا أرادت إريكا أن تطلب منها؟ تهيّأ لها أنّها حدست ذلك على نحوٍ غامض، لكن الوقت لم يسعفها لتسبر خبايا الموضوع. وما كادت تتجاوز عتبة قاعة الاجتماعات حتّى كفّ الجميع عن الكلام، وراحوا يحدّقون فيها.

سألت هيلينا كرافت:

- عمّ دارت المكالمة؟

- عن مسألة شخصية.

- أكان من اللازم أن تجريها في هذه الأثناء؟

فقال راينر أولوفسون رئيس القسم:

- كنّا نتكلّم عن أحداث سفيفيغن، وكنت أقول إنّنا لا نتوفر في الراهن إلّا على معلومات ناقصة. الوضع ما زال ملتبساً، ونحن مهدّدون أيضاً بفقدان مصدرنا في فريق بابلانسكي. المفتش صار يشكّ في كلّ مَن حوله بعد ما جرى.

فقالت غابرييلا بنبرة قاسية:

- هناك ما يدعو لذلك.

- نعم... الواقع أننا أثرنا هذا الموضوع أيضاً: لن نترك هذا الأمر طبعاً قبل أن نفهم كيف علم المجرم بوجود الطفل بالمركز، وكيف عرف أنّه سيخرج في ذلك الوقت بالذات. لا داعي للإلحاح على أنّ كلّ جهودنا ستنصرف لهذا الأمر. لكنّني أظنّ أنّه من المهم الإشارة إلى أنّ التسريب قد لا يكون وقع بين صفوف الشرطة بالضرورة. هناك أشخاص كانوا على علم بذلك: عاملون بمركز الإيواء بالطبع، ثمّ هناك الأمّ ولاس ويستمان المعروف بمزاجه المتقلّب، هذا علاوة على أشخاص في فريق ميلينيوم. ولا ينبغي أن نستبعد كذلك القرصنة الإلكترونية. سأعود إلى هذا الموضوع. وإذا سمحتم لي بمواصلة تقريري...

- واصلي.

- تحدّثنا عن دور مايكل بلومفيست. إنّ أمره محيّر حقّاً. كيف استطاع معرفة عملية إطلاق النار قبل وقوعها؟ أرى من وجهة نظري أنّه يتوفر على مصدر مقرّب من المجرمين، وفي هذه الحالة، ليس ثمّة ما يدعو لاحترام السر المهني على نحوٍ أعمى. ينبغي أن نعثر على هذا المصدر الذي استقى منه المعلومة.

فقال كبير المفتشين، مارتن نيلسون:

- لا سيما وأنّه يبدو سيئ الحال، ومستعدّاً لفعل أيّ شيء لتحقيق سبقٍ صحفي.

فردّت غابرييلا بنبرة لاذعة:

- الظاهر أنّ مارتن يتوفر هو أيضاً على مصادر مطّلعة. فهو يقرأ صحافة الإثارة.

- ليس صحافة الإثارة يا عزيزتي، بل TT، وهي مؤسّسة صحفية حتّى نحن في السابو نعترف لها بالمصداقية.

فردّت غابرييلا:

- أنت تعلم أكثر منّي أنّه بلاغ إخباري مُغرض. تشهير مفضوح.

- لم أكن أعرف أنّك مغرمة ببلومفيست.

- يا لك من مغفّل.

فهتفت هيلينا:

- توقفا عن هذا حالاً. ما هذه التصرفات الصبيانية؟ واصل يا راينر. ماذا تعرف عن الكيفية التي جرت بها الأحداث؟

- ضابطا الشرطة إيريك ساندستروم وتورد لانغرين هما أوّل مَن وصل إلى مسرح الجريمة، وأنا استقيتُ المعلومات منهما. حلا بالمكان عند الساعة التاسعة وأربع وعشرين دقيقة تماماً، فوجدا كلّ شيء انتهى. كان توركل ليندن قد فارق الحياة، أصابته رصاصة في القفا. أما الطفل، فيُجهل مصيره. قد يكون جُرح هو أيضاً بحسب بعض الشهود، وما يؤكّد ذلك هو وجود آثار دم على الرصيف. لكن لا شيء مؤكّد حتّى اللحظة. اختفى الطفل داخل سيارة فولفو حمراء. لدينا جزء من رقمها، كما نعرف طرازها. من المفروض أن تُعرف هوية صاحبها قريباً.

لاحظت غابرييلا أنّ هيلينا كرافت تدوّن الملاحظات بعناية فائقة، كعادتها في الاجتماعات السابقة.

وسألت:

- ولكن، ماذا جرى؟

- بحسب شهادة طالبين من مدرسة التجارة الموجودة في الرصيف المقابل، كان الأمر أشبه بتصفية حسابات بين عصابتين إجراميتين تستهدفان الطفل.

- يبدو أنّ الأمر غير محتمل.

فردّ راينر أولوفسون:

- لا أظن.

فسألت هيلينا كرافت:

- لماذا تقول هذا؟

- يتعلّق الأمر بمحترفين من الجانبين. يبدو أنّ مطلق النار كان يراقب الباب من الجهة الأخرى من الشارع، أمام الحديقة مباشرة. وتشير جملة من التفاصيل إلى أنّه الشخص نفسه الذي قتل بالدر. لم يتمكّن أحد من رؤية وجهه، كان مقنّعاً. لكن ثمّة شَبَه بين أوصاف حركاته وسرعته وفعاليته. وبالمقابل، هناك تلك المرأة.

- ماذا عُرف عنها؟

- لا شيء ذا بال. الظاهر أنها كانت ترتدي سترة جلدية وسروال جينز داكن. شابة ذات شعر أسود. وقال بعضهم إنّها تحمل خروماً في وجهها، على شاكلة مغنّيي الروك أو البانك، قصيرة القامة وخفيفة الحركة. ظهرت فجأة، وارتمت على الطفل لكي تحميه. كلّ الشهود يتفقون على أنّها لم تكن من المارّة العاديين. اندفعت بسرعة فائقة كما لو أنّها مدرّبة على هذه العمليات، أو معتادة على هذا النوع من المواقف. أمّا فيما يخصّ سيارة الفولفو، فالشهادات تتضارب. يقول بعضهم إنّها كانت مارّة من هناك بالصدفة، وأنّ المرأة والطفل ارتميا بداخلها بينما كانت تتحرّك، في حين يذهب آخرون، وبالتحديد طالبان من مدرسة التجارة، إلى أنّ صاحب السيارة متورّط في العملية. مهما يكن، فنحن أمام عملية اختطاف.

- وما الهدف منه؟

- لا أستطيع الجواب عن هذا السؤال.

سألت غابرييلا:

- فهذه المرأة إذاً أنقذت الطفل لتختطفه؟

- يمكن الإجابة بلا، وإلا لكانت أخبارها ظهرت.

- كيف وصلت إلى عين المكان؟

- لا علم لأحد بذلك إلى حدود الساعة. لكن أحد الشهود، وقد كان رئيس تحرير في الصحافة النقابية، يزعم بأنّ تلك المرأة غير غريبة عنه، سبق أن رآها في مكان ما، ويزعم أنّها مشهورة.

وأضاف راينر أولوفسون تفاصيل أخرى، لكنّ غابرييلا كفّت عن الإنصات إليه. فقد عبرت ذهنها فكرة مذهلة: **ابنة زالاشنكو، لا بدّ أنّها ابنة زالاشنكو**. كانت تعلم أنّ الحكم على هذه الفتاة انطلاقاً من أبيها خطأ: هي مختلفة عنه، بل تكرهه. لكن مهما يكن، فبعد كلّ ما قرأته عن قضية زالاشنكو قبل سنوات، انتهى بها الأمر أن اعتبرتها «ابنة...»، وبينما كان راينر أولوفسون يستعرض افتراضاته، تراءت لها قطع البوزل وهي تنتظم في مواضعها. فبالأمس كشفت عن بعض الارتباطات الممكنة بين شبكة زالاشنكو القديمة والمجموعة التي تُدعى سبايدر. لكنّها استبعدت هذه الفكرة، مقدّرة أنّ المؤهّلات التي يمكن أن يكتسبها بعض المجرمين لها حدود.

من الصعب أن يتخيّل المرء أنّ بعض المتسكّعين من ذوي السترات السوداء الذين يقضون يومهم في نوادي الدراجين يتصفّحون المجلات البورنوغرافية، قد يتحوّلون بين عشية وضحاها إلى قراصنة قادرين على سرقة معطيات تكنولوجية متطوّرة. كان الأمر بالنسبة إليها بعيد الاحتمال. لكن الفكرة اختمرت، بل بلغ بها الأمر أن تساءلت عمّا إذا لم تكن الشابة التي ساعدت لينوس براندل وخطّطت لاختراق حواسيب بالدر هي ابنة زالاشنكو. وقد ورد في أحد وثائق السابو المتعلّقة بها: «أهي قرصانة؟ خبيرة إلكترونيات؟»، ورغم أنّ الأسئلة لم تكن تنصبّ إلّا على الإطراء الذي كِيْلَ لها من عملها لدى ميلتون

للأمن، بدا واضحاً أنّها قضت وقتاً طويلاً في دراسة شبكة أبيها الإجرامية.

ما يسترعي الانتباه في هذه القضية هي العلاقة القائمة بين هذه المرأة وبلومفيست، وهي علاقة غامضة. وغابرييلا لا تصدّق تلك الإشاعات المغرِضَة التي تذهب إلى أنّها قائمة على ممارسات سادية مازوخية أو على الهيمنة. على أنّ صلتهما بالقضية أمرٌ لا غبار عليه، إذ يبدو أن مايكل بلومفيست والمرأة الشابة -التي تتطابق أوصافها مع أوصاف ابنة زالاشنكو، والتي ذكر أحد الشهود أنّ ملامحها غير خافية- قد علما بعملية إطلاق الرصاص في سفيفيغن قبل وقوعها، ثمّ إن إريكا برجر اتّصلت بها لتحدّثها عن شيء مهمّ بخصوص هذه الأحداث. ألا يسير كلّ هذا في المنحى نفسه؟

وقاطعت غابرييلا راينر أولوفسون بصوت تنبّهت إلى أنّه أعلى من اللازم:

- خطر لي أمر.

فردّ بضيق:

- ما هو؟

- كنت أتساءل...

كانت على وشك أن تعرض نظريتها لمّا تفطّنت لتفصيل جعلها تتردّد.

شيء بسيط، بل تافه: استمرار هيلينا كرافت في تدوين ملاحظات ونقط من التقرير الذي قدَّمه راينر أولوفسون. إنّه لشيء جدير بالثناء أن يولي موظف سام كلام مرؤوسيه كلّ هذا الاهتمام، لكن حرص هيلينا كرافت على تدوين كل ما يتفوّه به جعلها تتساءل: أمِن الطبيعي أن يولي إطار رئيس، يُفترض أن تكون له رؤية شاملة عن الموضوع، كلّ هذا الاهتمام لتفاصيل كهذه؟

وانتابها ضيقٌ لم تعرف مصدره. ربّما لأنّها كانت على وشك أن تعيّن أحداً من دون أن تبني اختيارها على أسس واقعية، لكن ربّما أيضاً بسبب سلوك هيلينا كرافت التي ما أن شعَرَت بأنّها مراقبة حتّى حوّلت بصرها، وبدا عليها الانزعاج، بل تهيّأ لغابرييلا أنّها تورّدت. وقرّرت ألا تُتمَّ جملتها.

- بمعنى...

- ماذا غابرييلا؟

فقالت وقد ألحّت عليها رغبة في مغادرة القاعة:

- لا، لا شيء.

غادرت القاعة متحدّية الانطباع السيئ الذي سيتركه خروجها للمرّة الثانية، وتوجّهت إلى المرحاض حيث خلت إلى نفسها.

ستتذكّر في وقت لاحق هذه اللحظة التي نظرت فيها إلى نفسها في المرآة محاوِلَةً أن تجد معنى لما شاهدت. هل تورّدت هيلينا كرافت حقّاً؟ وإذا كانت تورّدت، فما معنى ذلك؟ ربّما لا شيء، وحتّى إذا كانت غابرييلا قد قرأت في وجهها الارتباك أو الشعور بالذنب، فكيف السبيل لمعرفة سببه؟ كلّ ما في الأمر أنّ ذكرى مزعجة خطرت ببالها. لم تكن تعرف جيّداً هيلينا كرافت، لكنّها كانت ترفض أن تصدّق أن تكون هذه المرأة قادرة على أن تلقي بطفل إلى التهلكة لكي تستنفع من ذلك. مستحيل.

صارت غابرييلا تشكّ في كلّ شيء، وغمغمت: «بلهاء»، وارتسمت على محياها ابتسامة دالة على الاستسلام كما لو أنّها عزمت على التخلّص من كلّ هذه الحماقات والعودة إلى الواقع. لكن الشعور بالضيق لم يتلاشَ. وتهيّأ لها في هذه اللحظة أنّ حقيقة جديدة بدأت تلوح أمام عينيها.

وخمّنت ملامح الشبه بينها وبين هيلينا كرافت: إنّها موهوبة

وطَموحة وتجتهد لنيل إطراء رؤسائها، وهي سمات لم تكن لتجعل من شخصيتها شخصية جذابة. إنّ عمل المرء في وسط موبوء وهو يملك مؤهلات مثل هذه، يعرّضه لأن يصبح فاسداً بدوره... إنّ الرغبة في نيل إعجاب الآخرين قد تتحوّل إلى دافع للإجرام لا يقلّ عن الحقد أو الجشع.

يتوق الناس للتودّد للآخرين ونيل رضاهم، وينتهي بهم المطاف إلى ارتكاب حماقات لا تخطر على بال. وتساءلت فجأة عمّا إذا لم تكن هذه العيوب هي التي لعبت ضدّهم هنا. فقد نَقَلَ لهم هانز فاست -أليس هو مصدرهم في فريق بلومفيست؟- معلومات أراد أن يسجلبها نقاطاً لصالحه لدى السابو. كما أنّ راينر أولوفسون حرص بدوره على إخبار هيلينا كرافت بأدقّ التفاصيل، بحكم أنّها رئيسته من جهة، ثمّ لأنّه حاول أن يلمّع صورته. بعد ذلك نقلت هيلينا كرافت المعلومات ربّما إلى آخرين، رغبة منها في إظهار تفانيها واجتهادها في العمل. لكن مَن هم هؤلاء الآخرين؟ مدير الأمن الوطني؟ الحكومة؟ أو أحد مصالح الاستخبارات الأجنبية، الأميركية أو ربما الإنجليزية؟ وهذه الجهة بدورها...

لم تشأ غابرييلا أن تمضي بعيداً في التفكير، وقالت في نفسها من جديد إنّها تهذي. كانت مقتنعة بذلك تقريباً، لكنّها ظلّت منزعجة من الشعور بأنّها لا تستطيع الثقة في مجموعتها. من المؤكد أنّها ترغب هي أيضاً في إظهار تفانيها في العمل، لكن ليس بأسلوب السابو. كلّ ما كانت تريده هو إنقاذ أوغست بالدر. وعندما خطرت ببالها هذه الفكرة، حلّ وجه إريكا برجر محلّ وجه هيلينا كرافت. عادت إذاً إلى مكتبها وأخرجت هاتفها البلاكفون، وهو الهاتف نفسه الذي استعملته للاتصال بفرانز بالدر.

خرجت إريكا لكي تتحدّث براحة بال، ووجدت نفسها أمام مكتبة سودر في شارع غوتغاتن تتساءل عمّا إذا كانت قد ارتكبت حماقة. فقد كانت غابرييلا غران على قدر كبير من الإقناع بحيث لم تترك لها فرصة لتدافع عن فكرتها. وهذه إحدى سلبيات أن يكون المرء صديق شخص بالغ الذكاء: فهو يستطيع قراءة ما يجول بخاطرك كما لو كنت كتاباً مفتوحاً.

خمّنت غابرييلا نوايا إريكا، وأكّدت لها من ثمّة بأنّها تشعر بمسؤولية أخلاقية اتجاه الطفل، وأنّها لن تكشف أبداً عن مخبئه، حتّى ولو كان ذلك يتعارض مع أخلاقيات المهنة. فهي مَدينة لها، وترغب في مساعدتها. ستبعث لها مفاتيح البيت الريفي مع أحدهم إلى إنيارو، وستحرص على أن تضع دليل الطريق على الرابط المرموز الذي هيأه أندري زاندر بناء على تعليمات ليزبث سالاندر.

ولاح لها فجأة على بعد أمتار منها بشارع غوتغاتن شحاذ يسقط أرضاً، فيفلت من يده كيس مليء بقناني فارغة تناثرت على الرصيف. أسرعت إريكا لمساعدته، لكنّه قام واقفاً بسرعة، ورفض مساعدتها، فوجّهت له ابتسامة حزينة قبل أن تواصل طريقها إلى مقرّ المجلة.

عند عودتها إلى مكاتب التحرير لاحظت أن مايكل يبدو منهكاً. لم تره في مثل هذه الحال منذ زمن بعيد، مشعّث الشعر، مهمل اللباس. لكنّها لم تشعر بالقلق عليه مع ذلك. حين يشعّ في عينيه هذا البريق، لا شيء يستطيع أن يقف في طريقه. فقد دخل إلى مرحلة التركيز التام التي لا تنتهي إلّا عندما يصل إلى آخر الحكاية.

سألها:

- أعثرت على مخبأ؟

هزّت رأسها بالإيجاب.

- أحسنت بهذا الجواب المقتضب. لنحصر دائرة هذا السرّ أقصى ما نستطيع.

- لا تكن أبله. نتمنى أن يكون هذا الحلّ مؤقتاً. لا أريد أن تتحمّل ليزبث مسؤوليّة الطفل.

- لعلّه لقاء نافع، من يدري؟

- ماذا قلت للشرطة؟

- لا شيء ذا بال.

- ليس هذا وقت إخفاء بعض المعطيات.

- كلا طبعاً.

- لعلّ ليزبث مستعدّة للإفصاح عن بعض المعلومات لكي يتركوك وشأنك قليلاً.

- لا أريد أن أعرّضها للضغوط في هذه اللحظة. أقلق عليها. هل يمكن أن تطلبي من أندري استشارتها فيما إذا كان الأمر يقتضي استدعاء طبيب؟

- سأفعل. اسمع...

- ماذا؟

- بدأتُ أقتنع بأنّها محقّة فيما تفعل.

- لماذا؟ ما هذا التحوّل المفاجئ؟

قالت إريكا قبل تلحق بأندري زاندر:

- أنا أيضاً لديّ مصادري. لا أتخيّل أنّ مفوضية الشرطة تشكّل مكاناً آمناً في الوقت الراهن.

19

مساء الثاني والعشرين من نوفمبر

كان جان بابلانسكي بمفرده في مكتبه. أمّا هانز فاست فانتهى به المطاف إلى الاعتراف بأنّه هو أوّل مَن أخبر السابو بالقضية في وقت مبكّر. وقد سارع بابلانسكي إلى إقصائه من فريق التحقيق حتّى قبل أن يُنصت لمرافعته. أكّدت هذه الواقعة أنّ فاست ما هو إلّا شخص جشع غير جدير بالثقة، ومع ذلك صَعُبَ على بابلانسكي تصديق أنّه هو مَن سرَّب معلومات إلى عصابة إجرامية، بل صَعُبَ عليه تصديق أن يُقدِم أحد، أيّاً كان، على القيام بعمل كهذا.

كان يعلم بوجود أشخاص فاسدين وقذرين حتّى في صفوف الشرطة، لكنّه لا يتخيّل أن يوجد في دائرته مَن يجرؤ على تقديم طفل صغير مُعوّق إلى قاتل محترف. لا بدّ أن تكون المعلومة تسرّبت بكيفية أخرى. قد تكون هواتفهم وُضعت تحت التنصّت أو قُرصِنت حواسيبهم رغم أنّه لا يذكر أنّه أشار في إحدى رسائله الإلكترونية أو أحد مستنداته إلى أنّ أوغست بالدر قد يكون قادراً على رسم صورة المجرم، وأنّه موجود في مركز أودن. وقد حاول الاتصال بهيلينا كرافت ليتداول معها الأمر، لكنّها لم تُجبه رغم تأكيده على الطابع المُلحّ للمكالمة.

كما أنّه تلقّى نداءات مقلقة من المركز السويدي للتجارة الخارجية ومن وزارة الصناعة. أدركَ أنّ الطفل فيما يبدو لم يكن هو مصدر

قلقهم الرئيس، ولا حتّى سبب المأساة التي وقعت بسفيفيغن، رغم أنّ لا أحد عبّر له عن ذلك بشكل صريح، بل ما كان يؤرّقهم هو برنامج البحث الذي كان يشتغل عليه فرانز بالدر، والذي يرجّح أنّه سُرق ليلة الجريمة.

وقد تردّد على بيت بالدر بعض أبرع مهندسي الإلكترونيات من الشرطة وكذا ثلاثة مختصّين من جامعة لينكوبينغ والمعهد الملكي للتكنولوجيا بستوكهولم، لكنهم لم يعثروا لأبحاثه على أثر، لا في أجهزته الإلكترونية ولا في أوراقه.

وغمغم بابلانسكي مخاطباً نفسه: نحن إذاً أمام قضية اختفاء برنامج ذكاء اصطناعي. وعادت به الذاكرة إلى لغز كثيراً ما كان يذكُرُه ابن عمّه سامويل بالكَنيس لكي يُربك أقرانه: إذا كانت قدرة الرب لا حدود لها، فهو قادر إذاً على خلق شيء يفوقه ذكاء؟ كانوا يعتبرون اللغز صفيقاً ولا يخلو من تجديف. إنّه لغز مفخّخ لأنه بلا جواب. غير أنّ طرقاً على الباب قطع على بابلانسكي حبل أفكاره. إنّها سونيا موديغ. ناولته بحركة مهيبة قطعة شوكولاتة سويسرية بالبرتقال.

- شكراً، هل من جديد؟

- يُعتقد أن كيفية إخراج توركل ليندن والطفل إلى الشارع باتت معروفة. توصّل برسائل مزوّرة أوهمته أنّها وافدة من عندنا نحن ومن شارلز إيدلمان، ضربتْ له موعداً في الخارج.

- أهذا ممكن؟

- بل من أسهل ما يكون. لكن ما لم يتّضح بعد هو كيف عرفوا أنّ الحاسوب الذي تنبغي قرصنته هو حاسوب أودن، وأنّ البروفسور إيدلمان له علاقة بالموضوع.

- أظنّ أن علينا فحص حواسيبنا.

- عملية الفحص جارية في هذه الأثناء.

- هل بلغ الأمر إلى هذا الحد يا سونيا؟
- ماذا تقصد؟
- لن يجرؤ المرء بعد اليوم على تبادل الرسائل أو الأحاديث من دون أن يخشى من أن يكون مراقباً؟
- لست أدري. لا آمل ذلك. لدينا أيضاً شخص يدعى جاكوب شارو سيَجري استجوابه.
- مَن هو؟
- لاعب كرة قدم من فريق سيريانسكا. هو الشخص الذي أقلّ في سيارته المرأة وأوغست بالدر بسفيفيغن.

كانت سونيا موديغ موجودة بقاعة الاستنطاق مع شاب مفتول العضلات، ذي شعر قصير داكن، ووجنتين بارزتين. لم يكن يرتدي غير كنزة ذات طوق على شكل V، كما كان يبدو مشوشاً ومزهوّاً في الآن نفسه.

بادرته قائلة:

- الساعة تشير إلى السادسة وخمس وثلاثين دقيقة مساء من يوم 22 نوفمبر. نحن بصدد استجواب جاكوب شارو البالغ من العمر اثنين وعشرين سنة، والقاطن بنورسبورغ. احكِ لنا ما جرى هذا الصباح يا سيّد شارو.
- حسناً... كنت أقود سيارتي بشارع سفيفيغن، ولاحظتُ حركة غير عادية. ظننتُ في البداية أنّ الأمر يتعلّق بحادثة سير، فخفّفتُ السرعة، حينئذٍ لاح لي شخص يعبُر الشارع بسرعة قادماً من اليسار. اندفع من دون أن يأبه بالسيارات، وما زلت أذكر أنّي ظننته إرهابياً.
- ما الذي جعلك تظنّ ذلك؟
- كان يبدو كما لو أنه في غشية.

- استطعتَ أن تميّز هيئته رغم سرعته؟

- لا أستطيع الادّعاء بأنني ميّزته بوضوح، لكن يمكن أن أقول إنّه كان في حالة غير عادية.

- بمعنى؟

- كان كما لو أنّه يخفي وجهه الحقيقي. يرتدي نظارتَي شمس دائريتين بدتا كما لو أنّهما مشدودتان إلى أذنيه. ثمّ إنّ وجنتيه... بدا كما لو أنّه يضع شيئاً في فمه، ثمّ إنّ شاربه وحاجبيه ولون وجهه...

- معنى هذا أنّه كان مقنعاً؟

- كان ثمّة على كلّ حال شيء ما غير عادي. لكن الوقت لم يسعفني لكي أتحقّق من هيئته. في تلك الأثناء انفتح الباب الخلفي للسيارة... كيف أشرح لكم؟ كانت لحظة من اللحظات التي تقع فيها أشياء كثيرة متزامنة، فتشعر كما لو أنّ السماء انهارت فوق رأسك. وفي رمشة عين اقتحم سيارتي شخصان مجهولان، وتحطّم الزجاج الخلفي، فأصبت بالصدمة.

- وماذا فعلت؟

- ضغطت على دوّاسة السرعة بأقصى ما أستطيع. أظنّ هذا ما أمرتني به الفتاة التي صعدت إلى السيارة. كنتُ في حالة من الذهول بحيث لم أعُد أعرف ما أفعل. واكتفيتُ بأن أذعنتُ لأوامرها.

- قلتَ: لأوامرها؟

- نعم، بمعنى من المعاني. انعطفتُ شمالاً، ثمّ يميناً، ونفّذتُ تعليماتها. ثمّ إنّ...

- ثمّ ماذا؟

- كان في صوتها شيء غريب، نوع من البرود والتركيز، وهو ما جعلني أتمسّك به، كما لو أنّ هذا الصوت كان هو الجزيرة الوحيدة الثابتة وسط كلّ تلك الفوضى.

- قلتَ إنّه خُيِّل لك أنّك تعرف هذه المرأة.

- في تلك اللحظة، كلا. كنت مرعوباً ذاهلاً، لا سيما وأنّ الدم كان يسيل بغزارة على المقعد الخلفي للسيارة.

- مَن كان ينزف، الطفل أم المرأة؟

- في البداية لم أستطع أن أميّز. الظاهر أنّهما لم يكونا يعرفان هما أيضاً. ثمّ سمعتُ صرخة تعجّب، كما لو أنّ شيئاً حميداً وقع.

- لماذا؟

- أدركَت الفتاة أنّها هي مَن أصيبت وليس الطفل. كان الأمر غريباً. قالت شيئاً شبيهاً بـ«يا للسعادة، أنا مَن أصبت». وأؤكّد لكم أنّها لم تكن تتحدّث عن إصابة خفيفة. رغم اجتهادها في تضميد الجرح، استمرّ النزيف. أخذ جسدها يفرغ من الدم، وعلاها الشحوب. كانت في حال سيئة.

- ومع ذلك كانت مبتهجة بأنّها هي مَن أصيبت؟

- تماماً. كما تصنع أي أمّ.

- لكنّها ليست أمّ الطفل.

- إطلاقاً. قالت لي إنها لا تعرفه، وعلى الفور بدا لي الأمر واضحاً. لم تكن من النوع الذي يتعلّق به الأطفال. ليست من النوع الذي يعانق الأطفال ويقول لهم كلمات لطيفة. كانت تتعامل معه كما لو كان إنساناً راشداً، وتخاطبه مثلما تخاطبني. وفي لحظة من اللحظات ظننت أنّها ستقدّم له جرعة ويسكي.

فسأل بابلانسكي:

- ويسكي؟

- كانت معي زجاجة في السيارة كنت أنوي إهداءها لعمي، لكنّني ناولتها إياها لكي تطهّر الجرح وتشرب منها جرعة. وقد شربت منها كمية لا بأس بها.

وسألت سونيا موديغ:

- بشكل عام، كيف تصف لنا الطريقة التي تعامَلَت بها مع الطفل؟

- بصدق، لا أعرف ماذا أقول لكما. من ناحية الأدب والتهذيب، لم تكن مهذبة كلّ التهذيب. فقد عاملتني كما لو كنت أحد خدمها. وكما أسلفت، لا تفقه شيئاً في كيفية التعامل مع الأطفال، ومع ذلك. . .

- ماذا؟

- أحسبها امرأة طيّبة رغم أنّها لا تملك لطف الحاضنات. لعلّك فهمت قصدي.

- تعتقد إذاً أنّ الطفل سيكون آمناً معها؟

- قد تكون هذه الشابة خطيرة أو مجنونة بحيث يصعب ضبطها، لكن هذا الطفل، أوغست، هذا هو اسمه، أليس كذلك؟

- تماماً.

- يتهيّأ لي أنّها قد تضحّي بحياتها من أجل حمايته.

- كيف افترقتم؟

- طلبت منّي أن أقلّها إلى ساحة موزباك.

- هي تقطن هناك؟

- لا أدري. لم تقدّم لي أيّ توضيح. كلّ ما في الأمر أنّها كانت ترغب في الذهاب إلى هناك. فهمت من كلامها أنّ سيارتها كانت مركونة في ذلك المكان. ليست ثرثارة. كلّ ما طلبت منّي هو أن أدوّن عنواني، وقالت إنّها تنوي تعويضي عن الخسائر التي لحقت بسيارتي.

- هل يوحي مظهرها بأنّها تملك المال؟

- بالنظر إلى ملابسها، يمكن القول إنّها تقطن في كوخ. لكن إذا

اعتبر المرء تصرّفاتها. . . لست أدري. لا يُستبعد أن تكون ميسورة. تعطي الانطباع بأنّها متعوّدة على فعل ما تحبّ.

- ماذا وقع إثر ذلك؟

- طلبت من الطفل أن يخرج من السيارة.

- وأطاعها؟

- كان مشلولاً تماماً. كان يؤرجح جسده من الأمام إلى الخلف، وظلّ متسمّراً في مكانه. حينئذٍ خاطبته بنبرة قاسية. قالت له إنّها مسألة حياة أو موت، أو شيئاً من هذا القبيل. فخرج مذهولاً، متصلّب الذراعين كما لو أنّه مُسرنَم.

- هل رأيتَ الاتجاه الذي سارا فيه؟

- انطلقا ناحية اليسار، باتجاه سلوسن، لكن الشابة. . .

- ما لها؟

- كانت في حال سيّئة حقّاً. زلّت قدمها، وكادت تنهار.

- إنّه أمر مقلق. والطفل؟

- لم يكن هو أيضاً على ما يرام. كانت الكآبة بادية في نظراته. خشيت طيلة الرحلة من أن تصيبه نوبة عصبية. ولمّا خرج، بدا كما لو أنه تقبّل الموقف. على كلّ حال فقد سأل «أين؟» مرّات عديدة.

تبادلت سونيا موديغ وبابلانسكي النظرات. وسألت سونيا:

- أأنت متأكّد ممّا تقول؟

- ولماذا لا أكون متأكّداً؟

- تهيّأ لك أنّك سمعت ذلك لأنّه كان يبدو مذهولاً مثلاً؟

- كيف؟

فردت سونيا موديغ:

- لأنّ أمّ أوغست أخبرتنا بأنّه لم يتكلّم قطّ.

- أتمزحين؟

- كلا، يبدو أنّ نطقه بكلماته الأولى في ظروف مثل هذه أمر بعيد الاحتمال.

- أنا واثق ممّا سمعت.

- حسناً، وماذا كان جواب المرأة؟

- «إلى مكان آخر» فيما أظن، «بعيداً من هنا». إثر ذلك كادت تنهار ثمّ أمرتني بالانصراف.

- وماذا فعلت؟

- انطلقت على الفور بأقصى سرعة.

- ولم تعرف مَن كانت معك في السيارة إلّا لاحقاً؟

- كنت قد أدركتُ أنّ الصبي هو ابن العبقري الذي دار عليه الحديث في الشبكة العنكبوتية. أمّا الشابة، فذكّرتني بشيء غامض. لمّا انطلقت كنت غير قادرٍ على القيادة من شدّة الخوف، وكنت أرتجف حتّى إنني توقّفت في رينغفيغن قرب سكانستول. ثمّ انطلقتُ بسرعة فائقة باتجاه فندق كلاريون حيث شربت زجاجة، وحاولت أن أهدئ من روعي قليلاً. عندئذٍ تذكّرتها. فتاة كان مبحوثاً عنها قبل بضع سنوات بتهمة القتل. ثمّ برّأتها المحكمة، وعلمت أنّها تعرّضت في صغرها لكثير من سوء المعاملة بأحد مستشفيات الأمراض العقلية. أتذكّرها جيّداً. فقد كان لي صديق في تلك الفترة تعرّض أبوه للتعذيب بسوريا، وعومِل بالمعاملة نفسها، الصدمات الكهربائية وكلّ تلك الفظاعات، لا لشيء إلا لأنّه لم يكن يطيق ذكرياته. كما لو أنّ التعذيب استمرّ ها هنا.

- أأنت واثق ممّا تقول؟

- من أنّه تعرّض للتعذيب...؟

- من أنّها هي ليزبث سالاندر.

- شاهدت كلّ الصور التي عثرت عليها في هاتفي، وتأكّدت. لا يخامرني شك في ذلك. هناك تفصيل آخر يؤكّد ما أقول. تعلمان أن...

وبدا التردّد على جاكوب كما لو أنه شَعَرَ بالانزعاج.

- نزعت قميصها لأنّها كانت بحاجة إلى رباط توقِف به النزيف، ولما استدارت لكي تضمّد كتفها، لمحتُ تنّيناً موشوماً على ظهرها، يصل إلى عظمتي كتفيها. وكنت قد قرأت عن هذا الوشم في إحدى المقالات.

وصلت إريكا برجر إلى منزل غابرييلا الخشبي في إنيارو محمّلة بحقيبتين من الطعام وأقلام باستيل وأوراق، وكذا بعض قطع البوزل وأشياء أخرى. لكن أوغست وليزبث لم يكونا موجودين هناك. كما أنّها لم تكن ليزبث تجيب على تطبيق ريدفون ولا على الرابط المرموز، وهو ما أثار هواجسها.

رغم أنّها حاولت التفكير في الأمر بهدوء، رأت في ذلك علامة لا تبشّر بخير. فليزبث سالاندر هي التي طلبت ملاذاً آمناً، وهي تتحمّل مسؤولية الطفل. وإذا كانت لا تردّ على مكالماتها، فلا بدّ أنّها في وضع حرج، ترقد في مكان ما تداري جراحها البليغة.

غمغمت بشيء ثمّ خرجت إلى الشرفة. الشرفة نفسها التي تداولت فيها مع غابرييلا فكرة الاختفاء عن الأنظار. ورغم أنّ ذلك لم تكن قد مضت عليه سوى بضعة شهور، بدا لها كما لو أنّه من الماضي السحيق. لم تعُد ثمّة مائدة ولا مقاعد ولا قناني ولا ضجيج، لا شيء غير الثلج والأغصان وقمامة جَلَبَها الجو العاصف. وبدا المكان كما لو أنّ الحياة فارَقته.

عادت إريكا إلى المطبخ وأدخلت إلى المبرّد المأكولات التي تُسخّن في الميكرويف -من قبيل كويرات اللحم المفروم، وأوعية المعكرونة، ونقانق ستروغانوف، وغراتان السمك وفطائر البطاطس، وأشياء أخرى كثيرة طلب منها مايكل شراءها: كالبيتزا والبطاطس المقلية والكوكا والسجائر. . .

ووضعت على مائدة المطبخ الكبيرة المستديرة أوراق الرسم وأقلام الباستيل والأقلام الأخرى وممحاة ومسطرة وبركار. ورسمت على الورقة الأولى شمساً ووردة وكتبت كلمة مرحباً بالألوان الدافئة الأربعة.

كان المنزل المشرف على شاطئ إنيارو متوارياً عن الأنظار، تحجبه أشجار الصنوبر. وهو يتألّف من ثلاث غرف ومطبخ كبير يفضي إلى الشرفة، تحيط بجنباته نوافذ زجاجية ضخمة، وتؤثّثه طاولة أكل وكرسي هزّاز قديم وأريكتان مترهّلتان، تبدوان مريحتين بفضل غطاء أحمر جديد وُضِع عليهما. وهو أثاث، رغم بساطته، يوحي بالدفء.

كان مخبأ مناسباً ولا شكّ. واربت إريكا الباب، ووضعت المفاتيح كالعادة في أوّل درج من الدولاب الموجود في المدخل، ثمّ نزلت السلم الخشبي المحاذي للمنحدر الصخري، وهو المنفذ الوحيد للمنزل لمن يصل بالسيارة.

كانت السماء ملبّدة بالسحب والريح عاصفة. وكانت تشعر بضيق لا تعرف مصدره، وهو شعور ضاعفه تفكيرها في أمّ أوغست خلال رحلة العودة. فإريكا لم تلتقِ قطّ بهانا بالدر، ولم تكن من المعجبات بها. ذلك أنّ هانا أدّت أدوار نساء تجمعن بين الإثارة والسذاجة، بل الغباء، يعتقد الرجال أنهنّ في متناولهم. إنّه نموذج النساء الشائع في الأفلام. لكن ذلك كان في السابق. أما اليوم فإريكا نادمة على تلك الأفكار المسبقة، وعلى تسرّعها في الحكم على هانا بالدر جرياً على

عادة الناس في الحكم على الحسناوات اللواتي يلاقين النجاح في سنّ مبكّرة.

في المرّات النادرة التي ظهرت فيها هانا في أعمال سينمائية ضخمة، كانت تظهر في عينيها مسحة حزن عميقة تضفي على شخصياتها ضرباً من الكثافة. وهو حزن حقيقي بلا شك: ذلك أنّ حياتها لم تكن في الظاهر حياة سهلة، ولا سيما ما عاشته في الأربع وعشرين ساعة الأخيرة. فقد كانت من أسوأ لحظات حياتها. منذ الصباح وإريكا تلحّ على أن يجري إخبارها بالمستجدات، وتسهيل التحاقها بأوغست. فالطفل يكون بحاجة إلى أمّه في مثل هذه المواقف.

لكن ليزبث اعترضت على الفكرة. كتبت إنّ مصدر التسرّب ما زال غير معروف، ومن غير المستبعد أن يكون من محيط الأمّ. ولاس ويستمان، الذي لزم بيته طول الوقت تجنّباً للصحافيين، لم يكن من النوع الذي يمكن أن يُستأمن. كان الموقف عصيباً، وراحت إريكا تدعو الربّ من أجل أن تتمكّن ميلينيوم من سرد هذه القصة بكلّ تفاصيلها وبكل ما تستحقّ من تقدير وإجلال، من دون أن تؤذي أحداً.

فهي لا تشكّ في قدرات مايكل، لا سيما حين يكون على حال مثل حاله الآن. ثمّ إنّ أندري زاندر يؤازره، وقد كانت إريكا مغرمة بهذا الشاب الوسيم الذي في طبعه لين أقرب إلى لين المخنثين. وقد كان أندري قبل ذلك بأيّام قد حكى لها عن حياته خلال مأدبة عشاء في بيتها، وهو ما زادها ولعاً به.

فقد أندري والديه في تفجير بسراييفو فانتقل للعيش مع عمّة له بتينستا في ضواحي ستوكهولم. لم تفهم شيئاً من حالته النفسية ولا من الجراح التي كان يحملها بداخله. ورغم أنّه لم يحضر مقتل والديه، فإن ردود أفعاله كانت أشبه بردود أفعال مَن يعاني من الاكتئاب الذي

يعقب الصدمة. فهو ما زال إلى ذلك الحين يكره الأصوات العالية والحركات الفجائية. لم يكن يحبّ رؤية الأكياس المرمية في المطاعم والأماكن العمومية، كما كان يكره الحرب والعنف كرهاً شديداً لم ترَ إريكا له مثيلاً.

لاذَ في طفولته بعالمه الخاص، بحيث هامَ في الروايات الخيالية وقراءة الشعر والسِّيَر. كان مولعاً بسيلفيا بلاث وبورخيس وتولكيان، يحلم بكتابة روايات غرامية وتراجيديات مروعة. كان يهفو، بسبب رومانسيته المتأصّلة، للحنان الذي سيضمّد جراحه، غير عابئ بما يقع حوله في المجتمع أو في العالم. ثمّ شَهِدَ ذات مساء، وهو على وشك الخروج من المراهقة، محاضرة ألقاها بلومفيست بالمدرسة العليا للصحافة بستوكهولم، فتغيّرت حياته.

شيء ما في اندفاع مايكل فتح عينيه على ما في العالم من ظلم وتعصّب ومكر. وعوّضت حُلمَه بكتابة روايات تُسيل الدموع في الأكواخ رغبةٌ في إصاخة السمع للمجتمع، وكتابة الروبورتاجات. ولم يمضِ وقت طويل حتى طرق باب **ميلينيوم**. كان مستعدّاً لقبول أيّ شغل يُعرض عليه: تحضير القهوة، ساعي خدمة أو تصحيح المقالات... كان يتوق إلى أن يصير عضواً في هيئة التحرير، فعهدت له إريكا، التي قرأت الحماس في عينيه، ببعض الأعمال الصغيرة: كتابة بعض القصاصات، إنجاز بعض البحوث أو البورتريهات القصيرة. نصحته أوّلاً بمتابعة دراسته، وهو ما فعل بشغف بدت آثاره في كلّ ما يفعل. تلقّى دروساً في العلوم السياسية والاقتصاد والتواصل الجماهيري والعلاقات الدولية، من دون أن يتوقّف عن العمل في **ميلينيوم**. كان يتوق بالطبع إلى أن يصبح صحافي تحقيقات جادّاً مثل مايكل.

لكنّه لم يكن قاسي القلب بخلاف كثير من المراسلين الصحافيين. ثبت على رومانسيته، وقد سمعه مايكل وإريكا مراراً يحكي عن خيباته

الغرامية. ذلك أنّ النساء كنّ ينجذبن إليه، إلا أنّهن كنّ ينتهين دائماً بتركه. كانت تخيفُهنّ ولا شكّ رغبته الجامحة في أن يعيش قصة حبّ عظيمة، وكذا عواطفه الجياشة. ثمّ هناك ميله إلى الحديث علناً عن عيوبه ونقاط ضعفه. كان مفرطاً في الصراحة والشفافية، أو كما كان يقول مايكل: مفرطاً في الطيبوبة.

على أنّ إريكا كانت تعتقد مع ذلك أنّ أندري كان في طور التغيّر والتخلص من هشاشته الطفولية. لمست ذلك من خلال كتابته الصحفية. إذ إنّ ذلك الطموح اليائس إلى تحريك مشاعر الناس الذي كان يثقل أسلوبه في الكتابة ترك مكانه لضربٍ جديد من الموضوعية، أكثر فعالية. وأدركت بأنّه لن يدّخر جهداً وقد واتته الفرصة للعمل إلى جانب مايكل حول قضية بالدر.

كان من المقرّر أن يكتب مايكل صلب القصة، ويساعده أندري في التحرّيات، وكذا في تحرير مقالات شارحة مرفقة، وبورتريهات. بدا هذا الثنائي لإريكا من الوجهة النظرية واعداً. ركنت سيارتها بهوكينز ثمّ دخلت إلى مقرّ المجلة الإخبارية، فوجدت مايكل وأندري، كما توقّعت، عاكفين على العمل في صمت.

كان مايكل يغمغم بين الفينة والأخرى بكلام غامض. ففضلاً على التصميم البادي في عينيه، لمست إريكا فيهما أيضاً الإرهاق والضيق، وهو أمر لا غرابة فيه. فهو لم ينم جيّداً، ووسائل الإعلام تهاجمه بلا هوادة، كما أنّه خضع لتحقيقات اضطرّته إلى أن يقوم بما تتّهمه به الصحافة نفسه: السكوت عن جانبٍ من الحقيقة. وهو أمرٌ كان يزعجه.

كان مايكل بلومفيست شديد الحرص على احترام القانون، والتصرّف كمواطن مثالي. لكنّ الشخص الوحيد الذي كان بمقدوره أن يحمله على التجاسر على الممنوع هي ليزبث سالاندر. وقد كانت

التضحية بسمعته وكرامته أهون عليه من خيانتها، مهما كانت هذه الخيانة. هكذا وجد نفسه مضطرّاً أمام أسئلة الشرطة الملحّة إلى التمسك بهذا الجواب المقتضب: «حماية المصادر»، وهو ما كان يضعه في موقف حرج بالطبع، ويُشعره بالقلق من العواقب. ومع ذلك... كان فكره مركّزاً على الموضوع، وباله مشغولاً بليزبث والطفل أكثر ممّا هو مشغول بالوضع الذي يوجد فيه.

تأمَّلته إريكا لحظة ثمّ اقتربت منه وسألت:

- كيف تجري الأمور؟

- ماذا...؟ لا بأس... كيف هي الأمور هناك؟

- رتّبت الأسِرَّة وملأت البرّاد.

- ممتاز. هل ثمّة جيران؟

- لم أرَ أحداً.

وسأل:

- لماذا تأخّرا كلّ هذا الوقت؟

- لست أدري. هذا ما يشغلني.

- أتمنّى أن يأخذا قسطاً من الراحة في بيت ليزبث.

- هذا ما أتمناه أنا أيضاً. هل عثرت على شيء؟

- أشياء كثيرة.

- حسناً.

- لكن...

- ماذا؟

- كل ما في الأمر...

- ماذا؟

- أشعر كما لو أنّه يعود بي إلى الوراء، كما لو أنّني أقترب من أماكن زرتها سابقاً.

فقالت:

- وضّح كلامك، لم أفهم.

- سأوضّح...

ألقى مايكل نظرة على حاسوبه واسترسل يقول:

- لكن عليّ أن أعمّق البحث أكثر. سنعود إلى هذا الموضوع لاحقاً.

تركته وشأنه وعادت إلى بيتها وهي مستعدّة لمغادرته في أيّ لحظة.



20

الثالث والعشرون من نوفمبر

كانت الليلة هادئة، بالغة الهدوء، وعند الثامنة صباحاً كان جان بابلانسكي واقفاً أمام أعضاء فريقه بقاعة الاجتماعات مشغول البال. فبعد أن طرد هانز فاست، صار واثقاً من أنّه يستطيع أن يتحدّث بحرية مجدّداً. ومهما يكن فهو يشعر هنا بين زملائه بأمان أكبر ممّا يشعر أمام حاسوبه أو حين يتحدّث في هاتفه المحمول. وقال على سبيل التقديم:

- لعلّكم تقدِّرون خطورة الوضع. فقد تسرّبت معلومات سريّة تسبّبت في مقتل شخص وتعريض حياة طفل للخطر. ورغم ما بذلناه من جهد، ما زلنا نجهل كيف حصل هذا التسريب. قد نكون نحن مصدره، وقد تكون السابو أو مركز أودن أو محيط البروفسور إيدلمان أو الأم أو خطيبها لاس ويستمان. لسنا متيقنين من شيء، وعلينا أن نتصرّف بحذر شديد، إن لم أقل مبالَغاً فيه.

فتدخّلت سونيا موديغ مضيفة:

- قد نكون تعرّضنا لعملية قرصنة أو تنصّت. فنحن نواجه مجرمين بارعين في استعمال التقنيات الحديثة، ويتقنونها أكثر ممّا اعتدنا عليه.

فاسترسل بابلانسكي يقول:

- وهذا بالذات هو ما يزيد الوضع تعقيداً. علينا أن نلزم الحذر

على كافة المستويات، وأن نتلافى تقديم المعلومات المهمّة بالهاتف رغم تغنّي رؤسائنا بنظام اتصالاتنا الجديد.

فقال جيركر هولمبورغ:

- هم يمتدحونه لأنّ تثبيته كلّف أموالاً طائلة.

واسترسل بابلانسكي قائلاً:

- قد يتوجّب علينا التفكير في الدور الذي نقوم به نحن أيضاً. تحدّثت مؤخّراً إلى محلّلة برمجة شابة من السابو، وهي فتاة لامعة تُدعى غابرييلا غران، فذكّرتني بتعقّد مفهوم الإخلاص في مجال الشرطة. هناك أشكال عديدة من الإخلاص. هناك ذلك الشكل الواضح، وهو الإخلاص للقانون. ثمّ هناك الإخلاص للمواطنين والإخلاص للزملاء. لكنّ هناك الإخلاص لرؤسائنا، وهناك أيضاً الإخلاص لأنفسنا وللعمل الذي نقوم به. ويحدث أحياناً، وهو أمر تعرفونه جميعاً، أن يقوم صراع بين ضروب الإخلاص هذه. قد يعمَد المرء أحياناً إلى التستّر على زميل، فيخلّ بالإخلاص نحو المجتمع، وأحياناً أخرى نتلقّى أمراً من أعلى، كما حصل لهانز فاست، وهذا الأمر قد يتصادم مع الإخلاص الذي نكنّه للفريق الذي نعمل معه. لا أحب مستقبلاً أن أسمعكم تتحدّثون -وهو أمر آخذه ببالغ الجدية- إلّا عن إخلاص واحد: هو الإخلاص للتحقيق. سنُلقي القبض على المجرمين، وسنحرص على ألّا يتسبّبوا في سقوط أيّ ضحية أخرى. وأريد أن أتيقّن من أنّكم تسايرونني في هذا الأمر. لا أريدكم أن تبوحوا بكلمة واحدة حتى لو اتّصل بكم الوزير الأوّل شخصياً أو رئيس وكالة الاستخبارات، وتحدّثا إليكم عن المواطنة والترقّي في مسيرتكم المهنية. مفهوم؟

فأجابوا بصوتٍ واحد:

- مفهوم.

فتابع بابلانسكي قائلاً:

- ممتاز! من المعلوم أنّ ليزبث سالاندر هي مَن نفّذت عملية سفيفيغن. وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا لتحديد المكان الذي تختبئ فيه.

فهتف كورت بوليندر باندفاع:

- ينبغي إشهار اسمها في وسائل الإعلام! نحن بحاجة إلى مساعدة المواطنين.

- مسألة فيها نظر. فالآراء متضاربة بهذا الخصوص. أذكّركم بأنّ سالاندر تعرّضت لسوء معاملة في وقت من الأوقات من لدننا ومن لدن وسائل الإعلام.

فردّ كورت بوليندر:

- هذا أمر لا أهميّة له.

- من غير المستبعد أن يكون أشخاص آخرون تعرّفوا عليها في سفيفيغن، وسيتفوّهون باسمها في لحظة من اللحظات، وعندئذٍ لن تطرح هذه المسألة. لكن بانتظار ذلك، أودّ تذكيركم بأنّ ليزبث سالاندر أنقذت حياة الطفل، وهذا عمل يستحق تقديرنا.

فقال كورت بوليندر:

- لا شكّ في ذلك. لكنّها اختطفته أيضاً.

وتدخّلت سونيا موديغ قائلة:

- المعلومات المتوفّرة لدينا تشير بالأحرى إلى أنّها بذلت كلّ ما في وسعها لحمايته. كانت لليزبث سالاندر تجاربُ بالغةُ السوء مع مختلف أشكال السلطة. رزحت طيلة طفولتها، بل حتّى في مراحل حياتها اللاحقة، تحت نير السلطة الذكورية السويدية. فهي إن شكّت، مثلنا، في أنّ الشرطة هي مصدر التسريب، فستختار عدم الاتّصال بنا. هذا أمر مؤكّد.

فردّ بوليندر بعناد:

- لا أهمية لهذا.

فاسترسلت سونيا قائلة:

- أنت محقّ إلى حدّ ما. أنا وجان نتّفق معك بخصوص هذه النقطة: المهم هو أن نعرف ما إذا كان الكشف عن اسمها سيدفع التحقيق إلى الأمام أم لا. على أنّ الأهم هي سلامة الطفل، وهو أمر تراوِدُنا كثير من الشكوك بشأنه.

فقال جيركر هولمبورغ بنبرة رزينة شدّت انتباه الجميع:

- أتفهّم حججكم. إذا أبصر الناس سالاندر، سيكون الطفل معرّضاً للخطر أيضاً. لكن ثمّة جملة من الأسئلة الملحّة، أوّلها: ما هو الصواب؟ وهنا ألحّ على أنّه لا يمكن قبول أن تخفي سالاندر الطفل. إنّه عنصر مهمّ في التحقيق، وما يعنينا نحن بالمقام الأوّل هو أن نحمي الطفل أكثر من حماية امرأة تعاني من اضطرابات عاطفية.

فغمغم بابلانسكي:

- تماماً.

- وحتّى لو لم يكن الأمر يتعلق باختطاف تقليدي، وفرضنا أنّها تتصرّف بنوايا حسنة، فإنّ احتمال أن يتأذى الطفل من ذلك وارد. وأنا أشكّ من الناحية السيكولوجية أن يكون الهرب، بعد كلّ المحن التي توالت عليه، مفيداً له.

فدمدم بابلانسكي مرّة أخرى:

- هذا صحيح، لكن السؤال المطروح هو معرفة كيف ينبغي أن نعالج المعلومة.

- بخصوص هذه النقطة، أنا أتفق مع كورت. ينبغي الكشف عن الاسم والصورة حالاً. فذلك يمكن أن يأتينا بمعلومات ثمينة.

- لكنّه قد يوفّر معلومات ثمينة للقتلة أيضاً. لنفترض أنّهم ما زالوا مصرّين على مواصلة المطاردة. فبما أننا نجهل كلّ شيء عن العلاقة بين الطفل وسالاندر، ولا نعرف المؤشّرات التي يمكن أن يقدّمها اسمها لأولئك الأشخاص، فإنّني لست واثقة من أنّنا نعزّز سلامة الطفل بالكشف عن المعلومة لوسائل الإعلام.

فردّ جيركر قائلاً:

- لكنّنا نجهل أيضاً ما إذا كان تستّرنا على المعلومة يخدم سلامة الطفل. تنقصنا قطع كثيرة ليتّضح لنا المشهد، ونكون قادرين على استنتاج مثل هذه الخلاصات. هل تعمل سالاندر لصالح أحدهم؟ هل تقتصر نواياها على حماية الصبي؟

ثمّ أضاف بوليندر:

- ثمّ كيف علمت أنّ ليندن سيخرج معه في تلك اللحظة بالذات؟

- ربّما كانت موجودة هناك بالصدفة.

- يبدو هذا بعيد الاحتمال.

فواصل بابلانسكي كلامه قائلاً:

- كثيراً ما تكون الحقيقة بعيدة الاحتمال، بل هذا هو ما يميّزها. لكنّني أشكّ أيضاً في أنّها وُجِدت هناك صدفة بالنظر إلى الملابسات.

وأضافت أماندا فلود:

- مثلما كان يعلم مايكل بلومفيست بأنّ شيئاً ما سيحدث.

فقال جيركر هولمبورغ:

- ولا أحد يجهل الصلة القائمة بين بلومفيست وسالاندر.

- هذا صحيح.

- كان مايكل بلومفيست عالِماً بوجود الطفل بمركز أودن، أليس كذلك؟

- أخبرته الأمّ بذلك. تحدّثت إليها مطولاً قبل قليل. وأنتم تعلمون أنّها ليست على ما يرام. لكن ما كان ينبغي أن يعلم بلومفيست بأنّ ليندن والطفل استدرجا للخروج.

سألت أماندا فلود بنبرة حذرة:

- ألا يكون تمكّن من اختراق حواسيب أودن؟

فردّت سونيا موديغ:

- من الصعب أن أتصوّر مايكل بلومفيست يتعاطى للقرصنة.

وسأل جيركر هولمبورغ:

- لكن سالاندر، ماذا نعرف عنها في الواقع؟ رغم ملفّها الحافل الذي بين أيدينا، تمكّنت في آخر مرّة استدعيناها من أن تفحمنا في كلّ الأمور التي أثرناها معها. فالمظاهر كثيراً ما تكون خدّاعة.

فقال كورت بوليندر مؤيّداً:

- تماماً. هناك أمور كثيرة لا تزال مجهولة في هذه القضيّة.

ثمّ أضاف:

- لا نملك عنها شيئاً باستثناء اسمها سالاندر. فلنتصرّف إذاً بحسب البروتوكول.

فردّ بابلانسكي بنبرة ساخرة ولاذعة:

- لم أكن أعلم أن البروتوكول دقيق إلى هذا الحدّ.

فقال جيركر هولمبورغ بنبرة شديدة بدت كما لو أنّها أقنعت الفريق:

- ما قصدت إليه هو ضرورة النظر إلى القضية كما هي: اختطاف طفل. أوشكت أن تمضي على اختفائهما أربع وعشرون ساعة، ونحن ما زلنا لا نعرف عنها شيئاً. نكشف عن اسم سالاندر وصورتها، ثمّ ندرس كلّ المعلومات التي ستصلنا بعناية فائقة.

أغلق بابلانسكي عينيه وقال في نفسه إنّه يحبّ هذا الفريق. كان يشعر بأنّ روابط قوية تشدّه إليه، روابط أقوى من تلك التي تشدّه إلى أسرته. لكن كان عليه في هذه اللحظة أن يفرض نفسه.

- سنقوم بكلّ ما يلزم للعثور عليهما، لكنّنا سنرجئ الإعلان عن الاسم والصورة. لن يعمل ذلك إلّا على إثارة وسائل الإعلام، وأنا لا أريد أن أخاطر بتقديم مؤشرات للقتلة.

فقال جيركر بنبرة متعاطفة:

- هذا فضلاً على أنّك تشعر بالذنب.

فأجاب بابلانسكي وهو يتذكّر الحَبر:

- هذا فضلاً على أنّني أشعر شعوراً عميقاً بالذنب.

لم يَنَمْ بلومفيست جيّداً بسبب قلقه على ليزبث والطفل. فقد حاول الاتصال بها عبر تطبيق ريدفون، لكنها لا تردّ. وهو لم يتلقّ منها كلمة واحدة منذ عصر اليوم السابق. حاول أن ينهمك في عمله بالجريدة، وأن يحاول فهم ما فاته. كان يراوده شعور بأنّ ثمّة قطعة مهمّة ناقصة في اللوحة، عنصراً يلقي أضواء جديدة على القصة. لعلّه واهم. كانت آخر رسالة بعثتها له ليزبث على الرابط المرموز هي:

[يوري بوغدانوف يا بلومفيست. استخبر عنه. هو مَن باع معطيات بالدر التكنولوجية إلى إكيروولد لدى سوليفون.]

عثر على صور بوغدانوف على الإنترنت، ظهر في إحداها ببذلة مخطّطة، لكن رغم كونها مقدودة على مقاسه تماماً، لا تبدو مواتية له، كما لو أنّه سرقها قبل التقاط الصورة مباشرة. كان شعره طويلاً وكامداً، وبشرته مكسوة بالبثور، تطوّق عينيه هالتان سوداوان، كما

تظهر على مرفقه وشوم غير متقنة. أما نظرته القاسية المركّزة فتبدو كما لو أنّها تخترقك. فارع الطول، لكن وزنه لا يزيد عن ستين كيلوغراماً.

يتهيّأ لمن يراه أنه سجين سابق، لكن شيئاً ما في مظهره ذكّر مايكل بصور كاميرات المراقبة التي رآها في بيت بالدر. الهيئة القلقة نفسها. يُفهم من حوارات نادرة أُجريت معه بعد ما حقّقه من نجاحات كمقاول في برلين أنّه ترعرع في الشارع.

قال بمباهاة: «كان من المفروض أن أموت في الشارع بمحقنة مغروسة في ذراعي، لكنّني استطعتُ النجاة لأنّني إنسان ذكي ومكافح».

ثمّ قدّم عناصر عديدة مستمدّة من سيرته تؤكّد هذا المنحى، لكن مجموعة من القرائن توحي بأنّه لم ينقذ نفسه من ذلك الوضع بإمكاناته الخاصة فقط. ذلك أنّ بعض التفاصيل تدفع إلى الاشتباه في أنّ جهات نافذة تنبّهت إلى قدراته، فعمدت إلى مساعدته. قال عنه أحد مسؤولي الأمن بشركة هورست للائتمان في مجلة ألمانية متخصّصة: «بوغدانوف أشبه بالساحر، لا أحد يستطيع اكتشاف نقاط ضعف أنظمة الحماية مثله. إنّه رجل عبقري».

كان بوغدانوف بطبيعة الحال نجماً في عالم القرصنة الإلكترونية، رغم أنّه ينتمي من الوجهة الرسمية إلى White hats، أيّ أولئك القراصنة الذين يُسخّرون أنفسهم لخدمة القانون، والذين يساعدون الشركات على الكشف عن مَواطن الضعف في أنظمة الحماية الإلكترونية لديهم مقابل مبالغَ مالية مهمّة. ولم تكن تعتري شركته آوتكاست سيكيوريتي أيّ ثغرة تدعو إلى الارتياب في أنّها واجهة تخفي أنشطة من طبيعة مغايرة تماماً. فأعضاء إدارتها أناس لا تحوم حولهم أدنى الشبهات: ذوو مسارات علمية ومهنية لامعة، وسجلاتهم القضائية لا سوابق فيها. لكن بلومفيست لم يكن ليكتفي بهذه المعطيات

الرسمية. فقد تفحّص برفقة أندري كلّ شخص له علاقة، ولو بعيدة، بالشركة. ومن شريك إلى شريك، اكتشفا عنصراً لافتاً للانتباه: شخص يدعى أورلوف. كان عضواً بالنيابة في مجلس إدارة الشركة لفترة قصيرة.

لم يكن فلاديمير أورلوف متخصّصاً في الإلكترونيات، بل كان مجرّد تاجر في قطاع البناء. كان أيام شبابه ملاكمَ وزنٍ ثقيل واعداً في القرم. وهو يبدو في الصور التي عثر عليها بلومفيست على الإنترنت بسحنة خشنة، أبعد ما تكون عن تلك التي تستلطفها النساء.

وتذكُر بعض المواقع الإلكترونية أنه حوكم مرّات عديدة بتهمة الاعتداء والقوادة. تزوّج مرّتين، وزوجتاه توفيتا معاً، من دون أن تُعرف أسباب الوفاة. وما لفت اهتمام بلومفيست أكثر هو أنه اشتغل عضواً في مجلس الإدارة بالنيابة أيضاً لدى بودان بيغ آند إكسبورت (Bodin Bygg & Export)، وهي شركة متواضعة متخصّصة في «بيع لوازم البناء»، توجد في طور التصفية منذ مدّة طويلة. وقد كان مديرها هو كارل أكسل بودان أي ألكسندر زالاشنكو. هذا الاسم ذكّره بالعالَم اللاإنساني الذي كان موضوع آخر سبق صحفي له. على أنّ ما استرعى اهتمامه أكثر هو كون زالاشنكو أبَ ليزبث، الرجل الذي قتل أمّها ودمّر طفولتها. إنّه الشبح الذي سكنها وغرس فيها الرغبة في الانتقام.

أكان ظهوره في هذه القضيّة من باب الصدفة؟ يعرف مايكل أكثر من أيّ كان أنه يكفي أن يجدّ المرء في التنقيب في أيّ موضوع، مهما كان نوعه، ليكشف عن روابط تكتسي أهمية بالغة. صحيح أنّ الحياة تتضمّن أحياناً بعض الاتفاقات المضلّلة، لكن بما أنّ الأمر يتعلّق بليزبث سالاندر، فلا مجال للصدفة.

فسواء أكَسَرَت أصابع طبيب جرّاح أو تورّطت في سرقة معطيات تكنولوجية متطوّرة تخصّ الذكاء الاصطناعي، فهي دائماً تفكّر في الأمر

قبل الإقدام عليه. وقد كان لها ما يدفعها لذلك. فهي لا تنسى أبداً إن تعرّضت لظلم أو إهانة، تكيل الصاع صاعين وتثأر لنفسها. أتكون لتصرّفها في هذه الواقعة علاقة بماضيها؟ أمر غير مستبعَد.

رفع مايكل عينيه عن الشاشة، ونظر إلى أندري، فأجابه بإيماءة من رأسه. كانت تفوح في الممرّ رائحة طعام، وتنبعث من غوتغاتن أنغام موسيقى روك. وفي الخارج كانت العاصفة تزمجر والسماء ملبّدة بالسحب. ووصل مايكل بطريقة آلية إلى الرابط المرموز، فصاح مبتهجاً. لم يكن يتوقّع أن يعثر على شيء في الرابط، لكنه وجد الرسالة الآتية:

[الأمر على ما يرام الآن. سنلتحق بالمخبأ قريباً.]

فردّ فوراً:

[هذا خبر سار. كوني حذرة في الطريق.]

ولم يستطع أن يقاوم فأضاف:

[مَن نطارد حقيقة يا ليزبث؟]

فأجابت على التوّ:

[ستعرف ذلك قريباً أيّها الماكر!]

قولها إنّ الأمور على ما يرام لا يخلو من مبالغة. فرغم تحسّن حالها، ليست على ما يرام تماماً. فقد انتهى بها الأمر مساء اليوم السابق نصف مغمى عليها. كان عليها أن تبذل جهداً خارقاً لتقوم من فراشها لإطعام أوغست، والتأكّد من أنّه يتوفر على الأقلام والأوراق لكي يرسم القاتل. لكنّها حين اقتربت منه، لاحظت بأنّه منهمك في الرسم.

كانت الأوراق متناثرة على المائدة الواطئة أمامه، لكنّه لم يرسم عليها باستثناء بعض الخطوط الطويلة. اقتربت وتفحّصتها من كثب، فاكتشفت سلسلات لا نهائية من الأعداد، وهو ما أثار فضولها، فصفرت فجأة وهي تغمغم:

- عجباً!

إنّها أعداد مدوّخة لا توحي بشيء للوهلة الأولى، لكن عند تأليفها مع الأعداد المجاورة لها، تشكّل خطاطة مألوفة. واصلت تصفّح الأوراق، فوقعت على الأعداد 641، 647، 653 و659. ولم يخامرها شكّ في أنّها رباعي من Sexy prime quadruplets كما تسمى بالإنجليزية، أي سلسلة أعداد أولية الفاصل بين كل عدد وما يليه ستّ وحدات.

كانت ثمّة أيضاً أعداد أولية توائم، بل كلّ تأليفات الأعداد الأولية الممكنة، ولم تتمالك نفسها من الابتسام وهي تقول:

- هذا رائع يا عزيزي.

لكنّ أوغست لم يُجِب، بل لم يرفع حتى عينيه إليها. ظلّ جاثياً على ركبتيه أمام المائدة الواطئة، كما لو أنّ كلّ ما كان يتوق إليه هو أن يواصل كتابة أعداده. وتذكّرت على نحوٍ غامض أنّها قرأت في الماضي شيئاً عن الأطفال المتوحّدين والأرقام الأوّلية، لكنّ الإرهاق كان يشلّ تفكيرها. توجّهت إلى الحمّام لتجلب حبّتي فيبراميسين كانتا موضوعتين هناك منذ فترة طويلة، وابتلعتهما. كانت قد تناولت كميّة كبيرة من المضادات الحيوية منذ أن نجحت في الوصول إلى بيتها.

حشرت إثر ذلك مسدّساً وحاسوباً وبعض الملابس في حقيبتها، وطلبت من أوغست أن يقوم، لكنّه لم يستجب. ظلّ متشبثاً بقلمه، وشعرت للحظة بأنّها عاجزة. ثمّ صاحت به بنبرة صارمة:

- انهض!

فنهض.

وضعت على رأسها من باب الحذر شعراً مستعاراً، وأخفت عينيها بنظارتين شمسيتين، ثمّ ارتديا معطفيهما، واستقلا المصعد حتى المرآب، ثمّ ركبا سيارة بي إم دابليو وتوجّها إلى إنيارو. كانت تسوق باليد اليمنى، ذلك أنّ كتفها الأيسر المضمّد كان يؤلمها كثيراً. كما أنّها كانت تشعر بألم حاد أعلى ثديها. كانت لا تزال محمومة، واضطرت إلى التوقّف مرّتين في جانب الطريق كي تستريح قليلاً. وبلغا أخيراً شاطئ إنيارو. تسلّقا السلم الخشبي الطويل، وما إن وصلا إلى البيت حتى ارتمت منهكة على سرير الغرفة المجاورة للمطبخ. راحت ترتعش من البرد، لكنّها نهضت فوراً لتثبّت حاسوبها على مائدة المطبخ. ورغم أنها كانت تشعر بضيق في تنفسها حاولت من جديد أن تقرصن ملف وكالة الأمن القومي الذي حمّلته سابقاً، لكن بلا جدوى. أمّا أوغست فجلس بجانبها يحدّق في كومة الأوراق والأقلام التي وضعتها إريكا برجر هناك. لكنّه لم يكتب سلاسل أرقام ولم يرسم، ربّما بسبب الصدمة.

كان الشخص الذي يسمي نفسه يان هولستر جالساً في غرفة بفندق كلاريون أرلاندا يتحدّث إلى ابنته أولغا في الهاتف. وكما توقّع، لم تصدّقه.

قالت:

- أتُراك تخشاني؟ أخِفت من أن أحاصرك؟

- كلا، لا شيء من ذلك. لكنّني مضطرّ إلى...

خانته العبارة. تعرف أولغا تمام المعرفة أنّه يخفي شيئاً، لذلك سارعَت إلى إنهاء المكالمة. كان يوري جالساً بجانبه على السرير وهو

يلعن. فتّش حاسوب فرانز بالدر عشرات المرات من دون أن يعثر فيه على طائل.

فقال يان هولستر:

- سرقت حاسوباً فارغاً إذاً.

- تماماً.

- فيمَ كان يستعمله؟

- لغاية مخصوصة: كلّ ما استطعت رؤيته ملفّ ضخم مرتبط في الغالب بحواسيب أخرى، جرى مسحه مؤخراً، لكن من المستحيل استعادته. مسح بطريقة احترافية.

- الظاهر أنّنا في ورطة.

- بالضبط.

- وهاتف البلاكفون؟

- يحتوي على مكالمات لم أنجح في تحديد مصادرها. لعلّها الشرطة السويدية أو FRA. لكن ما يثير قلقي شيء آخر.

- ما هو؟

- مكالمة مطولة أجراها قبيل حلولك بالمنزل. تحدّث إلى أحد المتعاونين مع معهد البحث في الذكاء الاصطناعي (Machine Intelligence Research Institute).

- وما المُقلق في الأمر؟

- التوقيت. تساورني شكوك في أنّ الأمر يتعلّق بنداء استغاثة. ثمّ بسبب المعهد في حدّ ذاته. فهو معهد يعمل من أجل ألّا تصير الحواسيب مصدر خطر على الإنسان. لست أدري. تنتابني بعض الهواجس بهذا الخصوص. كما لو أنّ بالدر وهب المعهد جزءاً من أبحاثه، أو...

- أو ماذا؟

- أفضى لهم بكلّ شيء عنّا، أو على الأقلّ ما كان يعرف. إنّه أمر من الصعب تحمّله، لكنّه ليس الأدهى.

- سيكون ذلك سيئاً.

هزّ يوري رأسه، وراح هولستر يلعن في سرّه. لا شيء سارَ كما توقّع. لا أحد منهما كان متعوّداً على الإخفاق، وها هما يفشلان مرّتين متتابعتين، وكل ذلك بسبب طفل أبله.

الأدهى هو أنّ كيرا قادمة إليهما في حالة هستيرية، وهو أمر لم يعتادا عليه أيضاً. بالعكس، كانت أناقتها الباردة تجعلهما يبدوان -فيما يفعلان- كمن لا يُقهر. لكنّها اليوم استشاطت غضباً، ونعتتهما بالحثالة والعجز. وهي إن كانت غاضبة فليس لأنّهما فشلا في العملية، ولا لأنّ الصبي يُجهل ما إذا كان أصيب أم لم يُصَبْ، بل بسبب تلك المرأة التي لا يعرف أحد من أين ساقها القدر لكي تحمي أوغست بالدر. هذا هو مبعث نقمة كيرا.

ما إن شرع يان في وصفها -أو بالأحرى وصف ما رآه منها، وهو قليل- حتّى حاصرته كيرا بالأسئلة. ولم تعمل إجاباته إلّا على مضاعفة غيظها، فصرخت بهما أنّه كان عليهما قتلها، وقالت إنّها لم تعد تطيقهما. ولم يفهم يان ويوري ردّ فعلها، لأنّهما لم يسمعاها تصرخ هكذا قط.

كانت ثمّة أشياء كثيرة يجهلانها عنها. لم ينسَ يان هولستر المرّة الثالثة أو الرابعة التي ضاجعها فيها بأحد فنادق كوبنهاغن. ظلا ممدّدين في السرير يشربان الشامبانيا ويتحدّثان عن الحروب وعمليّات القتل التي ارتكباها. وبينما كان يداعب ذراعها، اكتشف ثلاثة ندوب عميقة على معصمها.

فسألها:

- ما هذا يا جميلتي؟

فحدجته بنظرة قاسية. ولم تضاجعه منذئذٍ. لربّما كان هذا هو ثمن جرأته على سؤالها هذا السؤال. وقد كانت كيرا تعتني بهما، وتقدّم لهما مالاً وفيراً، لكن لم يكن من حقّهما، ولا من حقّ أيٍّ كان أن يسأل عن ماضيها. كانت تلك قاعدة مضمَرَة، ولم يخطر ببال أحد منهما المجازفة بخرقها. كانت وليّة نعمتهما في السراء والضراء. كلّ ما كان مطلوباً منهما هو الانصياع لنزواتها. هكذا، كانا يعيشان وهما يتساءلان كلّ يوم كيف ستعاملهما، بحنان أم بفتور، بل إنّها لا تتورّع أحياناً عن توبيخهما ولطمهما لأتفه الأسباب.

أغلق يوري الحاسوب ورشف جرعة من كأس الكوكتيل. كانا يحرصان على عدم الإسراف في الشرب حتّى لا تتخذ كيرا ذلك حجّة عليهما. لكنّهما لم ينجحا في ذلك بسبب ما كانا يشعران به من خيبة وتوتّر. وراح يان يعبث بهاتفه بين أصابعه.

سأله يوري:

- ألم تصدّقك أولغا؟

- هراء! قريباً سترى على الصفحة الأولى لكلّ الجرائد صورة أبيها التي رسمها الطفل.

- لا أصدّق كثيراً قصة الرسم هذه. إنّها مسألة مبالغ فيها.

- كانت محاولة قتل الطفل إذاً عبثاً؟

- ربّما. كان من المفروض أن تكون كيرا وصلت، أليس كذلك؟

- لن تتأخّر.

- من تظنّها تكون؟

- من؟

- الشابة التي أنقذت الطفل؟

فردّ يان:

- لست أدري. ولست متأكّداً من أنّ كيرا أيضاً تعرف عنها شيئاً. يبدو أنّ ثمّة شيئاً يُقلقها.

- أراهن على أنّنا سنضطرّ لقتلهما معاً.

- لن يقف الأمر عند هذا الحد في نظري.

من المؤكّد أنّ أوغست لم يكن على ما يرام. فقد ظهرت على عنقه بقع حمراء، وكان يقبض راحتيه بشدّة. وهو أمر أثار مخاوف ليزبث من أن تكون نوبة على وشك أن تعتريه، لكنّه تناول في الأخير قلم باستيل أسود. كانت جالسة إلى جانبه عند مائدة المطبخ منهمكة في فك ترميز RSA.

وفي تلك الأثناء هزّت هبّة ريح قوية زجاج النوافذ أمامهما، فبدا أوغست متردّداً، وراح يمرّر يده اليسرى على المائدة من الأمام إلى الخلف، ثمّ شرع في الرسم أخيراً: خطّ هنا وخطّ هناك، **دوائر صغيرة**، **أزرار**، خالتها ليزبث، ثمّ بدأت تظهر ملامح يد، وتفاصيل ذقن، وقميص مفتوح. ثمّ بدأت يده تخفّ في الرسم، وشيئاً فشيئاً بدأ ظهْرُ الولد وكتفاه في الارتخاء. كان الأمر أشبه بجرح ينفتح ويلتئم على الفور، رغم أنّ الهدوء لم يكن بادياً على الطفل.

كان يشعّ من عينيه وميض قَلِقٌ، وكان يجفل بين الفينة والأخرى، لكنّ شيئاً ما بداخله تحرّر. تناول قلماً آخر وراح يرسم أرضية صنوبرية اللون فوقها عدد هائل من قطع البوزل تمثّل منظر مدينة في الليل، متلألئة الأضواء، مع أنّه كان واضحاً أنّ الرسم لن يكون رومانسياً.

واتّضح أنّ اليد والقميص المفتوح هي لرجل ضخم الجثة، ذي كرش بارزة. كان منحنياً وهو يضرب شخصاً مطروحاً أرضاً. ولم يكن هذا الشخص ممثّلاً في الرسم لأنّه هو مَن يرى المشهد، لكن كان

بالإمكان استشفاف صغر قامته. وكان يرين على هذا الرسم جوّ مرعب.

لم يكن يبدو أنّ للرسم علاقة بمقتل أبيه، رغم أنّ الصورة تكشف عن مجرم. وفي الوسط رَسَم وجهاً يتصبّب عرقاً، يظهر عليه الغضب، صوّرت ملامح المرارة فيه بدقة فائقة مكّنت ليزبث من التعرّف عليه.

أدركت، رغم عدم ولعها بالتلفزيون ولا بالسينما، أنّ الأمر يتعلّق بلاس ويستمان، زوج أمّ أوغست، فانحنت على الطفل وقالت له بصوت متهدّج من الحنق:

- لن يفعل بك هذا أبداً!

21

الثالث والعشرون من نوفمبر

أدركت ألونا كاساليس أنّ شيئاً ما ليس على ما يرام لمّا اقترب طيف الرائد جوني إنغرام من إيد دي نيد. خمّنت من هيئته المتردّدة أنّه ينقل أخباراً سيّئة، وهو أمر لم يكن يمثّل أيّ مشكل بالنسبة إليه في الأوقات العادية.

كان جوني إنغرام من النوع الذي يجد متعة في الطعن من الخلف، لكن مع إيد، كان الأمر مختلفاً. فإيد على استعدادٍ دائم للمشاحنة إن أزعَجَه أحد. وحتّى كبار المجرمين كانوا يخشونه. ولم يكن إنغرام يحبّ الخصومات لا سيما وأنّه لا يريد أن يبدو مثيراً للشفقة. وهو يعلم أن مضايقة إيد قد تجرّ عليه الكثير من المتاعب.

سيُسحل سحلاً. فبينما كان إيد مفتول العضلات، سريع الانفعال، يبدو جوني إنغرام، بساقيه النحيلتين وحركاته المتكلّفة أشبه ببورجوازي صغير. على أنّه كان في مجال السلطة غريماً يحسب له حساب. كانت له كلمة مسموعة في كلّ الدوائر المهمة، سواء في واشنطن أو في أوساط الصناعة والتجارة. كان يشغل منصباً مرموقاً، أدنى مباشرة من شارلز أوكونور، رئيس وكالة الأمن القومي، وهو إنْ كان بشوشاً، يعرف كيف يوزّع المجاملات، فإنّ صِدق بسمته لم يكن يظهر أبداً في عينيه. وهو ما كان يجعله مهاب الجانب.

كان يتوصّل، بفضل منصبه، بمعلومات عن كلّ شيء. فقد كان مسؤولاً عن «مراقبة التكنولوجيات الاستراتيجية» -أو ما يُسمى في اللغة العادية بالتجسّس الصناعي-، وهي شعبة من وكالة الأمن القومي تساعد الصناعة التكنولوجية الأميركية العالية على المنافسة العالمية.

لكنّ قواه خارت أمام إيد. وقد خمّنت ألونا مِن على بعد ثلاثين متراً ما كان يتهيّأ: كان إيد على وشك أن ينفجر. شرع وجهه الشاحب المنهك يمتقع، فنهض ببطنه المتدلية فوق السروال وظهره المنحني، وصرخ ملء صوته:

- أيّها الوغد!

لا أحد باستثناء إيد يتجرّأ على نعت جوني إنغرام بالوغد، وهذا هو سرّ ولع ألونا به.

بدأ أوغست رسماً جديداً، خطّ بعض عناصره على الورق بسرعة، وضغط بقوة على القلم فانكسر. وعلى غرار الصورة السابقة، كان يرسم بسرعة فائقة، يضع تفصيلاً هنا وآخر هناك، قطع متناثرة أخذت تنتظم بالتدريج لتشكّل رسماً متكاملاً. كان يمثّل الصورة نفسها، لكن البوزل على الأرض كان مختلفاً، من السهل التعرّف عليه. كان يمثل سيارة رياضية حمراء تسير بسرعة فائقة، وحشداً من المتفرجين يصيحون على مدرّج. وأعلى البوزل يوجد هذه المرّة رجلان.

أحدهما هو لاس ويستمان، يرتدي قميصاً خفيفاً وسروالاً قصيراً، عيناه محتقنتان بالدم وهما تنظران شزراً. بدا ثملاً، تعلو شفتيه رغوة، والغضب ظاهر عليه. لكن ما كان محيّراً أكثر هو الشخص الآخر. كانت نظرته الخابية تشي بسادية متأصّلة. لم يكن حليقاً، وكان هو أيضاً شارداً، بشفتيه الدقيقتين اللتين بالكاد تظهران. وبدا في الرسم

كما لو أنّه يوجّه ركلات لأوغست. وعلى غرار الرسم الأوّل، لم يكن الطفل ظاهراً، لكنّه حاضرٌ بقوة حتّى بغيابه.

سألت ليزبث:

- مَن يكون هذا الرجل؟

لم يُجِب أوغست، لكنّ كفيه راحا يرتعشان، وساقيه يلتفان تحت المائدة.

وكرّرت ليزبث بنبرة صارمة:

- مَن يكون هذا الرجل؟

فكتب أوغست عندئذٍ تحت الرسم بحروف مضطربة:

روجر

لم يكن هذا الاسم يعني شيئاً بالنسبة إلى ليزبث.

بعد مرور ساعات على ترتيب جماعة القراصنة الصغار لمكاتبهم بفورت ميد، وانصرافهم بخطى متثاقلة، التحقت ألونا بإيد. الغريب هو أنّه لم يعُد يبدو غاضباً ولا ناقماً، بل صارت ملامحه تشي بالتحدي، وظهر كما لو أنّ آلام ظهره سكنت. كان يمسك كراسة في يده، وإحدى حمالتي سرواله مفكوكة.

بادرته:

- لقد أثرتَ فضولي يا صديقي. أخبرني بما حدث؟

فأجاب:

- منحوني إجازة. أنا على وشك السفر إلى ستوكهولم.

- يا لها من فكرة! رغم البرد القارس هنالك الآن؟

- يبدو أنّه بلغ درجات غير مسبوقة.

- لا تقُل لي إنّك ذاهب لقضاء عطلة!

- لا أخفيك، لست ذاهباً من أجل العطلة في الحقيقة.

- ها أنت تثير فضولي أكثر.

- أمرنا جوني إنغرام بالإعراض عن التحقيق. نترك القرصان يفعل ما يشاء، ونكتفي بسدّ بعض الثغرات الأمنية. بعد ذلك سيطوي النسيان القضية.

- اللعنة! كيف له أن يُصدر أمراً كهذا؟

- قال لي: لا ينبغي أن نوقظ الدبّ النائم، ونجازف بخروج خبر الهجمة إلى العموم. ستحلّ الكارثة إن شاع أننا تعرّضنا للقرصنة. سيبتهج كثير من الناس بذلك، وستجد الإدارة نفسها مضطرّة إلى طرد حشد كبير من الموظفين لتُنقذ ماء الوجه، سأكون أنا أوّلهم.

- أَهَدَّدك؟

- تحدّث بلباقة. شرح لي بأنّني سأتعرّض لإهانة علنيّة، وسأسرَّح من منصبي وأتابَع قضائياً وما إلى ذلك.

- لا أرى القلق بادياً عليك.

- سأسحقه.

- كيف؟ هذا الرجل يملك علاقات نافذة في كلّ مكان.

- لديّ أنا أيضاً علاقة أو علاقتين. ثمّ إن إنغرام ليس الوحيد الذي يملك معلومات عن الآخرين. فهذا القرصان اللعين تفضَّل بالربط بين ملفاتنا ممّا سمح بمعرفة أشياء كثيرة عن حظيرتنا.

- إنّه لَأَمر مثير للسخرية، أليس كذلك؟

- أجل. لفضح نَصّاب استلزم الأمر الاستعانة بنصّابٍ آخر. لم يكن الأمر يبدو في البداية غريباً مقارنة بما يُحاك هنا. لكن بنظرة فاحصة...

- ماذا؟

- أستطيع أن أقول إنّ الأمر في غاية الخطورة.

- كيف؟

- لا يكتفي الرجال المقرّبون من جوني إنغرام بجمع معلومات عن الأسرار الصناعية لمساعدة مجموعاتنا الصناعية الكبرى، بل يعمَدون أحياناً إلى بيعها أيضاً، وبثمنٍ غال، وذلك المال يا ألونا لا يدخل بالضرورة إلى صناديق المؤسسة. . .

- تقصد يذهب إلى جيوبهم؟

- تماماً، ولديّ ما يكفي من الأدلة لكي أبعث جواكيم باركلي وبراين أبوت إلى السجن.

- عجباً!

- لكن الأمر معقّد فيما يتعلّق بإنغرام لسوء الحظ. أنا متيقّن من أنّه هو العقل المدبر لكلّ هذه المهزلة، وإلا فإنّ الحكاية لا تستقيم من أصلها. ما زلت لم أعثر على الحجة الدامغة، وهو أمر يرهقني، لأنّه يجعل من العملية مجازفة كبيرة. من غير المستبعَد، وإن كنت أشكّ في ذلك، أن يتضمّن الملف الذي حمّله القرصان معلومات ملموسة عنه، لكن من الصعب فكّ ترميزه، إن لم يكن مستحيلاً. فهو ترميز RSA الذي لا يفكّ.

- وماذا ستفعل؟

- سأُسقِطه في الشرك. سأكشف للعالم أجمع أنّ المتعاونين معنا لهم صلات بعالم الجريمة.

- هل تقصد السبايدرز مثلاً؟

- نعم. فهم لا يختلفون عن كثير من الأشخاص السيئين. ولن أستغرب تورّطهم في قتل أستاذك بستوكهولم. على كلّ حال، فلديهم مصلحة واضحة في موته.

- أتمزح؟

- إطلاقاً. لديّ معلومات يمكن أن تهزّ كيانهم.

- اللعنة! وأنت ذاهب الآن إلى ستوكهولم كمحقّق خاص لتتحرّى القضية؟

- ليس كمحقّق خاص يا ألونا. سأستفيد من دعم قوي. وخلال إقامتي هناك، سألقّن تلك القرصانة درساً لن تنساه. لن تقوم لها بعدئذٍ قائمة.

- عفواً إيد، لم أسمعك جيداً. قلت «تلقّنها»؟

- تماماً يا عزيزتي، قلت: ألقّنها هي.

رجعت رسوم أوغست بليزبث إلى الماضي، وتذكّرت تلك القبضة التي كانت تهوي على السرير بلا هوادة.

تذكّرت الضربات والصراخ والعويل في غرفة النوم. عادت بها الذاكرة إلى الفترة التي لم يكن لها ملاذٌ سوى قصصِها المصوّرة والحلم بالانتقام. لكنّها طردت هذه الأفكار من ذهنها، وانتبهت إلى الجرح. غيّرت الضمادات، تفقّدت سلاحها، وتأكّدت من أنّه مشحون. ثمّ فتحت رابط PGP.

وجدت أنّ أندري زاندر يسأل عن أحوالها، فأجابت باختصار شديد. نظرَت إلى الخارج فبدت لها الأشجار تتمايل بفعل الرياح القوية، فتناولت كأس ويسكي وقطعة شوكولاتة، وخرجت إلى الشرفة. سارت بمحاذاة طرف المنحدر الصخري، متفحّصة معالِمَ المكان، فأثار انتباهها صدع في أسفل الجُرف. عدّت خطواتها حتّى هناك، وحاولت أن تتذكّر أبسط الشقوق، وأدقّ تفاصيل المكان.

وعندما عادت إلى الداخل، كان أوغست قد رسم رسماً جديداً للاس ويستمان وروجر. قالت في نفسها إنّ الصبيّ بحاجة إلى إخراج

ما بدواخله، لكنّه ما زال لم يرسم بعد أيّ شيء له صلة بالجريمة. أثمّة مانع يحُوْل بينه وبين ذلك يا ترى؟

مضت تراقب أوغست والرسوم والأرقام المذهلة التي دوّن بجوارها وهي تشعر بالانزعاج من أنّ الوقت الذي أمامهما محدود للغاية. ركّزت تفكيرها على الأرقام لهنيهة لعلّها تكتشف المنطق الذي يحكمها، فلاحظت فجأة سلسلة من الأعداد القصيرة نسبياً، لم يكن يبدو أنّها وُضعت في مواضعها.

إنها 2305843008139952128، وهو أمر شدّ انتباهها. لم يكن عدداً أوّلياً. وتهلّل وجهها لمّا تنبّهت إلى أنّه عدد مؤلف من مجموع الأعداد الموجبة التي يقسّم عليها. بعبارة أخرى، فهو عدد كامل مثل العدد 6 الذي ينقسم على 2 و3 و1، وإذا قمنا بجمع هذه القواسم: 3+2+1 سنحصل على 6. فابتسمت، وخطرت لها فكرة غريبة.

قالت ألونا:

- ينبغي أن تشرح كلامك.

فأجاب إيد:

- لا بأس، لكن قبل ذلك أريدك أن تقسمي بألّا تخبري أحداً بما سأطلعك عليه.

- أُقسِمُ لك أيها المغفّل.

- حسناً، سأشرح لك الوضع: بعد أن ألقيت بحقيقة أو حقيقتين لجوني إنغرام، تظاهرتُ بتأييد رأيه، بل عبّرت له عن امتناني على أنه أوقَفَ التحقيق. زعمتُ بأنّ تحريّاتنا لن تتقدّم كثيراً على كلّ حال، وهو أمر صحيح إلى حدّ ما. ذلك أنّنا استنفدنا كلّ مواردنا من الناحية

التقنية. استعملنا كلّ الطرق المتاحة، لكن بلا جدوى. فاقتفاء أثر القرصان لا يقود إلّا إلى متاهات يفضي بعضها إلى بعض، بل ذهب أحد رجالي إلى أنّه حتى لو وصلَ المرء إلى نتيجة، فإنه لن يأخذ بها، وسيعتبرها مجرّد فخّ جديد. كلّ شيء متوقّع من هذا القرصان باستثناء الخطأ. هكذا إذاً فإن اتّباع الطريق التقليدي يقود إلى الفشل الذريع.

- لكنك لست ممّن يأخذون بالطرق التقليدية عادة.

- كلا، لم أعُد أؤمن بالطرق الملتوية. الواقع أنّنا لم نتخلّ عن هذا الطريق أبداً. تحدّثنا إلى معارفنا الخارجيين وأصدقائنا في الشركات الإلكترونية. عمّقنا البحث، ووضعنا أناساً تحت التنصّت، واستعملنا وسائلنا لاختراق الأنظمة. أنت تعلمين أنّ القرصان الذي يشن هجمة كهذه يقوم بالضرورة بتحرّيات، ويطرح بعض الأسئلة، ويرتاد بعض المواقع. كلّ هذا يوصلنا حتماً إلى أشياء. لكن الأهم من كلّ هذا يا ألونا هو أنّ ثمّة شيئاً يلعب لصالحنا، وهي عبقرية القرصان. ذلك أنّه من عيار يساعد على حصر عدد المشتبه فيهم. الأمر شبيه بمجرم يقطع مسافة مائة متر في 9,7 ثانية في مسرح الجريمة: فالمجرم سيكون حتماً هو أوسيان بولت أو أحد منافسيه، أليس كذلك؟

- أهو بهذا المستوى؟

- هناك عناصر في هذه الهجمة تركتني مذهولاً، مع أنّ هذا النوع من الهجمات ليس غريباً عليّ. هكذا قضينا وقتاً طويلاً نتذاكر مع كثير من القراصنة وأشخاص لهم دراية واسعة بالمجال. سألناهم: مَن يملك مواهب تمكّنه من تنفيذ هجمة بهذا الحجم؟ مَن هم نجوم القرصنة الإلكترونية الآن؟ كان علينا أن نطرح أسئلتنا بدقة متناهية حتى لا يرتاب أحدٌ فيما وقع. لم نتقدّم قيد أنملة لفترة طويلة. كان الأمر أشبه بصرخة في واد. لا أحد يعرف شيئاً، أو أنّهم كانوا يتظاهرون بذلك.

الواقع أنّ أسماء كثيرة تردّدت على ألسنتهم، لكن لا أحد منها يتطابق مع أوصاف منفّذ العملية. اشتبهنا للحظة في أحد القراصنة الروس: يوري بوغدانوف، وهو مدمن سابق على المخدرات، ولصّ ماهر، قادر على اختراق أحصَن البنايات، وعلى قرصنة ما يشاء. لم يكن في تلك المرحلة غير متشرّد بئيس من متشرّدي سان بيترسبورغ، قادر على تشغيل محرّكات السيارات من دون مفاتيح، ولا يزن أكثر من أربعين كيلوغراماً. كلّ ذلك جعل شركات الأمن الإلكتروني تتنافس على استقطابه، بل إنّ جهات من الشرطة والاستخبارات حاولت استمالته خوفاً من أن تنجح إحدى العصابات الإجرامية في ضمّه إليها، لكنّهم فشلوا في مسعاهم. واليوم شُفي بوغدانوف من الإدمان، وتحسّنت صحته، وأعماله تسير على أحسن ما يرام. ونحن واثقين تقريباً من أنّه ينتمي إلى العصابة التي تهمّك يا ألونا، وهذا هو ما دعانا إلى التركيز عليه. وبناء على الأبحاث التي أنجزها القرصان العامل لدينا، علمنا أنّه على علاقة بسبايدر، لكن بعد...

- لا تفهمون لماذا يقدّم لنا أحدهم مؤشرات على خيوط جديدة؟

- تماماً. واصلنا التفتيش إذاً، وبعد فترة من الزمن، ظهرت عصابة أخرى في المحادثات.

- من تكون؟

- يسمّون أنفسهم هاكر ريبوبليك. وهي جماعة تضمّ قراصنة محنّكين، بالغي الحيطة، يولون أهمية بالغة لأنظمة ترميزهم. وهم على حقّ طبعاً. وهناك محاولات حثيثة لاختراق هذه الجماعات، للاطّلاع على ما يصنعون، ولاستقطاب بعض عناصرهم، ولسنا الوحيدين الذين يسعون لذلك. إنّها حرب مستعرة لاستدراج ألمع القراصنة.

- بهذا صرنا جميعاً مجرمين.

- ربّما، لكن مهما يكن، فعصابة هاكر ريبوبليك أبانت عن عبقرية

فذّة. وقد بلغتنا شهادات كثيرة تثبت ذلك. عدا أنّ إشاعات تردّدت تزعم أنّهم يحضّرون لعملية ضخمة. ثمّ هناك شخص يدعى بوب دي دوغ، نحسبه عضواً من أعضاء الجماعة، طرح أسئلة على أحد رجالنا، اسمه ريتشارد فولر. أتعرفين مَن يكون؟

- كلا.

- شخص مُصاب بالهوس الاكتئابي، دوّخني لفترة طويلة، لأنّه كثيراً ما لا يلزم الحذر المطلوب في كلامه، ممّا يشكّل خطراً على الأمن. وهو بذلك يمثل الصيد المثالي بالنسبة إلى عصابات القراصنة. لكن ليهتموا به يلزم أن تكون لديهم معلومات دقيقة حول حالته الصحية والنفسية، والحال أنّ ذلك لا يكاد يعرفه أحد، حتّى أمّه. ومن ثمّة فأنا مقتنع بأنّهم لم يخترقونا عبر فولر: وقد حلّلنا كلّ الملفات التي توصّل بها مؤخراً من دون أن نعثر على شيء. تفحّصناها بدقّة متناهية. لكنّني أظن أنّه كان يدخل ضمن خطة هاكر ريبوبليك الأولى. لا أملك دليلاً ملموساً على تورط هذه الجماعة، إلا أنّ حاسّتي السادسة تدلّني على أنّها هي من نفّذ الهجوم، لا سيما بعد أن تيقنّا تقريباً بأنّ الأمر لا يتعلق بقوّة خارجية.

- قلت إنّ الأمر يتعلق بفتاة.

- بالضبط. بعد أن وضعنا هذه الجماعة نصب أعيننا، حاولنا أن نعرف عنها أكثر، ولم تكن عملية فرز الشائعات من الوقائع بالأمر الهيّن، على أننا لاحظنا أنّ معلومة كانت تتردّد بانتظام إلى أن انتهى بي الأمر إلى التيقن من صحّتها.

- ما هي؟

- هي أنّ ألمع نجوم هاكر ريبوبليك قد يكون اسمها واسب.

- واسب؟

- تماماً. لن أثقل عليك بالتفاصيل التقنية. فواسب تعدّ أسطورة

في بعض الأوساط بفضل قدراتها الاستثنائية، بما فيها قدرتها على قلب الطرائق المعمول بها. وقد قال أحدهم يوماً إنّه بالإمكان التعرّف على واسب في عملية قرصنة مثلما يمكن التعرّف على موزارت في سمفونية. فواسب لها أسلوبها الفريد، وهذا ما قالته إحدى معاوناتي بعد أن درست الاختراق: إنّها هجمة تختلف عمّا تعرَّضنا له حتى اليوم. فيها قدر من الأصالة لم يسبق أن رأيناه، كما أنّها على قدر كبير من الفعالية.

- تشهد على عبقرية منفّذها إذاً.

- بلا منازع. وبذلك ركّزنا كلّ تحريّاتنا على واسب لكي نكشف عن هويته. ولم يتفاجأ أحد باستنباط أنّ الأمر مستحيل. فلا يُنتظر من عبقرية كهذه أن تترُكَ ثغرة تفضح هويّتها.

ثم أضاف إيد بنبرة متباهية:

- أتعرفين ماذا صنعت؟

- كلا.

- بحثت عن معنى الكلمة ذاتها.

- تجاوزت معناها الأصلي «الدبور».

- بطبيعة الحال. لم يفكّر أحد، بما فيهم أنا، في أنّ هذا الاسم يمكن أن يقود لشيء. لا نعرف بالطبع إلى أين سيمضي بنا البحث... ويتّضح أنّ واسب تملك دلالات عديدة. فهي اسم طائرة بريطانية مقاتلة تعود للحرب العالمية الثانية، وهي أيضاً الترجمة الإنجليزية لإحدى مسرحيات أريستوفان، كما أنّها عنوان فيلم قصير صدر سنة 1915 واسم لجريدة ساخرة في سان فرانسيسكو في القرن التاسع عشر، هذا فضلاً على أنّها اختصار لـ (White Anglo-Saxon Protestant) (الأنغلوسكسون البيض البروتستانت)، هذا عدا دلالات أخرى كثيرة.

إلا أنّ كل هذه الإحالات بدت لي بعيدة عن الوسط الذي يعيش فيه القرصان، ولم تبقَ إلّا دلالة واحدة محتملة. أتعرفين ما هي؟

- كلا.

- الواسب الأكثر وروداً على الإنترنت: وهي بطلة شهيرة من بطلات مارفل كوميكس، وعضوة مؤسِّسة لأفانجرز (Avengers).

- التي جرى تحويلها إلى فيلم؟

- بالضبط، أفلام **ثور وأيرون مان وكابتن أميركا** وغيرها. كانت هي الرائدة في القصص المصوّرة الأصليّة لفترة من الزمن. ينبغي القول إنّ واسب شخصية جذّابة، ذات مظهر متمرّد شبيه بمظهر مطربي الروك، ولباس بالأبيض والأصفر تزيّنه أجنحة شبيهة بأجنحة الحشرات، وشعر بنّي قصير، وهيئة متغطرسة. وهي تضرب على حين غرة، وتستطيع أن تقلّص حجمها كما تشاء. وتذهب كلّ المصادر التي راسلناها إلى أنّ الاسم يحيل على هذه المرجعية. هذا لا يعني بالضرورة أنّ هذا الاسم المستعار يخفي أحد المعجبين بمارفل، على الأقلّ في الوقت الراهن. فهذا التوقيع موجود منذ زمن بعيد، وقد يكون من بقايا الطفولة أو تعريضاً لا معنى له، على غرار تسمية قِطّي بـ«بيتر بان» من دون أن يعني ذلك أنّني أحب هذه الشخصية المتغطرسة التي أبت أن تكبُر. ومع ذلك...

- ماذا؟

- سرعان ما لاحظت أنّ هذه الشبكة الإجرامية التي تبحث فيها واسب تستعمل في ترميزاتها أو بشكل علني أسماء مستمدّة من مارفل، من قبيل أنهم سمّوا أنفسهم سبايدر سوسايتي؟

- نعم، ولكنّني أرى في ذلك مجرّد لعبةٍ الغرض منها الاستهزاء بمن يراقبونهم مثلنا.

- بالطبع، ولكن اللعب يمكن أن يفيد ببعض المؤشرات، أو

يكشف عن شيء جدّي. أتعرفين ما يميّز سبايدر سوسايتي في مارفل كوميكس؟

- كلا.

- هو أنهم يخوضون حرباً ضد سيسترهود أوف دي واسب.

- حسناً، خطر لي تفصيلٌ ينبغي أن يُؤخذ بعين الاعتبار، لكنّي لا أعرف فيمَ يمكن أن يفيد البحث.

- انتظري، سترين، ما رأيك أن ترافقيني حتى سيارتي؟ عليّ أن أذهب إلى المطار.

كان مايكل بلومفيست يغالب النوم. لم يكن الوقت متأخّراً، لكنّه كان يشعر بجسده غير قادرٍ على الاحتمال. عليه أن يعود إلى بيته وينام قليلاً لكي يستطيع استئناف عمله تلك الليلة أو في صباح اليوم الموالي. وقد تساعده على مقاومة التعب زجاجة جعة أو زجاجتان يشربهما في الطريق. كانت الذكريات والقلق يعصران رأسه على نحوٍ جعله يخشى الأرق. ليته ينجح في إقناع أندري بمرافقته. ونظر إلى زميله.

كان أندري يبدو في غاية الشباب... لو حُبِيَ مايكل بنصف طاقته، لَغَمَرته السعادة. كان منهمكاً في النقر على مفتاح حاسوبه كما لو أنّه لم يبدأ العمل إلّا اللحظة، يحدّق في أوراقه بنظرات ثاقبة، مع أنّه عمل بلا توقف منذ الخامسة صباحاً إلى الآن، أيّ السادسة وخمس وأربعين دقيقة مساء.

- ما رأيك يا أندري في أن نخرج لنشرب زجاجة جعة ونأكل شيئاً، ونقيّم الوضع قليلاً؟

بدا أندري كما لو أنّه لم يسمع السؤال، ثمّ رفع رأسه ببطء، فبدا فجأة كما لو أنّه فقَدَ حيويته. دعَكَ كتفه بلطف وهو يقول بتردّد:

- ماذا؟... نعم... ربّما.

- هل أفهم أنّك موافق؟ هل يناسبك فولكوبيران؟

يقع فولكوبيران، وهو حانة ومطعم، بشارع هورنسغاتن، غير بعيد عن مقرّ المجلة، يرتاده كثير من الصحافيين والفنّانين.

- على أنّني...

- ماذا؟

- ملزَمٌ بكتابة مقالٍ عن أحد تجّار أعمال بوكوفسكي الفنيّة، ركب القطار بمحطة مالمو المركزية، ولم يظهر له أثر بعد ذلك. ترى إريكا أنّه مقالٌ جدير بأن يصدر في هذا العدد.

- هذه المرأة تحمّلك فوق طاقتك.

- إطلاقاً. كلّ ما في الأمر أنّني وجدت صعوبة في تحرير المقال. ينقصه الوضوح والعفوية.

- هل تسمح بأن ألقي عليه نظرة؟

- بكلّ سرور، ولكن عليّ أن أتقدم في تحريره قبل ذلك. سأموت من الخزي إن قرأته وهو في هذه الحال.

فردّ مايكل وهو يتأمّل أندري:

- حسناً، ولكن لنخرج أولاً لنأكل شيئاً، وعُد بعد ذلك إن لَزِم الأمر.

سيظلّ هذا المشهد راسخاً في ذهنه لفترة طويلة. أندري في سترته البنية ذات المربعات وقميصه الأبيض المُزرّر حتى الرقبة. كان أشبه بنجم من نجوم السينما من أمثال أنطونيو بانديراس في شبابه.

فأجاب والتردّد بادٍ عليه:

- قد يكون من الأَوْلَى أن أبقى هنا من أجل تصحيح المقال وتشذيبه. لديّ بعض الأشياء في البراد، سأسخّنها في الميكرويف.

وتساءل مايكل في نفسه حول ما إذا كان وضعه الأعلى تراتبياً يسمح له بأن يأمر أندري بمرافقته لشرب زجاجة جعة، لكنّه اكتفى في الأخير بأن قال:

- حسناً، نلتقي غداً إذاً. كيف تجري الأمور هنالك؟ لم تتحدّد ملامح المجرم بعد؟

- لا أظن.

فقال مايكل قبل أن ينهض ويرتدي معطفه:

- علينا أن نعثر على حلّ آخر غداً. هيّا، اعتنِ بنفسك.

تذكّرت ليزبث مقالاً عن المتوحّدين العلماء قرأته قبل مدة طويلة في مجلة **ساينس**. وقد أحال فيه مُنظِّر الأعداد إينريكو بونبييري على مقطع من كتاب أوليفر ساكس المعنون بـ«**الرجل الذي يتّخذ زوجته قبّعة**»، حيث يخوض توأمان متوحّدان ومتخلّفان عقليّاً منافسات حول الأعداد الأولية، كما لو أنّهما تصوّراها في فضاء رياضي داخلي، أو كما لو أنّهما فكّا لغز هذه الأعداد.

ما استطاع التوأمان تحقيقه يختلف اختلافاً تامّاً عمّا تهدف إليه ليزبث، ومع ذلك خمّنت تشابهاً غامضاً بينهما، وقرّرت أن تخوض المغامرة رغم ضآلة حظوظ كسبها. أخرجت من جديد ملف NSA المرموز وكذا برنامج التعميل بواسطة المنحنيات الإهليجية، ثمّ التفتت إلى أوغست الذي راح يحرِّك جسده من الأمام إلى الخلف، وقالت له:

- الأعداد الأولية، أتحبّها؟

لكن أوغست لم يأبَه بسؤالها واستمرّ يحرّك جسده.

- أنا أيضاً أحبّها. لكن ثمّة شيء يهمّني على نحوٍ خاص في هذه اللحظة، يسمّى التعميل. أتعرف ما هو؟

راح أوغست يحدّق في المائدة من دون أن يظهر عليه أنّه فهم كلامها.

- تعميل الأعداد الأولية معناه أن نكتب عدداً في صورة حاصل جزاء أعداد أوّلية. هل تتابعني؟

لم يستجِب أوغست لكلامها، فتساءلت عمّا إذا لم يكن حريّاً بها أن تلوذ بالصمت.

فبحسب المبرهنة الأساسية في الحساب، لكلّ عدد أوّلي مجموعة جزاء أعداد أوّلية فريدة. وهو أمر في غاية الغرابة. فعدد بسيط مثل 24 يمكن الحصول عليه بطرائق متباينة، كأن نضرب 12 في اثنين أو 8 في 3، أو 6 في 4. لكن لا توجد إلّا طريقة واحدة لتعميله بواسطة أعداد أولية هي: 2×2×2×3، أما زلت تتابعني؟ كلّ عدد له تعميل فريد خاص به. لكن المشكلة تكمن في أنّه إذا كان من السهل ضرب أعداد أوّلية والحصول على أعداد ضخمة، فمن المستحيل في الغالب عكس العملية، أيّ العثور على الأعداد الأولية انطلاقاً من النتيجة. وقد استخدم شخص سيّئ هذه الطريقة في رسالة سرية. هل فهمت؟ الأمر أشبه قليلاً بتحضير شراب أو كوكتيل سهل الإعداد، لكن من الصعب تحليل عناصره.

لم يحرك أوغست رأسه، ولم ينبس بكلمة. لكنّه توقّف عن تحريك جسده.

- سنرى ما إذا كنت بارعاً في تعميل الأعداد الأولية. هل أنت مستعدّ؟

لم يحرّك أوغست ساكناً.

- سأعتبر السكوت دليلاً على الرضا. لنشرع بالعدد 456.

كانت عينا أوغست كابيَتين وغائبتين، ونظرته شاردة. وبدت لها هذه الفكرة في منتهى العبث.

كان الجو بارداً في الخارج، لكنّ هذه البرودة راقت مايكل وأعادت له شيئاً من الحيوية. كان الشارع خالياً إلّا من بعض المارّة. وفكّر في ابنته بيرنيلا، ثمّ حَدَته رغبة ملحّة في أن يكتب لليزبث والطفل. ماذا تراهما يفعلان في هذه الأثناء؟ وشاهد وهو متوجّه إلى هورنسغاتبوكلن لوحة في إحدى واجهات العرض الزجاجية.

كانت تعرض أناساً سعداء يشربون كوكتيلاً بلا مبالاة. وراوده شعور، خاطئ ولا شكّ، بأنّه لم يعرف هناء بالٍ كهذا منذ الأزل. وحلم للحظة خاطفة بأن يسافر بعيداً. وجفل فجأة حين أحسّ كما لو أنّ أحداً يتعقّبه. التفت خلفه، فتبيّن له أنّها مجرّد تهيّؤات ناتجة عمّا عاشه في الأيّام الأخيرة.

لكن هذا سمح له مع ذلك برؤية امرأة ذات جمال باهر خلفه. كانت ترتدي معطفاً قاني الحمرة، وينسدل على كتفيها شعر بالغ الشقرة. ابتسمت في وجهه بخجل، فردّ عليها بابتسامة حذرة، وهمّ بمواصلة طريقه، لكنّه لم يستطِع تحويل بصره عنها، كما لو أنّه كان يسعى إلى استنفاد جمالها.

على أنّ بهاءها كان يزداد بمقدار ما يُطيل النظر فيها. كانت كما لو أنّها جاءت من عالم آخر، كنجمة هوليودية ضلت طريقها وتاهت في الحشد. عجز تقريباً -وقد وقع في إسار جمالها- عن وصفها وتذكّر تفاصيل مظهرها. كانت مثل أيقونة خرجت توّاً من إحدى مجلات الموضة.

بادرها قائلاً:

- هل يمكن أن أساعدك؟

فأجابت وقد بدا عليها الضيق من جديد:

- كلا.

كان خجلها فاتناً، مع أنّها كانت من نوع النساء اللواتي تستطعن حمل العالم بأسره على الركوع عند أقدامهن.

فقال لها وهو يستدير لينصرف في حال سبيله:

- في هذه الحالة، عِمْتِ مساء.

فقالت وهي تداري سعالاً متوتّراً، وقد خفضت بصرها:

- ألستَ مايكل بلومفيست؟

فأجابها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مهذّبة:

- بلى، أنا هو.

وأجهدَ نفسه ليتصرّف كما يتصرّف مع سائر الناس.

فأسرّت له وقد رفعت رأسها قليلاً، فغاصت عيناه القاتمتان في مقلتيها:

- كلّ ما أودّ أن أبوح لك به هو أنّني معجبةٌ بك منذ فترة طويلة.

- هذا شيء يثلج الصدر. عدا أنني لم أكتب شيئاً مهمّاً منذ فترة طويلة. وأنتِ، من تكونين؟

- اسمي ريبيكا سفينسون. أسكن في سويسرا منذ مدّة.

- وعُدتِ إلى هنا في جولة؟

- نعم، ولكنها جولة قصيرة جدّاً للأسف. استبدّ بي الحنين إلى السويد، وتمنّيت لو أقضي شهر نوفمبر بستوكهولم.

- إلى هذا الحدّ؟

- هكذا هو الحنين إلى الوطن، أليس كذلك؟

- ماذا تقصدين؟

- يجعل المرء يهفو حتى للأشياء الشاقّة.

- كلامك صحيح.

- أتعرف كيف أتغلّب عليه؟ أقرأ الصحافة السويدية. لا أظن أنّ مقالة من مقالات **ميلينيوم** فاتتني في السنوات الأخيرة.

وراح يسترق النظرات إليها من جديد. كلّ ثيابها أنيقة وغالية: وشاح كشمير مزيّن بمربّعات زرقاء، وحذاء أسود ذو كعب عالٍ.

لم تكن ريبيكا سفينسون تشبه في شيء قارئ **ميلينيوم** العادي، لكن كان عليه أن يحتاط من الأحكام المسبقة، بما في ذلك أحكام الأغنياء السويديين المغتربين.

- تعملين هناك؟

- أنا أرملة.

- المعذرة.

- أحياناً ينتابني السأم. إلى أين أنت ذاهب؟

فقال قبل أن يتملّكه الندم على هذه العبارة المبتذلة:

- كنت متوجّهاً إلى مطعم لأشرب كأساً وآكل شيئاً.

- هل تسمح لي بمرافقتك؟

فأجاب بتردّد:

- بكلّ سرور.

شعر بيدها تلامس يده بسرعة -ربّما عن غير قصد، أو هذا ما حاول أن يقنع به نفسه على الأقل. كانت لا تزال خجلى. وعبرا ببطء شارع هورنسغاتبوكلن، وسارا بمحاذاة الأروقة المجاورة.

سألته:

- إنه للطف منك أن تسمح لي بالتنزه معك.

- نزهة غير متوقّعة.

- لكنّها أفضل على كلّ حال ممّا توقّعت عندما استيقظت هذا الصباح.

- ماذا توقّعت؟

- يوماً مُمِلاً كسائر الأيام.

- أخشى ألّا أكون رفيقاً مؤنساً هذا اليوم. ثمّة موضوعٌ يشغل بالي.

- أتشتغل كثيراً؟

- لا شكّ في ذلك.

فوجّهت له ابتسامة ساحرة مفعمة بالشهوة وهي تقول:

- قد تكون بحاجة إلى استراحة قصيرة تُعيد لك الحيوية.

وفي تلك الأثناء تهيّأ له كما لو أنّها تذكّره بشيء، كما لو أنّه يعرف هذه الابتسامة، لكن من زاوية أخرى، من خلال مرآة مشوّهة. فسألها:

- ألم نلتقِ من قبل؟

- لا أظن. بالنسبة إليّ رأيت صورتك مئات المرّات، كما سبق أن رأيتك في التلفزة طبعاً.

- ألم يسبق لك الاستقرار في ستوكهولم؟

- أيام الطفولة المبكّرة.

- وأين تقطنين الآن؟

أومأت إيماءة غامضة ناحية هورنسغاتن.

- كانت فترة مجيدة. كان أبونا يُخلص في رعايتنا. أذكره أحياناً، فأتشوّق إليه.

- أفارق الحياة؟

- مات وهو لا يزال شاباً.

- آسف.

- إلى أين نحن ذاهبان؟

- لا أعلم على وجه التحديد. ثمّة حانة غير بعيدة في شارع بلمانسغاتن تسمى بيشوبس آرمز. أعرف صاحبها. إنّه مكان لطيف.

- لا أشكّ في ذلك...

وبدا عليها الضيق من جديد، وشعر بيدها تلامس أصابعه، لكنّه هذه المرّة لم يكن متأكّداً من أن ذلك كان عن غير قصد. وقال:

- قد لا يكون مكاناً في غاية الأناقة.

فردّت كالمعتذرة:

- بالعكس. كلّ ما في الأمر هو أنّني أشعر بالعيون تنظر إليّ بشهوانية في الحانات. وقد سبق أن عانيتُ من تصرّفات كثيرٍ من الأوغاد.

- أتفهّم ذلك.

- ألا تريد أن...؟

- ماذا؟

خفضت بصرها من جديد وتورّدت. تهيّأ له أوّل الأمر أنّه لم ينظر جيداً. فكم عدد الراشدين الذين ما زالوا يتورّدون على هذا النحو؟ لكن ريبيكا سفينسون، هذه الحسناء الفاتنة العائدة من سويسرا، تتورّد مثل تلميذة خجولة.

وهمست قائلة:

- ألا تدعوني لشرب كأس في بيتك، سيكون الأمر أفضل.

- بلى...

شعر بالحيرة. كان بحاجة إلى النوم ليستعيد حيويته في اليوم الموالي. وأجاب ببطء، كما لو كان ذلك على مضض:

- بالطبع، بكلّ تأكيد. عندي زجاجة نبيذ إيطالي رفيع.

كان من المفروض أن تُشعره مغامرة كهذه بالإثارة، لكن الإحساس بالضيق لازَمَه، وهو أمرٌ لم يفهم مبعثه. كان محظوظاً بإثارة اهتمام كثير من النساء، وغالباً ما كان يطاوعهنّ وينساق وراء شهوته. وكانت الأمور تسير على نحو فائق السرعة، لكنّه كان يعرف، وهو أمر وقع له مراراً، كيف يلجم عواطفه. لم يكن هذا الجانب السريع والعابر في العلاقة هو الذي يزعجه، أو على الأقل لم يكن هو الوحيد. كان ثمّة شيء ما ينبعث من ريبيكا سفينسون.

كانت شابة وتتمتّع بجمال مذهل، ولا حاجة بها من ثمّة إلى إغواء صحافي مسنّ ومتعب. ثمّ هناك تلك المزاوجة بين النظرات الجريئة والمحتشمة، وتلك الطريقة التي كانت تلامسه بها، والتي تبدو كما لو أنّها عفوية. وشيئاً فشيئاً صار يتّضح له الأمر. كلّ ما بدا مثيراً وخلاباً في البداية هو في الواقع شيء محسوب ومخطّط له.

وقالت:

- حسناً، لن أمكث طويلاً. لا أريد أن أؤخّرك عن عملك.

فأجاب وهو يغتصب ابتسامة متكلّفة:

- لا عليكِ، فأنا أتحمّل كامل مسؤولية أعمالي الفاشلة.

بعد هذه الابتسامة المغتصبة، شدّت انتباهه مسحة غريبة وفاترة في نظرتها، لكنّها تحولت على الفور لتصبح مفعمة بالحنان والدفء، على شاكلة ممثلة كبيرة تفصح عن مواهبها. صار الآن مقتنعاً بأنّ ثمّة شيئاً ما لا يسير على ما يرام، لكنّه عاجز عن تحديده على وجه الدقة. وقدّر أن الوقت لم يحِن لكي يظهر توجّسه. ماذا يجري؟ لا بدّ من أن يفهم.

واصلا السير في بلمانسغاتن رغم أنّه لم يعُد يرغب في أن ترافقه إلى بيته. كان بحاجة إلى الوقت لكي يستوضح الأمر. وراح يراقبها من جديد. كانت جميلة على نحو باهر، غير أنّ ما جذبه إليها في بادئ الأمر لم يكن جمالها فحسب، بل سحرٌ آخر أكثر مراوغة، لا صلة له

ببريق مجلات الموضة المصطنع. كان الأمر كما لو أنّ ريبيكا سفينسون تمثّل لغزاً يتحتّم عليه حلّه.

- يا له من حيّ لطيف.

فأجاب بنبرة حالمة وهو ينظر باتجاه بيشوبس آرمز:

- نعم.

تجاوزا الحانة بقليل، عند تقاطع تافاستغاتن، فرأى رجلاً نحيلاً يرتدي قبعة ونظارتين شمسيتين يتفحّص خريطة، بحيث يتهيّأ لمن يراه أنّه سائح، يحمل في يده حقيبة بنّيّة، ويلبس حذاء رياضياً أبيض وسترة جلدية سوداء بياقة فرو ضخمة. ما كان لمايكل أن يلحظه في الحالات العادية، لكن في هذه الظروف، لم يعُد ملاحِظاً محايِداً، ووجد أسلوب حركته عصبيّاً ومتوتّراً. كان ذلك ربّما بسبب هواجسه وشكوكه، لكن تهيّأ له أنّ طريقته في تقليب الخريطة متكلّفة. ثم رفع الرجل رأسه ونظر باتّجاههما. تفرّسهما لحظة ثمّ عاد للتحديق في خريطته كما يفعل ممثل أخرق. بدا منزعجاً، يحاول أن يخفي وجهه تحت قبعته، وهذه الوضعية تحديداً -انحناء رأسه- هي التي بدت له مألوفة.

حدّق في عيني ريبيكا سفينسون الغامقتين من جديد، ولمس فيهما ضرباً من الملاطفة. وعوض أن يبادلها النظرة نفسها، حدجها بنظرة قاسية إلى أن عبست. عندئذٍ ابتسم لها بدوره. وهو إنّما ابتسم لأنّه عثر فجأة على الرابط.

22

مساء الثالث والعشرين من نوفمبر

غادرت ليزبث مائدة المطبخ حتّى لا تزعج أوغست. فقد كان متوتّراً بما فيه الكفاية، وفكره مشوّش.

من الشائع أن يتوقّع الناس من هؤلاء الأطفال الذين ينتمون إلى فئة المتوحدين العلماء أموراً تفوق طاقاتهم، علماً بأنّ ما قام به أوغست شيئاً يستحق كلّ الإعجاب. واتّجهت إلى الشرفة، وتحسّست جرحها الذي كان ما زال يؤلمها. ثم سمعت صوتاً خلفها أشبه بفرك سريع للورقة، فعادت أدراجها إلى الطاولة، وارتسمت على شفتيها ابتسامة.

كتب أوغست: $19 \times 3 \times 2^3$

جلست ليزبث على مقعد وقالت للطفل من دون أن تنظر إليه هذه المرّة:

- حسناً! لقد أذهلتني، ولكن لنعقّد الأمر قليلاً، خذ: 18 206 972.

التصق أوغست بالمائدة فقالت ليزبث في نفسها إنّ إعطاء الطفل عدداً من ثمانية أرقام أمر لا يخلو من شطط. لكن ليكون لهما حظ في النجاح، ينبغي أن يذهبا أبعد. وعاد أوغست يهزّ الجزء العلوي من

جسده بعصبيّة كما كان يفعل قبل قليل، وهو ما لم تستغربه ليزبث. وما هي إلّا ثوان حتّى انحنى على الورقة وكتب: 419 9 × 933 1

- جيّد، وما قولك في 541 230 971؟

فكتب أوغست: 983 × 991 × 997

ممتاز، قالت ليزبث. واستمرّت تقدّم له أرقاماً ضخمة، فيكتب على الفور حاصل جزاءها.

كانت ألونا وإيد يواصلان حديثهما بفي فورت ميد، خارج المقرّ الاجتماعي ذي الشكل المكعب والواجهات الزجاجية قرب قبّة الرادار المليئة بالهوائيات المصوّبة على الأقمار الاصطناعية. كان إيد يداعب بعصبية مفاتيح سيارته وهو ينظر إلى الغابة خلف السياج الكهربائي. كان عليه أن يلتحق بالمطار، وقد تأخّر. لكن ألونا تستبطئه وقد وضعت يدها على كتفه وهي تهزّ رأسها قائلة:

- أمرٌ في منتهى الغرابة.

- مذهل.

- معنى هذا أنّ كلّ كلمة مرموزة كنّا نعترضها في مجموعة سبايدر: تانوس وأنشانتوريس وزيمو وألخيما وسيكلون... تحيل على...

- عدوّ من أعداء واسب في القصة المصوّرة.

- هذا جنون.

- لو عُرض هذا الأمر على عالِم نفسٍ لاستخلص منه أموراً مهمّة.

- قد يكون هوساً.

- لا مريّة في ذلك. هوسٌ مشبعٌ بالكراهية.

- كنْ حذراً وانتبه لنفسك.

- لا تنسي أنني أنا أيضاً خالطتُ رجال العصابات.

- متى كان ذلك؟ منذ مدّة بعيدة يا إيد؟ قبل أن يزيد وزنك.

- المسألة ليست مسألة وزن. كيف أشرح لك؟ من الممكن إخراج الشخص من الغيتو...

- لكن لا يمكن إخراج الغيتو من الشخص.

- إنّه يجري في عروقي. ثم هناك FRA في ستوكهولم، سيساعدونني. مصلحتهم في القضاء على القرصان لا تقلّ عن مصلحتي.

- وإذا اكتشف جوني إنغرام الأمر؟

- حينئذٍ ستتعقّد الأمور. لكن لا تخافي، فقد هيأت الأرضيّة، بل إنني تبادلت بضع كلمات مع أوكونور.

- أعرف. هل أستطيع مساعدتك؟

- نعم.

- هيّا، قل لي كيف؟

- يبدو أنّ عصابة جوني إنغرام اطّلعت على تفاصيل التحقيقات السويدية.

- تشتبه في أنّهم تنصّتوا على الشرطة؟

- أو أنّ لديهم مصدراً يزوّدهم بالمعلومات، شخص يريد أن يلمّع صورته في الشرطة السويدية. سأبعث لك باسمَي أفضل قرصانين يعملان معي، وحاولي التعمّق في الموضوع.

- يبدو لي أنّ في الأمر مجازفة.

- حسناً، فلنترك هذه الفكرة.

- كلا، إنّها فكرة أعجبتني.

- شكراً يا ألونا. سأبعث لك بمزيد من المعلومات في أقرب فرصة.

فقالت له:

- أتمنّى لك سفراً طيّباً.

وقبل أن يركب سيارته وينطلق، ارتسمت على وجهه ابتسامة مفعمة بالتحدّي.

سيواجه مايكل صعوبة لاحقاً في تفسير كيف تبادرت الفكرة إلى ذهنه. شيء ما في تقاسيم ريبيكا سفينسون يجمع بين الغرابة والألفة، أو ربّما أوحى له ذلك التناسق اللطيف المنبعث من وجهها بنقيضه. وتصادى ذلك الشعور مع الشكوك التي ولّدتها في نفسه البحوث المتعلّقة بالمقال. لم يكن باستطاعته أن يبرّر الحدس الذي ساوره، إلا أنّه لم يكن يشكّ بالمقابل في أنّ القضية تنطوي على أمر خطير.

فالرجل الذي كان واقفاً بالملتقى، والذي تحرّك الآن متظاهراً بأنّه يتنزّه وقد حمل في يده حقيبة وخريطة، هو نفسه الشخص الذي رآه على تسجيلات كاميرات المراقبة بسالتسخوبادن. لا يداخله شك في ذلك. ثمّ إنّه من الصعب أن يكون هذا اللقاء مصادفة، وألّا يكون له معنى آخر. وشرد مايكل لهنيهة، ثمّ التفت إلى المرأة التي زعمت أنّها تسمّى ريبيكا سفينسون وأجهَدَ نفسه لكي يبدو أمامها واثقاً من نفسه، وقال:

- صديقك ينصرف.

فردّت باستغراب اجتهدت في أن يبدو صادقاً:

- صديقي؟ ماذا تقصد؟

فأجاب وهو يشير إلى الرجل الذي كاد يختفي وهو يسير مترنحاً بشارع تافاستغاتن:

- ذلك الشخص هناك.

- أتمزح؟ فأنا لا أعرف أحداً في ستوكهولم.

- وماذا تريدينني؟

فأجابت وهي تمدّ يدها إلى قميصه كما لو تريد أن تفكّ أحد أزراره:

- كلّ مرادي هو التعرّف عليك يا مايكل.

فهتف بنبرة حادّة:

- كفاكِ تمثيلاً!

وهمّ بأن يكشف لها عمّا يفكّر فيه، إلّا أنها حدجته بنظرة رقيقة حنون أربكته.

وتهيّأ له للحظة خاطفة أنّه أخطأ.

قالت له مستاءة:

- أأنت غاضب منّي؟

- كلا، ولكن...

- ماذا؟

قال بنبرة أقسى ممّا قصد:

- لا أثق بكِ.

فردّت وقد لاحت على وجهها ابتسامة كئيبة:

- يبدو أنّك لست على ما يرام هذا اليوم يا مايكل... لنؤجّل هذا اللقاء إلى فرصة قادمة.

وطبعت على خدّه قبلة سريعة محتشمة على نحو مباغت، ثمّ أومأت له بإشارة وداع فاتنة، ومضت إلى حال سبيلها تُوقِّع خطواتها الرشيقة على كعبيها العاليين، واثقة كما لو أنّ لا شيء يستطيع في هذا العالم أن يشوِّش بالها. وتساءل عمّا إذا كان عليه أن يستبقيها

ويُخضعها لما يشبه التحقيق، لكن ما فائدة ذلك؟ وقرّر في الأخير أن يتعقّبها.

كان ذلك سخيفاً بطبيعة الحال، لكن لم يكن بيده حلّ غيره. تركها تختفي في أقصى الشارع، ثمّ انطلق في إثرها. حثّ الخطو باتجاه ملتقى الطرق، واثقاً من أنّها لن تذهب بعيداً، لكنّه لما بلغه لم يعثر لها ولا للرجل على أثر. اختفيا في لمح البصر كما لو أن الأرض ابتلعتهما. كان الشارع شبه فارغ إلّا من سيارة بي إم دابليو سوداء ركَنَها صاحبها أبعد منه قليلاً، ورجل ذي لحية صغيرة، يرتدي معطفاً أفغانياً بالياً قادماً باتجاهه في الجهة المقابلة من الشارع.

أين اختفيا؟ لا يوجد أيّ زقاق يمكن أن ينفذا منه! أتراهما دلفا إلى مدخل إحدى العمارات؟ تقدّم باتجاه توركل كنوتسونسغاتن وهو يجيل بصره يمنة ويسرة من دون أن يعثر على شيء. ومرّ بمحاذاة ما كان يسمّى سابقاً ساميرز غريتا، وأصبح يسمّى تبولة، وهو مطعم لبناني قد يكونا لجآ إليه.

ولكن كيف لهما أن يصلا حتّى هذا المكان مع أنّ الفاصل بينه وبينهما لم يكن كبيراً؟ تبّاً! أين تُراهما ذهبا؟ أيمكن أن تكون اختبأت مع الرجل في مكان ما، وهما الآن بصدد مراقبته بواسطة منظار؟ التفت مرّتين متتابعتين إلى الخلف على حين غرّة، مقتنعاً بأنّهما ظهرا وراءه، ثمّ اعترته رعشة لفكرة أن يكون أحدهم بصدد مراقبته بواسطة منظار. لكنّه لم يرَ شيئاً يمكن أن يؤكد مخاوفه.

لم يَبْدُ للرجل والمرأة من أثر. ولما تخلّى أخيراً عن البحث، وقفل راجعاً، تهيّأ له أنّه أفلت من فخّ. وهو شعور لم يجد له تبريراً كذلك، على أنّ ضربات قلبه تسارعت وجفّ حلقه. هو مَن لم يكن الخوف يعرف إلى قلبه طريقاً، ها هو يرتعب من شارعٍ فارغ. إنّه لشيء محيّر.

على أنّه تذكر الرجل الذي ينبغي أن يتّصل به بشأن هذه الواقعة. إنّه هولجر بالمغرين، وصيّ ليزبث سابقاً. لكن عليه أوّلاً أن يؤدّي واجبه كمواطن. فإذا كان الرجل الذي رأى هو فعلاً الشخص الذي ظهر في صور كاميرات فرانز بالدر، وأنّ ثمّة أمل، ولو ضئيل، في توقيفه، وجب إخبار الشرطة. هكذا ركّب رقم بابلانسكي الهاتفي.

صادف صعوبة جمّة في إقناعه، بل وجد صعوبة حتّى في إقناع نفسه، لكنّه كان يحظى لدى المفتش بثقة كبيرة لا يبدو أنّ سلوكه المراوغ في الآونة الأخرة زعزعها. ووعده بابلانسكي بإيفاد فرقة من الشرطة إلى عين المكان.

- ماذا يفعل في ذلك الحي؟

- لست أدري، لكن الأمر في نظري بحاجة إلى تعميق البحث فيه.

- هذا ما أظنّه أنا أيضاً.

- أتمنّى لك حظّاً سعيداً إذاً.

فأضاف بابلانسكي بنبرة لا تخلو من عتاب:

- إنّه لَمِنَ المقلق ألّا يظهر لأوغست بالدر أثر حتّى هذه اللحظة.

فأجاب مايكل:

- إنّه لمن المقلق أيضاً أنّ مصدر التسريب منكم.

- ينبغي أن تعلم أنّنا عرفنا مصدر التسريب.

- صحيح؟ هذا أمر رائع.

- أخشى ألا يكون الأمر بالروعة التي تعتقد. مبدئياً، قد تكون ثمّة تسريبات متعدّدة، معظمها بلا أهميّة لحسن الحظ باستثناء التسريب الأخير...

- وأنتم منهمكون في البحث عنه إذاً.

- نقوم بكل ما نستطيع، لكنّنا بدأنا نشتبه في...

- من؟
- لا أحد. . .
- حسناً، لستَ ملزماً بإخباري.
- إنّنا نعيش في عالم موبوء يا مايكل.
- أتظنّ ذلك؟
- «نعيش في عالمٍ المُصابُ فيه بالهوس القهري هو أرجح الناس عقلاً».
- ربّما يكون هذا صحيحاً. عمتَ مساء يا بابلانسكي.
- طاب مساؤك يا مايكل، وتجنّب الحماقات.
- سأحاول.

عبر مايكل رينغفاغن، ونزل إلى محطة الميترو. استقلّ الخطّ الأحمر باتجاه نورسبورغ حتّى بلغ ليليهولمن حيث يقطن هولجر بالمغرين منذ بضع سنوات بشقّة صغيرة عصرية، مهيّأة بحسب حاجيات الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة. وقد شعر هولجر بالقلق أوّل ما سمع صوت مايكل في الهاتف. لكنّه سارع إلى طمأنته على ليزبث -فتمنى بالمغرين ألّا يكون كذب عليه بهذا الخصوص- وعاد إلى الترحيب به كعادته.

هولجر بالمغرين محامٍ متقاعد كان لفترة طويلة وصيّاً على ليزبث، منذ أن أوْدِعَت وهي في الثالثة عشرة من عمرها مستشفى سانكت ستيفان للأمراض العقلية في أوبسالا. أما اليوم فهو رجل مسنّ. وقد تعرّض مرتين على الأقل لسكتة دماغية، فصار لا يستطيع التنقل إلّا باستعمال عكازات حين يكون حاله على ما يرام.

لم يكن يستطيع تحريك الجانب الأيسر من وجهه، كما أنّ يده

اليسرى مشلولة تقريباً، لكنّ تفكيره كان على قدر كبير من الصفاء، ويتمتّع بذاكرة استثنائية، على الأقل فيما يتعلق بالذكريات البعيدة، وكلّ ما يتعلّق بليزبث سالاندر. ولم يكن أحد يعرف ليزبث مثلما يعرفها هو.

لقد نجح هولجر بالمغرين حيث أخفق كلّ الأطباء والمحللين النفسانيين، أو استسلموا. فبعد طفولة قاسية، تعلّمت منها ليزبث الاحتراس من الراشدين وكلّ مَن يمثلون السلطة، عرف هولجر بالمغرين كيف يخترق القوقعة ويدفعها إلى الكلام. وقد كان مايكل يعتبر هذا بمثابة معجزة صغيرة، ذلك أنّها باحت له بالجانب الأكثر إيلاماً من طفولتها، وهذا هو سرّ لجوء مايكل إليه.

ركّب أرقام مفتاح عمارة 96، واستقلّ المصعد إلى الطابق الرابع، ثمّ ضغط على الجرس.

وجاءه صوت هولجر من الداخل:

- صديقي العزيز، أنا سعيد برؤيتك. ولكنّك تبدو متعباً.

- لم أنَمْ جيداً.

- لا غرابة في ذلك، لا سيما حين يُرمى المرء بالرصاص. لقد قرأتُ هذا في الصحف. يا لها من واقعة رهيبة.

- هذا أقل ما يمكن أن يُقال عنها.

- هل من جديد؟

فقال مايكل وهو يجلس على مقعد وثير أصفر قرب الشرفة:

- سأحكي لك.

ثمّ انتظر أن يجلس هولجر بصعوبة بجانبه على مقعده المتحرّك.

حكى له مايكل مُجمَل الحكاية، لكنّه لمّا بلغ إلى ذلك الشعور الغامض الذي اجتاحه في شارع بلمانسغاتن، قاطعه هولجر قائلاً:

- ماذا قلت؟

- أظنّها كاميلا.
فبدا الرعب على ملامح هولجر:
- كاميلا؟
- هي بلحمها ودمها.
فقال هولجر:
- يا إلهي! ماذا جرى؟
- منذ أن اختفت ودماغي يغلي.
- فهمت! كنت أظنّ أن كاميلا اختفت إلى الأبد.
- أمّا أنا فكدت أنسى أنّهما كانتا اثنتين.
- كانتا فعلاً اثنتين، توأمين، لكنّ الكراهية استحكمت بينهما.
فاستطرد مايكل يقول:
- أعرف، لكنّني لم أربط بينهما على الفور. كنت أتساءل عن سبب تدخّل ليزبث في هذه الحكاية. لماذا اهتمّت، وهي القرصانة الماهرة السابقة، باختراق إلكتروني بسيط.
- وجئتَ تستنجد بي لكي تفهم؟!
- تقريباً.
فأجابه هولجر:
- حسناً. أنت تعرف بداية القصة، أليس كذلك؟ كانت أمّها، أنيتا سالاندر أمينة صندوق بكونسوم زينكن، وكانت تعيش وحيدة مع ابنتيها في لونداغاتن. كان من الممكن أن تعشن حياة سعيدة: كنّ بحاجة إلى المال، ذلك أنّ أنيتا كانت شابّة، ولم تُتح لها الفرصة للدراسة، لكنّها كانت حنوناً وشديدة العناية بابنتيها. كانت تسعى لأن تعيش ابنتاها حياة سعيدة، لولا أن...
- الأب كان يزورهما أحياناً.
- نعم، وكانت زيارات ألكسندر زالاشنكو تنتهي دائماً تقريباً على

المنوال نفسه. كان يغتصب أنيتا ويعنّفها على مسمع من الطفلتين اللتين كانتا تلوذان بالغرفة المجاورة، ثمّ عثرت ليزبث ذات يوم على أمّها مطروحة أرضاً مغمى عليها.

- وكانت هذه هي المرّة الأولى التي تنتقم فيها.

- المرّة الثانية. في المرّة الأولى غرست سكيناً في كتف زالاشنكو.

- نعم، لكنّها في هذه المرّة رمت علبة حليب مليئة بالبنزين داخل سيارته، وأشعلت النار.

- تماماً. واشتعلت النار في زالاشنكو اشتعالها في الهشيم، وقد نجا منها، لكن بحروق خطيرة ورجل مبتورة. أما ليزبث فأودِعَت بمصحة للأمراض العقلية خاصة بالأطفال.

- في حين وجدت الأمّ نفسها بدار للرعاية الصحية في أبيلفيكن.

- وهذا ما آلم ليزبث كثيراً. ذلك أنّ أمّها لم تكن تتجاوز التاسعة والعشرين من عمرها. وقد قضت في هذه المؤسسة أربع عشرة سنة، عانت فيها من آلام شديدة بعد إصابتها بنزيف دماغي متكرّر. صارت عاجزة عن التواصل مع محيطها، وكانت ليزبث تزورها كلّما سمحت لها الفرصة بذلك، وأنا أعلم أنّها كانت تحلم بشفائها يوماً، والقدرة على التحدّث إليها من جديد بحيث تعتني إحداهما بالأخرى. لكنّ هذا الحلم تبدّد إلى الأبد. وإذا كان ثمّة شيء يمكن أن يفسّر ذلك الجانب القاتم في شخصية ليزبث، فلا بدّ أن يكون هذا. فقد شهدت أمّها تخبو وتموت رويداً رويداً.

- أدرك أنّ الأمر في غاية الفظاعة. لكنّني لم أفهم يوماً موقع كاميلا في هذه الحكاية.

- الأمر في غاية التعقيد، وأظنّ أنّ على المرء أن يكون متسامحاً

مع هذه الفتاة المسكينة. لم تكن هي أيضاً غير طفلة، وحتّى قبل أن تعي الأمر، صارت بيدقاً في هذه اللعبة القذرة.

- ماذا جرى؟

- لنقل إنّ كلاً منهما اختارت المعسكر المعادي للأخرى. رغم أنّهما توأمان، لم يكن بينهما شبَهٌ على الإطلاق، إنْ على مستوى الخِلقة أو الطباع. فقد ولدت ليزبث الأولى، ثمّ تلتها كاميلا بعد عشرين دقيقة. ويبدو أنّها كانت لافتة للانتباه منذ نعومة أظافرها. فبينما كانت ليزبث شرسة، حادّة الطبع، كانت كاميلا تحظى بإعجاب كلّ من يراها: «يا لها من طفلة صغيرة رائعة!» فلا غرابة إذاً إن عامَلَها زالاشنكو منذ البداية بنوع من التسامح. قلت التسامح لأنّ الأمر لم يكن يتجاوز ذلك في السنوات الأولى. ولم تكن أنيتا في نظره غير عاهرة، ومن ثمّة لا تعدو ابنتاها أن تكونا مجرّد لقيطتين، حشرتين مزعجتين، ومع ذلك...

- ماذا؟

- تنبّه زالاشنكو مع ذلك إلى أنّ إحدى البنتين كانت باهرة الجمال. وتقول ليزبث أحياناً إنّ غلطة جينية وقعت في أسرتها. وإذا كانت التحاليل غير مشكوك فيها من الناحية الطبية، فينبغي التسليم بأنّ زالا ترك خلفه طفلتين على طرفي نقيض. التقيتَ رونالد، أخ ليزبث غير الشقيق، أليس كذلك؟ عملاق أشقر أصيب منذ ولادته بمرض عدم الإحساس بالألم، جسّد في نظر أبيه القاتل المثالي. أما كاميلا... فاكتفت الغلطة الجينية بأن وهبتها جمالاً استثنائياً. يتساءل كلّ من رآها من أين جاءت. وهو أمر استفحل مع مرور السنين. أقول استفحل لأنّني مقتنع أنّ ذلك كان أشبه بلعنة. وقد تعمّق الفرق بينهما إلى حدّ أنّ ليزبث صارت دائمة الغضب، وصار الراشدون يتجهّمون لمّا يرونها. ثمّ اكتشفوا كاميلا، ففتنتهم. هل تتخيّل وَقْعَ ذلك عليها؟

- لا بدّ أن ذلك كان قاسياً.

- كلا، لا أقصد ليزبث. لا أظنّ أنّني لاحظت عليها شيئاً من قبيل الحسد أو الغيرة. لو اقتصر الأمر على مسألة الجمال، لكانت غفرت لأختها. كلا، أعني كاميلا. هل تتصوّر أثر أن تسمع طول الوقت منذ صغرها أنّها رائعة وجميلة؟

- سيُصيبها بالجنون.

- أعطاها ذلك شعوراً بالسلطة. لمّا تبتسم، تشيع البهجة، ولمّا تفارقها البسمة، يشعر المحيطون بها بالنبذ، ويصيرون من ثمّة على استعداد لفعل أيّ شيء من أجل أن يتألّق محيّاها من جديد. وسرعان ما تعلّمت كيف تستغلّ ذلك. صارت سيّدة الفتنة بعينيها الشبيهتين بعينَي ظبية.

- أما زالت كذلك؟

- تستطيع كاميلا بحسب ليزبث أن تقضي ساعات طوال أمام المرآة في ترويض نظرات عينيها. وقد جعلت منهما سلاحاً فتاكاً قادراً على سلب المرء لبّه وإقصائه في الآن ذاته، وعلى إشعار الأطفال والراشدين على حدّ سواء بأنّها بمقدار ما تقرّبهم إليها يوماً قد تُبعدهم في اليوم الموالي. وقد حوّلتها هذه الموهبة البغيضة بسرعة، كما لا يخفى عليك، إلى شخصية شعبية في المدرسة. كلّ التلاميذ والتلميذات كانوا يسعون إلى صداقتها، وهو ما لم تتوانَ في استغلاله. كانت تفرض على رفاقها في الصف أن يقدّموا لها هدايا كلّ يوم: كريات وحلويات ونقوداً وحليّاً ولآلئ. ومَن لا يمتثلون لرغباتها تقاطعهم ولا تنظر إليهم. وقد كان رفاقها في الصفّ يبذلون كلّ ما في وسعهم لكي ترضى عليهم ولا تلفظهم. كانوا كلّهم يركعون عند قدميها باستثناء واحدة بالطبع.

- أختها.

- تماماً. هكذا راحت كاميلا تؤلب الآخرين على ليزبث وتحرّضهم عليها، فكان الصبيان يغطّسون رأسها في المراحيض، وينعتونها بالشريرة والشوهاء وغيرها من الشتائم المقذعة إلى أن اكتشفوا حقيقتها. وهذه حكاية أخرى، أظنّك تعرفها.

- لم تكن ليزبث من النوع الذي يستسلم بسهولة ويخضع.

- بالضبط. لكن المهم في هذه القصة، من الوجهة السيكولوجية الخالصة، هو أنّ كاميلا تعوّدت على التحكّم في مَن يحيطون بها. تعلّمت كيف تسيطر على الجميع باستثناء شخصين مهمّين في حياتها: ليزبث ووالدها، وهو أمر كان يرهقها. كانت تستنفد طاقة كبيرة في هذه المعارك التي تتطلّب استراتيجيات متباينة بحسب الحالات. وسرعان ما أدركت أنّها لن تستطيع أبداً استدراج ليزبث إلى معسكرها، وأظنّها اقتنعت بأنّ الأمر لا يستحق كلّ ذلك العناء. فليزبث في نظرها لم تكن غير صبيّة غريبة عصيّة. أمّا الأب بالمقابل...

- كان قاسياً حتّى النخاع.

- نعم، كان قاسياً، لكنّه كان أيضاً عنصر القوة في الأسرة. القطب الذي يدور حوله الجميع رغم غيابه المستمرّ. يمكن القول إنّ الأب المتغيّب باستمرار عن العائلة يتّخذ في الغالب صورة أسطورية إلى حدّ ما في عيون الطفل الذي ينتظره. والأمر كان كذلك في هذه الحالة.

- ماذا تقصد؟

- كانت كاميلا وزالاشنكو يشكّلان تركيبة بغيضة. شيء واحد كان يشغل بالها آنذاك، من دون أن تكون واعية به، وهو السلطة. والسلطة هي التي لم تكن تعوز أباها، وهو أمر يمكن أن يشهد به عدد كبير من الناس، بمن فيهم رجال السابو المساكين. ورغم أنّه حاول أن يضع لها قواعد، فإنها كانت ما إن تجد نفسها أمامه، حتى تتحوّل إلى

حمَل مرعوب. كانت تلفّه هالة مؤذية، يضخّمها وضعُه كشخص فوق الجميع، لا يعرف العقاب إليه طريقاً. فرغم ما قُدِّم ضدّه من شكايات، كانت السابو تستميت في حمايته. وهو أمر أدركته ليزبث، واقتنعت بأنّ عليها أن تأخذ بزمام الأمر. أما بالنسبة إلى كاميلا، فكان الأمر مختلفاً.

- كانت تتوق إلى أن تصير مثله.

- نعم، حسبما أظن. كان هو مثالها، وكانت ترغب في أن تكون بقوّته نفسها، وأن تصير هي فوق العقاب أيضاً. لكنّها كانت تريد، أكثر من ذلك، أن يراها، وأن يعترف بأنّها ابنة جديرة به.

- مع أنّها كانت شاهدة على سوء معاملته لأمّها.

- كانت تعرف ذلك بالطبع. لكنّها انحازت له، لجانب القوة والسلطة. أعلنت وهي لا تزال صغيرة بأنّها تكره الضعفاء.

- أكانت تكره أمّها أيضاً؟

- أظنّها كانت تكرهها. حكت لي ليزبث يوماً شيئاً لم أستطِعْ نسيانه أبداً.

- ما هو؟

- لم أحكِهِ لأحد قطّ.

- وحان أوان أن تحكيه، أليس كذلك؟

- ربّما. لكن قبل أن أحكيه لك، أنا بحاجة إلى مشروب. ما رأيك في كأس كونياك؟

- فكرة جيّدة. ابقَ في مكانك، سأجلب الزجاجة والكؤوس.

وتوجّه مايكل إلى البار المصنوع من الأكاجو، الموجود عند مدخل المطبخ.

وبينما كان يتفحّص الزجاجات رنّ هاتفه، ولاح له اسم أندري

زاندر على الشاشة، لكنّه لمّا فتح الخط، لم يُجِبه أحد. فقال في نفسه وقد تشوّش باله، لعلّه لمس الهاتف في جيبه عن غير قصد. وملأ كأسين من الكونياك وعاد للجلوس بجانب هولجر بالمغرين.

- هيّا، احكِ.

- لا أعرف من أين أبدأ. حسبما فهمت كانت كاميلا وليزبث ذات يوم جميل محبوستين في غرفتهما.

23

مساء الثالث والعشرين من نوفمبر

تسمّر أوغست في مكانه من جديد، ولم يعُدْ قادراً على الجواب. تضخّمت الأرقام، وعوض أن يتناول قلماً، شدّ قبضتي يديه بقوة حتى ابيضّ ظَهرُ راحتيه، وشرع يضرب رأسه إلى المائدة.

حاولت ليزبث تهدئته وحرصت على ألّا يؤذي نفسه، لكنّها لم تعُد تعي حقّاً ما كان يجري. فكّرت في ملفّها المرموز، واضطرّت إلى التسليم بأنّها لن تتقدّم إذا استمرّت بهذه الكيفية. وهو أمر لا غرابة فيه. فلِمَ يُطلب من أوغست أن ينجح حيث أخفقت أكثر الحواسيب تطوّراً؟ فما قام به مدهش حقّاً، لكنّه غذّى لديها آمالاً بلهاء. وخرجت إلى الشرفة حيث يخيّم الظلام وقد تملّكتها الخيبة، وراحت تتأمّل المنظر الطبيعي المتوحّش. فأسفل المنحدر الشديد، يمتدّ الشاطئ وحقل مكسوّ بالثلج تتوسّطه قاعة حفلات مهجورة.

من المؤكد أنّ المكان يكون حاشداً في الأيام الجميلة، أمّا الآن فهو مقفر، لا أثر فيه للحياة. أُخرجت المراكب من الماء، والمساكن في الجانب الآخر من الخليج معتِمَة لا ضوء فيها. وبدأت الريح تعصف من جديد. إنّه مكان أعجَبَ ليزبث. فهو مَخْبأٌ رائع في هذه الفترة من السنة على كلّ حال.

بالمقابل، إن قَدِمَ أحد لزيارتها، فلن تسمع هدير سيارته. ذلك أنّ

موقف السيارات الوحيد موجود في الأسفل، قرب الشاطئ، ولبلوغ المنزل، يلزم ارتقاء السلم الخشبي المحاذي للمنحدر. وبذلك من المحتمل مباغتتها، لا سيما مع الظلام الدامس. لكنّها قالت في نفسها مع ذلك إنّها تستطيع النوم هذه الليلة، وما أحوَجها إليه. كان الجرح ما زال يؤلمها، وهي تشعر بالضعف. ولعلّ هذا هو ما جعل الخيبة تستبدّ بها.

على أنّها حين عادت إلى البيت، أدركت فجأة السبب الحقيقي لتكدّرها.

استطرد هولجر بالمغرين قائلاً:

– في الأوقات العادية لم تكن ليزبث من النوع الذي يهتمّ بالجوّ في الخارج أو بما يجري من حولها. كانت عينها تهمل كلّ ما ليس جوهرياً. لكنّها أشارت هذه المرّة إلى أنّ الشمس كانت ساطعة على لونداغاتن وعلى حديقة سكينارفيك. كانت تسمع ضحكات الأطفال. لعلّها قصدت من هذا إبراز سعادة الناس في الجانب الآخر من النافذة، وإظهار المفارقة. كان الناس العاديون يتناولون المثلّجات ويلعبون بطائرات الورق أو بالكرة. بالمقابل كانت كاميلا وليزبث محبوستين في غرفتهما تسمعان أباهما يغتصب أمّهما ويعتدي عليها. أظنّ أنّ هذا المشهد يعود إلى الفترة الواقعة قُبيل انتقام ليزبث من زالاشنكو، عدا أنّني لا أتوفر على معطيات كرونولوجية دقيقة. ذلك أنّ الاغتصاب كان يتّبع المنحى نفسه. يحلّ زالا بالمنزل ثملاً بعد الظهر أو في المساء، ويعرّج أحياناً على كاميلا ليداعب شعرها ويقول لها أشياء من قبيل: «كيف لطفلة جميلة مثلك أن تكون لها أخت بهذا القدر من البشاعة؟» ثمّ يغلق باب الغرفة على البنتين، ويتوجّه إلى المطبخ ليواصل الشرب.

يجلس هناك بصمت وهو يحتسي الفودكا الخالصة، ويتمطّق بلسانه كحيوان جائع. ثمّ يغمغم بعبارة من قبيل: «كيف حال عاهرتي الصغيرة اليوم؟» متظاهراً بالحنان. ويترقّب أن ترتكب أنيتا خطأ من الأخطاء، أو بالأحرى يقدّر هو أنّها ارتكبته، فينهال عليها بالضرب مردّداً: «كنت أظنّ أن عاهرتي ستكون وديعة هذا اليوم». ثمّ يحاصرها في غرفة النوم، ويكيل لها اللكمات. كانت تعرف بالسمع أيّ نوع من الضربات تتلقّى أمّها، وفي أيّ مكان من جسدها. ثمّ يأتي دور الرّكل. كان يضربها إلى الجدار وهو يصرخ: «يا فاجرة!»، «أيتها الزانية!» وما إلى ذلك. كان منظرها وهي تتألم يزيده إثارة. فلمّا يتورّم جسدها وينزف، يعمد إلى اغتصابها وهو يهتف بفظاعات أدهى. ثمّ يخيّم الصمت من جديد بحيث لا يُسمَع شيء سوى نحيب أنيتا المخنوق وأنفاس الأب المتثاقلة. بعد ذلك كان يقوم ويشرب كأساً وهو يشتم ويبصق على الأرض. وأحياناً يفتح باب غرفة الطفلتين، ويقول لهما إنّ أمّهما «عادت إلى وداعتها»، ثمّ ينصرف بعد أن يصفق الباب. هكذا كانت تجري الأمور في العادة. لكن في ذلك اليوم، وقع شيء لم يكن في الحسبان.

- كيف؟

كانت غرفة البنتين صغيرة. ورغم أنّهما حاولتا أن تظلا متباعدتين، فإنّ سريريهما كانا ملتصقين تقريباً. وخلال هذه المشاهد المريعة، كانتا تجلسان على سريريهما متقابلتين. نادراً ما كانتا تتحدّثان، وتتلافيان أن تلتقي نظراتهما. كانت ليزبث في ذلك اليوم تحدّق في النافذة المطلّة على لونداغاتن، حيث تسطع شمس صيفية رائعة، وحيث يلعب الأطفال في الخارج. لكنّها التفتت إلى أختها في لحظة من اللحظات، وعندئذٍ رأتها...

- ماذا رأت؟

- يد أختها اليمنى تضرب السرير بإلحاح. لا بدّ أنّها نوبة عصبية. هذا ما فهمته ليزبث في البداية، ثمّ لاحظت بأنّ ضربات اليد تتّبع إيقاع صوت الضربات الآتية من غرفة النوم، فنظرت إلى وجه كاميلا: كانت عيناها تلتمعان من الإثارة. لم تصدّق في البداية، لكنّها صدّقت في الأخير: كانت كاميلا تبتسم، وتمثّلت لها في صورة زالا بلحمه ودمه. تنبّهت ليزبث في هذا اليوم إلى أنّ كاميلا لم تكن تسعى لاسترضاء أبيها، ومحاكاة أساليبه فحسب، بل كانت تؤيده وتصفق لكلّ ضربة يوجِّهها لأمّهما.

- هذا جنون.

- وهل تعرف ماذا فعلت ليزبث؟

- ماذا فعلت؟

- ظلّت هادئة. جلست بجانب كاميلا ثمّ تناولت يدها بحنان. أظنّ أنّ كاميلا لم تكن مدركة لما يحصل. لعلّها ظنّت أنّ أختها تبحث عن المواساة والحنان. شمّرت ليزبث كُمّ قميص كاميلا و...

- ماذا؟

- أنشبت أظافرها في معصم أختها وكشطته حتّى بلغت العظم. فار الدم على السرير، وسحبت ليزبث كاميلا على الأرض وأقسمت أن تقتلها وتقتله هو أيضاً إن لم يكفّ عن تعنيف أمّها. أصيبت كاميلا بجرح مريع، كما لو أن نمراً خدشها.

- يا للهول!

- لعلّك تتخيّل الآن هول الكراهيّة المستحكمة بين الأختين. خشيت أنيتا والمصالح الاجتماعية وقوع شيء خطير، فعمدوا من ثمّة إلى الفصل بينهما. عثروا لكاميلا على أسرة تأويها مؤقّتاً، لكن ذلك لم يكُن كافياً على كلّ حال. كان من المتوقّع أن ينشب الصراع بينهما في أيّ لحظة. أصيبت أنيتا بتلف في الدماغ، واحترق زالاشنكو بينما

أودعت ليزبث مشفى للأمراض العقلية. أظنّ أنّ الأختين لم تلتقيا إلّا مرّة واحدة بعد سنوات، وكاد يحدث ما لا تحمد عقباه، لكنّني لا أعرف مزيداً من التفاصيل. آخر ما بلغني عن كاميلا هو أنّها أقامت لدى أسرة بأوبسالا تُدعى دالغرين. أستطيع أن أعثر لك على رقم هاتفهم إن شئت. لكن كاميلا تركت البلاد وهي في الثامنة أو التاسعة عشرة، وانقطعت أخبارها. هذا هو سبب اندهاشي لمّا قلت لي إنّك التقيتها. فحتّى ليزبث الموهوبة في تقفي آثار الناس، لم تنجح في العثور عليها.

- حاولت إذاً؟

- نعم، في حدود علمي تعود آخر محاولة لها إلى لحظة تقسيم تركة الأب.

- لا علمَ لي بهذا.

- لمّحت ليزبث إلى ذلك ذات مرّة في معرض حديث دار بيننا. لم تكن ترغب بالطبع في الحصول على ملّيم واحد من الإرث. إنّه مال ملطّخ بالدم. لكنّها سرعان ما تنبّهت إلى أنّ في الأمر شيئاً لا يستقيم. ذلك أنّ التركة كانت تقدّر بمبلغ أربعة ملايين كرونة فضلاً عن ضيعة في غوسبيرغا، ومجموعة أملاك عقارية، ومحلّ صناعي متداع بنورتالي، ومنزل خشبي. تركةٌ لا بأس بها، لكن...

- لعلّها أكبر من ذلك بكثير.

- نعم. تعلم ليزبث أكثر من أيّ كان أنّه كان يدير إمبراطورية إجرامية. ومن ثمّة فأربعة ملايين لا تعدو أن تكون مصروف جيب بالمقارنة مع حجم الثروة الحقيقي.

- فارتابت إذاً في أن تكون كاميلا ورثت التركة الحقيقية.

- أظنّ أنّ هذا ما سعت إلى معرفته. أرهقتها فكرة أن تستمرّ ثروة أبيها في نشر الشرّ بعد وفاته. لكن بحوثها الطويلة لم تُسفر عن شيء.

- لا بدّ أنّ كاميلا نجحت في إخفاء هويّتها.

- نعم، فيما أظن.

- هل تعتقد أنّ كاميلا خلفت أباها في أنشطته؟

- ربّما، لكنّها استطاعت أن تقتحم شيئاً جديداً تماماً.

- مثل ماذا؟

أغلق هولجر بالمغرين عينيه ورشف جرعة كبيرة من الكونياك.

- لا علم لي يا مايكل. لكنّها لمّا حدّثتني عن فرانز بالدر، خطرت ببالي فكرة. هل تساءلتَ لحظة كيف صارت ليزبث ماهرة في استعمال الحواسيب؟ هل تعرف كيف بدأ كلّ ذلك؟

- إطلاقاً.

- سأخبرك. هذا هو مفتاح حكايتك فيما أظنّ.

ما تنبّهت إليه ليزبث لمّا عادت من الشرفة ورأت أوغست ملتوياً في وضع غريب، متجمّداً أمام مائدة المطبخ، هو أنّه يذكّرها بطفولتها.

هذا ما كانت تشعر به بالضبط لمّا كانت في لونداغاتن إلى أن حلّ اليوم الذي أدركت فيه أنّ عليها أن تكبر بسرعة لكي تنتقم من أبيها. وهو ما نكّد حياتها. ما كان ينبغي لطفلة في سنّها أن تتحمّل عبئاً ثقيلاً كهذا. لكن الوعي بهذا الأمر كان إيذاناً ببداية حياة أفضل. لا يمكن أن يوجد سافل يستطيع القيام بما قام به زالاشنكو وقتلة فرانز بالدر من دون أن يتلقّوا جزاءهم. لن تدع أناساً بمثل وحشيتهم يفلتوا. اقتربت إذاً من أوغست وقالت له بنبرة مهيبة، كما لو أنّها تُصدر أمراً صارماً:

- ينبغي الآن أن تأوي إلى فراشك وتنام، وحين تستيقظ سترسم قاتل أبيك. أفهمت؟

فهزّ الطفل رأسه موافقاً ثمّ توجّه إلى الغرفة بخطى متثاقلة، بينما

فتحت هي حاسوبها المحمول وشرعت في البحث عن الممثل لاس ويستمان وأصدقائه.

واسترسل هولجر بالمغرين:

- لا أظن أن زالاشنكو كان يهتمّ بالحواسيب. فهو ينتمي إلى الجيل القديم. لكن نطاق نشاطه الشنيع اتّسع بحيث صار بحاجة إلى جمع كثير من المعطيات عن الحاسوب، والحفاظ على بياناته المحاسباتية بعيداً عن متناول شركائه. هكذا عاد يوماً حاملاً حاسوباً من نوع IBM وضعه على المكتب بجانب النافذة. لا أظنّ أنّ أحداً في المنزل كان قد رأى حاسوباً. وهو أمر على قدر كبير من الخطورة من الناحية البيداغوجية: كان إغراؤه شديداً.

- كلّ محظور مرغوب.

- كانت ليزبث حينئذٍ في الحادية عشرة من عمرها، قبل أن تكشط معصم كاميلا وقبل أن تهاجم أباها بالسكين ووعاء البنزين. لنقُل قبيل أن تصير ليزبث التي نعرفها اليوم. راحت تفكّر في أفضل طريقة تقضي بها على زالاشنكو، وكانت أيضاً فتاة تفتقر للتحفيز. لم يكن لها أصدقاء، وهو أمر لا يعود إلى حرص كاميلا على ألّا يقربها أحد في المدرسة فحسب، بل لأنّها كانت أيضاً مختلفة. لست أدري ما إذا كانت هي نفسها واعية بهذا الأمر: أنّها تملك موهبة فذّة، وهو أمر لم يكن مدرِّسوها وزملاؤها يدركونه بالتأكيد. ويتمثّل اختلافها فيما يلي: كانت تشعر بضجر قاتل في المدرسة، لأنّها كانت تجد كلّ الأنشطة والتمارين بالغة السهولة. تفهم الدرس بمجرّد إلقاء نظرة عليه، ومن ثمّة كانت تقضي معظم وقتها شاردة. وأظنّها عثرت على هوايات تناسب ذكاءها: كتُب رياضيات وأشياء من هذا القبيل. لكن الشعور بالضجر

لم يكن يفارقها. كانت تقضي وقتاً طويلاً في قراءة قصص مارفل كوميكس المصورة، التي تفوق مستواها، وكانت هذه القصص تؤدّي بلا شك وظيفة تكاد تكون علاجية.

- ماذا تقصد؟

- لا يروقني أن أقوم بتحليل نفسية ليزبث. لو سمِعَتني لغضبت منّي. هذه القصص حافلة بأبطال يصارعون أعداء في منتهى الشرّ، فيتغلبون عليهم، ويقتصون منهم بأنفسهم. لعلّها كانت كتباً تتلاءم مع وضعها النفسي. فهذه الحكايات بشخصياتها ومواقفها المسكوكة كانت تساعدها ربّما على الوعي بجملة من الأشياء.

- تعني أنّها كانت تدرك أنّ عليها أن تصبح هي أيضاً بطلة لمّا تكبر؟

- إلى حدّ ما. لم تكن تعرف حينئذٍ أنّ زالاشنكو كان جاسوساً روسياً في السابق، وأنّه يحظى بوضع متميّز في المجتمع السويدي. كما كانت تجهل بالطبع أنّه يملك شعبة خاصة في السابو كانت تحميه. لكنّها خمّنت، على غرار كاميلا، أنّه يتمتّع بنوع من الحصانة، بل إنّ رجلاً يرتدي معطفاً رمادياً طرَق باب البيت يوماً ولمّح إلى أنّ والدهم لن يصيبه مكروه. وفهمت ليزبث بسرعة أنّ التظلّم إلى الشرطة أو إلى المصالح الاجتماعية لن يُجدي نفعاً، ولن يوصِلَ إلى شيء، اللهم عودة أحد أولئك الرجال ذوي المعاطف الرمادية إلى البيت.

لم تكن ليزبث تعرف تاريخ أبيها، وما زالت لا تعرف شيئاً عن مصالح الاستخبارات وتدابير التخفّي، لكنّها كانت تعيش العجز داخل الأسرة، وكانت تعاني منه معاناة كبيرة. وأنت تعرف يا مايكل أنّ العجز يمكن أن يتحوّل إلى قوّة مدمّرة. فقبل أن تكبر ليزبث لتستطيع اتّخاذ التدابير الضرورية، كانت بحاجة إلى ملاذ، إلى فضاءات تستطيع أن تجدّد فيها طاقاتها. وكان عالم أبطال القصص المصوّرة جزءاً من

هذه الفضاءات. إنّ أبناء جيلي يميلون إلى الامتعاض من هذه الأشياء، أمّا أنا، فقد أسعفني الحظّ لأعرف بأنّ التخييل، قصصاً مصورة كان أم روايات، يمكن أن يكون له تأثير حاسم. وأنا أعلم أنّ ليزبث كانت معجبة ببطلة تُدعى جانيت فان دين.

- فان دين؟

- نعم. إذا أسعفتني الذاكرة هي فتاة اغتالت كائناتٌ فضائية أباها، العالِم الميسور. ولكي تنتقم، اتّصلت بأحد زملاء أبيها، وحصلت في مِخْبره على قدرات خارقة. حصلت على أجنحة، وعلى القدرة على تكبير حجمها أو تقليصه. تحوّلت إلى امرأة من نساء الجحيم، تلبس الأسود والأصفر مثل دبّور، ومن هنا استمدّت اسم واسب. امرأة حريّ بالمرء ألّا يتحرّش بها.

- من هنا جاء توقيعها إذاً!

- ليس التوقيع فحسب. لا أفقه شيئاً في كلّ هذا. فبالنسبة لي، أنا مَن ينتمي إلى زمن آخر، يسمّى شبح سلسلة كوميكس دائماً دراغوس، لكنّني لمّا رأيت صورة واسب لأوّل مرّة، اقشعرّ بدني، لأنني رأيت فيها ليزبث. وهي لم تتغيّر كثيراً. أظنّ أنّها وجدت جانباً من أسلوبها في هذه الشخصية، وإن كان الشَّبَه لا ينبغي أن يمضي بعيداً. فهذه ليست سوى شخصية قصص مصوّرة بينما كانت ليزبث تواجه عالماً حقيقياً. لكنّني أعرف أنّها فكّرت طويلاً في تحوّل جانيت فان دين إلى واسب. كانت تدرك بأنّ عليها هي أيضاً أن تتحوّل بطريقة جذرية: الانتقال من حالة طفلة ضحيّة إلى شخص قادر على الانتقام من جاسوس رفيع المستوى، رجل بلا شفقة.

كانت تلوك أفكارها ليل نهار، وخلال فترة انتقالية، صارت واسب شخصية أساسيّة، مصدر إلهام. وهو أمر تنبّهت له كاميلا: كانت قدرة هذه البنت على تشمّم مَواطِن ضعف الآخرين مرعبة. كانت

تعثر على النقط الحساسة بواسطة مجسّات، وتنفث سمّها، بل بحثت عن أعداء واسب في كلّ قصص السلسلة، وبدأت تتسمّى بأسمائهم، مثل تانوس وغيره من الأسماء.

فسأل مايكل مستغرباً:

- قلت تانوس؟

- نعم. شخصية ذكورية، قاتل يعشق الموت. تمثلت له الموت في صورة امرأة، فبذل كلّ ما في مستطاعه لكي يثبت لها أنّه جدير بها. وقد اختارت كاميلا هذا الاسم لاستفزاز ليزبث، بل أطلقت على جماعة أصدقائها سبايدر سوسايتي في إشارة إلى مجموعة في هذه السلسلة تعتبر نفسها العدو القاتل لسيسترهود أوف دي واسب.

فهتف مايكل وهو مستغرق في أفكاره:

- أحقّاً؟

- حكايات أطفال بطبيعة الحال، لكنّها لم تكن بالنسبة إليها بهذا القدر من البراءة. كانت المنافسة بين الأختين على أشدّها، وقد جاءت لعبة الأسماء هذه لتبلور هذه الكراهية المتبادلة، مثلما هو الأمر في حرب تُشحَن فيها الرموز المبالغ فيها برسائل مُفزعة.

- هل للأمر أهميّة الآن؟

- تقصد الأسماء؟

- نعم.

لم يكن مايكل نفسه يدري على وجه التحديد الهدف الذي يريد بلوغه. كلّ ما كان يشعر به هو أنّه عثر أخيراً على خيط يمكن أن يوصله إلى مبتغاه.

- لا أدري. هما راشدتان الآن، لكنّنا نتحدّث هنا عن مرحلة حاسمة من حياتهما. حتّى أبسط التفاصيل الصغيرة يمكن أن تتّخذ فيما بعد أبعاداً مميتة. فقد فقدت ليزبث أمّها ووجدت نفسها محبوسة في

مصحّة للأمراض العقلية، لكنّها ليست الوحيدة التي عانت. فحتّى حياة كاميلا تدمّرت. فقدت بيتها، والأب الذي كانت تهيم إعجاباً به أصيب بحروق بالغة. لم يعُد زالاشنكو قط إلى سابق عهده قبل أن تحرقه ليزبث. وأودعت كاميلا لدى إحدى الأسر بعيداً عن العالم الذي كانت تُعتبَر مركزه. ولا بدّ أنّ ذلك آلمها كثيراً. ولستُ أشكّ في أنّها حقدت على ليزبث أشدّ الحقد.

فقال مايكل:

- هذا شيء أكيد.

ورشف هولجر بالمغرين رشفة أخرى من كأسه.

- لا ينبغي الاستخفاف بهذه المرحلة من حياتهما، كما أسلفت. كانت الأختان تتحاربان، وكانتا تعلمان ولا شكّ بأنّ الوضعية كانت على وشك أن تنفجر، بل أظنّهما كانتا تستعدّان لذلك.

- لكن كلّ واحدة منهما بطريقتها.

- من هذه الناحية، نعم. كانت ليزبث تُبدي ذكاء فذّاً، وتعدّ خططاً جهنمية، لكنّها كانت وحيدة. أمّا كاميلا، فلم تكن في مستوى ذكاء أختها، على الأقل بالمعنى التقليدي. لم تُخلق للدراسة والتفكير المجرّد، لكنّها كانت تتقن المراوغة، ولم يكن يضاهيها أحد في سحر الناس واستغلالهم. ومن ثمّة لم تكن، بخلاف ليزبث، أبداً وحيدة. كانت تجد دائماً مَن يساعدها. وبعد أن اكتشفت أنّ أختها تملك كفاءات مخيفة، لم تحاول أبداً أن تتفوّق عليها، لأنّها كانت تعلم مقدّماً بأنّها ستخسر المعركة.

- وكيف كانت تتصرّف؟

- كانت تبحث عن شخص أو أشخاص يتقنون هذه الأشياء، وكانت تسخّرهم في الردّ. كانت تملك دائماً أصدقاء مستعدّين للقيام بأيّ شيء في سبيلها. لكن اعذرني، فأنا أستبق الأحداث.

- نعم، وماذا حصل مع حاسوب زالاشنكو؟

- كما قلت، فليزبث كانت تفتقر للتحفيز. كانت حالة أمّها الصحية تؤرقها، لا سيما أنّ أنيتا كانت تنزف كثيراً بعد الاغتصاب والضرب، ولم تكن تزور الطبيب. كانت تشعر بالخزي، وتعيش فترات من الاكتئاب الشديد. لم تعُد تملك الشجاعة للذهاب إلى العمل، ولا لرعاية طفلتيها. وهو ما كان يضاعف كراهية كاميلا لها. كانت تقول: «ماما ضعيفة»، وكان الضعف بالنسبة إليها أفظع عيب. بينما كانت ليزبث. . .

- ماذا؟

- كانت ترى الإنسان الوحيد الذي تحبُّه يتعرّض لظلم رهيب، وكانت تقضي لياليها مفكّرة. كانت لا تزال طفلة، لكنّ اقتناعها بأنّها هي الوحيدة التي تستطيع حماية أمّها كان يزيد يوماً عن يوم. وبينما كانت تفكّر في كلّ هذا ذات مساء، انتهى بها الأمر أن نهضت بهدوء، من دون أن توقظ كاميلا، لكي تُحضر كتاباً أو أي شيء آخر يساعدها على التخلص من أفكارها، فأبصرت الحاسوب قرب النافذة التي تشرف على مونداغاتن.

لم تكن قد تعلّمت كيفيّة تشغيل الحاسوب بعد، لكنّها تدبرت أمرها بسرعة. وشعرت بالإثارة تغمرها. توهّمت كما لو أنّ الحاسوب يهمس لها: «هلمّي لتكتشفي أسراري». في بادئ الأمر لم تمضِ بعيداً، كان يلزمها كلمة سرّ، فجربت كلمات عديدة من دون جدوى. كانوا يدعون أباها «زالا»، فجرّبت «زالا 666» وعدداً من التأليفات المماثلة. أظنّ أنهّا أمضت ليلتين أو ثلاثاً في البحث حتّى إنّها كانت تنام على المقعد داخل الفصل.

ثمّ تذكّرت ذات يوم جملة كان أبوها قد دوّنها على قطعة ورق بالمطبخ: *Was mich nicht umbringt, macht mich stärker* (ما لا

يقتلني يقوّيني). لم تفهم معناها، لكنّ شيئاً ما أوحى لها بأنّ هذه الجملة كانت مهمّة بالنسبة إليه، فجرّبتها، لكنّها كانت مؤلّفة من عدد كبير من الحروف، فجرّبت كتابة صاحب القولة، وهو نيتشه. عندئذٍ انفتح أمامها فجأة عالم سرّي. اعتبرت هذه اللحظة مرحلة حاسمة في حياتها. فقد كسّرت حاجزاً كان قد نُصب في وجهها، وصارت قادرة على اكتشاف ما كان يلزم أن يظلّ خفيّاً عنها. على أنّها...

- ماذا؟

- بدا لها كلّ هذا في أوّل الأمر مُلتبساً. كانت ثمّة لوائح بالروسية وكثير من الأرقام. أظنّها حسابات ترتبط بمختلف أنشطة زالاشنكو والمداخيل التي يحصّلها، لكنّني أجهل إلى اليوم ما فهمته ليزبث في ذلك الوقت بالمقارنة مع ما اكتشفت لاحقاً. على كلّ حال، أدركت أنّ أمّها لم تكن الضحيّة الوحيدة التي يؤذيها زالاشنكو، بل كان يدمّر حياة نساء كثيرات غيرها. وهذا جعلها تستشيط غضباً بطبيعة الحال. هذه هي لحظة ولادة ليزبث التي نعرفها اليوم، ليزبث التي تكره الرجال الذين...

- لا يحبّون النساء.

- تماماً. لكنّ هذا قوّاها أيضاً، وأقنعها بأنّه لا مجال للعودة إلى الوراء: ينبغي أن توقف أباها عند حدّه. ومنذئذٍ صارت تواظب على التحقيق كلّما واتتها الفرصة، حتى على حواسيب أخرى، بما فيها حواسيب المدرسة. كانت تتسلّل إلى مكاتب الأساتذة، وتزعم بأنّها ستبيت عند أحد أصدقائها الوهميين لتقضي الليل بالمدرسة تفتّش في الحواسيب إلى طلوع الفجر. وفي هذه الفترة طوّرت قدراتها في القرصنة والبرمجة. هكذا فتنها الحاسوب. شعرت بأنّها إنّما ولدت له، وسرعان ما لفتت انتباه بعض الناس في مجال الإلكترونيات. فالأمور تجري دائماً على هذا المنوال: الموهوبون القدامى ينقضّون على

المواهب الشابة لتشجيعها أو للقضاء عليها. واجهَت مقاوَمَة كبيرة لأنّها كانت تنجز الأشياء مقلوبة أو بطريقة جديدة. لكنّها عثرت أيضاً على أصدقائها الحقيقيين الأوائل، أناس معجبين بموهبتها من بينهم بلاك. وكانت هذه هي المرّة الأولى في حياتها التي أحسّت فيها بالحرية. لم يكن يعترضها شيء في العالم الافتراضي، تحلّق فيه مثل دبّور.

- وهل اكتشفت كاميلا بأنّ أختها تتمتّع بهذه الموهبة الفذّة؟

- ربّما استشعرت ذلك. ليس قصدي بناء نظريات فريدة، لكنّ كاميلا تبدو لي أحياناً كما لو أنّها تمثّل الجانب القاتم من ليزبث، شطرها المظلم.

- التوأم السيئ.

- تقريباً. لا أحبّ إدراج الناس في خانة الأشرار، ولا سيما الشابات. لم أملك قط الشجاعة لتعميق البحث في المسألة. إلا أنّك إن كنت ترغب في تعميق البحث في هذا الجانب، أنصحك بالاتصال بمارغريتا دالغرين، الأم التي ربَّت كاميلا بعد الوقائع الدرامية التي عاشتها في لونداغاتن. أظنّها تسكن بستوكهولم. وهي أرملة عاشت حياة مأسوية.

- لماذا؟

- هذا مهمّ أيضاً. فزوجها كيل، الذي كان يعمل مبرمجاً لدى إريكسون، فُقِد مباشرة قبيل أن تتركهما كاميلا. وبعد سنة من ذلك، انتحرت ابنتهما البالغة من العمر تسع عشرة سنة، إذ ألقت بنفسها من مَرْكب بين السويد وفنلندا، أو هذا ما توصّل إليه تحقيق الشرطة على الأقلّ. كانت تعيش مشاكل شخصيّة، وتشعر بالانزعاج لأنّها كانت بدينة وغير جميلة... لكنّ مارغريتا لم تصدّق يوماً فرضية الانتحار هذه. لذلك استعانت بمحقّق خاص ليتحرّى الموضوع. وتعلّقت مارغريتا بكاميلا، وإن كان ينبغي أن أعترف، حتّى وإن لم أكن فخوراً

بذلك، بأنّها ضايقتني. اتّصلت بي بعد نشر مقالتك حول قصة زالاشنكو. كنت قد غادرتُ من توّي مركز إيرستا للترويض، وكنت أشعر بتعب جسدي ونفسي، فلاحقتني. كانت مهووسة، وكان مجرّد رؤية رقمها على شاشة هاتفي ترهقني. وقضيت فترة طويلة وأنا أتفادى الردّ على مكالماتها. وحين أفكّر في ذلك مجدّداً، أفهمها، وأظنّ أنّها ستسر بالحديث إليك يا مايكل.

- هل لديك عنوانها؟

- سأبحث عنه. لكن قلْ لي أوّلاً: هل أنت متأكّد من أن ليزبث والطفل في مكان آمن؟

- نعم.

ثمّ قال في نفسه: **آمل ذلك**، ثمّ نهض وانحنى على هولجر لكي يضمّه بين ذراعيه.

هزّته العاصفة من جديد لمّا خرج إلى ساحة ليليهولمن، فأغلق معطفه وفكّر في كاميلا وليزبث وأندري زاندر.

وقرّر أن يهاتفه ليعرف مستجدّات تحقيقه حول بائع اللوحات الفنية المختفي، لكن أندري لم يكن يجيب.

24

مساء الثالث والعشرين من نوفمبر

كان أندري زاندر قد هاتَفَ مايكل لأنّه غيّر رأيه، وكان يرغب في تناول زجاجة جعة معه بالطبع، وهو لا يفهم سبب رفضه. فقد كان مايكل بلومفيست مَثَله الأعلى، وبسبب هذا الإعجاب ارتمى في عالم الصحافة. لكنّه عندما ركّب رقمه، شعر بالضيق فجأة، ثمّ أغلق الخط. لعلّ مايكل وجد شيئاً أفضل يفعله. كان أندري يتجنّب دائماً إزعاج الناس، ولا سيما مايكل بلومفيست.

وعاد إلى عمله. أجهَدَ نفسه ليكتب شيئاً، لكن قريحته فترت. كان يعوزه الأسلوب. قضى ساعة وهو يحاول، لكن بلا جدوى، فقرّر أن يستريح قليلاً. رتّب مكتبه، وتأكّد من أنّ كلّ كلمة من كلمات الرابط المرموز مُسحت، إثر ذلك حيّا إميل غراندن، وهو الوحيد الذي ظلّ في المكتب إلى جانبه. كان إميل غراندن شخصاً عادياً، في السادسة والثلاثين من عمره، اشتغل في برنامج «الوقائع تتكلّم» الذي تبثّه القناة الرابعة، كما اشتغل في جريدة **سفينسكا مورغن بوستن**، وحصل في السنة السابقة على الجائزة الكبرى للصحافة. كان أندري يجده متبجّحاً ومتغطرساً، لا سيما في تعامله مع صحافيّ شاب مؤقّت مثله، لكنّه كان يحاول أن يكبت هذا الشعور.

قال أندري:

- سأخرج لحظة.

نظر إليه إميل كما لو كان يهمّ بأن يقول له شيئاً، لكنّه اكتفى في الأخير بأن قال بنبرة حذرة: «حسناً»، فأحسّ أندري بالمهانة. لم يستطع فهم مبعث هذا الشعور. ربّما بسبب الازدراء الذي يعامله به إميل.

من المؤكّد أنّ مبعثه ليس هو المقال حول بائع الأعمال الفنية. فلماذا واجه كلّ هذه الصعوبة في تحريره؟ أتكون رغبته في مساعدة مايكل في قضية بالدر هي التي جعلت كلّ ما عداها يبدو له ثانوياً؟ يا له من جبان. لماذا لم يسمح لمايكل بإلقاء نظرة على ما كُتب؟

لم يكن يضاهيه أحد في سرعة التحرير، ولا في مراجعة ما كتب غيره، وإزالة ما فيه من زوائد. ولكن لا بأس، سيلقي نظرة جديدة على الحكاية يوم غد، وسيعرض المقال على مايكل لكي يراجعه، مهما كانت رداءته. وأغلق أندري باب مكتب التحرير خلفه وتوجّه إلى المصعد، وما هي إلّا هنيهة حتّى جفل. كان ثمّة شيء يقع في السلم بالأسفل. لم يستطع أن يفهم ما هو في البداية. كان ثمّة شخص نحيل تطوّق عينيه هالتان سوداوان، يعاكس امرأة شابة جميلة. تجمّد أندري في مكانه. كان يجد دائماً عنتاً في التعامل مع العنف. فمنذ أن قُتل والداه بسراييفو، صار شديد الخوف، ويكره المواجهات. لكنّه قال في نفسه هذه المرّة إنّ كرامته على المحك. أن يهرب المرء للنجاة بنفسه أمر، لكن أن يترك هذه المرأة لمصيرها ويلوذ بالفرار، فأمر آخر مختلف تماماً. هكذا اندفع في السلم وهو يصرخ: «كُفَّ عنها، اتركها!»، وكانت تلك غلطة قاتلة.

أخرج الشخص النحيل سكيناً وغمغم بجمل إنجليزية متوعّدة، فشعر الصحافي الشاب برجليه ترتعشان، لكنّه استجمع ما بقي له من شجاعة وصرخ، كما لو أنّه يمثل في فيلم إثارة رديء:

- *Get lost! You will only make yourself miserable*(*).

حدّق كلّ منهما في الآخر لحظة، ثمّ انسحب الرجل مدحوراً على نحوٍ غير منتظر، تاركاً أندري والمرأة معاً. كانت هذه هي البداية، كما لو أنّ الأمر يتعلّق بفيلم.

شعرا معاً بالحرج، وبدت المرأة مشوّشة وخجلى. كانت تتحّدث بصوت خافت حتّى إنّ أندري لم يكن يسمع ما تقول، واضطرّ إلى الاقتراب منها، ومع ذلك كان يلزمه شيء من الوقت ليفهم ما وقع. الظاهر أنّها كانت متزوّجة من رجل بغيض انفصلت عنه، وهي الآن تعيش تحت هويّة مُستعارة، لكنّه عثر عليها وبعث لها هذا الشخص لإرعابها.

- هذه هي المرّة الثانية التي يعترضني فيها هذا الشخص هذا اليوم.

- ماذا تفعلين هنا؟

- حاولتُ الهرب، فاندفعت إلى داخل العمارة، لكنّه لاحقني.

- هذا مريع.

- لا أعرف كيف أشكرك.

- لا داعي لشكري.

ثمّ قالت:

- لقد ضقتُ ذرعاً بالرجال وقسوتهم.

فردّ على الفور:

- أنا لستُ من هذه الطينة.

لم يفاجئه لزوم المرأة الصمت واكتفاؤها بتحويل نظرها نحو السلم وقد بدا عليها الارتباك. وشعرَ هو بالخجل من إطرائه على

(*) اتركها وإلا فإنك ستندم!

نفسه. وفي اللحظة التي فكّر فيها بأنّه دمّر كل حظوظه، رفعت رأسها ووجّهت له ابتسامة محتشمة.

- لا أشك في ذلك. اسمي ليندا.

- وأنا أندري.

- تشرّفت بمعرفتك يا أندري، وأجدّد لك شكري.

- شكراً لكِ أنت.

- على ماذا؟

- لأنّك...

ولم يتمّم جملته. تسارعت دقات قلبه، وجفّ فمه، فألقى نظرة أسفل السلم.

- ماذا يا أندري؟

- هل ترغبين في أن أرافقك إلى بيتك؟

وندم على هذه الجملة أيضاً. يمكن أن تسيء تأويلها، لكن المرأة ابتسمت من جديد تلك الابتسامة الفاتنة الخجولة، وهمست بأنّ وجوده يُشعرها بالأمان، ثمّ خرجا إلى الشارع وتوجّها إلى سلوسن. حكت له بأنّها عاشت محتجزة في منزل واسع بديورسهولم. وقال لها بأنّه يتفهّم وضعها، وأنّه نشر سلسلة مقالات حول تعنيف النساء.

سألته:

- أأنت صحافي؟

- أشتغل في ميلينيوم.

- صحيح؟ أنا معجبة بهذه المجلّة.

فجازف قائلاً بخجل:

- أنجزتُ أعمالاً في غاية الأهمية.

- تماماً. قرأت منذ مدّة قصيرة مقالة رائعة حول عراقي من معطوبي الحرب كان يشتغل في غسل الأطباق في أحد المطاعم

الموجودة في وسط المدينة، وطُرد من عمله. فقدَ كلَّ شيء، لكنّه يملك اليوم سلسلة مطاعم. بكيت وأنا أقرأ هذه القصة. وقد كُتبت بأسلوب رائع. تعطي المرء الانطباع بأنّ العجلة يمكن أن تدور من جديد، وهذا بالنسبة إلى كلّ الناس.

- أنا مَن كتبت تلك المقالة.

- أتمزح؟ فقد وجدتها في منتهى الروعة.

نادراً ما كان أندري يصادف مَن يطري على عمله، ولا سيما من الغرباء. فحين يتحدّث الناس عن ميلينيوم، غالباً ما ينصرف ذهنهم إلى مايكل بلومفيست، وهو أمرٌ لم يكن يغيظ أندري. لكنّه كان يحلم في قرارة نفسه بأن تسلّط عليه الأضواء هو أيضاً، وها هي هذه المرأة تُشيد بعمله بشكلٍ عفوي ومن دون تكلّف.

غمرته سعادة وفخر كبيران، فجازف بدعوتها وهما يمرّان بمحاذاة مطعم باباغايو إلى شرب كأس. وكم كانت فرحته عارمة لمّا أجابته: «يا لها من فكرة رائعة!» دخلا إلى المطعم وقلب أندري يكاد يقفز من صدره، وأجهدَ نفسه من أجل أن يتلافى النظر في عينيها الساحرتين.

ولمّا جلسا إلى مائدة قرب البار، مدّت له ليندا يدها بخجل، فخالَ نفسه في حلم. تناولها بيده، وغمغم ببضع كلمات، ولم يعد يدري ما يقول. لكنّ الأكيد هو أنّ إميل غراندن هاتفه، لكنّه، ولدهشته، تجاهل المكالمة، وأخرس صوت الهاتف. تستطيع المجلّة أن تنتظر ولو لمرّة واحدة.

لم يعُد يرغب إلّا في شيء واحد، أن يتفرّس وجه ليندا وعينيها، ويهيم فيهما. كانت من الجمال بحيث يشعر الناظر إليها كما لو أنّ أحداً يوجّه لبطنه لكمات قوية، ومع ذلك كانت تبدو ضعيفة ورقيقة كطائر صغير جريح.

وقال:

- لا أفهم كيف يجرؤ أحد على إيذائك!

فردّت:

- ومع ذلك فهذه هي قصّة حياتي.

وقال في نفسه إنّ امرأة فاتنة مثلها لا يمكن إلّا أن تجذب المضطربين نفسيّاً بمختلف طوائفهم. مَن غيرُهم يجرؤ على الاقتراب منها؟ كلّ إنسان عاقل سوي سيتهيّب من الاقتراب منها، وسيشعر بمركّب نقص أمامها. الأوغاد وحدهم مَن يملكون ما يكفي من الوقاحة للاستحواذ عليها.

فأجابها:

- سعدتُ بالجلوس إلى جانبك هنا!

فردّدت وهي تداعب يده برقّة فائقة:

- سعدت كثيراً بالجلوس معك.

طلب كلّ منهما كأس نبيذ أحمر وانغمسا في الحديث حتى إنّ أندري بالكاد لاحظ أنّ هاتفه يرنّ من جديد، مرّة ثم مرّة ثانية. كانت هذه هي المرّة الأولى التي يتجاهل فيها أندري نداء مايكل بلومفيست.

ثمّ نهضت وأمسكت بيده وقادته إلى الخارج. لم يسألها عن الوجهة، وتهيّأ له بأنّه مستعدّ لمرافقتها حيثما شاءت. إنّها أروع كائن صادفه في حياته، ولمّا ابتسمت له تلك الابتسامة المحتشمة الساحرة، تهيّأ له أنّ أمراً جليلاً على وشك الوقوع. وهو أمر تشهد عليه أنفاسها وكذا الشارع الذي بدا كما لو أنّه ازداد نوراً تحت وقع خطواتها. وقال في نفسه إنّ مثل هذه النزهة تُشعر المرء بأنّ الحياة تستحق أن تُحيا. كان مستغرقاً، وبالكاد شَعَرَ البرد والمدينة من حوله.

انتشى بوجودها إلى جانبه وبما ينتظره. لكنّه سرعان ما فكّر بأنّها لحظة عابرة. ورغم أنّه حاول أن يُقنع نفسه بأنّ سبب هذه الهواجس

إنّما هو ارتيابه الدائم من السعادة، فإن الشك لازمه: لا يمكن أن تكون لحظة جميلة كهذه حقيقية.

ونظر إلى ليندا بعين جديدة، وتهيّأ له أنّه أدرك شيئاً آخر خلف تقاسيمها البهيّة. وخالَ، وهما يمرّان بمحاذاة مصعد كاتارينا، أنّه لمح في عينيها نظرة فاترة، فحوّل بصره عنها، وسأل:

- إلى أين نحن ذاهبان؟

- أعرف صديقة تعيرني شقّتها في مارتن تروتزيغس غراند. يمكن أن نختلي فيها ونشرب كأساً إذا شئت؟

وابتسم كما لو أنّها أفضل فكرة سمعها في حياته.

شعر مع ذلك بالارتباك يتملّكه أكثر فأكثر. فقبل لحظة كان هو مَن يملك زمام المبادرة، أمّا الآن فصارت هي التي تحتلّ مركز القيادة. ألقى نظرة على هاتفه فلاحظ أنّ مايكل حاول الاتصال به مرّتين. همّ بأن يتّصل به فوراً وهو يقول في نفسه: مهما يكن، فالمجلّة أولى من كلّ شيء.

وأجاب:

- بكلّ سرور، لكن ينبغي أن أتّصل بالشغل. أنا بصدد تحرير مقالة.

فردّت بنبرة صارمة أدهشته:

- كلا يا أندري. لن تتّصل بأحد. هذا المساء سنختلي أنا وأنت، ولا أحد غيرنا.

فهزّ رأسه موافقاً وهو في غاية الانزعاج.

بلغا يارنتورغيت. كانت الساحة حاشدة بالناس رغم البرد الشديد، وحرصت ليندا على أن تخفض بصرها كما لو أنّها لم تكن تريد أن يلحظها أحد. كان تمثال الشاعر إفيرت توب ينتصب إلى

اليمين، باتجاه أوسترلانغاتن، وهو يحدّق في السماء، بنظارتيه السوادوين، حاملاً في يده اليمنى ديوانه. ألا يجدر بأندري أن يقترح عليها موعداً للقاء غداً؟

وبادرها قائلاً:

- ربّما...

لكنّها سحبته إليها وقبلته قبل أن يتمكّن من إنهاء جملته. قبّلته بلهفة أنسَتْه هواجسه. ثمّ أمسكت بيده وقادته يساراً نحو فاسترلانغاتن، قبل أن تنعطف يميناً إلى زقاق مظلم. ألا يتعقّبهما أحد؟ كلا، فوَقْع الأقدام والأصوات التي يسمعان قادمة من بعيد.

ها قد اختلى بليندا، أليس كذلك؟ مرّا بمحاذاة نافذة ذات إطار أحمر ومصراعين سوداوين، وانتهيا إلى باب رمادي. أخرجت ليندا مفتاحاً من حقيبة يدها وفتحت الباب بصعوبة. ولاحظ أنّ يديها كانتا ترتعشان، وهو ما أثار استغرابه. أما زالت تخاف من طليقها ومن الشخص الذي بعثه لتخويفها؟

ارتقيا سلّماً حجرياً مظلماً، وسمعا وقع خطواتهما يتردّد، وكانت تفوح في المكان رائحة عطنة. ولاحظ على درج في الطابق الثاني ورقة لعب -ملكة بستوني-، ومن دون أن يدرك السبب، شعر بالانزعاج. لعلّه تطيُّر لا معنى له. وأجهَدَ نفسه ليتخلّص من مخاوفه محاولاً الاستمتاع بهذا اللقاء. كانت ليندا تتنفس بضيق، وقبضتها اليمنى مشدودة. وكان ثمّة رجل يضحك في الزقاق المجاور. ألا يكون يضحك منه؟ كلام فارغ! لعلّه في غاية الإثارة! وتهيّأ له كما لو أنّ الشقة تبتعد كلّما اقترب منها. بدت المسافة لا نهائية. أيُمْكِن أن تكون العمارة بهذا العلو الشاهق؟ ووصلا أخيراً. كانت صديقتها تسكن في آخر دور من العمارة.

أخرجت ليندا حزمة مفاتيح وراحت تفتح الباب الذي كتب عليه اسم **أورلوف**. وهذه المرّة لم ترتعش.

دخل مايكل بلومفيست إلى شقة ذات أثاث قديم، تقع في شارع بروستفاغن بحي سولنا، بجوار المقبرة الكبرى مباشرة. استقبلته مارغريتا دالغرين، مثلما توقّع هولجر بالمغرين، بلا أدنى تردّد. وهي إن كانت بدت له حادّة الطبع في الهاتف، فقد وجد نفسه أمام امرأة أنيقة في حوالي الستين من العمر. كانت ترتدي قميصاً أصفر وسروالاً أسود وتنتعل حذاء بعكب عالٍ. وبدا من مظهرها أنّها تهيّأت للقائه. ولولا نظرتها الشاردة، لاعتبرها امرأة تتمتّع بصحة جيدة.

قالت:

- أتيتَ لأحدّثك عن كاميلا؟

- لا سيما عن حياتها في السنوات الأخيرة، إذا كنت تعرفين عنها شيئاً بالطبع.

فقالت كما لو أنّها لم تسمع كلامه:

- ما زلت أذكر يوم استقبلناها. قال زوجي كيل إنّنا نقوم بعمل خيري، وفي الآن نفسه نوسّع أسرتنا. لم يكن لدينا غير بنت واحدة، مووا المسكينة. كانت في الرابعة عشرة من عمرها حينذاك، وكانت تشعر بالوحدة. وظنّنا أنّه من المفيد لها أن نستقبل فتاة من سنّها تؤنسها.

- هل كنت تعرفين ما وقع لأسرة سالاندر؟

- لم نكن نعرف كلّ شيء بالطبع. كلّ ما كنّا نعرف هو أنّهم عاشوا صدمة، وأنّ الأمّ كانت مريضة والأب أصيب بحروق خطيرة

أثّرت فينا قصّة هذه الطفلة تأثيراً عميقاً، وكنّا نتوقّع أن نرى طفلة محطّمة، محتاجة لكلّ حبّنا.

- وماذا وجدتم؟

- لما حلّت عندنا، وجدنا فيها الطفلة الرائعة التي لم نكن ننتظر. لم يكن ذلك بسبب جمالها فحسب.

ينبغي أن تنصت إلى كلامها في ذلك الوقت... كانت هادئة وناضجة. تحكي عن أختها المصابة بمرض عقلي قصصاً تُدمي القلب. أعلم الآن بطبيعة الحال بأنّ كل ما قالته عنها كان افتراء. لكن كيف لنا حينئذٍ أن نشكّ في كلامها؟ كان الصدق يلتمع في عينيها، ولمّا كنا نقول لها: «هذا مريع يا عزيزتي»، كانت تجيب: «لم يكن الأمر سهلاً، ومع ذلك فأنا أحبّ أختي. كلّ ما في الأمر أنّها مريضة، وهي الآن تخضع للعلاج». كان سلوكها يبدو حينئذٍ راشداً ومفعماً بالتعاطف... بدت خلال فترة من الزمن كما لو أنّها هي مَن ترعانا. أدخلت النور إلى بيتنا، وجعلته أجمل وأروع، وهو أمرٌ كان مصدر بهجتنا، ولا سيما مووا. بدأت تهتمّ بمظهرها، واكتسبت شعبية في المدرسة. كنت مستعدّة لفعل أيّ شيء لكاميلا في تلك الفترة، أما زوجي كيل، ماذا أقول لك؟ صار رجلاً آخر. في البداية كان دائم البسمة، بل إنّه، واعذُر صراحتي، عاد لمضاجعتي. ربّما كان عليّ أن أتساءل عن السبب، لكنّني ظننت أنّ مبعث ذلك هو ابتهاجه بملاحظة أنّ مشاكل أسرتنا أخذت تُسوّى. أدخلتْ على بيتنا السعادة في البداية، ثمّ بعد ذلك... لا يعود المرء يفكّر إلّا في الموت. بعد أن قضت معنا مدّة، لم نعُد نرغب في الحياة.

- إلى هذ الحدّ؟

- نعم، إلى هذا الحدّ.

- ماذا جرى؟

- ما كادت تمضي مدّة حتى بدأ السمّ يسري في العلاقات بيننا. استولت كاميلا على السلطة. رغم مرور الزمن، ما زلت لا أعرف في أيّ لحظة بالضبط انقلب الحفل إلى كابوس. وقع ذلك تدريجياً، بكيفية لا تكاد تُلحظ. استيقظنا ذات يوم، واكتشفنا أنّ كل شيء تدمّر: الثقة والأمن والأساس الذي قامت عليه أسرتنا. وتلاشت الثقة بالنفس التي اكتسبتها مووا في البداية. لم تعُد تنام ليلاً، وصارت لا تكفّ عن ترديد أنّها ذميمة وبشعة، وأنّها غير جديرة بالحياة. ولم ننتبه إلى اختفاء كلّ مدّخراتها إلّا في فترة لاحقة. ما زلت لا أعرف ماذا جرى، لكنّني مقتنعة بأنّ كاميلا كانت تبتزّها. كان الابتزاز بالنسبة إليها شيئاً طبيعياً كالتنفس. اعتقدت لفترة طويلة أنّها تدوّن مذكّراتها، لكنّها لم تكن تكتب سوى قوائم من التفاهات تجمعها عن المحيطين بها. وقد صدّقتُ كيل، ذلك المعتوه... صدّقتُه لمّا قال لي بأنّه يعاني من مشاكل في النوم، وأنّه سيرقد في غرفة الأصدقاء بالطابق تحت أرضي. لكنّه فعل ذلك ليلتقي بكاميلا بالطبع. ولمّا بلغتْ السادسة عشرة من عمرها، كانت قد شرعت تتسلّل إلى فراشه ليلاً لتمارس معه الجنس بطرق شاذّة. قلتُ شاذّة لأنّني اكتشفتُ ذات يوم آثار خدوش على صدر كيل. لم يُخبرني بشيء على الفور، بل ساقَ لي تفسيراً مضحكاً، واستطاع أن يخمد شكوكي، وما زلت إلى اليوم أتساءل كيف استطاع ذلك. على أنّ كيل اعترف أخيراً: كانت كاميلا تُحكِم وِثاقه، وتروح تجرحه بواسطة سكين. وقال بأنّها كانت تستمتع بذلك. قد يبدو هذا غريباً أحياناً، وأظنّ أنّها لم تكن تفعل ذلك من أجل التعذيب فحسب، بل كانت تجد فيه متعة إضافية.

- أكانت تبتزّه هو أيضاً؟

- نعم، لكن هنا أيضاً ظلّت الأمور غامضة. فقد بلغ من إهانة كاميلا له أنّه، حتّى بعدما فقدنا كلّ شيء، لم يستطِع أن يخبرني بكامل

الحقيقة. كان كيل عماد أسرتنا. لمّا كنّا نواجه مشكلاً، كأن نتيه عن الطريق أو تحدث فيضانات أو يمرض أحدنا، كان هو مَن يحافظ على هدوئه ورزانته. كان يقول لنا بصوت هادئ ما زال يتردّد في أحلامي: «لا بأس». لكن بعد بضع سنوات من العيش مع كاميلا، تحوّل إلى حطام. صار بالكاد يجرؤ على عبور الشارع. وفَقَدَ كلّ حافزيّة في العمل. كان يقضي ساعات طويلة جالساً وهو مطرِق. هاتفني أحد أقرب معاونيه، وهو ماتس هيدلوند، وأسرّ لي بأنّهم شكّلوا لجنة تقصٍّ لتحديد ما إذا كان كيل قد باع أسراراً صناعية. كان كلاماً فارغاً: فكيل كان أصدق رجل عرفته في حياتي. وهو إن كان باعَ شيئاً، فأين راح المال؟ لم يكن في حسابه مليم واحد، ولم يكن حسابنا المشترك أفضل حالاً.

– وكيف مات؟

– علّق نفسه من دون سبب واضح. عدتُ من العمل، فوجدته معلّقاً إلى سقف غرفة الأصدقاء. نعم، في الغرفة التي استمتع فيها مع كاميلا. كنت أشتغل في تلك الفترة في قطاع الاقتصاد، وكان راتبي جيّداً، وأظنّ أنّني كنت منذورة لمستقبل مهني ناجح. لكنّ كلّ شيء انهار فجأة بالنسبة لي وإلى موِوا. لن أثقل عليك بالتفاصيل، سقطتُ في هوّة بلا قرار. شرعَت موِوا في إيذاء نفسها، وعافت نفسُها الطعامَ تماماً. وسألتني ذات يوم ما إذا كنت أجدها حشرة. «يا إلهي، أقلتُ أنا هذا يا حبيبتي؟ كيف تقولين مثل هذا الكلام؟» فأخبرتني بأنّ هذا ما كانت تقول لها كاميلا. قالت لها إنّ كلّ مَن تلتقي بهم يجدونها أشبه بحشرة مقزّزة. بحثتُ عن المساعَدة في كلّ مكان: لدى المحللين النفسانيين والأطباء والأصدقاء وحتّى عقار البروزاك. لكن بلا جدوى. وبينما كانت السويد ذات يوم ربيعي جميل بكاملها تحتفل بانتصارها التافه بمسابقة الأوروفزيون الغنائية، قفزت موِوا من أحد المراكب،

وعندئذٍ توقّفت حياتي. أُصِبت بحالة اكتئاب ولزمتُ المستشفى لفترة طويلة. إثر ذلك. . . لست أدري. . . تحوّل الشلل والحزن إلى غضب. كنت بحاجة لأن أفهم. ماذا جرى لأسرتي؟ أيّ لعنة تسلّلت إلى بيتي؟ وشرعتُ في التحرّي عن كاميلا. لم أعُد أطيق رؤيتها، لكن كان عليّ أن أفهم، ربّما مثل أمّ ثكلى تريد أن تعرف فلذة كبدها ودوافعه.

- وماذا اكتشفت؟

- لا شيء في البداية. كانت قد مسحَت آثارها بالكامل. كان الأمر أشبه بمطاردة شبح. أنفقتُ عشرات الآلاف من الكرونات لأداء أتعاب المحقّقين الخاصين والنصابين من مختلف الأنواع الذين وعدوني بالمساعدة. لكنّني لم أكن أتقدّم قيد أنملة، وهو ما كان يثير حفيظتي. كنت مهووسة بالتحرّي، ولم يعُد يغمض لي جفن، وأصدقائي صاروا لا يطيقونني. كانت فترة رهيبة. وكان الناس يعتبرونني امرأة مهووسة بالتحقيقات، وربّما ما زالوا إلى اليوم. لست أعلم ماذا قال لك هولجر بالمغرين، لكن فيما بعد. . .

- ماذا؟

- نشرتَ تحقيقك حول زالاشنكو. لم يكن يعني هذا الاسم لي شيئاً، لكنّني بدأت أدرك الصلات القائمة بين جملة من الأشياء. ولمّا علمت بهويّته السويدية، واسمه الحقيقي: كارل أكسل بودان، وبعلاقاته بـ MC Svavelsjö، تذكّرت كلّ تلك الأمسيات الرهيبة بعدما تنكّرت لنا كاميلا. كثيراً ما كان يوقظني في تلك الفترة ضجيج محرّكات درّاجات ناريّة تتجوّل أمام بيتنا، وكنت أرى من نافذة غرفتي ذلك الشعار البغيض على ستراتهم الجلديّة. لم أستغرب مخالطتها لهذا النوع من الأشخاص، ولم تعُد لي أيّ أوهام حولها. لكنّني ما تصوّرت أنّ لهذا علاقة بأنشطة أبيها.

- صحيح؟

- نعم صحيح. ففي ذلك العالم القذر الذي التحقت به، كانت تتظاهر بأنّها تدافع عن حقوق النساء، بينما كانت في الحقيقة تدافع عن حقوقها هي. رغم ذلك تعلّقت بها نساء كثيرات من نادي الدرّاجات الناريّة ذاك، ولا سيما كايسا فالك.

- ومَن تكون؟

- فتاة جميلة متغطرسة، كانت على علاقة بأحد زعماء هذه العصابة. كثيراً ما كانت تزور بيتنا في السنة الأخيرة. ما زلت أذكر أنّني أحببتها كثيراً. كانت عيناها واسعتين وزرقاوين، بهما حَوَل طفيف. وكانت رغم قساوتها الظاهرة، تملك وجهاً يشي بالضعف. وقد أعدتُ الاتّصال بها بعد أن قرأتُ مقالتك. لم تقل كلمة واحدة عن كاميلا، غير أنّها لم تسئ معاملتي، ولاحظتُ أنّها غيّرت أسلوبها. تحوّلت من هاوية درّاجات ناريّة إلى امرأة أعمال. لكنّها لزمت الصمت، وقلت في نفسي إنّني لن أظفر منها بشيء.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- قبل سنة تقريباً، جاءت كايسا لزيارتي. بادرت إلى ذلك من تلقاء ذاتها. ولاحظتُ أنّها تغيّرت أكثر. لم يعُد في تعاملها ذلك الفتور وتلك اللامبالاة، وكان النّكد والتوتّر باديين عليها. بعد ذلك بقليل عُثر عليها مقتولة بطلق ناري قرب ملعب ستورا موسين في بروما. كانت قد أخبرتني في آخر لقاء لنا بأنّ هناك خلافاً حول تركة زالاشنكو. لم تحصل توأم كاميلا من ثروة أبيهما على شيء تقريباً. لكنّها زهدت حتى في ذلك النصيب القليل الذي تلقّته. وعاد معظم الثروة إلى ابنَي زالاشنكو اللذين ما زالا يعيشان في برلين، وإلى كاميلا. فقد ورثت حصّة من تجارة النساء التي تحدّثتَ عنها في مقالتك المروعة. لا أظن أنّ كاميلا أخذتها الرأفة يوماً بمصير أولئك النساء المسكينات، لكنّها لم تكن ترغب في أن تستمرّ في هذا النشاط. وأسرّت لكايسا بأنّ

المفلسين هم الذين يقبلون العمل في هذه التجارة القذرة. كانت لها رؤية مغايرة حول أنشطة المنظمة، أنشطة أكثر تطوراً. وبعد مفاوضات عسيرة نجحت في بيع حصتها إلى أحد أخويها من أبيها. بعد ذلك سافرت إلى موسكو، واختفت هي ومالها ومن قبلوا العمل معها، ومنهم كايسا فالك.

- وهل استطعتِ معرفة ما كانت تنوي فعله؟

- لم يكن الموقع الذي احتلّته كايسا يمكّنها من معرفة جوهر المشروع، لكنّ بعض الشكوك كانت تحوم حول أنشطتها. أظنّ أن الأمر كانت له علاقة بحكاية الأسرار الصناعية لدى إيركسون. وأنا شبه متيقّنة اليوم من أنّ كاميلا دفعت كيل لبيع معلومة ثمينة، عبر ابتزازه من دون شك. اكتشفتُ أنّها طلبت من بعض القراصنة الناشئين بالثانوية، ومنذ سنوات استقرارها الأولى عندنا، أن يخترقوا حاسوبي. وبحسب كايسا، فقد كانت مهووسة بالقرصنة. لم تتعلّم كيف تتدبّر أمرها بنفسها، لكنّها لم تكن تكفّ عن الكلام عمّا يمكن أن يجنيه المرء من سرقة الحسابات، وقرصنة الخوادم للاستيلاء على المعلومات وأشياء من هذا القبيل. وأظنّ من ثمّة أنّها واصلت السير في هذا الطريق.

- وهذا ما حصل فعلاً.

- على الأرجح. فكاميلا لا تكتفي بالقليل أبداً. سرعان ما وجدت لها -بحسب كايسا- موقعاً في شبكات نافذة بموسكو، وصارت عشيقة أحد أعضاء الدوما، شخص ثري ونافذ، وشرعت تلمّ حولها عصابة من الأوغاد الموهوبين في مجال الإلكترونيات. كانت تقودهم على هواها، وكانت تعرف بالضبط مَواطِن ضعف السلطات المالية الروسية.

- ماذا تقصدين؟

- أدركت أنّ روسيا ما هي إلا محطّة وقود ضخمة، تصدّر نفطها

وغازها الطبيعي، لكنّها لا تستثمر المداخيل في مشاريع هامّة. فهي تفتقر للتكنولوجيات المتطوّرة.

- وأرادت هي أن توفّر لها هذه التكنولوجيات؟

- هذا ما كانت تزعمه. لكنّها كانت تملك أجندتها الخاصة بالطبع. كانت كايسا معجبة أيّما إعجاب بالطريقة التي تتعرّف بها على الناس، وتحصل من ثمّة على الحماية السياسية. وكانت ستظلّ وفيّة لكاميلا إلى الأبد لولا أنّها خافت.

- ماذا حصل لها؟

- تعرّفت على جندي من جنود النخبة، أظنّه برتبة رائد، ومنذ ذلك الحين بدأت تتراجع. فقد أفضى هذا الرجل لكاميلا بمعلومات سريّة تتعلّق بمهامّ مشبوهة يقوم بها لصالح الحكومة الروسية، عمليات قتل تحديداً. كما أنّه قتل صحافيّة شهيرة تدعى إيرينا أزاروفا، أظنّك تعرفها. كانت تزعج النظام بسلسلة مقالات وكتب.

- أعرفها. بطلة حقيقية. قصّة مروعة!

- بالضبط. لكن حدث خللٌ في تنفيذ العملية. كانت إيرينا أزاروفا على موعد بأحد المنشقّين في شقّة واقعة في شارع صغير من شوارع ضاحية موسكو الجنوبية الشرقية. وكان على الرائد، بحسب الخطة، أن يقتلها عند مغادرتها المكان. لكن بما أنّ أخت الضحية كانت مُصابة بالتهاب رئوي، اصطحبت إيرينا معها ابنتَي أختها، إحداهما في العاشرة من العمر والأخرى في الثامنة. فلمّا غادرت الشقّة مع البنتين، قتلهنّ الرائد جميعاً. وجّه لكلّ منهنّ طلقة في الرأس. وهكذا فَقَدَ الحظوة والحماية، لا لأنّ محرّضيه كانوا يعزّون الأطفال في نظري، بل لأنّ الرأي العام انتفض، فخافت الحكومة أن تنفضح العملية وتنقلب ضدّها. وأظنّ أنّ الرائد خافَ من أن يتعرّض لفضيحة ضخمة، ثمّ لعلّه كان يواجه مشاكل شخصية في ذلك الإبّان، إذ تخلّت

عنه زوجته، ووجد نفسه وحيداً مع ابنته المراهقة، ويبدو لي أنّه كان مهدّداً أيضاً بالطرد من شقّته. وقد كانت هذه الوضعية مثالية بالنسبة إلى كاميلا: شخص عديم الشفقة يجتاز وضعية صعبة.

- فاستغلّت الفرصة إذاً.

- نعم. التقيا بحضور كايسا، والغريب أنّها تعلّقت به فوراً. لم يكن كما تخيّلته، ولم يكن يشبه في شيء مجرمي MC Svavelsjö. كان رياضياً، وكان يبدو فظّاً، لكنّه مثقّف ومهذّب أيضاً. لمستْ فيه نوعاً من الرقّة، بل والضعف. شعرت كايسا بأنّ ضميره يعذّبه على قتل الطفلتين. كان قاتلاً محترفاً، ومتخصّصاً في التعذيب خلال حرب الشيشان، لكن كانت له هو أيضاً حدوده الأخلاقية. وهكذا تعذّبت كايسا لمّا أنشبت كاميلا أظافرها فيه. كانت كما لو أنّها غرزت في صدره أظافرها وهي تهتف به: «أريد أن أسخّرك للقتل». كانت قادرة على أن تبثّ في كلماتها شحنة شبقيّة، وتعرف كيف توقظ المشاعر السادية في الرجل. وبحسب كايسا كانت إثارتها تشتدّ كلّما زادت وحشيّة ما كان يحكي لها من فظائع وما ارتكب من جرائم قتل. لعلّني لم أفهم جيّداً، لكن يظهر أنّ ما بثّ الخوف في نفس كايسا ليس القاتل، بل كاميلا، والكيفية التي كانت توقظ بها الحيوان الضاري الكامن بداخله. تحوّلت نظرته الكئيبة إلى ما يشبه نظرة حيوان هائج.

- لمْ تلجئي إلى الشرطة بعد اطّلاعك على هذه المعلومات؟

- ألححتُ كثيراً على كايسا. كانت مرعوبة وبحاجة إلى حماية. لكنّها قالت لي إنّها تحظى بحماية جهة من الجهات، ومنعتني من اللجوء إلى الشرطة، ولغبائي امتثلتُ لإرادتها. بعد مقتلها، حكيت للمحقّقين ما أسرّت لي به، لكن لا أظنّهم صدّقوا كلامي. كلّ ما اطّلعت عليه سمعته شفاهاً، ويخصّ شخصاً بلا اسم يعيش في بلد آخر. أمّا كاميلا، فاختفت عن الأنظار، ولم أعد أعرف شيئاً عن

هويتها الجديدة. على كلّ حال، لم تؤدّ شهادتي إلى شيء ذي بال. وظلّ مقتل كايسا لغزاً.

فقال مايكل:

- أتفهّم الوضع.

- حقّاً؟

فأجاب:

- أصدّق كلامك.

بينما كان يَهُمّ بوضع يده على ذراع مارغريتا دالغرين تعبيراً عن تعاطفه معها، قاطعه هاتفه الذي راح يهتزّ في جيبه. تمنّى لو يكون أندري، عدا أنّ المنادي كان هو ستيفان مولد. كان بحاجة إلى بضع ثوان ليتعرّف عليه. الشخص العامل في FRA، الذي كان على اتّصال بلينوس براندل.

- بمن يتعلق الأمر؟

- بموظف سام هو في طريقه إلى السويد، ويريد أن يلقاك في أقرب وقت ممكن غداً صباحاً بفندق الغراند أوتيل.

أومأ مايكل إلى مارغريتا معتذراً. وقال:

- أنا مشغول للغاية. هلا أخبرتَني باسمه وموضوع اللقاء على الأقلّ.

- اسمه إيدوين نيدام، وموضوع اللقاء هو واسب، عصابة تحوم حول أنشطتها شكوك قوية بأنّها ذات طابع إجرامي خطير.

فشعر مايكل بموجة رعب تجتاحه، وقال:

- حسناً. متى؟

- غداً عند الساعة الخامسة صباحاً. هل تناسبك؟

- أتمزح؟

- آسف، لا شيء في هذه القضية يدعو للمزاح. أنصحك بأن تكون في الموعد. سيستقبلك السيد نيدام بغرفته. ينبغي أن تترك هاتفك النقال في مصلحة الاستقبال، سيجري تفتيشك.

فردّ مايكل بانزعاج كبير:

- حسناً.

ثمّ نهض وودّع مارغريتا دالغرين.

III

المسائل غير المتناظرة

الرابع والعشرون من نوفمبر - الثالث من ديسمبر

يسهُل أحياناً الجمع على التفريق.

تستطيع الحواسيب بسهولة أن تحسب حاصل جزاء أعداد أوّلية بالملايين، لكن يصعُب عليها بالمقابل العثور على هذه الأعداد الأولية المضروبة. فأعداد مؤلّفة من مائة رقم فقط، يمكن أن تطرح مشاكل عويصة. وتستغِلُّ لوغاريتمات الترميز على غرار RSA هذه الصعوبة في تعميل الأعداد الأوّلية. وبهذا صارت الأعداد الأوّلية مرتبطة بالأسرار.

25

ليلة الرابع والعشرين من نوفمبر

لم تجد ليزبث صعوبة كبيرة في التعرّف على صاحب اسم روجر الموجود في رسم أوغست. وجدته على موقع خاص بقدامى ممثلي المسرح الثوري بفاساستان، حيث كان لا يزال شابّاً. اسمه روجر وينتر، وكان معروفاً بغيرته وعنفه. أدّى أدواراً مهمّة في السينما، لكنّه لم يلقَ نجاحاً كبيراً في مجال التمثيل، ولم يحظَ بالشهرة التي حظي بها أخوه توبياس، أستاذ البيولوجيا، الملازم لكرسيّه المتحرّك، والمشهور بصراحته. وتزعم الإشاعات أنّه نأى بنفسه عن أخيه. سجّلت ليزبث عنوان روجر وينتر، وتسلّلت من جديد إلى حاسوب NFS معهد نيو جيرزي للتكنولوجيا. وفتحت بالموازاة برنامجها الإلكتروني، حيث حاولت أن تخلق نظاماً ديناميّاً قادراً على صياغة أكثر المنحنيات الإهليجية تعقيداً ودقّة. لكنّها لم تنجح في فتح ملف NSA رغم ما بذلته من جهد، فنهضت ومَضَت لإلقاء نظرة على غرفة أوغست. لكنّها ما كادت تتجاوز الباب حتّى تفاجأت بالطفل منتصباً على سريره، منهمكاً في كتابة شيء على ورقة موضوعة على منضدة السرير. فلما اقتربت منه، اكتشفت تعميلات جديدة لأرقام أوّليّة. تأفّفت وقالت بصوتها الرتيب: - لا داعي لهذا. على كلّ حال، لن نمضي بعيداً في هذا الطريق. ولمّا شرع أوغست يهزّ جسده بعنف، طلبت منه أن يهدأ وينام.

كان الوقت متأخّراً، فقرّرت أن تستريح قليلاً هي أيضاً. استلقت على السرير المجاور وحاولت أن تسترخي، لكنّها لم تستطع. كان أوغست يئنّ ويضطرب في سريره، فقدّرت أنّه من الأولى أن تستمرّ في التحدّث إليه. وخطر لها موضوع واحد تتحدّث معه فيه:

- ماذا تعرف عن المنحنيات الإهليجية؟

لم يُجب الطفل بطبيعة الحال، فجعلت تشرح له بأبسط طريقة ممكنة وأوضحها.

ثمّ سألته بعد هنيهة:

- أفهمت؟

- حسناً، خذ مثلاً العدد 267 034 3 أعرف أنّك تستطيع تفكيكه بسهولة إلى عوامل أعداد أوّليّة. لكنّنا نستطيع تعميله أيضاً باستعمال منحنيات إهليجية. لنختر مثلاً المنحنى: $y^2 = x^3 - x + 4$ وتكون النقطة (1,2) = P على المنحنى.

ثمّ خربشت المعادلة على ورقة. لم يكن بادياً أنّ أوغست يتابعها، وتذكّرت من جديد توأمي كتاب أوليفر ساكس. كانا قادرين -وعلى نحو غير مفهوم- على العثور على أعداد أولية عالية، بينما كانا عاجزين عن حلّ أبسط المعادلات. فالأمر نفسه ربّما بالنسبة إلى أوغست. يشتغل دماغه على شاكلة آلة حاسبة لا كما يشتغل دماغ شخص عبقري في الرياضيات. على كلّ حال، لم يعُد لهذا الأمر جدوى. وشعرت بوخزٍ في كتفها. كانت بحاجة إلى النوم وطرد ذكريات الطفولة التي بعثها الطفل في نفسها.

لما عاد مايكل إلى منزله، كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل. ورغم أنّه متعب، وعليه أن يستيقظ باكراً، جلس إلى حاسوبه ليتحرّى

عن إيدوين نيدام. عثر على أشخاص كُثر عبر العالم يحملون هذا الاسم، ولا سيما لاعب كرة مستطيلة، عاد إلى الأضواء مجدّداً بعد أن أصيب بسرطان الدم. ثمّ شخص آخر متخصّص في تصفية المياه، وثالث مولع بالظهور، على نحو مضحك، في ملابس داخلية للنساء. لكن لا أحد منهم يتناسب مع أوصاف شخص قادر على قرصنة هوية واسب، واتّهامها بأعمال إجرامية. على أنه يوجد بالمقابل شخص بهذا الاسم، مهندس إعلاميات وباحث في MIT، وهو ما بدا له أقرب لمن يبحث عنه. كان هذا المهندس يشغل منصباً مهمّاً لدى سيفلاين، وهي شركة تكنولوجيا متطوّرة في مجال الحماية من الفيروسات الإلكترونية، ومن ثمّة فلا بدّ أنّه يهتم بالقرصنة الإلكترونية. عدا أن إيد دي نيد هذا، لم يكن يتحدّث في مقابلاته الصحفية إلّا عن حصص السوق والمنتوجات الجديدة. لا شيء في كلامه غير الكليشيهات التجارية، حتّى حين يتحدّث عن هواياته، وهي البولينغ وصيد السمك بالصنارة. يقول إنّه يعشق الطبيعة مثلما يعشق المنافسة... لا شكّ في أنّ هذا الشخص يعيش حياة رتيبة وضجراً قاتلاً.

ووقَع على صورة له وهو عار تماماً، بادي الفرح، يتباهى بصيد سمكة سلمون ضخمة. صورة مسكوكة للهاوي الذي يصطاد يوم الأحد. لم تكن تقلّ بؤساً عن الصور الأخرى. أعاد قراءة كلّ المقالات المتعلّقة به واحداً واحداً، وساوره شعور غامض بأنّه يوجد أمام واجهة مركّبة بعناية. وما لبث أن اقتنع بأنّه لا بدّ أن يكون هو إيد نيدام الذي يبحث عنه. كانت تفوح منه رائحة العمالة الاستخباراتية لصالح وكالة الأمن القومي أو وكالة الاستخبارات الأميركية. وشاهد من جديد الصورة التي يظهر فيها عارضاً سمكة السلمون، وتهيّأ له أنّه يرى فيها شيئاً مختلفاً تماماً.

تراءى له شخصاً فظّاً أشبه بممثّل. يظهر ذلك من هيئة وقوفه

وضحكته الساخرة أمام العدسة... وتذكّر ليزبث. تساءل عمّا إذا كان عليه أن يخبرها. وقدّر أنّه ليس ثمّة ما يدعو لإزعاجها، فهو ما زال، إلى حدود تلك اللحظة، لا يتوفّر على معطيات ملموسة. ثمّ قرّر أن يأوي إلى فراشه. كان بحاجة إلى أن ينام بضع ساعات حتى يصفو فكره للقاء إيد نيدام في اليوم الموالي. غسل أسنانه وهو مشوّش الذهن، ونزع ملابسه ثمّ استلقى في سريره، عندئذٍ تنبّه إلى أنّه كان منهكاً تماماً. وسرعان ما غشيه النوم. رأى في المنام أنّه يغرق في النهر الذي كان يصطاد فيه إيد نيدام. بعد ذلك علقت في ذهنه هذه الصورة الغامضة عنه وهو يزحف في قاع أحد الجداول وسمك السلمون يتخبّط حوله. لكنّه لم ينَم طويلاً: حلم أنّ شيئاً خطيراً فاته، فاستيقظ مذعوراً. رأى هاتفه على منضدة السرير فتذكّر أندري، وتنبّه إلى أنّه لم يكفّ عن التفكير فيه.

أغلقت ليندا الباب بإحكام، وهو أمر لا غرابة فيه؛ ذلك أنّ امرأة عاشت ماضياً مثل ماضيها لا بدّ أن تتوخّى الحذر والحيطة. ومع ذلك أحسّ أندري بالضيق. حاول أن يهدّئ من روعه مفسّراً انزعاجه بالشقّة: فهي لا تشبه في شيء ما كان يتصوّره. أهي حقّاً مسكن إحدى صديقاتها؟

كان السرير واسعاً، لكنّه لم يكن طويلاً بما فيه الكفاية، تحفّ به قضبان فولاذ لمّاع، وكان غطاؤه أسود اللون، أشبه بكفن أو قبر، كما أنّ زينة الجدران لم ترقه: صور فوتوغرافية لرجال مدجّجين بالسلاح. كانت الشقة على العموم توحي بالعقم والبرودة، بحيث يصعب أن يتخيّل المرء صاحبها شخصاً ودوداً.

وتملّكه التوتّر والاضطراب من جهة أخرى. لعلّه كان يبحث عن

ذريعة لكي يهرب. فالرجل يتوق دائماً إلى الهرب ممّا يحبّ، ألم يقل أوسكار وايلد شيئاً من هذا القبيل؟ وتفرّس ليندا، لم يسبق له أن رأى امرأة في جمالها، وهو أمر يبعث في حدّ ذاته على الرهبة. اقتربت منه في فستانها الأزرق الذي يكشف عن تضاريس جسدها وقالت كما لو أنّها قرأت أفكاره:

- أترغب في العودة إلى بيتك يا أندري؟

- الحقيقة أنّ لدي أموراً كثيرة ينبغي أن أنجزها.

فقالت قبل أن تقبّله:

- أتفهّم وضعك. ينبغي أن تعود إلى بيتك، وتنهمك في عملك.

وبينما كانت تلتصق به وتقبّله بلهفة جعلته غير قادر على الاعتراض، غمغم:

- ربّما كان هذا أفضل.

قبّلها بدوره، وسحبها من ردفيها، فدفعته بقوة جعلته يترنح ويسقط من السرير. تملّكه الذعر. لكنّه لمّا رأى ابتسامتها الساحرة، فهِم: لم تكن هذه العدائية غير تغنّج ودلع شهواني، وهو أمر راقه كثيراً.

كانت ترغب في مضاجعته الآن هنا، ولم يُمانع في أن تصعد فوقه، وتفكّ أزرار قميصه، وتسحب أظافرها فوق بطنه وقد توهّج في عينيها بريق شديد. وراح صدرها المكتنز يهتزّ تحت فستانها. انفتح فمها، فسال خيط من اللعاب على ذقنها. وهمست له بشيء لم يفهمه في البداية، ثمّ سمع: «الآن يا أندري».

- الآن!

فكرّرت بشيء من التردّد قبل أن تنزع سرواله:

- الآن...

كانت أكثر بذاءة مما توقّع، وأشدّ حيوية من كلّ النساء اللواتي عاشرهن من قبل.

وقالت له:

- أغمض عينيك ولا تتحرّك.

امتثَلَ لأمرها، وسمع حركات حوله من دون أن يفهم ما تفعل. سمع صريراً، وشعر بشيء معدني يطوّق معصميه. فتح عينيه فلاحظ أنّها كانت بصدد تصفيده. أراد أن ينتفض، لأنّه لم يتعوّد على هذه الممارسات، لكنّ كلّ شيء جرى بسرعة فائقة. ربطت الأصفاد إلى رأس السرير، وأحكمت بسرعة فائقة ربط رجليه بحبل، كما لو كانت خبيرة بهذا النوع من الأفعال.

فقال لها:

- ترفّقي.

- لا عليك.

فأجاب:

- حسناً.

فحدجته حينئذٍ بنظرة قاسية، ثمّ نطقت كلمات بصوت مهيب. وظن أنّه أساء الفهم. فقال:

- ماذا؟

- الآن سأسحَجُك بالسكّين يا أندري، وأغلقت فمه بقطعة شريط لاصق.

حاول مايكل أن يقنع نفسه بأنّ لا شيء يدعو للقلق. لماذا سيصيب مكروه أندري؟ فلا أحد يعلم بتستُّره على ليزبث سواه هو وإريكا. وقد لزموا منتهى الحذر. ومع ذلك... لماذا هاتفه لا يردّ؟

لم يكن أندري من أولئك الذين يماطلون في الردّ على الهاتف، بل كان من عادته، حين يتّصل به مايكل، أن يجيب من أوّل رنّة. أليس

هذا الصمت غريباً؟ وإلا . . . فإنّ أندري منهمك في العمل، ولم يعُد يشعر بمرور الوقت. أو لعلّه فَقَدَ هاتفه. لن يعدو الأمر أن يكون هكذا. ولكن هذا لا يمنع. . . فكاميلا ظهرت من جديد بعد كلّ هذه السنوات. هناك شيء ما يُحاك في الخفاء. . . ألم يقل المفتش بابلانسكي «نعيش في عالمٍ المُصابُ فيه بالهوس القهري هو أرجح الناس عقلاً»؟ مدّ مايكل يده والتقط الهاتف من فوق منضدة السرير ثمّ حاول الاتصال مجدّداً بأندري. ولمّا لم يُجبه، قرّر أن يوقظ الموظف الجديد في المجلّة: إميل غراندن الذي يقطن قرب أندري، بروداً بيرغن في فاساستان. بدا على إميل شيء من الانزعاج، لكنّه وعد بالذهاب إلى بيت أندري فوراً. وبعد عشرين دقيقة، اتّصل ليقول إنّه طرق باب الشقة طويلاً، وما من مجيب. ثمّ أضاف:

- هو غير موجود في بيته. هذا أكيد.

ارتدى مايكل ملابسه وانطلق مسرعاً إلى مقر المجلّة. كانت الريح عاصفة والشارع مقفراً. إنْ حالفه الحظ، سيعثر على أندري نائماً على الأريكة من شدّة التعب بمكتب التحرير. ليست هذه هي المرّة الأولى التي يقضي فيها ليلته في المكتب. وتمنّى لو يكون سرّ اختفاء أندري بهذه البساطة، لكنّه شعر بالضيق يتعاظم بداخله. فتح الباب وأطفأ جهاز الإنذار، وسرت في جسده قشعريرة كما لو أنّه كان ينتظر مشهداً مروعاً. إلا أنّه بحث في كلّ الأرجاء من دون أن يعثر لأندري على أثر. أما عن البرنامج المرموز، فوجد أنّ كل الرسائل قد مسحت كالعادة.

بدت الأريكة فارغة وأشدّ ترهّلاً من المعهود. فكّر لحظة ثمّ نادى على إميل غراندن من جديد.

- آسف يا إميل إن كنت أزعجتك في هذا الوقت المتأخّر من الليل، لكن اختفاء أندري أهوسني.

- أتفهّم قلقك.

- ومن ثمّة خُيّل لي أنّك ارتبكت قليلاً لمّا حدثتك عنه. أتُخفي عنّي شيئاً؟

- كل ما يمكن أن أخفيه أنت تعرفه.

- ماذا تقصد؟

- أقصد أنّني اتصلت أنا أيضاً بشركة الحراسة الإلكترونية.

- كيف أنت أيضاً؟

- ألم...

فقاطعه مايكل، وقد سمع ضيقاً في تنفسه:

- كلا.

وأدرك أنّ خطأ جسيماً ارتُكب.

- قلْ ما لديك يا إميل، وخلّصنا.

- الواقع...

- ماذا؟

- اتصلت امرأة تُدعى لينا روبرتسون وزعمت أنّك اتّصلت بها، وقرّرت، بالنظر إلى الظروف القائمة، رفع مستوى أمن حاسوبك. اتّصلت للحصول على بعض المعلومات الشخصية الحسّاسة.

- و...

- الظاهر أنها قدّمت لك نصائح خاطئة. اعتذَرت عن غلطتها، وقالت إنّها قلقة لأنّ الحماية قد لا تكون كافية. كانت بحاجة إلى الاتّصال عاجلاً بالشخص الذي أنجز لك الترميز.

- وماذا قلت لها؟

- إنني لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر، ورأيت أندري بصدد تزييف شيء على حاسوبك.

- طلبت منها إذاً أن تتّصل بأندري.

- كنت أقوم بجولة قصيرة في المدينة في تلك الأثناء، فقلت لها إنّ أندري ما زال ربّما في المكتب، وأنّها تستطيع الاتصال به. هذا كلّ ما في الأمر.

- تبّاً يا إميل!

- ولكنها كانت تبدو حقّاً...

- لا يهمّني كيف كانت تبدو. وبالطبع أخبرت أندري على الفور بهذه المكالمة.

- ليس على الفور. كنت مشغولاً للغاية، مثل كلّ العاملين بالمجلّة.

- لكنّك أخبرته فيما بعد.

- الواقع أنّه انصرف قبل أن أتمكّن من إخباره.

- فأخبرته بالهاتف إذاً؟

- إطلاقاً. اتّصلت به مراراً، لكنّه...

- ماذا؟

- لا يجيب.

فردّ مايكل بنبرة فاترة:

- حسناً.

أقفل الخط ثمّ اتصل بجان بابلانسكي. حاول مرّتين قبل أن يجيبه المفتش بصوت يشي بأنّه لا يزال نائماً. لم يجد مايكل بدّاً، في هذه المرحلة، من أن يقصّ عليه الحكاية بكاملها. أخبره بما يعرف باستثناء المكان الذي تختبئ فيه ليزبث وأوغست.

ثمّ أخبر إريكا.

زحف النوم أخيراً على ليزبث سالاندر. لكنّها ظلّت متأهّبة. لم تنزع ملابسها: سترة جلديّة على ظهرها، وحذاء طويل في قدميها. استيقظت مراراً بسبب هبات الريح القوية وأنين أوغست في أثناء النوم، لكنّ سرعان ما غالبها نعاس تتخلّله أحلام قصيرة على قدر كبير من الواقعية.

رأت أباها يضرب أمّها، فشعرت، حتّى وهي في الحلم، بغضب شديد كغضب طفولتها. وكان من الشدّة بحيث أيقظها. كانت الساعة تشير إلى الثالثة وخمس وأربعين دقيقة، ومنضدة السرير ما زالت مكسوّة بالأوراق التي دوّن عليها أوغست الأعداد. كان الثلج ما زال يسقط في الخارج، على أنّ العاصفة بدت كما لو أنها هدأت، ولم يكن يُسمَع صوت باستثناء هدير الريح وهو يهزّ الأشجار.

ومع ذلك انتابها شعور غريب. فكّرت في البداية بأنّه قد يكون من أثر الحلم الذي ما زالت أجواؤه مخيّمة على ذهنها، لكنّها ما لبثت أن جفلت: كان السرير بجوارها فارغاً. لقد اختفى أوغست. قفزت من السرير من دون أن تحسّ، وسحبت مسدّسها من الحقيبة الموضوعة على الأرض، ثمّ تسللت إلى الغرفة الكبيرة المفضية إلى الشرفة.

وتنفّست الصعداء لمّا رأته جالساً إلى المائدة يكتب. دنت منه من دون أن يشعر بها حتّى لا تزعجه، واشرأبّت بعنقها من فوق كتفه لترى ما يفعل. لم يكن منهمكاً في تعميل الأعداد الأولية ولا في تصوير عنف لاس ويستمان وروجر وينتر، بل كان مستغرقاً في رسم مربّعات رقعة شطرنج منعكسة في مرايا محيطة بها. وفي الأعلى ظهر وجه متوعّد ويد ممدودة. بدأت صورة المجرم تتّضح شيئاً فشيئاً. فابتسمت.

عادت إلى غرفة النوم، وجلست على السرير ثمّ نزعت قميصها والضمادة لكي تتفحّص الجرح. لم يكن منظره رائقاً. وشعرت بالإنهاك وبدوار في رأسها. تناولت حبّتي مضادّ حيوي وحاولت أن تستريح

قليلاً، فغلبها النوم. لمّا فتحت عينيها، خُيّل لها أنّها رأت زالا وكاميلا في الحلم، ثمّ أثار انتباهها شيء لم تعرف ما هو على وجه التحديد. شعرت كما لو أنّ أحداً موجوداً معها في البيت. وسمعت صوت جناحي طائر تخفقان في الخارج، كما تناهى إلى سمعها صوت تنفّس أوغست بطيئاً ضيّقاً. وبينما كانت تهمّ بالنهوض، سمعت صوتاً حادّاً يمزّق الصمت المخيم.

لمّا غادر مايكل مكاتب التحرير في الساعات الأولى من الصباح لينتظر سيارة أجرة تقلّه إلى فندق غراند أوتيل، لم يكن يعرف شيئاً بعد من أخبار أندري، وحاول أن يقنع نفسه بأنّ ردّة فعله مُبالَغ فيها، وأنّ زميله الشاب سيتّصل به قريباً لا محالة من سرير إحدى النساء أو من بيت أحد الأصدقاء. لكن القلق لم يبارحه. ولاحظ في شارع غوتغاتان أنّ الثلج بدأ يسقط من جديد، وأن حذاء امرأة كان ملقى على الرصيف بمفرده. وأخرج هاتفه السامسونغ، واتّصل بليزبث عبر تطبيق ريدفون.

لم تردّ ليزبث، وهو ما ضاعفَ من توتّره. حاول ثانية، ثمّ قرّر أن يبعث لها رسالة قصيرة عبر «ثريما»:

[كاميلا تتعقّبك. ينبغي أن تغادري المخبأ!]

لمح سيارة أجرة تعبُر شارع هوكينز، واستغرب من أنّ السائق قطّب لمّا حيّاه. ذلك أنّ سحنة مايكل المتجهّمة في تلك اللحظة كانت قمينة بأن ترعب كلّ مَن يلقاه. وممّا زاد الطين بلّة نظرته الشاردة، وصمته الفاتر لمّا حاول السائق أن يتحدّث إليه.

كانت ستوكهولم مقفرة. وبينما بدأت العاصفة تخفّ، كان البحر لا يزال هادراً مضطرباً. وأبصر مايكل فندق غراند أوتيل في الجهة

الأخرى من الخليج، وتساءل عمّا إذا لم يكن من الأفضل التخلي عن موعده مع نيدام والالتحاق بليزبث، أو السعي على الأقل إلى بعث دورية شرطة إلى هناك لتقوم بجولة. كلا، لا ينبغي أن يقوم بهذا من دون إخطارها. فإذا كان لا يزال بين الشرطة جاسوس، ونَشَرَ الخبر، ستترتّب عن ذلك عواقب وخيمة. وفتح من جديد «ثريما» وكتب:

[أأبعث لك بالإغاثة؟]

ولم يتلقّ إجابة بالطبع. بعد ذلك بقليل، أدّى للسائق ثمن الرحلة، وترجّل من السيارة ثمّ اجتاز بوّابة الفندق. كانت الساعة تشير إلى الرابعة وعشرين دقيقة. لقد جاء متقدّماً عن الموعد بأربعين دقيقة. لم يصل قبل الموعد بهذه المدّة قط. لكنّه كان يشعر كما لو أنّ النار تأكل أحشاءه. وقبل أن يودِع هواتفه النقالة لدى مصلحة الاستقبال بالفندق، اتّصل من جديد بإريكا وطلب منها أن تحاول الاتصال بليزبث، وأن تظلّ على اتصال بالشرطة، وتتّخذ القرارات اللازمة.

- بمجرّد ما تحصلين على أخبار جديدة، اتّصلي بغراند أوتيل، واطلبي السيد نيدام.

- مَن؟

- شخص يريد أن يلقاني.

- في هذه الساعة؟

ردّ مايكل قبل أن يتّجه نحو الاستقبال:

- نعم في هذه الساعة.

كان إيدوين نيدام ينزل بالغرفة 654. طرق مايكل الباب، فانفتح ولاحَ منه شخص تفوح منه رائحة العرق والغضب، شديد الشبه

بالشخص الذي رآه على صورة الصيد على شبكة الإنترنت. كان إيد نيدام يمسك في يده كأس كوكتيل، يعتمر قبعة وُضعت على رأسه بإهمال، ووجهه متجهّم أشبه بوجه كلب بولدوغ.

فقال مايكل:

- السيد نيدام؟

فردّ نيدام:

- إيد. آسف لإزعاجك في هذه الساعة المبكّرة، لكن الأمر مستعجل.

فقال مايكل بنبرة جافّة:

- هذا ما توقّعت.

- أتعرف الموضوع الذي استدعيتك من أجله؟

هزّ مايكل رأسه وجلس على مقعد موضوع بجوار مكتب وُضعت عليه زجاجة جين ومشروب شويبس. واسترسل إيد يقول:

- كلا، بالطبع. من أين لك أن تعرفه؟ من جهة أخرى، يمكن للمرء أن يتوقّع كلّ شيء مع شخص مثلك. فقد استعلمت عنك طبعاً، وأنا، وإن كنت لم أعتَدْ على مجاملة الآخرين، لأنّ ذلك يترك طعماً مرّاً في فمي، أعترف بأنّك إنسان استثنائي في شُعبتك.

فارتسمت على وجه مايكل ابتسامة متكلّفة.

- حبّذا لو دخلت إلى لبّ الموضوع.

- لا داعي للعجلة. سأكون واضحاً وصافياً صفاء الماء المنبثق من الصخر. لعلّك تعرف أين أعمل؟

فأجاب مايكل بنبرة صريحة:

- لست متأكّداً تماماً.

- في بوزل بالاس بسينجينت سيتي. أعمل في مبصقة العالم بأسره.

- وكالة الاستخبارات الأميركية.
- تماماً.
- وهل لديك فكرة يا مايكل عن معنى أن تأتي لإزعاجنا هناك؟
- أظن أنني أستطيع أن أتخيّل ذلك.
- ولعلّك تعرف أين كان ينبغي أن تكون زميلتك؟
- كلا.
- في السجن! مع حكم بالمؤبد!

وارتسمت على وجه مايكل ابتسامة هادئة، لكنّ الأفكار ازدحمت في ذهنه، ورغم أنّ لا شيء كان يدعوه إلى التعجّل، وأنّ الوقت كان لا يزال مبكّراً لكي يستشف بعض الخلاصات، تساءل عمّا إذا كانت ليزبث تجرّأت على اختراق أنظمة وكالة الأمن القومي. مجرّد التفكير في هذا الأمر أجّج هواجسه. لم تعُد هدفاً للقتلة الذين يتعقبونها، ويحاولون اكتشاف مخبئها فحسب، بل ها هي تضيف إليهم رجال الاستخبارات الأميركية أيضاً. يا للعبث...

شيء واحد كان مؤكّدا بالنسبة إلى ليزبث، أنّها لا تقوم أبداً بشيء لم تفكّر فيه مليّاً، بدافع النزوة فقط. فكلّ ما تقوم به تمهّد له بتحليل دقيق للمخاطر. ومن ثمّة لم يستسِغْ أن تبلغ بها البلادة بحيث تقرصن موقع وكالة الأمن وهي تعلم أنّهم قادرون على اكتشاف هويّتها. يحدث لها أحياناً أن تقوم بأعمال خطيرة، لكن المخاطر تكون متناسبة دائماً مع ما يمكن أن تربحه. ولم يتقبّل أن تكون تسلّلت إلى أسرار وكالة الأمن لتجد هذا الشخص البغيض يلاحقها. وقال:

- أظنك تسرّعت في استخلاص استنتاجاتك.
- قد يكون هذا في أحلامك يا صغيري.
- ليس من عادتي الشرب صباحاً، ومع ذلك ها أنذا أحمل في يدي كأس كوكتيل.

وندّت عنه ضحكة خفيفة.

- ما قصدت إليه هو أنّك ربّما استطعت إنقاذ صديقتك إن أنتَ وعدتني بالمساعدة في بعض التفاصيل.

- كلّي آذان صاغية.

- هذا لطف منك. أريدك أن تعطيني ضمانة إخفاء مصادرك.

فحدجه مايكل بنظرة استغراب. لم يكن ينتظر مثل هذا الكلام.

- أنت إذاً نذير شؤم!

- معاذ الله! ما أنا إلّا كلب أمين.

- لكنك لا تعمل رسمياً لحساب وكالة الأمن.

- لنقل إنّ لدي في الوقت الراهن بواعثي الخاصة. فما قولك إذاً؟

- يمكنك أن تتحدّث باطمئنان.

- حسناً. أريد أن أتأكّد أيضاً من أنّ ما سأقول يبقى بيننا، أنا وأنت. قد يبدو هذا غريباً: لماذا أحكي قصّة لا تصدّق لصحافي، ثمّ أطالبه بالصمت؟

- سؤال مشروع.

- لديّ دوافعي، وأنا أظنّ، على نحوٍ غريب، بأنّني لست بحاجة إلى إقناعك. أظنّ أنك ترغب في حماية صديقتك وأن الموضوع الذي يشغلك في الواقع، لا صلة له بهذا. لعلّني أستطيع مساعدتك بخصوص هذه النقطة، إذا أبديت استعدادك للتعاون معي.

فردّ مايكل ببرود:

- هذا يتوقّف على مضمون كلامك.

- اختُرقت شبكتنا الداخلية المعروفة باسم NSAnet قبل أيّام. أظنّك فهمت الموضوع، أليس كذلك؟

- إلى حدّ ما.

- أحدثت هذه الشبكة إثر هجمات الحادي عشر من سبتمبر لتحسين التنسيق بين مصالح الاستخبارات من جهة، ومنظمات التجسّس في البلدان الأنغلوسكسونية وائتلاف فايف آيز، من جهة ثانية. وهي عبارة عن نظام مُغلَق، يملك موجّهاته الخاصة، وبواباته وممرّاته المنفصلة تماماً عن بقية الإنترنت. من هناك نتحكّم في استخباراتنا ذات الطبيعة الكهرومغناطيسية، عبر الأقمار الاصطناعية والألياف البصرية، وهناك أيضاً توجد بنوك معطياتنا الأهمّ، وبطبيعة الحال كلّ التقارير والتحليلات الموسومة بالسرية، انطلاقاً من أكثرها تفاهة مثل **موراي** إلى أكثرها حساسية مثل **أومبرا أولترا توب سيكريت**، التي لا يصل إليها حتّى رئيس الولايات المتحدة نفسه. ويُسيَّر هذا النظام من تكساس، وهي حماقة في نظري. لكن بعد التحديثات والاختبارات الأخيرة، صرت أعتبره مع ذلك مثل أحد أولادي. وقد أرهقتُ نفسي يا مايكل في سبيله. عملت بكدّ من أجل ألّا يستطيع أحد اختراقه. فأبسط عيب، أدنى شبهة في الاختراق تُشغّل نظام إنذار ثبتُّه بنفسي. ولا تعتقدنَّ أنّني أعمل بمفردي: هناك فريق من الاختصاصيين المستقلّين يحرسون هذا النظام. وأنت تعلم أنّ المرء اليوم لا يمكنه أن يفعل شيئاً على الإنترنت من دون أن يترك آثاراً: كل شيء يُسجّل ويُحلّل. لا يمكنك أن تضغط على مفتاح من دون أن يُعلَم ذلك. ومع ذلك. . .

- استطاع شخص أن يخترقه.

- نعم. هناك دائماً نقاط ضعف. ونقاط الضعف هذه توجد من أجل أن تُكتَشف وتُتَجاوز. فهي تجعلنا دائماً على حذر. لكنّ المشكلة لا تكمن فقط في أنّها تسللت، بل في الكيفية التي فعلت بها ذلك. اقتحمت خادمنا على الإنترنت، وأعدّت ممرّاً دخلت منه إلى شبكتنا الداخلية بواسطة أحد مديري النظام. هذه الخطوة لوحدها يمكن أن

تعدّ إنجازاً خارقاً. ولم تكتفِ بهذا، بل تحوّلت إلى مستخدم شبح (Ghost user).

- إلى ماذا؟

- إلى شبح يتسكع بين الأنظمة من دون أن يرصده أحد.

- من دون أن تنطلق أنظمة إنذاركم؟

- حقنت هذه القرصانة اللعينة في النظام فيروساً مختلفاً عن كلّ الفيروسات التي نعرفها، وإلّا كان نظامنا تفطّن له فوراً. وهذا الفيروس يقوم بتحديث نفسه باستمرار، ممّا يتيح له توسيع قدراته على الوصول إلى المعطيات، ووضع اليد على كلمات السر والشفرات المصنّفة بالغة السرية. ثمّ جعلت تربط بين الملفّات وقواعد المعطيات، وفجأة: بينغو!

- ماذا تعني؟

- عثرت عمّا كانت تبحث عنه. وانطلاقاً من هنا، لم تكتفِ بأن أصبحت مستخدماً شبحاً، بل أرادت أن ترينا بأنّها عثرت عليه. عندئذٍ فقط انطلقت أنظمة إنذارنا. انطلقت لحظة انتهائها من مهمّتها.

- وماذا وجدتْ؟

- الدليل على ريائنا يا مايكل، على لعبتنا المزدوجة. ولهذا السبب أيضاً قرّرت أن آتي شخصياً إلى هنا عوض أن أبعث لها من مكتبي في مريلاند ضباط البحرية. الأمر أشبه بلصّ اقتحم بيتاً لا لشيء إلا ليكشف بأنّه يخفي أشياء مسروقة. وفي اللحظة التي أقدَمَت فيها على هذا، صارت خطيرة. على درجة من الخطورة بحيث فضّل بعض كبار مسؤولينا تركها تفلت.

- أما أنت فأبَيْتَ إلّا أن تمسك بها.

- كلا. في البداية كانت نيتي هي ربطها إلى عمود، وكشط لحمها وهي حيّة. لكنّهم أجبروني على الإعراض عن المطاردة، وهذا يا

مايكل هو ما قتلني غيظاً. أبدو الآن هادئاً ربّما، لكنّني كما قلت. . . في الواقع. . .

- أنك تَمِيْزُ من الغيظ.

- تماماً. وهذا ما جعلني أضرب لك هذا الموعد في هذا الوقت المبكّر. أريد أن ألقي القبض على صديقتك واسب قبل أن تغادر البلاد.

- ولماذا ستغادر البلاد؟

- لأنها ارتكبت سلسلة حماقات، أليس كذلك؟

- لا علم لي.

- أما أنا فأعلم.

- وما الذي يجعلك تجزم بأنّها هي القرصانة التي أغارت على نظامكم؟

- هذا يا مايكل ما كنت أهمّ بإخبارك به.

لكنّه لم يذهب أبعد.

رنّ الهاتف الثابت بغرفة الفندق، فسارع إيد إلى رفع السماعة. كان الشابّ العامل في مصلحة الاستقبال هو مَن يطلب مايكل بلومفيست. فناوله إيد الهاتف، وأدرك على الفور أنّ الصحافي يتلقّى أخباراً خطيرة، لذلك لم يندهش لمّا غمغم مايكل بعبارات اعتذار مرتبكة، وغادر الغرفة مهرولاً. لم يتفاجأ، لكنّه لم يستسِغ الأمر مع ذلك. التقط معطفه من خزانة الملابس، وانطلق في عقبه.

رأى إيد بلومفيست في الطرف الآخر من الممرّ يجري كعدّاء متمرّس، ورغم أنّه كان يجهل ما وقع، كان واثقاً من أن لذلك صلة بقضيته، فقرّر أن يتبعه. إذا كان الأمر يتعلق بواسب وبالدر، فحريّ به

أن يغتنم الفرصة. لم يستطِع الصبر وانتظار المصعد، فانطلق جرياً على السلّم، ووجد إيد صعوبة كبيرة في ملاحقته. وحين بلغ الطابق السفلي انقطعت أنفاسه. كان بلومفيست قد استعاد هواتفه، ومضى يتحدّث في أحدها وهو يتّجه إلى باب الفندق الخارجي.

وبينما كان يلوّح لسيارة أجرة قرب الرصيف بعد أن أنهى المكالمة، سأل إيد:

- ماذا جرى يا ترى؟

فأجاب مايكل:

- مشكلة!

- هل يمكن أن أسوق بك؟

- كلا، فأنت مخمور.

- يمكن أن نركب سيارتي.

خفّف مايكل من مشيه وحدّق في إيد ثمّ سأله:

- ماذا تريد؟

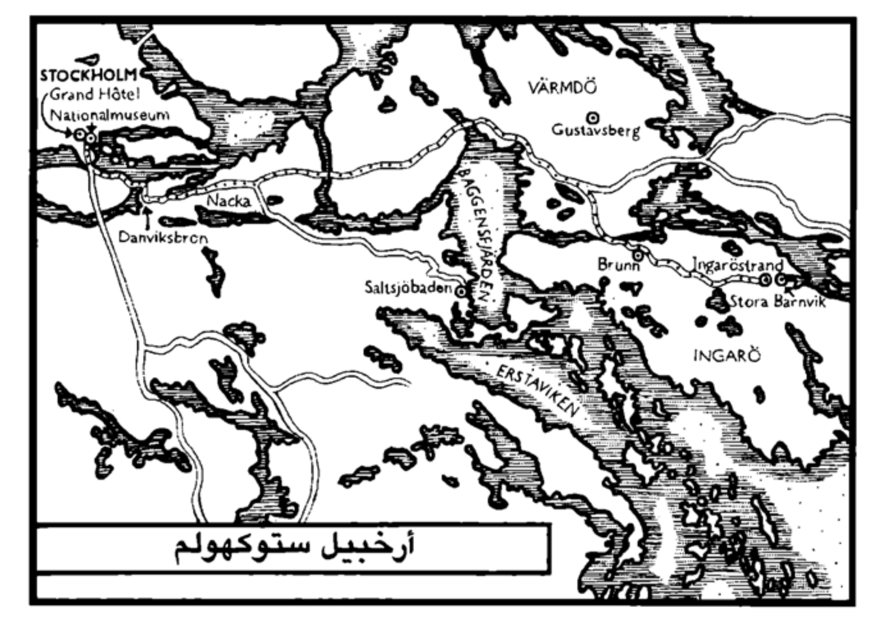
- أن نتعاون.

- لا تعتمد على مساعدتي في القبض على قرصانتك.

- لم أُحضر أيّ مذكرة توقيف.

- حسناً، أين هي سيارتك؟

انطلقا يجريان نحو سيارة إيد المأجورة، المركونة قرب المتحف الوطني، وشرح له مايكل بسرعة بأنّه ذاهب إلى الأرخبيل الموجود في إنيارو. وقال إنّهم سيزوّدونه بمسار الرحلة خلال الطريق، ولم يكن ينوي الانتباه إلى علامات تحديد السرعة.



أرخبيل ستوكهولم

26

صباح الرابع والعشرين من نوفمبر

صرخ أوغست، وفي تلك الأثناء سمعت ليزبث وقع أقدام متسارعة بجوار المنزل، فتناولت سلاحها وقفزت من السرير. كانت في حالة يرثى لها، لكنّها انطلقت مع ذلك بسرعة فائقة. خرجت من الغرفة فلاح لها في الشرفة رجل فارع الطول. خالت لحظة بأنّها تملك امتيازاً عليه: أنّها تتقدّمه بثانية واحدة، إلّا أن السيناريو اتّخذ في رمشة عين منحى مأسوياً. لم يتوقّف الشخص، ولم تحُل الأبواب الزجاجية دون دخوله، اذ اخترقها بسهولة مُشهِراً سلاحه، وأطلق النار على الطفل بسرعة البرق. ردّت ليزبث على الطلقات، أو لعلّها أطلقت النار قبله. لا تذكر في أيّ لحظة قرّرت أن تنقضّ عليه. كلّ ما تذكره هو أنّها نطحت الرجل بقوة مذهلة، ووجدت نفسها فوقه على الأرض، أمام مائدة المطبخ حيث كان يوجد الطفل قبل لحظة. وأهوت عليه بلا تردّد بضربة عنيفة من رأسها. كانت الضربة من القوة بحيث أصابها الدوار، وتعذّر عليها النهوض. ترنّحت، وشعرت بالغرفة تدور من حولها. كان قميصها ملطّخا بالدم. هل أصيبت من جديد؟ سترى هذا لاحقاً. وأوغست؟ لا أثر له بجوار المائدة باستثناء الأقلام والأوراق والرسوم وحسابات الأعداد الأولية. تبّاً، أين هو؟! وسمعت أنيناً بقرب البرّاد، فأبصرته متكوّماً على الأرض وهو يرتعش. فقد تمكّن من الارتماء جانباً.

وبينما كانت ليزبث تهمّ بالجري نحوه، سمعت من جديد ضجّة مقلقة في الخارج. أصوات مخنوقة وأغصان تُكسر. يبدو أنّ أشخاصاً وصلوا إلى البيت، وبذلك عليها أن ترحل بسرعة. إن كانت أختها، فلا بدّ أن تكون محفوفة بجماعة من الرجال، بخلاف ليزبث التي غالباً ما تكون وحيدة، وهو ما يفرض عليها أن تتصرّف على نحوٍ أذكى وأسرع. وفي لمح البصر، تمثّلت في ذهنها ملامح المكان في الخارج، فهرعت إلى أوغست وقالت له: «تعال!» لكنّه لم يتحرّك. ظلّ متسمّراً في مكانه. رفعته بحركة سريعة فشعرت بألم شديد. كانت أبسط حركة تؤلمها. لكن الوقت كان يضغط، وبدا كما لو أنّ أوغست فَهِمَ قصدها: أومأ لها بأنّه يستطيع أن يجري من دون مساعدة، فانطلقت نحو المائدة وتناولت حاسوبها، وتسلّلت إلى الشرفة مارّة أمام الرجل الذي انتصب وهو مدوّخ تماماً، وحاول الإمساك بقدم أوغست.

همّت ليزبث بقتله، لكنّها فضّلت أن توجّه له ركلة عنيفة إلى العنق وأخرى إلى البطن، ورمت بسلاحه بعيداً ثمّ اندفعت هي وأوغست باتّجاه المنحدر الصخري. لكنّها ما لبثت أن تجمّدت في مكانها: الرسم. لم تَر ما حقّقه أوغست من تقدّم في الرسم. أتعود أدراجها؟ كلا، فالزوّار لن يتأخروا في الوصول إلى البيت. ومع ذلك... فالرسم يمثل سلاحاً أيضاً، أليس كذلك؟ هو رهان كلّ هذا العناء. سلّمت الحاسوب إلى أوغست وأجلسته في صدع داخل الصخرة كانت قد اكتشفته في الليلة السابقة، ثمّ صعدت المنحدر جارية. دخلت إلى المنزل، وألقت نظرة على المائدة. لم ترَ في البداية غير رسوم لاس ويستمان والأعداد الأولية المتناثرة في كلّ مكان.

ثمّ أبصرته فجأة: فوق مربعات رقعة الشطرنج والمرايا يظهر رجل نحيل يعلو وجهه ندب بارز يعبُر جبينه. إنّه الشخص نفسه الذي يئن

أمامها على الأرض. أخرجت هاتفها بسرعة وصوّرت الرسم، ثمّ بعثت به إلى جان بابلانسكي وسونيا موديغ بواسطة رسالة نصيّة. تمهّلت لتكتب جملة أعلى الورقة. وفي اللحظة الموالية تنبّهت إلى أنّه ما كان عليها أن تفعل ذلك.

فقد صارت محاصَرَة.

تركت ليزبث على هاتف مايكل الذكي سامسونغ الرسالة نفسها التي وجّهتها إلى إريكا، وهي عبارة عن كلمة واحدة: أزمة. هكذا قلّب مايكل السؤال على وجوهه، فلم يجد له من تفسير آخر غير أنّ القاتل عثر عليها، بل لعلّه على وشك أن يهاجمها لحظة كتابة الرسالة. وما كاد يتجاوز ستادغاردن حتى ضغط على دواس السرعة إلى أن بلغ فارمدوليدن.

كان يركب سيارة أودي A8 جديدة فضيّة اللون، ونيدام جالس إلى جانبه كئيباً، ينقر على مفاتيح هاتفه بين الفينة والأخرى. لم يعرف مايكل كيف سمح له بمرافقته، ألِيَبوح له بما يعرفه عن ليزبث؟ بالتأكيد، لكن ثمّة سبباً آخر. قد يكون لوجود إيد فائدة. على كلّ حال فوجوده لن يفاقم وضعاً هو متفاقم أصلاً. كانت الشرطة على علم بالمسألة، لكن سيلزمهم بلا شكّ وقت طويل لكي يبعثوا بفريق إلى عين المكان، هذا فضلاً على تحفّظهم بسبب شحّ المعلومات التي بحوزتهم. وقد كانت إريكا هي من اتّصلت بهم، وهي من تعرف الطريق، ومن ثمّة هو بحاجة إلى مساعدتها.

بلغ جسر دانفيك، فقال نيدام شيئاً لم يسمعه. كان مستغرقاً يفكر في أندري وما قد يكون وقع له. تراءى له جالساً في مكتب التحرير، شارداً ومتردّداً. تبّاً! لماذا رفض أن يشرب معه كأس جعة؟ وحاول

الاتّصال به من جديد. اتّصل كذلك بليزبث، لكنها لم تكُن تُجيب. وسمع إيد يسأل:

- أتريد أن أخبرك بما نعرف؟

فردّ مايكل:

- نعم، ولم لا... هيّا، احكِ.

لكنّ رنّة هاتف مايكل قاطعتهما. إنّه جان بابلانسكي.

- ينبغي أن نتحدّث معاً فيما بعد. تأكّد من أنّ هذا الأمر ستكون له عواقب قضائية.

- أعرف ذلك.

- لكنّني اتّصلت بك لأخبرك ببعض المعلومات. نعرف أنّ ليزبث كانت لا تزال حيّة في الرابعة واثنتين وعشرين دقيقة. هل بعثتْ لك الإنذار قبل هذا الوقت أم بعده؟

- بعده مباشرة.

- حسناً.

- من أين حصلتم على هذا التوقيت؟

- بعثت لنا سالاندر بشيء في هذه الساعة. شيء على قدرٍ كبير من الأهمية.

- وما هو؟

- رسم. ينبغي الإقرار بأنّه تجاوز كلّ انتظاراتنا يا مايكل.

- نجحت ليزبث إذاً في دفع الطفل إلى الرسم.

- نعم، لكنّني لا أعرف إلى أيّ مدى يمكن أن يعتبر الرسم دليلاً مادياً دامغاً لا يقبل الطعن فيه. لكن بالنسبة إليّ، لا يخامرني شكّ في أنّه القاتل. لقد رُسِم على نحوٍ لا يصدّق، بدقة رياضية غريبة. وهو مصحوب بما يشبه معادلة رياضية أسفله، ذات مجهولين: x وy. أجهل ما إذا كانت لها علاقة بالقضية. بعثتُ بالرسم إلى الإنتربول لكي

يفحصوه ببرنامج التعرّف على الوجوه. إذا كان الرجل موجوداً في قاعدة بياناتهم، سيتعرّفون عليه.

- هل ستنشره الصحافة أيضاً؟

- نعم، ننوي تسليمه للصحافة.

- كم يلزمكم من الوقت للوصول إلى عين المكان؟

- بأسرع ما نستطيع... انتظر لحظة!

سمع مايكل هاتفاً آخر يرنّ لدى بابلانسكي، وجاءه صوته وهو يردّد:

- سمعت طلقات نارية هناك. أتمنّى ألّا يكون قد وقع مكروه.

تنهّد مايكل بعمق.

- وأندري، ألم يظهر له أثر؟

- لقد حدّدنا موقع هاتفه بواسطة أحد الهوائيات في غاملا ستان، لكنّنا ما زلنا لم نهتدِ إلى المكان بالضبط. انقطعت إشارات هاتفه كما لو أنّه أطفئ أو أُتلِف.

أقفل مايكل الخط، وزادَ من سرعة السيارة بحيث بلغ أحياناً مائة وثمانين كيلومتراً في الساعة.

لم يكن يتحدّث كثيراً، وأطلَع باقتضاب إيد نيدام على آخر الأخبار، لكنّه كان في غاية التوتّر، وبحاجة إلى التفكير في شيء آخر، وشرع يطرح عليه بعض الأسئلة.

- وماذا اكتشفتم؟

- عن واسب؟

- نعم.

- مضت مدّة طويلة، لم نعثر فيها على شيء يذكر حتّى اقتنعنا بأنّنا في مأزق. قمنا بكلّ ما نستطيع وتجاوزناه. استقصينا كلّ الفرضيات من دون أن نصل إلى شيء، وهو ما بدا لي منطقياً.

- كيف؟

- فقرصان قادر على مثل هذا الاختراق لا بدّ أن يكون قادراً على مسح كلّ آثاره. وفهمت توّاً أنّ الطرائق المألوفة لن تُمكّننا من التقدّم. ومع ذلك لم أستسلم، بل تخلّيت عن التحقيق في مكان الجريمة. وقلت في نفسي ينبغي أن نمضي رأساً إلى الهدف، وأن نتساءل عمّن بإمكانه أن يقدِم على عملية كهذه. كان طرح السؤال بهذه الصيغة هو فرصتنا الوحيدة للنجاح. ذلك أنّ درجة الاختراق كانت عالية جدّاً، ومَن هم قادرون على تنفيذه قلّة قليلة. بعبارة أخرى، موهبة القرصان يمكن أن تعمل لغير صالحه. ثمّ إنّنا حلّلنا الفيروس التجسّسي في حدّ ذاته و. . .

وخفض إيد نيدام بصره من جديد لينظر في هاتفه.

- ماذا؟

- كانت له مميّزات تكاد تكون فنّيّة، والمميزات من وجهة نظرنا، مزيّة. نبحث عن صاحب العمل انطلاقاً من أسلوبه الشخصي. شرعنا بإرسال أسئلة إلى جماعات من القراصنة، وسرعان ما برز لنا أحد الأسماء. لعلّك خمّنت من هو؟

- ربّما.

- واسب! تعرّفنا على أسماء أخرى بالطبع، لكنّ واسب كان هو الأهمّ، وهو أمر بادٍ من الاسم ذاته. . . إنّها قصة طويلة لن أثقل عليك بتفاصيلها. . .

- . . . آتٍ من سلسلة الرسوم المصوّرة نفسها التي أتى منها اسم المنظمة التي تقف وراء قتل فرانز بالدر.

- هكذا! فأنتم على علم بالأمر إذاً.

- نعم، وأعرف أيضا أنّ المراسلات قد تكون وهميّة ومضلّلة.

فبواسطة البحث يستطيع المرء أن يربط بين أشياء تبدو متباعدة في الظاهر.

- هذا صحيح. فنحن في موقع يستلزم أن نكون على علم بمثل هذه الأمور. قد ننساق خلف بعض الروابط التي لا أهمية لها، ونخطئ تلك التي لها معنى. لم أُعِر الأمر إذاً أهمية، لا سيما وأنّ واسب تملك دلالات أخرى كثيرة. لكنّ الخيوط كانت واهية. ثمّ سمعت كثيراً من السخافات عن واسب هذا حتّى أنني تحمَّست لقرصنة هويّته. غُصنا بعيداً في الماضي، وأعدنا بناء حوارات قديمة له على مواقع القرصنة. قرأنا كلّ كلمة كتبها وتركها على الشبكة العنكبوتية، ودرسنا كلّ عملية خمنّا أنّها من توقيعه، وسرعان ما بدأت هويته تنكشف. وشيئاً فشيئاً اقتنعنا بأنّ الأمر يتعلّق بامرأة، بالرغم من أنّها لم تكن تعبّر بأسلوب نسائي بالمعنى التقليدي للعبارة. علمنا أيضاً أنّها سويدية: عددٌ كبير من مشاركاتها القديمة كانت بالسويدية، وهو ما كان يعني شيئاً كبيراً بالنسبة لنا في البداية. لكن بعد إضافة هذا إلى أنّ الشبكة التي كانت تنشط فيها لها علاقة بالسويد، وأنّ فرانز بالدر سويدي أيضاً، بدأت تتأكّد لنا أهمية هذا الخيط الذي أمسكنا به. اتّصلتُ بأشخاص يعملون في FRA، وفتّشوا في سجلاتهم وهنا...

- ماذا؟

- عثروا على شيء أكّد لهم أنّنا كنّا نسير في الطريق الصحيح. كان القسم قد حقّق قبل سنوات حول توقيع **واسب** بشأن عملية قرصنة إلكترونية. كان ذلك منذ زمن بعيد جدّاً كانت فيه واسب لا تزال لم تكتسب بعد المهارات التي تملكها اليوم في مجال الترميز.

- وماذا جرى؟

- كانت FRA قد اكتشفت أنّ أحدهم حاول، باسم **واسب**، الحصول على معلومات عن بعض عملاء المخابرات الخارجية، وهو

ما كان كافياً لإطلاق نظام إنذار FRA. وقد قادهم التحقيق إلى حاسوب الطبيب الرئيس بمصحة الأمراض العقلية لدى الأحداث في أوبسالا. شخصٌ يدعى تيليبوريان. وقد كان تيليبوريان هذا، ولأسباب غامضة، يؤدّي خدمات لمصالح الأمن السويدية، ومن ثمّة كان خارج كلّ الشبهات. وركّزت FRA كلّ اهتمامها على بعض الممرّضات اللواتي كنّ مشبوهات لأنّهنّ... كنّ تنحدرن بكلّ بساطة من أُسَرٍ مهاجِرَة. غير أنّ هذا المنطق الأعوج لم يأتِ بطائل.

- هذا واضح.

- لكنّني طلبت من أحد العاملين في FRA أن يبعث لي الملف القديم. تفحّصته من زاوية مختلفة. لعلّك تعرف أنّ المرء ليس بحاجة ليكون راشداً وملتحياً وضخم الجثة ليُمارس القرصنة. فقد التقيت بأطفال في الثانية أو الثالثة عشرة، وكانوا قراصنة بكلّ معاني الكلمة. أنعمت النظر في كلّ الأطفال الذين كانوا يقيمون في المصحّة في تلك الفترة. كانت اللائحة الكاملة بأسمائهم موجودة في الملف. كلّفتُ ثلاثة من مساعدي بالقيام بأبحاث معمّقة، أتعرف ماذا وجدوا؟ إحدى المقيمات بالمصحة كانت هي ابنة عميل الاستخبارات السوفياتية السابق زالاشنكو، وهو مجرم كبير كان يهتمّ بزملائنا العاملين في وكالة الاستخبارات الأميركية آنئذٍ. وبدأت العملية تتّخذ إغراء خاصّاً. هناك علاقة، كما تعلم، بين الشبكة التي كان يقوم فيها القرصان بأبحاثه، وشبكة زالاشنكو الإجرامية القديمة.

- على أنّ هذا لا يعني بالضرورة أن واسب قرصنتكم.

- إطلاقاً. لكنّنا عكفنا على دراسة حالتها و... كيف أقول لك؟ هذه الفتاة لها ماضٍ مثير، أليس كذلك؟ فقد مسحت كثيراً من المعلومات المتعلّقة بها من المصادر الرسمية، لكنّنا استطعنا مع ذلك أن نعثر على ما يلزمنا وزيادة... لست أعرف، قد أكون مخطئاً، لكن

لدي شعور بأنّ ثمّة حادثاً عنيفاً، صدمة كبيرة. شقّة صغيرة في ستوكهولم، وامرأة عازبة تعمل أمينة صندوق في سوق ممتاز، تكافح من أجل إعالة ابنتيها التوأمين. حياة لا علاقة لها بالدوائر العليا. ومع ذلك. . .

- ومع ذلك فالدوائر العليا حاضرة باستمرار.

- نعم. لمّا كان الأب يزورهم، كنّ يشعرن بوَقْع السلطة المقرف. قلْ يا مايكل: أنت لا تعرف عنّي شيئاً؟

- كلا.

- صدّقني، فأنا أعرف ما معنى أن ينشأ طفل في العنف.

- عجباً!

- أجل، وأعرف ما يشعر به حين يقف المجتمع يتفرّج ولا يعاقب المعتدي. هذا مؤلم يا صديقي، مؤلم على نحوٍ فظيع. ومن ثمّة لا أستغرب أن يتحوّل معظم الأطفال الذين ينشؤون في مثل هذه الظروف بدورهم إلى أوغاد مدمّرين.

- نعم، للأسف.

- لكن هناك قلّة من الأشخاص تستمدّ قوتها من ذلك، وتتمكّن من الوقوف والدفاع عن نفسها. وواسب من هذا النوع، أليس كذلك؟

هزّ مايكل رأسه مستغرقاً، وزاد من سرعة السيارة.

- حبسوها في دار للمجانين، وسعوا إلى تحطيمها بلا رحمة.

ثمّ استرسل إيد يقول:

- أتعرف رأيي؟

- كلا.

- كلّ محنة عاشتها كانت تزيدها قوّة. استطاعت النجاة من الجحيم الذي مرّت به، وخرجت منه ناضجة. وأظنّ صادقاً بأنّها صارت خطيرة للغاية، ولم تنسَ ما ذاقت من عذاب. كلّ شيء منقوش

في ذهنها. إنّ العنف الذي بصم طفولتها هو الأصل في كلّ ما يقع الآن.

- هذا ممكن.

- نحن أمام أختين تعاملتا مع المأساة نفسها بكيفيتين مختلفتين، وصارتا عدوّتين لَدودتين، وأمام ميراث إمبراطورية إجرامية ضخمة.

- ليزبث لا صلة لها بهذا. فهي تكره كلّ ما يمتّ لأبيها بِصِلَة.

- أنا في موقع يسمح لي بمعرفة ذلك يا مايكل. لكن، ما مصير ذلك الإرث؟ هذا ما تسعى ليزبث لمعرفته، أليس كذلك؟ تسعى لتدميره، مثلما حاولت تدمير الرجل الذي خلّفه.

فسأله مايكل بنبرة حادّة:

- عمّ تبحث بالضبط؟

- ربّما عمّا تبحث عنه واسب نفسه. وإعادة بعض الأمور إلى نصابها أيضاً.

- والقبض على القرصانة.

- أريد أن ألتقيها وأؤنّبها، وأغلق أصغر ثغرات السلامة في النظام. على أنّني أريد بالخصوص أن أسوّي الحساب مع أولئك الذين لم يَدَعوني أنجز عملي، لا لشيء إلّا لأن واسب فضحتهم. وأنا واثق من أنّك ستساعدني في هذا الأمر.

- ولماذا أساعدك؟

- لأنّك صحافي بارع، والصحافيون المهرة لا يتركون الأسرار القذرة ترقد في الدواليب.

- وواسب؟

- عليها أن تُسِرّ لي بما لديها، أن تتكلّم مثلما لم تتكلّم قط، وعليك أن تساعدني في هذا أيضاً.

- وإلا . . . ؟

- وإلّا أقسمت أن أعثر على وسيلة تمكّنني من بعثها إلى السجن، وتحويل حياتها إلى جحيم من جديد.

- معنى هذا أنّ كلّ ما تريده الآن هو أن تتحدّث إليها.

- لن أسمح لأحد بأن يقرصن نظامي بعد اليوم يا مايكل. أنا بحاجة إلى أن أعرف كيف اخترقته. أريدك أن تنقل لها هذه الرسالة. أنا مستعدّ للتغاضي عنها شريطة أن تخبرني بالكيفية التي تمّ بها الاختراق.

- سأنقلها لها، ولكن أتمنّى أن تكون...

- ... على قيد الحياة.

ثمّ انعطف يساراً بسرعة فائقة نحو شاطئ إنيارو.

كانت الساعة تشير إلى الرابعة وثمان وأربعين دقيقة، أي مضى على تحذير سالاندر عشرون دقيقة.

نادراً ما كان يان هولستر يخطئ.

كان يؤمن بفكرة ساذجة مفادها أنّه بإمكان المرء أن يعرف عن بعد ما إذا كان خصمه قادراً على التلاحم في عراك أو تحمّل الألم الجسدي. لهذا لم يستغرب، بخلاف أورلوف أو بوغدانوف، أن تفشل الخطة الموجّهة ضدّ مايكل. كانوا مقتنعين بأنّ لا أحد يستطيع الصمود أمام جمال كيرا، لكن حين أبصر هولستر الصحافي قادماً في شارع سالتسخوبادن، خامره شكّ. لم تكن هيئته تبعث على الثقة. لا يبدو من النوع الذي يسهُل خداعه أو الإيقاع به.

أمّا مع الصحافي الآخر، فكان الأمر مختلفاً. كانت هيئته الجسدية توحي بأنه رجل ضعيف وعاطفي. على أنّ الواقع أثبت عكس ذلك: فقد كان أندري زاندر من أكثر الضحايا عناداً. كان يلتمع في

عينيه شيء راسخ لا يتزعزع حتّى أن يان حدّث نفسه بالتخلي عن العمليّة، لا سيما وأن أندري فضل تحمّل الألم على الكلام. كان يلزم لكي يستسلم أن تُقسِم له كيرا بشرفها على أن زميليه في ميلينيوم، إريكا ومايكل، يتعرّضان هما أيضاً لما يتعرّض له من تعذيب.

كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف صباحاً. إنّها لحظة ستظلّ منقوشة في ذهنها إلى الأبد. كان الثلج يسقط على النوافذ الضيّقة، وبدا وجه الرجل مهزولاً وعيناه تطوّقهما هالتان سوداوان. وكان الدم الذي نزف من صدره قد لطّخ فمه ووجنتيه. أما شفتاه فتمزقتا من طول ما ظلّتا ملتصقتين بالشريط اللاصق. كان محطّماً، لكنّه حافظ مع ذلك على وسامته. وراح يان يفكّر في أولغا.

ألم يكن الصحافي الشاب من نوع الرجال الذين تحبّهم: مثقف، يناضل ضدّ أصناف الظلم، يناصر الضعفاء والمنبوذين؟ فكّر في هذا وفي أشياء أخرى تخصّ حياته. ثمّ أومأ برمز الصليب الأرثوذكسي، حيث تشير طريق إلى السماء والأخرى إلى الجحيم، ونظر إلى كيرا. كانت أبهر جمالاً.

كان يشعّ في عينيها بريق متّقد، جالسة على مقعد بجوار السرير، ترتدي فستاناً أزرق رائعاً، سَلِمَ بأعجوبة من لطخات الدم. وغمغمت لأندري بالسويدية، بنبرة تكاد تكون حنونة. ثمّ تناولت يده، فضغط بدوره على يدها، وكان هذا هو مصدر عزائه الوحيد. كانت الريح تهبّ بقوة في الزقاق، وهزّت كيرا رأسها ووجّهت إلى يان ابتسامة رقيقة. كانت ندف الثلج تسقط على حافة النافذة الحديد.

انحشروا جميعهم في سيارة رانج روفر واتّجهوا إلى إنيارو. شعر يان بالإنهاك، ذلك أنّ المنحى الذي اتّخذته الأحداث لم يعجبه، لكن

عليه أن يعترف بأنّ كل ما يقع الآن هو بسبب غلطته. لذلك لزم الصمت معظم الوقت واكتفى بالإنصات إلى كيرا. كانت محتدّة على نحو غريب، تتحدّث عن المرأة التي يطاردونها بحقد لا حدود له. كلّ هذا لم يكن يبشّر بخير، ولو كان الأمر بيده، لنصحهم بالعودة أدراجهم ومغادرة البلاد.

لكنّه أطبق فمه. كانوا يتقدّمون في الظلمة، وكان يسترق النظرات لكيرا بين الفينة والأخرى، فانتابه الخوف من نظراتها القاسية. حاول أن يطرد هذا الشعور وقد تملّكه الإعجاب بالسرعة الفائقة التي تصرّفت بها.

تعرّفت على المرأة التي أنقذت أوغست بالدر في سفيفيغن، وخمّنت مَن قد يكون على علم بمخبئهما: مايكل بلومفيست. تعذّر عليهم إدراك منطق الأحداث في البداية: لماذا يقدِم صحافي سويدي مشهور على مساعدة امرأة يجهل هويّتها في اختطاف طفل من المكان الذي كان من المفروض أن يُقتل فيه؟ لكن بعد تفكير مليّ في هذه الفرضية بدأت تتّضح لهم الأمور: فهذه المرأة، التي تدعى ليزبث سالاندر - تربطها علاقات مقربّة بالصحافي، وبالموازاة مع ذلك توجد في **ميلينيوم** أشياء مشبوهة كثيرة.

عَمَد يوري غداة مقتل بالدر إلى قرصنة حاسوب بلومفيست، لعلّه يعثر فيه على ما يسعفه في فهم سرّ اتصال فرانز بالدر به في جوف الليل، وهو أمر لم تواجهه فيه أيّ صعوبة تقنية. لكنّه لم يعُد يستطيع الوصول إلى علبة بلومفيست الإلكترونية منذ ظهيرة اليوم السابق... والحال أنّ يوري لم تتعذّر عليه قط قرصنة أيّ علبة إلكترونية. معنى هذا أنّ مايكل بلومفيست ضاعف من حذره منذ أن اختفت المرأة والطفل في سفيفيغن.

وإذا كان هذا لا يضمن معرفة الصحافي بمكان اختباء الهاربين،

فإنّ التفاصيل التي ستظهر لاحقاً ستؤكّد هذه الفرضية. ومهما يكن، فلن تنتظر كيرا إلى أن تتوفّر لها الدلائل القاطعة. صمّمت على الإيقاع ببلومفيست، حتّى إذا تعذّر عليها ذلك، أمسكت بعضوٍ آخر في هيئة تحرير المجلّة. كانت فكرة القبض على المرأة والطفل تهوسها، وهو أمر كان يلزم أن ينذرهم ويدعوهم إلى مزيد من الحذر.

اعتبر يان نفسه مع ذلك محظوظاً. لم يكُن يُدرك دوافع كيرا. فهم إنّما يسعون لقتل الطفل من أجل مصلحته هو، علماً بأنّ كيرا كان بإمكانها أن تضحّي به. لكنّها فضّلت أن تخاطر لكي تحافظ عليه بجانبها، وهو أمر أثّر فيه رغم شعوره في هذه اللحظة بالضيق والانزعاج.

ركّز تفكيره على ابنته أولغا، وحاول أن يستمدّ منها القوة. مهما يقع، لا ينبغي أن تكتشف صبيحة اليوم الموالي رسم أبيها في الصفحات الأولى لكلّ الجرائد. وردّد في ذهنه أنّه تدبر أمره على نحو جيّد حتى تلك اللحظة، وأنّ الجانب الأصعب تجاوزوه. لو أنّ زاندر مدّهم بالعنوان الصحيح، لكان يسّر عليهم المهمّة. كانوا ثلاثتهم، هو وأورلوف ودينيس، مدجّجين بالسلاح. أمّا الرابع، وهو يوري، فكان عاكفاً على حاسوبه كعادته.

كان دينيس ويلتون، وهو أحد أعضاء نادي الدراجين القدامى بـ MC Svavelsjö ، يُسدي خدمات بانتظام لكيرا. وقد ساعدهم في الإعداد للعمليّة بالسويد. هناك إذاً ثلاثة رجال أو أربعة مدرّبون، إضافة إلى كيرا، مقابل امرأة واحدة، تغطّ في النوم على الأرجح، وتحاول حماية طفل. لن يواجهوا أدنى صعوبة، سينقضّون عليها، وينفّذون العملية، ثمّ يغادرون البلاد. لكن كيرا كانت تلحّ عليهم بهوس:

- لا ينبغي أن تستخفّوا بسالاندر.

كرّرت على مسامعهم هذه الجملة حتّى أن صبر يوري بدأ ينفد. صحيح أنّه لاحظ في سفيفيغن ما تتميّز به هذه المرأة من دربة وسرعة وإقدام، لكن مَن ينصت لكيرا يخالها امرأة خارقة. كلام سخيف. لم يصادف يان قطّ امرأة استطاعت أن تصمد أمامه في اشتباك بدني، بل حتى أمام أورلوف. ومع ذلك أكّد لكيرا بأنه سيلزم الحذر، ووعد بأن يتعرّف أولاً على المكان، ثمّ يرسم خطة. لن يتسرّع فيسقط في الشرك. وَعَدَ بذلك مراراً، وما إن رُكِنت السيارة أسفل المنحدر الصخري، قرب جسر عائم مهجور حتّى تولى القيادة، فطلب من رفاقه الاستعداد بينما ذهب هو لاكتشاف موقع المنزل. ذلك أنّ المعلومات المتوفرة لديهم تفيد أنّ تحديد موقعه صعب.

يعشق يان هولستر الهزيع الأخير من الليل مثلما يعشق الصمت والشعور بأنّه في فترة انتقالية بين عالمين. تقدّم في الظلام مصيخاً السمع، حريصاً على ألّا يشعر بوجوده أحد. تجاوز الجسر العائم، وسار بمحاذاة المنحدر الصخري إلى أن بلغ سياجاً خشبياً وبوابة متهالكة بجانب شجرة تنّوب ودغل شوكي واسع. فتح البوابة وارتقى درجاً خشبياً يحفّه درابزين من اليمين. وسرعان ما لاح له المنزل في أعلى المنحدر.

كان غارقاً في الظلام، تحجبه أشجار صنوبر وحور، يطلّ من جهته الجنوبية على شرفة تنفتح عليها أبواب زجاجية يسهل تكسيرها. لم يلمح أيّ حاجز، وبذلك فإنّ الدخول من الأبواب الزجاجية لا يطرح أيّ مشكل. لم يعد أمامه إلّا الإجهاز على الخصم. تقدّم من المنزل من دون حسّ، وفجأة خطرت بباله فكرة: لماذا لا ينهي المهمة بمفرده؟ بل هذا ما تمليه عليه مسؤوليته الأخلاقية. فهو مَن ورّطهم في

هذه المشكلة، عليه إذاً أن يخلّصهم منها. ثمّ إنّه معتاد على هذا النوع من المهام، ونجح فيما هو أصعب.

هنا لا توجد شرطة بخلاف ما كان عليه الأمر في بيت بالدر، ولا وجود أيضاً لحرس أو أجهزة إنذار. لم يجلب معه رشّاشه، لكنه ليس بحاجة إليه. فالرشّاش سلاح غير مناسب لمهمة كهذه، وما كان ليفكّر فيه لولا هوس كيرا. في مسدسه الكفاية. هكذا استجمع كلّ قوّته متجاهلاً كلّ مخططاته، وانطلق باتجاه المنزل.

سار بمحاذاة الجدار إلى أن بلغ الأبواب الزجاجية المفضية للشرفة، ثمّ تجمد في مكانه من دون أن يدرك السبب. ربّما بسبب صوت أو حركة أو خطر استشعره على نحوٍ غامض. ألقى نظرة خاطفة من خلال إحدى النوافذ المستطيلة المرتفعة قليلاً، الموجودة في واجهة المنزل، لكنّه لم يستطِع تمييز شيء في الداخل. وظلّ متسمّراً في مكانه، ومتردّداً. أتراه أخطأ في تحديد المنزل؟

ألصق وجهه بزجاج النافذة لكي يتحقّق ممّا يوجد بالداخل، وهنا... تجمّد في مكانه. كان مراقَباً: عينان كابيتان غير غريبتين عليه تحدّقان فيه من داخل المنزل بجوار المائدة. كان عليه أن يتصرّف فوراً، أن يسارع إلى الشرفة، في الواجهة الأخرى، ويدخل بسرعة البرق ثمّ يطلق النار. كان يلزم أن تستيقظ فيه غريزة القاتل، لكنّه تردّد من جديد، وعجز عن تصويب سلاحه. أشعرته نظرات هذا الصبي بالارتباك. كان من الممكن أن يظلّ على ذلك الحال لفترة أطول لولا أنّ الطفل قام بشيء لم يكن يان يتوقع أنّه قادر على فعله.

أطلق صرخة حادّة اهتزّت لها النافذة، وأخرجت يان من شروده. اندفع إلى الشرفة، وكسّر الأبواب الزجاجية بلا أدنى تردّد، ثمّ أطلق النار بدقة عالية، أو هذا ما خيّل له. لكنّه لم يجد الوقت ليتأكّد ممّا إذا كان قد أصاب الهدف أم لم يصبه.

انقضّ عليه خيال غير واضح المعالم بسرعة فائقة بحيث لم يترك له الوقت لكي يلتفت ويحافظ على توازنه. أطلق النار من جديد وسَمِع طلقات تردّ عليه، وما هي إلّا لحظة حتى شعر بنفسه يهوي على الأرض بينما انهالت عليه امرأة شابة بالضرب وعيناها تقدحان شرراً. حاول استعمال سلاحه مرّة أخرى، لكنّ هذه المرأة كانت هائجة كحيوان برّي، بحيث جلست فوقه ورفعت رأسها و. . . بوم! ولم يعُد يان قادراً على تحليل ما وقع. فقد أغمي عليه.

لمّا استعاد وعيه، شعر بطعم الدم في فمه، وبقميصه مبللاً ولزجاً. لقد أصيب. في تلك اللحظة بالذات مرّت المرأة والطفل بجواره، فحاول الإمساك بقدمَي الصغير، لكنّ الضربات انهالت عليه من جديد حتّى شعر بأنفاسه تنقطع.

التبست عليه الأمور، ولم يعُد يفهم شيئاً ممّا وقع. كلّ ما يذكر هو أنّه سقط مغشياً عليه، والكارثة هي أنّ مَن فعل به ذلك أنثى، وهو ما ضاعف آلامه. كان غارقاً في دمه وسط حطام الزجاج، مغمض العينين، مختنق الأنفاس، وتمنّى لو أنّ كلّ شيء ينتهي بسرعة. وفي تلك الأثناء ميّز شيئاً آخر: أصواتاً آتية من بعيد، لكنّه لمّا فتح عينيه لاحت له تلك المرأة من جديد. أما زالت هنا؟! أما زالت لم تغادر؟! لماذا هي واقفة على ساقيها النحيلتين يا ترى بجانب مائدة المطبخ؟ استجمع ما بقي من قِواه لينتصب، لكنّه لم يعثر على سلاحه. تمكّن من الجلوس فلمح أورلوف من خلال النافذة. حاول أن يفعل شيئاً، لكن لم تكد تمضِ لحظة حتى كان الأمر قد انتهى.

اختفت المرأة كما لو أنها تبخّرت. التقطت بعض الأوراق، واندفعت إلى الخارج بسرعة مذهلة، ثمّ قفزت من الشرفة وتوارت بين الأشجار. سُمِعت طلقات نارية في الظلام، فغمغم كما لو أنّه أراد أن يمدّ يد المساعدة: «اقتلوا المغفّلين!» كان في الواقع واهناً، بالكاد

يستطيع الوقوف على قدميه. ولاحظ الدمار من حواليه وهو يتخيّل أورلوف وويلتون يصفيّان المرأة والطفل، فَرَاقَه ذلك، ووجد فيه شيئاً من العزاء. لكن ما شغل باله بالدرجة الأولى هو أن يظلّ واقفاً على قدميه، وأن يصل إلى المائدة أمامه.

كانت فوقها أوراق وأقلام باستيل، نظر إليها في أوّل الأمر من دون أن يفهم سبب وجودها هنالك. ثمّ شعر كما لو أنّ مخالب انغرزت في قلبه. ولاحت له صورته. شخص شرّير، شيطان يرفع يده ليقتل. وفي لمح البصر أدرك بأنّ صورة الشيطان هذه هي صورته هو، فسَرَت في جسده قشعريرة.

ومع ذلك لم يستطِع أن يحوّل بصره عن الرسم، وظلّ يحدّق فيه مبهوراً. ورأى في أسفل الورقة معادلة وفي الأعلى ظهرت جملة بدت من خطها أنّها كُتبت على عجل. وقرأ:

[1]Mailed to police 04:22

(1) بعثت إلى الشرطة عند الساعة 22 : 04.

27

صباح الرابع والعشرين من نوفمبر

لمّا ولج آرام بارزاني العامل في قوّات التدخل إلى بيت غابرييلا غران الخشبي عند الساعة الرابعة واثنتين وخمسين دقيقة صباحاً، عثر على رجل فارع الطول مستلقياً على الأرض بجوار المائدة وهو ينزف.

اقترب بحذر. فرغم أنّ المكان كان يبدو مهجوراً، لم يشأ أن يخاطر. ذلك أنّ تبادلاً لإطلاق النار سُمع قُبيل وصوله. وبلغَتْه أصوات زملائه في الخارج على المنحدر الصخري تصيح بنبرة مشبَعَة بالإثارة:

- هنا!

لم يستطع آرام أن يفهم عمّ يتحدثون، فانتابه التردّد لحظة. أعليه أن يُسارع باللحاق بهم؟ وقرّر أن يفحص حالة الرجل المطروح أرضاً. كان غارقاً في الدم وسط حطام الزجاج، وعلى المائدة ورقة ممزّقة وأقلام مكسورة. كان الرجل مستلقياً على ظهره، يرسم علامة الصليب بحركة واهنة. ثمّ غمغم بكلام، لعلّه صلاة بلغة أشبه بالروسية، واستطاع آرام أن يميّز كلمة «أولغا»، فأخبره بأنّ طاقماً طبيّاً لن يتأخر في الوصول.

فأجاب الرجل:

- *They were sisters*(*).

(*) كانتا أختين.

لكنّ نطقه كان من الارتباك بحيث لم يولِهِ آرام اهتماماً. فتّش ملابسه ولاحظ أنّه لا يحمل سلاحاً، وأنّه مصاب على الأرجح برصاصة في البطن. كان قميصه مبللاً بالدم، ووجهه شاحباً على نحوٍ مقلق. سأله عمّا وقع، لكنّه لم يحصل منه على جواب في بادئ الأمر، ثمّ همس بجملة إنجليزية غريبة أخرى.

- *My soul was captured in a drawing*(*).

إثر ذلك بدا كما لو أغمي عليه.

وبينما كان آرام يتأكّد من أنّ الرجل لن يطرح مشكلاً، سمع صوت سيارات الإسعاف، فاتّجه إلى طرف المنحدر الصخري. أراد أن يعرف سبب صراخ زملائه. كان الثلج ما زال يسقط، والأرض متجمّدة وزلقة. وسمع أصوات سيارات وأشخاص يتحدّثون. كان الظلام لا يزال مخيّماً، والرؤية ضعيفة، وعلى الأرض كثير من الحجارة وأشجار الصنوبر. إنّها أرض خطيرة، لا سيما في هذا المنحدر الصخري الشديد، ومن ثمّة فهو غير مناسب للهجوم أو العراك. وتساءل عن مآل الآخرين.

الواقع أنّهم لم يذهبوا بعيداً، كانوا على حافة المنحدر، خلف أجمّة من شجر الحور، فلمّا رآهم جفل. أفزعته الطريقة التي يحدّقون بها إلى الأرض. ماذا هناك؟ أمات الطفل المتوحّد؟

اقترب ببطء وقد تذكّر ولديه اللذين يبلغان على التوالي السادسة والتاسعة من العمر، طفلان مهووسان بكرة القدم. لا شاغل لهما غير الكرة، ولا يتحدّثان إلّا عنها. يسمّى أحدهما بيورن والثاني أنديرس. فقد اختار لهما، هو وزوجته ديلفان، اسمين سويديين لأنّه مقتنع بأن ذلك سيساعدهما في الحياة. أيّ نوع من البشر هؤلاء الذين يأتون حتّى

(*) التُقِطَتْ روحي في رسم.

هذا المكان ليقتلوا صبياً؟ وشعر بالغضب يتّقد بداخله. نادى رفاقه، لكنّه سرعان ما تنفّس الصعداء.

لم يعثر على الطفل، بل على رَجُلين يبدوان كما لو أنّهما تلقّيا طلقات نارية في البطن أيضاً. حاول أحدهما، وهو شخص ذو مظهر بشع، بأنف أشبه بأنف ملاكم، وبشرة منفّرة، أن ينهض، لكنه سرعان ما عاد إلى الاستلقاء على الأرض. كان الخزي بادياً على وجهه، ويده اليمنى ترتعش من الألم أو من الغضب. أمّا الرجل الثاني، الذي يرتدي سترة جلدية، ويربط شعره خلف رأسه على هيئة ذيل حصان، فبدا في حالة أسوأ. لم يكن يتحرّك، ينظر إلى السماء المظلمة وقد ظهرت عليه آثار الصدمة.

وسأل آرام:

- ألم تعثروا للطفل على أثر؟

فأجاب زميله كلاس ليند:

- لا أثر.

- والمرأة؟

- لم نعثر لها على أثر أيضاً.

كان آرام مقتنعاً بأنّ هذا لا يبشّر بخير، وطرح بعض الأسئلة الأخرى، لكنّ زملاءه لم تكن لديهم فكرة واضحة عمّا حدث. الشيء الوحيد المؤكّد هو أنّهم عثروا على رشاشين على بُعد ثلاثين أو أربعين متراً من المنحدر. وقد افترضوا أنّ هذين السلاحين يعودان للرجلين. لكنّهم وجدوا صعوبة في تفسير كيف وصل السلاحان إلى ذلك المكان. ولمّا سألوا الرجل ذا البشرة المنفرة عن الأمر، أجاب بكلام مبهم.

وبينما راح آرام وزملاؤه في اللحظة الموالية يفتّشون المكان من دون أن يعثروا على شيء، باستثناء بعض آثار المواجهة، وصل العديد

من الأشخاص: ممرّضون، المفتشة سونيا موديغ، ثلاثة تقنيين أو أربعة، موكب من موظفي الشرطة وكذا الصحافي مايكل بلومفيست مصحوباً بشخص أميركي ذي شعر مقصوص وجثة ضخمة، يحظى، على نحوٍ غامض، باحترام الجميع. وفي الخامسة وخمس وعشرين دقيقة أُخبِروا بأنّ شاهداً ينتظرهم في الأسفل، عند موقف السيارات.

أصرّ الرجل على أن ينادوه KG، واسمه الحقيقي كارل غوستاف ماتزون. لم يكن قد مضى وقت طويل على اقتنائه مسكناً في الجانب الآخر من الخليج. لكنّ تصريحاته، بحسب كلاس ليند، ينبغي أن تؤخذ بتحفّظ كبير:

- هذا الشخص يحكي أموراً لا تدخل العقل.

كانت سونيا موديغ وجيركر هولمبورغ موجودين في موقف السيارات يحاولان فهم مجريات الأحداث. كانت عناصر المشهد لا تزال متناثرة، وكانا يأملان أن يساعدهما الشاهد في تبيّن الأمر.

لكن لمّا رأياه قادماً بمحاذاة الشاطئ، بدأ يداخلهما الشكّ. كان يعتمر قبّعة تيرولية، ويرتدي سروالاً بمربّعات خضراء ومعطفاً رياضياً طويلاً، ويتوسّط وجهه شنب معقوف. فبالنظر إلى مظهره، من الصعب أخذ كلامه على محمل الجدّ.

بادرته سونيا موديغ:

- KG ماتزون؟

فردّ:

- أنا هو.

ثمّ أضاف بأنّه -ربّما لإثبات مصداقيته- يرأس دار النشر ترو كرايمز (جرائم حقيقية) التي تنشر قصصاً مستوحاة من جرائم شهيرة.

فقالت سونيا من باب الحذر:

- حسناً، لكننا هذه المرّة نريد منك شهادة موضوعية، لا ملخّصاً لقصتك القادمة.

وهو ما تفهّمه المدعو KG ماتزون جيّداً، وأبدى استعداداً للاستجابة له.

قال إنّه «شخص صادق». ثمّ أضاف بأنّه استيقظ باكراً صباح ذلك اليوم، وراح ينصت «للهدوء والصمت». وعند الرابعة والنصف سمع صوتاً ما لبث أن تبيّن أنه طلقة نار. ارتدى ملابسه بسرعة قبل أن يخرج إلى الشرفة التي يظهر منها الشاطئ وموقف السيارات أسفل المنحدر الصخري حيث كانوا يقفون في تلك الأثناء.

- وماذا رأيت؟

- لا شيء في البداية. كان الصمت مطبقاً، ثمّ تعالى فجأة صوت أشبه بالانفجار حتى ليخيّل للمرء أنّ حرباً نشبت.

- سمعت طلقات نارية؟

- نعم، دويّ طلقات نارية ناحية المنحدر، في الجانب الآخر من الخليج. نظرت في هذا الاتجاه، وهنا... ألم أقل لكم إنّني من هواة الطيور؟

- كلا، لم تخبرنا بذلك.

- لدي نظر ثاقب، عينان كعيني الوشَق. مُتعوّد على مراقبة تفاصيل صغيرة عن بُعد، وهذا ما يفسر أنّني لاحظت نقطة أشدّ قتامة في الصدع الصخري، هناك في الأعلى، أترون ذلك التجويف؟

نظرت سونيا أعلى المنحدر وهزّت رأسها.

واستطرد KG ماتزون يقول:

- لم أفهم شيئاً في البداية، لكنّني أدركت إثر ذلك بأنّ الأمر يتعلّق بطفل، وَلَد فيما أظن. كان مقرفصاً هناك في الأعلى وهو

يرتعش، أو هذا ما بدا لي على الأقل، ثمّ فجأة... يا إلهي، هذا لن أنساه ما حييت.

- ماذا؟

- جاء أحدهم بسرعة فائقة من البيت الخشبي، امرأة، وارتمت من أعلى لتحُطّ في ذلك التجويف، وكانت القفزة من القوّة بحيث شارفت على السقوط. إثر ذلك بقيتْ تنتظر هناك هي والطفل، ينتظران المصير المحتوم. ثمّ...

- ثمّ ماذا؟

- ظهر رجلان يحملان رشاشين وأطلقا نيراناً كثيفة. تخيّلوا، في تلك اللحظة ارتميتُ أرضاً، خشيت من أن أُصاب. لكنّني لم أستطع مقاومة الرغبة في متابعة ما يجري. كانت المرأة والطفل باديان من الموقع الذي كنت فيه، لكنّهما لم يكونا كذلك بالنسبة إلى الرجلين. على الأقل مؤقّتاً. أدركتُ أنّها مسألة وقت فقط. لن يلبث الرجلان أن يكتشفاهما، وحينئذٍ لن يجدا مفرّاً. وبمجرّد ما غادرا التجويف، أبصرهما الرجلان فأطلقا عليهما النار. كانا في وضعية ميؤوس منها.

فقالت سونيا:

- ومع ذلك لم نعثر لهما على أثر.

- كلا، وهذا هو الغريب في الأمر! اقترب منهما الرجلان حتى صار بإمكانهما أن يسمعا صوت أنفاسهما. كانا قريبين بحيث كان يكفي أن يطلّ أحدهما ليبصر المرأة والطفل، لكن...

- ماذا؟

- لن تصدقوني. لو سمعني أحد أفراد قوات التدخّل لظنّني أهذي.

- احكِ، وسنرى.

- وقف الرجال لإصاخة السمع، ربّما لأنّهما خمّنا أنّ المرأة

والطفل يوجدان بالقرب منهما، وفي تلك الأثناء وقفت المرأة بقفزة واحدة، وارتمت عليهما، وقذفت بسلاحيهما أسفل المنحدر. تدخّلت بفعالية لا تصدّق. كان الأمر أشبه بما يقع في أفلام الإثارة. ركضت، أو بالأحرى تكوّرت برفقة الطفل إلى الأسفل لكي تصل إلى سيارة البي إم دابليو التي كانت مركونة ها هنا. وقبل أن تركبها، أبصرتُ أنّ المرأة كانت تحمل شيئاً في يدها، حقيبة أو حاسوباً.

- استقلا السيارة؟

- . . . بسرعة جنونية. لا أدري أيّ وجهة أخذا.

- حسناً.

- ما زلت لم أتمّم كلامي.

- كيف؟

- كانت ثمّة سيارة أخرى مركونة هناك، أظنّها من نوع رانج روفر. سيارة عالية سوداء من طراز جديد.

- ماذا وقع لهذه السيارة؟

- لم أنتبه لها في تلك الأثناء، وانشغلتُ بعد ذلك بالاتصال بالإسعاف. لكن في اللحظة التي هممتُ فيها بإقفال الخط، أبصرتُ شخصين ينزلان السلم الخشبي هناك، شخص فارع الطول ونحيل وامرأة. لم أميّزهما جيّداً، ولكنّني أستطيع أن أقول أمرين عن المرأة.

- ما هما؟

- كانت كنصب تذكاري، لكنها غاضبة.

- نصب تذكاري. . . تقصد جميلة؟

- باهرة الجمال، وهو أمر كان بادياً رغم بُعد المسافة، لكن الغضب كان ظاهراً عليها. وقبل أن تركب سيارة الرانج روفر، لطمتْ مُرافِقها، فلم يرُدّ. هزّ رأسه، كما لو أنّه يقرّ بأنه يستحقّ ما فعلت به، ثمّ جلس الرجل إلى المقود، وغادرا المكان.

سجّلت سونيا موديغ بعض الملاحظات وقالت في نفسها ينبغي إرسال تحذير وطني في أقرب وقت ممكن بشأن سيارتَي الرانج روفر والبي إم دابليو.

شربت غابرييلا غران قهوة كابوتشينو في مطبخها بفيلاغاتن، وشعرت بنفسها، رغم كلّ شيء، أكثر ميلاً إلى الهدوء. كانت في حالة صدمة على الأرجح.

ودّت هيلينا كرافت لقاءَها عند الساعة الثامنة بمكتبها في السابو. ساورها إحساس بأنّهم سيطردونها، وأنّها ربّما تُوبِعَت قضائياً، وأنّ حظوظها في العثور على عمل ستكون شبه منعدمة. فمسيرتها المهنية انتهت وهي لا تزال في الثالثة والثلاثين من العمر.

على أنّ هذا ليس هو الأدهى. لقد خرقت القانون متعمّدة، لأنّها ظنّت أن تلك هي أفضل طريقة لحماية ابن فرانز بالدر. وها هي الآن تتلقّى خبر وقوع تبادل إطلاق نار عنيف في منزلها، ولا أحد يعرف أين يوجد الطفل. لعلّه أصيب بجرح خطير أو مات. وأخذ الشعور بالذنب ينهشها. فبعد مقتل الأب، ها هو الطفل يلقى المصير نفسه.

نهضت ونظرت إلى الساعة. كانت تشير إلى السابعة والربع. عليها أن تنطلق حتّى تجد الوقت لإفراغ مكتبها قبل الاجتماع مع هيلينا. قرّرت أن تتصرّف على نحوٍ يحفظ كرامتها، ألّا تعتذر ولا تتوسّل للحفاظ على منصبها. صمّمت على أن تكون قويّة، أو على الأقلّ أن تتظاهر بذلك. ورنّ هاتفها البلاكفون، لكنّها لم تتجاسر على الردّ. انتعلت حذاءها الشتائي، وارتدت معطفها، وطوّقت عنقها بوشاح أحمر باهظ الثمن، قالت في نفسها إذا لم يكن من الانهيار بدّ، فليكن على نحوٍ لائق. ووقفت أمام مرآة المدخل وعدّلت من زينتها.

وعلى غرار نيكسون عند استقالته، أومأت، على نحو ساخر، بإشارة النصر. ورنّ هاتفها من جديد، فأجابت على مضض. إنّها ألونا كاساليس من وكالة الأمن القومي.

قالت:

- سمعت بالخبر. كيف تشعرين؟

- كيف سيكون شعوري في نظرك؟

- مثل أبأس إنسان على البسيطة.

- تقريباً.

- لا أمل له في العثور على عمل آخر.

- بالضبط يا ألونا.

- دعيني أقول لك لا داعي لأن تشعري بالخزي. لقد قمت بما كان عليك القيام به.

- أتمزحين؟

- ليس هذا وقت مزاح يا عزيزتي. لديكم جاسوس في المجلة.

تنهّدت غابرييلا بعمق.

- مَن؟

- مارتن نيلسون.

- ألديك دلائل؟

- نعم. سأبعث لك بها حالاً.

- وما الذي يدعو نيلسون مارتن لخيانتنا؟

- في نظري، هو لا يعدّها خيانة.

- وماذا يعتبرها إذاً؟

- مجرّد تعاون مع بيغ براذر، واجب اتجاه زعيم العالم الحرّ.

- كان يزوّدكم بالمعلومات إذاً.

- يحرص بالأحرى على أن نتزوّد بأنفسنا. يعطينا معلومات عن خادمكم ونظام ترميزكم. في الحالات العادية، لا يعدو الأمر أن يكون سخافة من السخافات المعهودة. فنحن نتنصّت على الجميع ولا نميّز بين نمائم الجيران ومكالمات رئيس الوزراء.

- لكن التسريب هذه المرّة شاع.

- هذه المرّة لعبنا دور القِمْع. أعرف يا غابرييلا أنّك لم تتصرفي وفق البروتوكول، لكن من الناحية الأخلاقية، أنت تعرفين أنّني مقتنعة، وسأحرص على أن يعرف رؤساؤك ذلك. فهمت أنّ ثمّة شيئاً فاسداً في مؤسستكم، وأنّك لا تستطيعين التصرّف من الداخل، لكنّك لم تعمدي، مع ذلك، إلى التهرّب من مسؤوليّاتك.

- لكن الأمور أخذت منحى سيّئاً.

- في بعض الأحيان تأخذ الأمور هذا المنحى مهما فعلنا.

- شكراً لك ألونا، هذا لطف منك. لكن إن حدث شيء لأوغست بالدر، فلن أغفر لنفسي أبداً.

- الطفل بخير يا غابرييلا. ذهب في جولة بالسيارة إلى مكان هادئ مع الشابة سالاندر مخافة أن يكون أحد في إثرهما.

لم تفهم غابرييلا مرامها.

- ماذا تقصدين؟

- أنّه آمن يا جميلتي، وبفضله تمّ التعرف على قاتل أبيه، وألقي عليه القبض.

- معنى هذا أنّ أوغست بالدر ما زال حيّاً؟

- نعم.

- وكيف عرفت؟

- لنقل إنّني أتوفر على مصدر مطّلع.

- ألونا. . .

- نعم.

- إذا كان ما تقولينه صحيحاً، فقد أنقذت حياتي.

ما كادت غابرييلا غران تنهي المكالمة حتّى اتّصلت بهيلينا كرافت لتطلب منها حضور مارتن نيلسون للاجتماع. وكان عليها أن تلحّ لكي تقبل هيلينا على مضض.

كانت الساعة تشير إلى السابعة والنصف لمّا نزل نيدام ومايكل سلّم منزل غابرييلا غران وتوجّها إلى سيارة الأودي المركونة في الموقف. كان الثلج يكسو الأرض والأشجار، والرجلان يلزمان الصمت. فقد توصّل مايكل من ليزبث برسالة نصية مقتضبة كالعادة، على الساعة الخامسة والنصف.

[أوغست بخير، لم يصبه مكروه.]

لم تخبره بشيء عن حالتها الصحية، لكنّ أخبار الطفل تبعث على الطمأنينة.

ثمّ استجوبت سونيا موديغ وجيركر هولمبورغ مايكل مطوّلاً، فحكى لهما كلّ ما قام به هو وهيئة التحرير في الأيّام الأخيرة. لم يلمس في تعاملهما معه لطفاً زائداً، لكنّه وجد فيهما شيئاً من التسامح.

بعد مضيّ ساعة، سار بمحاذاة المنحدر الصخري والجسر العائم في الاتجاه المعاكس. لمح بعيداً منه أيلاً سرعان ما اختفى في الغابة. جلس إلى مقود سيارة الأودي ومضى ينتظر إيد الذي كان متخلّفاً عنه ببضعة أمتار، يتلكّأ في مشيته. كان واضحاً أنّ الأميركي يعاني من آلام في ظهره.

عند الاقتراب من برون، وجدا نفسيهما مشلولين عن الحركة بسبب زحمة السيارات. وتذكّر مايكل أندري الذي انقطعت أخباره.

سأل إيد:

- هل يمكن أن تشغّل المذياع على إذاعة صاخبة؟

سوّى مايكل التردّد على ذبذبة 107,1، فتعالى صوت جيمس براون.

واسترسل إيد:

- هل يمكن أن تسلّمني هواتفك؟

تناولها ووضعها على الكرسي الخلفي للسيارة. الظاهر أنّه يريد أن يحكي أشياء حساسة، وبطبيعة الحال طاوعه مايكل. فقد كان يستعدّ لتحرير مقالته، وكان من ثمّة بحاجة إلى معرفة أكبر كمّ من الوقائع الدقيقة. لكنّه كان يعرف أكثر من أيّ كان أنّ المحقّق الصحفي يمكن أن يصير لعبة في أيدي أصحاب المصالح.

فلا أحد يكشف عن معلوماته من دون أن تكون له دوافعه الخاصة. قد يكون الدافع أحياناً نبيلاً: كالرغبة في تحقيق العدالة وفضح المرتشين والتنديد بالتجاوزات المختلفة. لكنّ الأمر لا يتعلّق في معظم الأحيان إلّا بمناورة داخل لعبة السلطة، تتوخّى الإجهاز على الخصم، واحتلال مكانه. لذلك يتعيّن على صحافي التحقيق أن يطرح دائماً السؤال الجوهري: لماذا تُعرض عليّ هذه المعلومات؟

أن يصير المرء بيدقاً في هذه اللعبة ليس شيئاً سيّئاً بالضرورة. ففي كلّ إفشاءٍ لمعلومةٍ تقويةٌ لجهةٍ على حساب جهة أخرى. فالقائد الذي يتمّ الإيقاع به سرعان ما يعوّضه آخر، من دون وجود ضمانة بأن يكون الثاني أفضل من الأوّل.

لكن يتحتّم على الصحافي الذي يريد أن يلعب دوراً في ذلك أن

يكون عارفاً بالقواعد، وواعياً بأنّ المعركة لن تسفر أبداً عن منتصر واحدٍ أَحَد. ذلك أنّ تسريب المعلومات، حتّى لو كان بدافع الجشع أو التعطش إلى السلطة، يمكن أن يكون مفيداً: لأنّ الكشف عن العيوب يساهم في إصلاحها. ما على الصحافي إلّا أن ينتبه للميكانيزمات الخفيّة، ويحرص على استقامته في كلّ جملة وكلّ سؤال وكلّ تثبّت من الوقائع. هكذا، فرغم شعور مايكل بشيء من التضامن مع إيد نيدام، وإعجابه بسحره الفظّ، لم يكن يثق به كلّ الثقة.

- كلي آذان صاغية.

- حسناً، لنقل في البداية إنّ ثمّة ضرباً من المعرفة يحفّز أكثر من غيره إلى الانتقال للفعل.

- المعرفة التي تجلب المال؟

- تماماً. من المعروف أنّ جرائم العارفين بالأسرار في عالم المال والأعمال شائعة. كثيراً ما يعمد بعض الناس إلى استغلال معلومات سريّة، بحيث يُلاحَظ أنّ أسهم شركة ترتفع حتى قبل الإعلان عن نتائجها الإيجابية، ومع ذلك لا تتدخّل العدالة.

- هذا صحيح.

- لقد استفاد عالَم الاستخبارات من الحماية من هذا النوع من المخاطر لفترة طويلة، وذلك لسبب بسيط هو أنّ المعطيات التي ندبّرها تنتمي إلى نوع آخر مختلف تماماً. أمّا المعلومات الخطيرة، فتوجد في مكان آخر. لكن الوضع تغيّر منذ نهاية الحرب الباردة، إذ تطور التجسّس على الأشخاص والشركات، واتّسع مجاله. وصرنا نملك منذئذٍ كمّاً هائلاً من المعطيات، يمكن أن تُستعمل للإثراء، وفي بعض الأحيان، الإثراء السريع.

- وهل تُستغَلّ هذه المعطيات؟

- الواقع أنّها لا تُجمع إلّا لكي تُستغلّ. هذه هي الفكرة المبدئية: يُعمد إلى التجسّس على الشركات لمساعدة صناعتنا، ومساندة مجموعاتنا الصناعية الكبرى باطّلاعها على نقط قوّة المنافسين ونقط ضعفهم. لكن هذا النشاط، شأنه شأن كلّ نشاط استخباراتي، يجري في منطقة رمادية. لا أحد يعرف متى تتحوّل المساعدة إلى عمل إجرامي.

- نعم، هذا هو الجانب الإشكالي في القضية.

- وقد وقع نوع من التواطؤ الخفي حول هذه النقطة. فما كان يعدّ إجرامياً ولا أخلاقياً قبل عقود صار يُعتبر Comme il faut(*)، وبذلك صار من الشائع شرعنة السرقة وسائر التجاوزات، بمساعدة جيش من المحامين. وينبغي الاعتراف بأنّ الأمر ليس أحسن حالاً في وكالة الأمن، بل ربّما...

- ... أدهى.

- انتظر، دعني أتمّم كلامي. لا بدّ من القول إنّنا حافظنا على بعض القواعد الأخلاقية، لكنّ المنظمة تشغّل عشرات الآلاف من الموظفين، ومن ثمّة لا مناص من أنْ يتسلّل إليها مجموعة من الفاسدين، وقد يحتلّون مواقع عليا. كنت أنوي الكشف لك عن أسمائهم.

فقال مايكل بنبرة لا تخلو من سخرية:

- تريد أن تفعل هذا حبّاً في الخير طبعاً.

- نعم، أو بالأحرى تقريباً. لكن حين يتجاوز قادة كبار المشروعية، كيفما كان هذا التجاوز، ماذا يقع في نظرك؟

- أمور سيّئة.

(*) وردت بالفرنسية في الأصل، والمقصود بها: شيء طبيعي.

- يصيرون منافسين خطيرين للجريمة المنظمة.

فعلّق مايكل:

- الدولة والمافيا حاربا دائماً في الحلبة نفسها.

- بالتأكيد. يمكن الزعم بأنّ لكلٍّ منهما طريقته في تسوية أموره والمتاجرة في المخدرات وحماية الناس أو اغتيالهم. لكنّ المشكلة الحقيقية هي عندما يشرعان في توحيد جهودهما في مجالٍ من المجالات.

- وهذا ما وقع في هذه القضية؟

- نعم، للأسف. توجد لدى سوليفون كما تعلم شعبة خاصة يديرها زيغموند إكيروولد الذي يهتم بما يُحاك لدى المنافسين في مجال التكنولوجيات العالية.

- واهتمامه لا يقتصر على ذلك طبعاً.

- بالفعل. فهو يسرقهم أيضاً، ويبيع ما سرق، وهو أمر يضرّ بسوليفون، وربّما أيضاً بـ«نازداك» بكامله.

- وبك أيضاً.

- نعم. وبالمناسبة، يُسمّى الشخصان المشبوهان اللذان يقومان بهذه الأعمال عندنا جواكيم باركلي وبراين أبوت. وهما مديران كبيران للتجسّس الصناعي. سأقدّم لك كلّ التفاصيل بشأنهما لاحقاً. هذان الرجلان ومعاونيهما يساعدهم إكيروولد وعصابته، ويسمحون لهم بالمقابل بالاطّلاع على كلّ التسجيلات الهاتفية. تدلّهم سوليفون على مكان وجود الابتكارات المهمّة، وهؤلاء الأوغاد يُخرجون لهم الرسوم والتفاصيل التقنية.

- والأموال التي تُجنى لا تودع دائماً في صناديق الدولة.

- الأدهى من ذلك يا صديقي هو أنّك لمّا تتعاطى لهذا النوع من

النشاط بوصفك موظّفاً، تصير في وضع هشّ للغاية. لا سيما حين تعمل مع مجرمين من الدرجة الأولى، كما وقع لإكيروولد وعصابته. لم يكونوا يعرفون بلا شكّ ذلك في البداية.

- هم مجرمون حقيقيون إذاً؟

- نعم، وماذا تظنّهم؟ كان لديهم قراصنة من مستوى عالٍ جدّاً، من النوع الذي طالما وددتُ ضمّه إلى فريقي، يتمثّل عملهم في استثمار المعلومات. لعلّك تخمّن ما وقع: لمّا علموا بتلاعبات رجالنا في وكالة الأمن، وجدوا أنفسهم في موقع قوّة.

- في وضعية ابتزاز.

- وهو موقع استغلّوه بطبيعة الحال بأقصى ما يستطيعون. سرق رجالنا مجموعات كبرى، لكنّهم لم يتورّعوا عن نهب شركات عائلية صغيرة ومبتكرين مستقلّين يكافحون في سبيل العيش. ومن ثمّة وجد هؤلاء الأوغاد أنفسهم مضطرّين إلى مساعدة ليس إكيروولد فحسب، بل هذه العصابة الإجرامية أيضاً.

- تقصد السبايدرز؟

- تماماً. خلال فترة من الزمن، كانوا كلّهم يستفيدون. امتلأت جيوبهم من هذا العمل مع الشركات الكبرى، لكن سرعان ما ظهر على مسرح الأحداث عبقريّ يدعى البروفسور بالدر، فشرع يفتّش في الأمر بمهارته المعهودة. اكتشف أنشطتهم، أو جزءاً منها على الأقل، فركبهم الخوف طبعاً، وراحوا يفكّرون في طريقة للتصرّف. وانطلاقاً من هنا، لا أملك فكرة واضحة عن المراحل التي قطعوها، لكنّني أظنّ أن رجالنا أمِلوا في استعمال طريق العدالة، وحسبوا أنّ تهديدات المحامين ستكون كافية. لكنّ هامش المناورة كان ضيّقاً، لا سيما وأنّ الرجل يعمل لدى الشركة نفسها التي تنتمي لها العصابة. ولمّا تنبّهوا

إلى مدى استغلال السبايدرز لهم، كان الأوان قد فات. وهؤلاء الأشخاص يسوّون مشاكلهم بالعنف.

- تبّاً!

- لكن حذار، فهذا لا يشكلّ غير دمّل صغير في منظّمتنا. تحرّينا فاكتشفنا أنشطة أخرى...

فقال مايكل بنبرة حادّة:

- مثال أعلى في الأخلاق. هذه أمور لا تهمّني. نحن نتحدّث هنا عن أشخاص لا حدود لأعمالهم الإجرامية.

- للعنف منطقه الخاص. عندما يتورّط المرء فيه، ينبغي أن يمضي حتّى النهاية. لكن، أتعلم الأغرب في هذا الأمر؟

- لا تبدو غرابة في هذا.

- لنقل بالأحرى المفارقة، وهي أنّني ما كنت لأعلم بكلّ هذا لولا اختراق شبكتنا الداخلية.

- وهذا دليل آخر على وجوب ترك القرصانة وشأنها.

- هذا ما أنوي فعله شريطة أن تخبرني كيف فعلت.

- وفيم سيُفيدك هذا؟

- حتّى لا يتمكّن أحد من اختراق نظامي بعد الآن. أريد أن أعرف على وجه الدقة كيف تسلّلتْ لكي أصلح فجوات النظام. إثر ذلك سأتركها وشأنها.

- لست متأكّداً من صدق وعودك. ثمّ هناك شيء آخر يراودني.

- ما هو؟

- ذكرت شخصين: باركلي وأبوت، أليس كذلك؟ من المسؤول على التجسّس الصناعي؟ أحد المسؤولين الكبار، أليس كذلك؟

- لا أستطيع للأسف البوح لك باسمه. مصنّف في خانة سرّي للغاية.

- حسناً. أنا مضطرّ لقبول جوابك.

فقال إيد بنبرة واثقة:

- نعم، مضطرّ في الوقت الراهن.

وفي تلك الأثناء لاحظ مايكل أنّ السيارات بدأت تتحرّك.

28

بعد ظهيرة الرابع والعشرين من نوفمبر

كان البروفسور شارلز إيدلمان موجوداً في موقف سيارات معهد كارولينسكا، يتساءل عن سبب الزجّ بنفسه في مغامرة كهذه. كان لا يزال يجد صعوبة في استيعاب ما وقع له، ولم يكن قد توفّر له الوقت للتفكير في ذلك. الشيء الوحيد الذي كان واثقاً منه هو أنّه رضي بالتزام يضطره إلى إلغاء مجموعة من الاجتماعات والدروس والمحاضرات.

إلّا أنّه كان يشعر مع ذلك بإثارة رهيبة. سَحَرَه الطفل، لكن أيضاً هذه المرأة التي تبدو كما لو أنّها عادت من توّها من مشاجرة، تقود سيارتها البي إم دابليو الجديدة وتتحدّث بسلطوية مقرفة. ردّ على كلّ أسئلتها، بـ«نعم» و«موافق» و«لم لا؟» من دون أن ينتبه، رغم أنّ تلك الحكاية كانت غير معقولة تماماً. وهو إنْ كان رفض التعويض عن الأتعاب، فإنما ليُحافظ على استقلاليته.

بل قال إنّه كان سيؤدّي ثمن تذكرة سفره وغرفة الفندق. وما جعله يختار العودة هو إحساسه بالعطف على الطفل، وكذا فضوله العلمي بخاصة. فهذا المتوحّد العالِم يستطيع في الوقت نفسه الرسم بدقة فوتوغرافية وتعميل أعداد أولية. إنّه أمر مثير للغاية إلى درجة أنّه قرّر، وهو ما أدهشه، أن يتخلّى عن عشاء جائزة نوبل. لقد أفقَدَتْه هذه المرأة صوابه.

كانت هانا بالدر جالسة في المطبخ بتورسغاتن تدخّن. وتهيّأ لها أنّها لم تقُم بشيء ذي بال في الفترة الأخيرة، باستثناء الجلوس هناك والتدخين بمعدة فارغة معقودة. قليلاً ما تلقّت مثل هذا الدعم والمساندة في حياتها، لكنّها قليلاً ما تلقّت مثل ما تلقّته من ضرب أيضاً. لم يكن لاس ويستمان يطيق قلقها.

كان يصرخ في وجهها: «عجزتِ حتّى عن الحفاظ على ابنك». كان يمسك بها ويدفعها بعنف في أرجاء الشقّة، وفي مرّة لمست يدها بحركة خرقاء فنجان قهوة كان موضوعاً على المائدة، فاندلق على الصفحات الثقافية من مجلة **داغنس نيهيتر**، وكانت قد أثارت حفيظته بإطرائها على زملاء له في المسرح لم يكن يحبّهم.

وهتف بها:

- ماذا فعلت؟

فردّت بسرعة:

- معذرة، سأمسحها.

أدركت من شفتيه المشدودتين أنّ اعتذارها لم يكن كافياً. وأنّه سيعجّل بضربها. استعدّت لتلقّي الضربات من دون أن تنبس أو تتحرّك. وكلّ ما شعرت به هو دموع تترقرق في عينيها وبقلبها يتقافز في صدرها. ليس من العدل أن تُضرب. تلقّت ذلك الصباح مكالمة لم تكن واثقة من أنّها فهمت كلّ فحواها: عثروا على أوغست، لكنّه اختفى من جديد، وهو «على الأرجح» لم يُصَب. «على الأرجح». لم تعرف هانا ما إذا كانت هذه الأخبار تدعو للاطمئنان أو إلى القلق.

كانت بالكاد تستجمع قواها لكي تسمع ذلك الخبر. مضت ساعات منذئذٍ من دون أن يحدث شيء. يبدو أن لا أحد يعرف أكثر من ذلك. وقامت فجأة من دون أن تبالي بتعرّضها للضرب ثانية، ودخلت إلى الصالون وسمعت لاس يغمغم. كانت أوراق أوغست لا

تزال متناثرة على الأرض، وفي الخارج سمعت صوت صفارة سيارة إسعاف يتعالى.

ثمّ سمعت وقع أقدام في السلم. أجاء أحد لزيارتهما؟ ورنّ جرس الباب.

فزمجر لاس:

- لا تفتحي الباب، لن يكون إلّا أحد أولئك الصحافيين الأوغاد.

لم تكن هانا ترغب في فتح الباب أيضاً. أرهقتها فكرة معرفة مَن الطارق. لكن من غير المعقول أن تتجاهل هذا الطرق على الباب. لعلّها الشرطة تريد أن تستجوبها من جديد، أو ربّما جاؤوها بأخبار جديدة، لا يهمّ أن تكون جيّدة كانت أم سيّئة! اتّجهت إلى مدخل الشقة وهي تفكّر في فرانز.

تراءى لها واقفاً عند الباب يوم جاء لأخذ أوغست. ما زالت تذكر عينيه وذقنه المحلوق ورغبته الجامحة في العودة إلى حياتهما السابقة، قبل لاس، لمّا كانت المكالمات الهاتفية بينهما لا تفتر، يوم كانت الاقتراحات تتدفّق عليها، ولم يكن الخوف يحاصرها. ثمّ واربت الباب من دون أن تنزع سلسلة الأمان. لم تلمح شيئاً في البداية باستثناء المصعد والجدران المطلية بالأحمر الغامق. ثمّ شعرت كما لو أنّها صعقة كهربائية أصابتها. رفضت للحظة أن تصدّق عينيها. إنّه أوغست! إنّه هو! كان مشعّث الشعر، قذر الملابس، ينتعل حذاء رياضياً يكبره، لكنّه كان يتطلّع إليها بالنظرة الغامضة المعتادة نفسها. فكّت سلسلة الأمان. لم تكن تنتظر أن يعود أوغست بمفرده كشخص راشد، لكنّها جفلت حين رأت إلى جواره امرأة ترتدي سترة جلدية، تظهر على وجهها خدوش، وشعرها مطلي بالطين. كانت تنظر إلى الأرض بعينين تقدحان شرراً. وكانت تحمل في يدها حقيبة كبيرة.

قالت من دون أن ترفع بصرها :

- جئت لأعيد لكم ابنكم.

فقالت هانا :

- يا إلهي! يا إلهي!

كانت عاجزة عن نطق شيء آخر، وتسمّرت في إطار الباب. وشرع كتفاها يرتعشان، ثم جَثَتْ على ركبتيها. طوّقت أوغست بذراعيها رغم أنّه يكره العناق، وراحت تغمغم: «ولدي، ولدي» بينما الدموع تنهمل من عينيها. وتركها أوغست تعانقه على غير عادته، بل بدا كما لو أنّه يهمّ بأن يقول شيئاً، كما لو أنّه، ولكي يتوِّج هذه اللحظة الرائعة، تعلّم الكلام. لكن الوقت لم يُسعفه لذلك، إذ سرعان ما ظهر لاس ويستمان عند الباب.

فصرخ وهو متأهّب للعراك:

- ما هذه الفوضى...

ثمّ تمالك نفسه. يا له من ممثل بارع! تحوّل في رمشة عين إلى الرجل الودود اللطيف الذي تعشقه النساء.

ثمّ أضاف:

- أجاءونا بالصبي إلى البيت؟ يا له من خبرٍ سار! ثمّ إنه بصحّة جيدة!

فقالت المرأة الواقفة عند عتبة الباب بصوت رتيب قبل أن تدخل إلى الشقة من دون استئذان، بحقيبتها الضخمة وحذائها الأسود الموحِل:

- كفى!

فقال لاس بنبرة لاذعة:

- ادخلي طبعاً. اعتبري نفسك في بيتك.

فردّت المرأة بالنبرة الفاترة نفسها:

- جئتُ لمساعدتك على جمع أغراضك يا لاس.

كانت هذه الجملة من النوع الذي لم تعتَدْ عليه هانا إلى درجة أنّها شكّت فيما سمعت، وبدا أن لاس أيضاً لم يفهم. وقف أمامها متبلّداً، فاغراً فمه.

- ماذا قلتِ؟

- ستغادر.

- ما هذه المهزلة؟

- ليست مهزلة. ستغادر هذا المنزل حالاً ولن تقرب أوغست أبداً. هذه آخر مرّة تراه فيها.

- الظاهر أنّك مخبولة!

- بالعكس، أنا أعقل ممّا يلزم. كانت نيتي أن أرمي بك إلى أسفل السلم، وأن أكسر عظامك، لكنّني فضّلت في الأخير أن أحضر لك حقيبة. قلتُ في نفسي من حقّك أن تحمل معك قميصين أو ثلاثة وبعض الكالسونات.

- فهتف لاس وقد تملّكه مزيج من الغضب والارتباك:

- مَن سلّطك علينا أيّتها المخبولة؟

واقترب من المرأة بجثّته الضخمة، وراحت هانا تنتظر أن يضربها هي أيضاً.

لكن شيئاً ما جعله يتردّد، ربّما نظرة هذه المرأة، أو لمجرّد أنّها ثبتت ولم تُظهر الخوف مثل الآخرين. وعوض أن تتراجع مرتعبة، اكتفت بأن ابتسمت بفتور، وأخرجت بعض الأوراق المكمّشة من جيب سترتها الداخلي، ومدّتها للاس وهي تقول:

- إذا اشتقت لأوغست، أنت وصديقك روجر، ما عليكما إلّا أن تشاهدا هذا.

تصفّح لاس الأوراق بارتباك وهو بادي الذهول، متجهّماً، ولم

تستطع هانا أن تتمالك نفسها، فألقت نظرة على الأوراق. كانت عبارة عن سلسلة من الرسوم، يمثل أوّلها لاس... لاس وهو يلوح بقبضته على نحو متوعّد. هي الآن تجد صعوبة في تذكّر الشعور الذي انتابها. لم يكن الأمر يتعلّق فقط بفهم ما كان يقع عندما تترك أوغست في البيت مع لاس وروجر فحسب، بل اكتشفت فجأة كم كانت حياتها بئيسة.

رأت هذه السحنة التي غيّرت القسوة ملامحها مئات المرات، كانت آخرها قبل لحظات في المطبخ. وقالت في نفسها ما كان ينبغي أن تتحمّل كلّ هذا، والأمر نفسه بالنسبة إلى أوغست، فتراجعت إلى الوراء. وراحت المرأة تنظر إليها نظرة متواطئة، وشعرت كما لو أنّ إحداهما فهمت الأخرى. وسألت المرأة:

- عليه أن يرحل يا هانا، أليس كذلك؟

كان سؤالاً بالغ الخطورة. خفضت هانا بصرها ومضت تنظر إلى الحذاء الرياضي الكبير الذي ينتعله أوغست.

- ما هذا الحذاء؟

- إنّه حذائي.

- ولماذا يلبسه؟

- غادرنا بسرعة هذا الصباح.

- ماذا فعلتما؟

- اختبأنا.

- لم أفهم...

لكن لاس لم يتركها تُنهي جملتها، وراح يخضّها بعنف وهو يقول:

- ألن تشرحي لهذه المخبولة أنّها هي مَن ينبغي أن تخلي هذا المكان؟

فردّت هانا:

- بلى... نعم.

- اشرحي لها إذاً، هيّا!

أهي هيئة لاس أم هذا الانطباع برباطة الجأش المنبعث من هذه المرأة، من جسدها ونظرتها؟ وألفت نفسها تقول:

- ارحل يا لاس، ولا تعُد إلى هنا أبداً!

بالكاد صدّقت أنّها قالت هذا، كما لو أنّ شخصاً آخر تكلّم على لسانها، ثمّ تلاحقت الأحداث بسرعة. رفع لاس يده، لكن المرأة تحركت بسرعة البرق، ووجّهت له ضربة أولى وثانية وثالثة، بمهارة ملاكم محترف، ثمّ عالجته بركلة قوية على ساقه.

لم تترك له فرصة الردّ، وكلّ ما استطاع أن يفعل هو أنّه قال:

- اللعنة!

ووجد نفسه مطروحاً أرضاً والمرأة الشابة منتصبة فوقه. ستذكر هانا لفترة طويلة الكلمات التي قالتها ليزبث سالاندر في هذه الأثناء. كان الأمر كما لو أنّها استعادت جزءاً من ذاتها، وأدركت إلى أيّ مدى كانت تحلم، ومنذ زمن بعيد، باختفاء لاس من حياتها.

اشتاق بابلانسكي إلى الحَبر غولدمان.

واشتاق إلى شوكولاتة سونيا موديغ بالبرتقال، وإلى سريره الجديد والزمن الجميل. لكنّه كان مكلّفاً بفكّ خيوط هذه القضية، وهذا ما ينوي فعله. وكان ثمّة سبب واحد على الأقلّ يدعوه إلى الابتهاج بذلك: أوغست بخير، وهو في طريقه للقاء أمّه.

أُلقِيَ القبض على قاتل أبيه بفضله وبفضل ليزبث سالاندر. كان يجهل ما إذا كان سيعيش، فقد أصيب إصابة بالغة، وهو الآن في

الرعاية المركزة بمستشفى داندريد. اسمه بوريس لوبيديف، لكنّه كان يعيش منذ فترة طويلة بهوية مزيفة باسم يان هولستر، ويقطن بهيلسينكي. وهو رائد وجندي سابق من جنود النخبة في الجيش السوفياتي. ورد اسمه في العديد من جرائم القتل من دون أن يُلقى عليه القبض أبداً. رسمياً، كان يملك شركة تعمل في مجال الأمن، وكان مزدوج الجنسية: فنلندية روسية. والظاهر أنّ أحدهم تسلّل إلى ملفه، وغيّر معطياته.

أمّا الشخصان الآخران اللذان عُثر عليهما بقرب المنزل الخشبي فعرفت هويّتهما انطلاقاً من بصماتهما. يتعلّق الأمر بدينيس ويلتون، عضو سابق في عصابة MC Svavelsjö، قضى عقوبات سجنية بسبب السرقة والعنف، وفلاديمير أورلوف، روسي سبق أن سُجن بألمانيا بسبب القوادة، إذ قتلت امرأتان كانتا تعملان لديه في ظروف غامضة. والرجلان معاً ما زالا لم يُدليا بشيء حول أحداث الليلة السابقة، وبابلانسكي لا يعقد آمالاً كبيرة على اعترافهما. فهذا النوع من الأشخاص لا يكشفون شيئاً خلال التحقيقات. وهي قاعدة من قواعد اللعبة.

راود بابلانسكي شعور بأنّ هؤلاء الرجال الموقوفين ليسوا سوى جنود صغار، يختفي خلفهم كوماندو له علاقات بالدوائر العليا، سواء في روسيا أو في الولايات المتّحدة. وهو أمر لم يرقه.

من جهة أخرى لم يكن يضايقه أن يعرف صحافي آخر أكثر منه حول القضية. كلّ ما كان يأمله هو أن يتقدّم في التحقيق، ومن ثمّة كان مستعدّاً لقبول كلّ المعلومات مهما كان مصدرها. لكنّ عمق معرفة مايكل بهذه القضية ذكّره بمظاهر قصورهم، المتمثّلة على الخصوص في التسريبات من داخل الفريق، والمخاطر التي عُرِّض لها الطفل. وهو ما ظلّ غصّة في حلقه. وهذا يفسِّر بلا شك سبب انزعاجه من إلحاح

رئيسة السابو، هيلينا كرافت، على الاتّصال به. ولم تكن الوحيدة التي كانت ترغب في التحدّث إليه. فخبراء الإلكترونيات لدى ريكسكريم سعوا للاتّصال به أيضاً. ثمّ هناك المدّعي العام ريتشارد إكشتروم وبروفسور من ستانفورد يدعى ستيفن واربورتن، أحد أعضاء فريق البحث في الذكاء الاصطناعي، والذي كان يودّ، بحسب أماندا فلود، تحذيرهم من «خطر كبير».

كلّ هذا وأشياء أخرى كثيرة كانت تشغل بال بابلانسكي.

وفي تلك الأثناء طرق أحدهم بابه. إنّها سونيا موديغ التي كان يظهر على وجهها تعب كبير. بدت من دون ماكياج مختلفة وضعيفة. قالت:

- لقد خضع الرجال ثلاثتهم لعمليات جراحية. سنضطرّ إلى الانتظار قبل التحقيق معهم.

- تقصدين محاولة استجوابهم.

- نعم، لكنّني تمكّنت من طرح بعض الأسئلة على لوبيديف. كان واعياً قبل العملية.

- وماذا قال؟

- طلب التحدّث إلى قِسّ.

- لماذا صار المجانين والمجرمون يدّعون التديّن في أيّامنا؟

- . . . بينما يشكّ كلّ المفتشين القدامى في وجود الربّ. أهذا ما تقصدين؟

- هيّا!

واسترسلت سونيا تقول:

- باختصار، يبدو أنّ لوبيديف استسلم، وهو أمر حسن. لمّا عرضت عليه الرسم، أزاحه بحركة دالّة على الأسى.

- ألم يقُل إنّه مزوّر؟

- كلا، أغلق عينيه، وطلب أن ينادوا له على قِسّ.

- هل تعرفين ما يريده ذلك البروفسور الأميركي الذي لا يكفّ عن الاتّصال على هاتفي؟

- لا... هو يلحّ على التحدّث إليك حول أبحاث بالدر فيما أظنّ.

- وذلك الصحافي الشاب، زاندر؟

- عنه كنت أنوي التحدّث إليك. يراودني إحساس سيّئ.

- ماذا نعرف عنه بالضبط؟

- أنّه عمل حتّى ساعة متأخّرة واختفى قرب مصعد كاتارينا مع امرأة جميلة شقراء، بيضاء البشرة ونمشاء، تلبس على نحو مميّز.

- لا علم لي بهذا.

- رآهما أحد الأشخاص، هو خبّاز موجود بسكانسن، يُدعى كين إيكلوند، يقطن في العمارة نفسها التي يوجد بها مقرّ **ميلينيوم**. قال إنّهما كانا يبدوان كعشيقين، ولا سيما زاندر.

- لعلّها امرأة سحرته وأسقطته في شباكها؟

- محتمل.

- قد تكون المرأة نفسها التي تمّ التعرف عليها في إنيارو؟

- العمل جارٍ لتحديد هويتها. لكن ما يُقلقني هو أنّهما ذهبا باتّجاه غاملا ستان.

- فهمت.

- ليس لأنّ آخر إشارة من هاتف زاندر التقطت في غاملا ستان فحسب، بل لأنّ أورلوف، ذلك الوغد الذي بصق عليّ لما سألته، يملك شقّة في مارتن تروتزيغس غراند.

- هل ذهبوا إليها؟

- رجالنا في طريقهم إليها. أخبرونا بذلك توّاً. الشقة مسجّلة باسم إحدى شركاته.

- نتمنّى ألّا يعثروا هناك على شيء سيّئ.

- نتمنّى ذلك.

جلس لاس ويستمان متهالكاً على الأرض عند مدخل تورسغاتن غير قادرٍ على فهم سبب الهلع الذي أصابه. ما هي إلّا امرأة ضيئلة، بالكاد تصل إلى صدره. كان بإمكانه أن يرمي بها خارج الشقة كجُرذ، فلماذا أصابه الشلل؟ لا يرجع ذلك إلى طريقتها في العراك، ولا إلى الركلة التي سحقت بها بطنه، بل إلى نظرتها المبهمة وإلى مظهرها غير المألوف. تسمّر في مكانه لفترة طويلة يُنصت إليها كأبله. قالت:

- هذا ذكّرني بأشياء شنيعة في عائلتي، وأنه بالإمكان ارتكاب أمور بشعة. لعلّ هذا يرجع إلى مشكل جيني. شخصياً أبغض الرجال الذين يعتدون على النساء والأطفال، وحين أصادفهم قد يكون ردّ فعلي بالغ الخطورة. لمّا رأيتك أنت وصديقك في رسم أوغست، وددت لو أعذبكما وأذيقكما ممّا أذقتماه. والآن أعتقد أنّ أوغست قد تحمّل ما يكفي من الأعمال الوحشية وأنه آن الأوان أن تختفيا من حياته، أنت وصديقك.

فهمّ لاس أن يقول:

- أنا...

فقاطعته قائلة:

- اخرس. لسنا بصدد التفاوض أو المساومة. أودّ فقط أن أوضّح لك بعض الشروط. الجانب القانوني لا يطرح أيّ مشكلة. فقد كان فرانز من الحكمة بحيث سجّل الشقة باسم أوغست. أمّا بالنسبة إلى

الباقي، فاصغِ لما سنفعله: أمامك أربع دقائق لتجمع أغراضك وتختفي من هنا. وإذا عدتما، أنت وصديقك، إلى هذا الحي، وحاولتما الاقتراب من أوغست بطريقة أو أخرى، سأنكّل بكما، وسأجعل حياتكما جحيماً. ثمّ لا بدّ من أن أخبركما بأنّني بصدد تحضير شكاية تتعلق بسوء معاملتكما لأوغست، وكن واثقاً من أنّها لن تتضمّن الرسوم فحسب، بل شهادات اختصاصيين نفسانيين وخبراء. سأتّصل بالصحف المحليّة وأقول لهم بأنّني أملك صوراً تؤكّد الصورة التي قدّمها لاس ويستمان عن نفسه في قضية ريناتا كابوسينسكي. قلْ لي ما فعلته بها؟ أمزّقت وجنتها؟ وهشّمت رأسها بالركل؟

- أتنوين اللجوء إلى الصحافة؟

- نعم، أنوي اللجوء إلى الصحافة. أودّ أن أصيبك أنت وصديقك في مقتل. لكن بإمكانكما ربّما -وأقول ربّما- أن تتجنّبا هذا الخزي إن أخليتما هذا الحي، ولم يعد يظهر لكما أثر في محيط هانا وأوغست، وتقلعا عن الإساءة للنساء عموماً. ينبغي أن تعلم أنّه لا شأن لي بك. كلّ ما أريده هو أن تختفي من المشهد. ارحل من هنا، وإذا أبديت ما يكفي من الرزانة والتعقّل، لن أتعرّض لك ربّما، وإن كنت أشكّ في ذلك، لأنّ حالات العود بالنسبة إلى الرجال الذين يسيئون معاملة النساء مرتفعة جداً، وأنت في عمقك لست سوى وغد مقزّز، لكن بقليل من الحظّ... مفهوم؟

- نعم، مفهوم.

شعر بالاشمئزاز من نفسه، إلا أنّه لم يكن يملك خياراً آخر سوى أن يذعن. نهض واقفاً وتوجّه إلى غرفة النوم لكي يلمّ بعض الأغراض بسرعة، ثمّ ارتدى معطفه وتناول هاتفه وغادر الشقّة من دون أن يعرف أيّ وجهة سيأخذ على وجه التحديد.

سمعَت ليزبث باب الشقّة يُصفق ووقع الأقدام تبتعد في السلم الحجري، فنظرت إلى أوغست. كان متسمّراً في مكانه ويداه ممدودتان ومتصلّبتان، يحدّق فيها بكيفية أشعرتها بالضيق. فبينما كانت سيّدة الموقف قبل هنيهة، ها هي تشعر بالارتباك فجأة. يا إلهي، ماذا جرى لهانا بالدر؟

كانت تداري دموعها. وممّا زاد تفاقم الموقف هو أنّ أوغست أخذ يهزّ رأسه ويدمدم بكلام غير مسموع، لا علاقة له بالأرقام الأوليّة. ولم تعُد ليزبث ترغب إلّا في شيء واحد: أن تغادر المكان، على أنّ مهمتها لم تكن قد انتهت بعد. أخرجت تذكرَتَي سفر من جيبها، وورقة حجز في فندق وحزمة أوراق نقدية، من الكرونة والأورو.

بادرتها هانا قائلة:

- أتمنّى من أعماق قلبي أن...

فردّت ليزبث:

- اصمتي. هاتان تذكرتا سفر إلى ميونيخ. ستقلع الطائرة عند الساعة السابعة والربع هذا المساء. لم يفضل لكما إذاً غير قليل من الوقت.

ستحملكما سيارة أجرة إلى سلوس إلمو، وهو فندق بديع، غير بعيد عن غارميش بارتينكيرشن. ستنزلان في غرفة كبيرة عالية، باسم مولِر. ستمكثان هناك ثلاثة أشهر في المرحلة الأولى. لقد اتّصلت هناك بالبروفسور شارلز إيدلمان، وشرحت له أهمية الحفاظ على السريّة التامة. سيأتي لزيارتكما بانتظام، وسيحرص على أن يتلقّى أوغست الرعاية المناسبة. سيتكلّف إيدلمان أيضاً بالبحث له عن مؤسسة تعليمية تلائمه.

- أتمزحين؟

- اصمتي قلت لك. الأمر في غاية الخطورة. صحيح أنّ رسوم

أوغست عند الشرطة، والقاتل جرى توقيفه، لكنّ مَن جنّدوه ما زالوا أحراراً، ومن المستحيل تخمين ما يمكن أن يُقدِموا عليه. عليكما أن تخليا الشقة فوراً. أمّا أنا، فلديّ أشغال ينبغي أن أسوّيها، لكنّني بحثت لكما عن سائق سيقلّكما إلى أرلاندا. شكله غريب شيئاً ما، لكنّه ثقة. يمكن أن تناديه بلاك. مفهوم؟

- نعم ولكن. . .

- لا توجد لكن، اسمعي: خلال إقامتك هناك، عليك ألّا تستعملي بطاقة ائتمانك وكذلك هاتفك. هيّأت لك هاتفاً مرموزاً، بلاكفون، في حالة ما إذا احتجتِ إلى طلب النجدة. وقد برمجتُ فيه رقمي. وكلّ نفقات الفندق هي باسمي. عندك مائة ألف كرونة لتغطية النفقات غير المتوقّعة. هل من سؤال؟

- غير معقول؟

- كلا.

- ولكن، من أين حصلت على كلّ هذا المال؟

- كان بحوزتي. هذا كلّ ما في الأمر.

- كيف يمكن. . .

لم تستطع هانا إنهاء جملتها. فقد كانت مذهولة وغير قادرة على تركيز ذهنها على فكرة محدّدة. ثمّ أجهشت فجأة بالبكاء. وغمغمت:

- كيف لي أن أشكرك؟

- أن تشكريني؟

ردّدت ليزبث الكلمة كما لو كانت شيئاً مستعصياً على الفهم، ولمّا اقتربت منها هانا ومدّت يديها، تراجعت وهي تنظر إلى الأرض، وقالت:

- تمالكي نفسك! وكُفّي عن تناول تلك الأقراص التافهة. هذه هي الطريقة المثلى لشكري.

- بطبيعة الحال سأتوقّف...

- وإذا اقترح عليك أحدهم إيداع أوغست لدى إحدى العائلات أو المؤسسات، اهزئي به. كوني صارمة ومتشدّدة. كوني مكافحة.

- مكافحة؟

- تماماً. لا يحقّ لأحد أن...

وصمتت ليزبث. لم تكن تلك كلمات تليق بموقف الوداع. التفتت وتوجّهت إلى باب الشقّة، ولم تكد تخطو ثلاث خطوات حتّى شرع أوغست يصرخ بكلمات مفهومة هذه المرّة:

- لا تنصرفي، لا تنصرفي...

ولم تعثر ليزبث على جواب مناسب غير أن قالت: «ستتمكن من تجاوز هذه الوضعية الصعبة»، ثمّ أضافت كما لو أنّها تحدّث نفسها: «شكراً على صرخة هذا الصباح»، وخيّم الصمت. تساءلت ليزبث ما إذا كان عليها أن تضيف شيئاً، لكنّها أعرضت ثمّ استدارت وغادرت الشقة، فهتفت هانا من خلفها:

- لا أستطيع أن أوضّح لك ما يمثّله هذا بالنسبة إليّ!

لكنّ ليزبث كانت قد نزلت السلم مسرعة وتوجّهت إلى سيارتها المركونة بتورسغاتن. ولمّا بلغت فاستربرون، اتّصل بها مايكل بلومفيست عبر تطبيق الريدفون، وأخبرها بأنّ وكالة الأمن تتعقّبها. فغمغمت:

- أخبرهم بأنّني أتعقبهم أنا أيضاً.

ثمّ لحقت بروجر وينتر، وزرعت فيه الرعب قبل أن تعود إلى بيتها. جلست إلى حاسوبها علّها تفكّ شفرة ملفّ وكالة الأمن المرموز، لكنّها لم تستطع أن تتقدّم قيد أنملة.

عمل مايكل وإيد في غرفة الغراند أوتيل بعناء طيلة اليوم. سرد إيد حكاية مثيرة لمايكل الذي رأى فيها سبقاً صحفياً كانت ميلينيوم في أمسّ الحاجة إليه. لكنّه لم يستطع مع ذلك التخلّص من شعور بالضيق لازمه، ولم يكن ناتجاً عن اختفاء أندري زاندر فحسب. أحسّ بأن شيئاً ما في كلام إيد لا يستقيم. لماذا يحلّ بالسويد هكذا، ويصرف كلّ هذه الطاقة ليساعد صحافياً صغيراً، عوض اللجوء إلى الشبكات الإعلامية الأميركية العاتية؟

قد تكون التسوية شكلاً من أشكال التعاون العادل بطبيعة الحال، بحيث التزم مايكل بعدم الكشف عن أمر الاختراق الإلكتروني، ووعد بمحاولة ترتيب لقاء بين إيد وليزبث. لكنّ هذا يظل غير كافٍ بالطبع، ولهذا خصّص مايكل كلّ هذا الوقت للإصغاء لإيد عوض تخصيصه لقراءة ما يخفيه كلامه.

كان إيد يتصرّف كما لو أنّه مُقبل على مخاطرة كبيرة، بحيث أنه غالى في اتّخاذ إجراءات الحيطة والحذر بالغرفة: سحب ستائر النوافذ ووضع الهواتف في مكان بعيد عنهما، ونشر مستندات سرّية على السرير، ولم يسمح لمايكل إلّا بقراءتها من دون الاقتباس منها أو تصويرها. وكان يقطع سرده بين الفينة والأخرى ليخوض في بعض المظاهر التقنية المتعلقة بإخفاء المصادر. بدا مهووساً بمحو آثاره، والتأكّد من استحالة تقفّي أثره، والوصول إليه. كما أنّه كان يصمت ليصيخ السمع عند سماع أبسط ضجّة في الممرّ، بل لم يتوانَ مرّة أو مرّتين في إلقاء نظرة من خلال الستائر ليتأكّد من أنّ لا أحد يراقبهما في الخارج.

ومع كلّ ذلك لم يستطِع مايكل التخلّص من فكرة أنّ كل هذا قد يكون مجرّد تمثيل. بدأ يخيّل إليه أنّ إيد يعرف ما يفعل، وأنّه غير قلق البتة من أن يكون تحت التنصّت. وقال مايكل في نفسه: من المحتمل

جدّاً أنّه يتصرّف بناء على تعليمات يتلقّاها من أعلى، بل قد لا يكون واعياً بأبعاد الدور الذي طلبوا منه أن يلعبه في التمثيلية.

كان عليه إذاً أن ينتبه جيّداً لما يقوله إيد، لكنّه صمّم على أن ينتبه أكثر لما يسكت عنه كذلك، وأن يحاول تخمين الفوائد التي قد يجنيها من نشر هذا التحقيق. كان بديهياً أن يكون الغضب هو الحافز الأساسي الذي دفع إيد إلى الإقدام على هذه الخطوة. فهؤلاء «الأوغاد المعتوهون» في قسم مراقبة التكنولوجيات الاستراتيجية حالوا بينه وبين الإمساك بالقرصان الذي اخترق نظامه خوفاً من انكشاف أمرهم، وهو ما جعله يستشيط غضباً كما يقول. ولم يكن يخامر مايكل شكّ في أنّه يتوق بصدق إلى الإيقاع بهم، «تدميرهم وسحقهم بحذائه» على حدّ تعبيره.

لكنّ الانزعاج البادي على إيد أيضاً جعله يستنتج أنّه يتصارع مع الرقيب الكامن بداخله.

كان مايكل يوقفه بين الفينة والأخرى، وينزل إلى مصلحة الاستقبال لكي يتّصل بإريكا أو ليزبث. كانت إريكا تجيب دائماً من أوّل رنّة. وإذا كان مايكل وإريكا متحمّسين لموضوع إيد، فإن ما كان يزعجهما حقّاً هو اختفاء أندري.

أما ليزبث فلم تكن تردّ. وكان عليه أن ينتظر إلى غاية الساعة الخامسة وعشرين دقيقة لكي يسمع صوتها على الطرف الآخر من الخط. كانت تبدو مشغولة البال، وأخبرته باقتضاب بأنّ أوغست يوجد مع أمّه في مكان آمن.

سألها:

- وأنتِ؟

- بخير.

- سالمة؟

- إلى حدٍّ ما.

التقط نفساً عميقاً وسأل:

- هل قرصنتِ الشبكة الداخلية لوكالة الأمن يا ليزبث؟

- أهذا ما قاله لك إيد دي نيد!

- بلا تعليق.

لن يبوح بشيء حتّى لليزبث. حماية المصادر شيء مقدّس لديه.

فقالت متجاهلة جوابه:

- فإيد ليس إذاً على قدر كبير من البلادة.

- فعلتِها إذاً.

- ممكن.

وهمّ مايكل أن يعاتبها على إقدامها على فعلها هذا، لكنّه اكتفى بأن قال بصوت اجتهد في أن يكون هادئاً:

- هم مستعدّون لتركك وشأنك إن أنتِ التقيت بهم وشرحت لهم بتفصيل كيف قُمت بذلك.

- قل لهم إنّني أتعقّبهم أنا أيضاً.

- ماذا تقصدين بهذا الكلام؟

- أنّني أعرف أكثر مما يتوقّعون.

فردّ مايكل بشرود:

- حسناً، ولكن هل توافقين مع ذلك على لقاء...

- إيد؟

وقال مايكل في نفسه: اللعنة! انتابه شعور جارف بأنّه يكشف لها مكنون نفسه. فقال:

- إيد.

- ذلك المتغطرس القذر.

- متغطرس، هذا صحيح. ولكن هل توافقين على ملاقاته إذا حصلنا على ضمانة أن يتركوك وشأنك، ولا يوقفوك؟

- هذا النوع من الضمانات لا وجود له.
- هل تقبلين أن أتّصل بأختي أنيكا وأطلب منها أن تمثّلك؟
فقالت كما لو أنّها ترغب في إغلاق هذا الموضوع:
- لديّ أمور أخرى تنتظرني.
فلم يتمالك نفسه وأضاف:
- هذا الموضوع الذي نحن بصدد تقليبه. . .
- ماذا؟
- لست متأكّداً من أنّني فهمت كلّ شيء.
فسألته:
- أين هي المشكلة؟
- في البداية، كيف ظهرت كاميلا بعد غياب دام كلّ هذه السنوات؟
- انتظرتْ ساعتها، فيما أظنّ.
- ماذا تقصدين؟
- لم يعزب عن ذهنها يوماً أنّها ستعود لكي تنتقم لِما فعلتُه بها وبزالا. لكنّها انتظرت إلى أن صارت قويّة على كلّ المستويات. لا شيء أهمّ بالنسبة إليها من القوّة. وأظنّ أنّ الفرصة واتتها أخيراً لكي تضرب عصفورين بحجر واحد. ما عليك إلّا أن تسألها في المرّة القادمة حين تشرب معها كأساً.
- أتحدّثت مع هولجر؟
- لم أجلس مكتوفة الأيدي.
- لكن مساعيها فشلت.
ثمّ استطرد مايكل:
- أفْلَتُّ منها لحسن حظّي.
- نعم أفلتّ.
- ألا تخشين ظهورها مُجدّداً؟

- فكرة راودتني.

- حسناً. أتعرفين أنّني أنا وكاميلا لم نَسِرْ إلّا بضع خطوات في هورنسغاتن؟

لم تجب ليزبث عن السؤال. واكتفت بأن قالت:

- أعرفك يا مايكل. الآن وقد التقيت بإيد، أظنّ أن عليّ أن أحذره هو أيضاً.

ارتسمت على محيّا مايكل ابتسامة، وأجاب:

- نعم، أنتِ محقّة. علينا ألّا نثق فيه ثقة عمياء، بل إنّني أخاف أن يتّخذني دمية يحركها كيفما شاء.

- لا أظن أنّك أنت هو المقصود بهذه التمثيلية يا مايكل.

- فعلاً. بالمناسبة، أودّ أن أعرف بعض ما اكتشفت لمّا قرصنت معطياتهم.

- أشياء كثيرة مزعجة.

- تتعلّق بعلاقة إكيroوولد وسبايدر مع وكالة الأمن؟

- وأشياء أخرى غيرها.

- أكنتِ تنوين إخباري بها؟

فردّت بنبرة ماكرة راقته:

- إن أنتَ تصرّفت على النحو المطلوب، ربّما فعلت.

ثمّ ضحك ضحكة صغيرة: فهم تماماً ما كان يحوكه إيد نيدام.

فهم بوضوح إلى درجة أنّه وجد صعوبة في أن يحافظ على مظهره الطبيعي لمّا عاد إلى غرفة الفندق واستأنف العمل مع الأميركي إلى حدود الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة ليلاً.

29

صباح الخامس والعشرين من نوفمبر

لم يكن الأمر كارثياً في بيت فلاديمير أورلوف الواقع في حيّ مارتن تروتزيغس غراند. كانت الشقّة أنيقة ونظيفة، والسرير مرتّباً والأغطية مغسولة. وكانت سلّة الغسيل في الحمام فارغة. على أنّ استقصاء بعض التفاصيل أخذ يغيّر الانطباع الذي تشكّل لديهم في البداية. أخبرهم الجيران أنّ بعض متعهّدي نقل الأثاث جاءوا ذلك الصباح، وبتفتيش المكان بعناية، انتهى المحققون إلى العثور على أثر دماء على الأرض وعلى الجدار فوق رأس السرير. وبعد مقارنتها بعيّنات البصاق التي أخذت من شقة أندري، تأكّد أنّ الدّم هو فعلاً دم أندري.

من المؤكّد أنّ الموقوفين، على الأقل ذيْنِك القادرين على الكلام، لا يعرفون شيئاً عن آثار دماء زاندر، لذلك ركّز بابلانسكي وفريقه أبحاثهم على المرأة التي شوهدت معه.

كانت وسائل الإعلام قد نشرت سيلاً من المقالات عن مأساة إنيارو واختفاء زاندر. ونشرت جريدتا **سفينسكا مورغن بوستن** و**ميترو** صُوراً مكبّرة للصحافي. لم تكن أيّ هيئة من هيئات التحرير قد فهمت شيئاً من ملابسات القضية، لكنّهم بدأوا يرجّحون مقتل صحافي **ميلينيوم** الشاب. ربّما ساعد نشر صور الضحية على إنعاش ذاكرة أحد الشهود،

إنْ وُجِدَ، وحمله على استرجاع بعض التفاصيل المثيرة للشبهة. لكن العكس هو ما حصل.

ظلّت الشهادات ذات المصداقية التي جمعوها غامضة على نحو غريب، أجمعت كلّها، باستثناء شهادة مايكل بلومفيست وخبّاز سكانسن، على أنّ تلك المرأة لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تكون مُجرمة. وقد ادّعى سورين كارلستن، نادل مطعم باباغايو الذي قدّم الشراب للمرأة وزاندر، وهو رجل متقدّم إلى حدّ ما في السن، متبجّح بخبرته في معرفة الطباع الإنسانية، أنّ هذه المرأة «يستحيل أن تؤذي ذبابة».

- امرأة ذات أناقة مذهلة.

والواقع أنّ كلّ الشهود أشاروا إلى أنّها كانت مذهلة في كلّ شيء. وسرعان ما أدرك بابلانسكي صعوبة إنجاز رسم تقريبي لوجهها، إذ كان كلّ شاهد يصفها بطريقته الخاصة، كما لو أنّ الشهود عوض أن يصفوها، يُسقطون عليها نظرتهم الخاصة للمرأة المثالية. وهو ما جعل الأمر أقرب إلى المهزلة. وممّا زاد الوضع تعقيداً أنّ صور كاميرات المراقبة لم تكن قد توفرت بعد. وقد كان بلومفيست يزعم أن هذه المرأة لا يمكن أن تكون إلّا كاميلا سالاندر، الأخت التوأمة لليزبث، التي اختفت منذ مدّة طويلة، وامّحت آثارها من كلّ السجلات، كما لو أنّها زالت من سطح البسيطة. فهي إن كانت لا تزال على قيد الحياة، فلا بدّ أنّها غيّرت هويتها، وهي فكرة أزعجت بابلانسكي، لا سيما أنّ آخر أسرة آوتها في السويد رُزِئت بحادثتي وفاة غامضتين، والتحقيقات التي قادتها الشرطة في تلك الفترة اعترتها العديد من الفجوات وعلامات الاستفهام.

لمّا اطّلع بابلانسكي على شهادات الشهود انزعج من تأثّر زملائه بالمأساة التي عاشتها الأسرة، ولم يسألوا من ثمّة عن إفراغ كلّ من

الأب وابنته حسابيهما البنكيين قبيل وفاتهما، وأنّ الأب قبل انتحاره بأسبوع، كتب رسالة بدأها على النحو الآتي:

لِمَ تحرصين يا كاميلا على تدمير حياتي؟

كانت تخيم على هذه المرأة، التي بدت كما لو أنّها فتنت كلّ الشهود، ظلالٌ بغيضة.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحاً، وكان بابلانسكي موجوداً بمكتبه بمقرّ الشرطة، مستغرقاً في قراءة التحقيقات القديمة آملاً في العثور على معطيات تلقي أضواءً جديدة على القضية. كان واعياً بأنّ ثمّة نقاطاً كثيرة لم يسعفه الوقت في التركيز عليها، وقد اقشعرّ بدنه لمّا قيل له إنّ أحدهم يطلب لقاءه.

كان الأمر يتعلّق بامرأة سبق أن استجوبتها سونيا موديغ، لكنّها أصرّت على لقائه شخصيّاً. وتساءل عمّا إذا لم يكن الآن أكثر استعداداً للإنصات، ربّما لأنّه لم يكن ينتظر إلّا مزيداً من المتاعب. لم تكن المرأة المنتظِرَة عند الباب طويلة القامة، لكنّها كانت تملك هيئة جليلة وعينين قاتمتين تُقرأ فيهما الكآبة. كانت تصغره بحوالي عشر سنوات، وتلبس معطفاً رمادياً وفستاناً أحمر أشبه بالساري.

قالت:

- اسمي فرح شريف، أستاذة إلكترونيات. كنت صديقة فرانز بالدر.

فردّ بابلانسكي بانزعاج فجأة:

- نعم، نعم. اجلسي من فضلك. اعذريني على هذه الفوضى.

- سبق أن رأيت أدهى منها.

- أأنت يهودية؟

كان سؤالاً سخيفاً، ففرح شريف لم تكن يهودية بالطبع. مهما يكن، فما فائدة هذا السؤال؟ لم ينتبه لذلك. وشعر بارتباك شديد.

- عفواً. . .؟ كلا. . . أنا إيرانية ومسلمة، ثمّ إنني وصلت إلى هنا سنة 1979.

- واضح، المعذرة، يبدو أنّني أقول أيّ شيء. ما سرّ تشريفنا بهذه الزيارة؟

- منذ أن تحدثت إلى زميلتك سونيا موديغ، فكّرت مليّاً.

- ماذا تقصدين؟

- أنّ الأمر اتّضح لي الآن. أجريت محادثة مطوّلة مع البروفسور ستيفن واربورتن.

- حاول أن يتّصل بي أنا أيضاً، لكنني انشغلت كثيراً هذه الأيام بحيث لم أجد الوقت لمعاودة الاتصال به.

- يعمل ستيفن أستاذ سيبرنيطيقا في جامعة ستانفورد، وهو باحث متخصّص في التفرّد التكنولوجي. وهو يعمل اليوم بمعهد البحث في الذكاء الاصطناعي، مؤسسة تعمل على أن يصير الذكاء الاصطناعي مساعداً للإنسان، وليس العكس.

فقال بابلانسكي الذي كان يشعر بالانزعاج كلما أثير هذا الموضوع:

- هذا شيء جيّد.

- ستيفن يعيش في عالمه الخاص منعزلاً إلى حدّ ما، لم يعلم بمَ وقع لفرانز إلّا البارحة، هذا هو سبب عدم ظهوره قبل هذا الوقت. لكنّه أخبرني بأن آخر مرة تحدث فيها إلى فرانز كانت يوم الاثنين.

- في أي موضوع؟

- عن أبحاثه. أنت تعلم أنّ فرانز منذ أن غادر الولايات

المتحدة، صار يعيش متخفّياً. فحتّى أنا، ورغم العلاقة القريبة التي كانت تجمعني به، لم أكن أعرف ما يفعل، وإن كنت أستطيع الادّعاء بأنني خمنت ذلك. والحال أنّه تبين فيما بعد أنني كنت مخطئة.

- ماذا تقصدين؟

- سأحاول أن أبسّط لك الأمر، وألا أثقل عليك بالتفاصيل التقنية. . . الظاهر أن فرانز لم يكن يطوّر برنامجه القديم المتعلّق بالذكاء الاصطناعي فحسب، بل ابتكر أيضاً لوغاريتمات ومعطيات تكنولوجية جديدة تتّصل بالحواسيب الكوانتية.

- هذه التفاصيل التقنية تستغلق عليّ. هلا بسّطت الأمر أكثر.

- الحواسيب الكوانتية آلات قائمة على الميكانيكا الكوانتية. إنّه ابتكار جديد. ذلك أنّ غوغل ووكالة الأمن القومي استثمروا مبالغ هائلة من أجل تطوير جهاز من هذا النوع، وهو أسرع، في بعض المجالات، بخمس وثلاثين ألف مرة من أرقى حاسوب اليوم. وقد كان فرانز، خلال عمله لدى سوليفون، يشتغل على مشروع مماثل، لكنّهم، ويا لسخرية التاريخ، لا سيما إذا تأكدت هذه المعلومات، لم يذهبوا أبعد منه من الناحية التقنية.

فقال بابلانسكي متردّداً:

- حسناً.

- مزيّة الحواسيب الكوانتية الكبرى هي إمكانية وضع وحداتها القاعدية لتخزين المعلومات، أيّ الكيوبيتات، بعضها فوق بعض.

- لم أفهم.

- فهي لا توجد، كما في الحواسيب التقليدية، إمّا في حالة 1 أو في حالة 0، بل تستطيع أن تجمع بين الحالتين معاً في آنٍ واحد، لكنّ المشكلة هي أنّ هذا يتطلّب طرائق حسابية خاصة، ونظريات معقّدة، لا سيما فيما يسمّى عدم الانسجام الكوانتي، وهو مجال ما زال يحتاج

إلى كثير من البحث. فالحواسيب الكوانتية في الوقت الراهن ما زالت بالغة التخصّص وثقيلة. على أنّ كلّ شيء يشير إلى أنّ فرانز، وهو أمر لا أعرف كيف أبسّطه لك، اكتشف طرائق يمكن أن تجعلها أكثر سلاسة وخفّة واستقلالية. كما أنه كان على علاقة بعدد من التجريبيين، أيّ أناس قادرين على اختبار النتائج والتثبّت منها. حقّق تقدّماً رائعاً، هذا ما أتصوره على الأقل. على أنّ هذا التقدم إن كان قد أدخل البهجة على نفسه، فإنه بالمقابل خلق لديه شعوراً بأزمة ضمير. وهذا هو ما جعله يتصل بستيفن واربورتن.

- لماذا؟

- لأنه كان يخشى من أن يشكّل ابتكاره خطراً على العالم على المدى البعيد، فيما أظنّ. بعبارة أوضح، لأنّه كان يعرف أشياء عن وكالة الأمن.

- مثل ماذا؟

- هناك جانب أجهله تماماً، وهو الأكثر التباساً، ويتعلّق بالتجسّس الصناعي. أمّا الجانب الآخر بالمقابل، فأعرفه جيداً: فالجميع يعلم أنّ المنظمة تشتغل بلا كلل من أجل تطوير الحواسيب الكوانتية تحديداً. هذا يشكّل حلماً بالنسبة إلى وكالة الأمن: سيمكّنهم حاسوب كوانتي يعمل بفعالية من فكّ كلّ الترميزات وكلّ أنظمة الأمان الرقمية. لن يستطيع أحد حماية نفسه من عيون المنظمة التي لا تنام.

فقال بابلانسكي بحدّة فاجأته هو نفسه:

- يا للبشاعة!

- لكن ثمّة سيناريو أدهى وهو أن تسقط آلة مثل هذه بين يدي أحد المجرمين.

- فهمت قصدك.

- لهذا أتساءل عمّا عثرتم عليه إثر توقيفكم لهؤلاء الأشخاص.

- أخشى ألا نكون عثرنا على طائل. فهؤلاء الأشخاص ليسوا ضليعين في هذه الأمور. لا أظنّ أنّ مستواهم في الرياضيات يتجاوز مستوى تلميذ المرحلة الابتدائية.

- أفهم من كلامك أنّ عبقري الإلكترونيات أفلت؟

- مع الأسف، اختفى بصحبة امرأة نشتبه فيها. وهما يتخفّيان، بلا شك، خلف هويات متعددة.

- هذا أمر مقلق.

هزّ بابلانسكي رأسه، وغاص في عيني فرح السوداوين اللتين كانتا تحدّقان فيه بتضرّع، وهو ما بعث فيه شيئاً من التفاؤل عوض الاستسلام لليأس من جديد.

- لا أعرف معنى ذلك، ولكن...

- ماذا؟

- ... خبراؤنا في مجال الإلكترونيات فتّشوا حواسيب بالدر. لم تكن المهمة، كما تعلمين، سهلة بالنظر إلى أنظمة الأمان التي ثبّتها فيها. لكنّنا نجحنا مع ذلك. لنقل إنّ الحظ حالفنا بحيث لاحظنا سرقة أحد الحواسيب.

- تبّاً! هذا ما توقّعته.

- اهدئي، لم أكمل كلامي بعد. أدركنا كذلك بأنّ العديد من الأجهزة موصولة فيما بينها، وأنّها كانت من حين إلى آخر ترتبط بسوبر كومبيوتر موجود في طوكيو.

- الظاهر أنّه أمر صحيح.

- بالضبط، واستطعنا من ثمّة أن نلاحظ أن ملفاً، أو بالأحرى شيئاً، مُسح حديثاً. ما زلنا غير قادرين على استعادته، لكنّنا متيقّنون من أنّ هذه العملية حدثت.

- أتقصد أنّ فرانز قد يكون دمّر أعماله البحثية؟

- لا أستطيع الجزم بذلك، لكن هذا ما خطر ببالي وأنا أنصت إليك.

- ولماذا لا يكون المجرم هو الذي مسح الملف؟

- تقصدين أن يكون مسحه بعد نسخه من الحاسوب؟

- بالضبط.

- من الصعب افتراض ذلك. فالقاتل لم يمكث في المنزل إلّا فترة قصيرة للغاية، غير كافية للقيام بعمل كهذا، هذا إذا توفّرت لديه المعرفة المطلوبة.

فاستطردت فرح قائلة:

- حسناً. هذا أمر يدعو إلى الاطمئنان، إلّا أنّ...

- ماذا؟

- أستبعد كثيراً أن يكون فرانز هو مَن مسح الملف. كيف له أن يمسح أعظم إنجاز في حياته؟ سيكون الأمر كما لو... لا أعلم... كما لو أنّه بتر ذراعاً، أو الأدهى من ذلك: قتل صديقاً.

فقال بابلانسكي وهو مستغرق في أفكاره:

- قد يضطرّ المرء أحياناً للتضحية بأشياء عزيزة، ويعمد إلى تدمير ما يحبّ، ما لازمه لوقت طويل.

- أو أنّ ثمّة نسخة موجودة في مكان ما.

فردّد بعدها:

- أو أنّ ثمّة نسخة موجودة في مكان ما.

ثمّ مدّ لها يده فجأة في حركة غريبة فاجأتها، فراحت فرح شريف تنظر إلى يده في ارتباك كما لو أنّها كانت تنتظر أن يمدّ لها شيئاً، على أنّ ذلك لم يفقده رباطة جأشه.

- أتعرفين ما يقول حَبري؟

فردّت:

- كلا.

- ما يميز الكائن البشري هي تناقضاته. يحلم بالذهاب والإياب في الآن ذاته. لم يسبق لي التعرّف إلى فرانز بالدر، ولا شكّ في أنّه كان سيعدّني مخبولاً، لكنّني واثق من شيء واحد على الأقل: يمكن أن يحبّ المرء عمله ويمقته، على شاكلة بالدر الذي كان يحبّه ومع ذلك تخلّى عنه. معنى الحياة يا بروفسور شريف هو أن يعدم الكائن الانسجام، ويسير في اتجاهات متعدّدة. وأتساءل عمّا إذا لم يجد صديقك نفسه في منعطف هامّ من حياته. لعلّه دمّر فعلاً مُنجز حياته. لربّما أفصح في نهاية حياته عن كلّ تناقضاته، وصار بذلك كائناً إنسانياً حقيقياً، بالمعنى النبيل للكلمة.

- أتعتقد هذا حقّاً؟

- لا أدري، لكنّه تغيّر، أليس كذلك؟ قدّرت المحكمة بأنّه غير قادر على رعاية ابنه، ومع ذلك قضى أيامه الأخيرة يرعاه، بل ساعده على النبوغ وممارسة الرسم.

- هذا صحيح يا سيّدي.

- يمكن أن تناديني جان.

- حسناً.

- تصوّري، الناس يدعونني أحياناً بوبل...

- لأنّك تملك مزاجاً رائقاً.

وندّت عنه ضحكة صغيرة:

- كلا، لا أظن ذلك. لكن ثمّة أمراً أنا واثق منه.

- ما هو؟

- هو أنّك...

لم يمضِ أبعد، غير أنّ ذلك كان كافياً. وابتسمت له فرح شريف ابتسامة عزّزت ببساطتها إيمانه بالحياة والربّ.

قامت ليزبث سالاندر من سريرها بفيسكارغاتن عند الساعة الثامنة صباحاً. هذه الليلة أيضاً لم تنَم جيّداً بسبب ملف وكالة الأمن المرموز الذي أرهقها بلا طائل، وكذا بسبب إرهافها السمع لوقع الأقدام الذي يتردّد بين الفينة والأخرى في الممر، وتحسّسها لسلاحها ورصدها لنظام الإنذار وكاميرا المراقبة المثبتة في الدرج. لم تكن متأكّدة من أنّ أختها غادرت البلاد.

بعد الإهانة التي تلقتها كاميلا في إنيارو، من الراجح أن تكون منهمكة في إعداد هجوم أشدّ شراسة، كما أن رجال وكالة الأمن يحتمل أن يزوروا بيتها في أيّ لحظة. وقد تمكّنت عند الفجر من طرد هذه الأفكار من ذهنها، ودخلت الحمام بخطى واثقة حيث نزعت قميصها وراحت تتفحّص الجرح. قالت في نفسها إنّ حاله تحسّن ربّما لمداراة الحقيقة. ثمّ استبدّت بها نزوة عابرة، فاتّخذت قراراً لا يخلو من حمق: أن تذهب إلى حصة التدريب بنادي الملاكمة في هورنسغاتن.

قالت في نفسها إنّ الأذى لا يمكن أن يردّه إلّا الأذى.

بقيت جالسة بمرفق تغيير الملابس بعد الانتهاء من حصة التدريب وهي في غاية الإرهاق، عاجزة حتّى على التفكير. وارتعد هاتفها المحمول. لم تأبَه به، واندفعت تحت الرشاش، تاركة الماء الساخن يهدّئ جسدها المنهك. عندئذٍ بدأ ذهنها يصفو وأفكارها تتّضح إلى أن

خطر ببالها فجأة رسم أوغست. وهذه المرّة لم يتركّز انتباهها على صورة القاتل، بل على شيء آخر مكتوب في أسفل الورقة.

هناك في بيت إنيارو الخشبي، لم تُلقِ ليزبث على الرسم بعد فراغ الطفل منه إلّا نظرة خاطفة. ما كان يشغل بالها حينئذٍ هو تصويره بهاتفها وإرسال الصورة إلى بابلانسكي وموديغ. ولعلّ ما أثار انتباهها أكثر هي دقّة الرسم. الآن وقد تمثّلت ذاكرتها البصرية هذه الصورة، شدّت انتباهها المعادلة المدوّنة تحت الرسم. وهكذا غادرت رشاش الحمام وهي مستغرقة تماماً. لكنّ الضجّة التي أحدثها أوبنز خارج مرفق ارتداء الملابس أخرجتها من استغراقها، وشلّت تفكيرها.

فصرخت به:

- ألن تغلق فمك؟ إنني أفكر!

لكنّه لم يعبأ بقولها. كان أوبنز يَمِيْزُ من الغضب. استغرب في البداية وهن ضرباتها، وساوره القلق لمّا لاحظ الألم بادياً على محيّاها، فهرع إليها وأزاح قميصها فلاح له الجرح. هذا هو ما جعله يستشيط غضباً.

فهتف بها:

- يا لك من بلهاء طائشة!

لم تجد الشجاعة لتردّ. خارت قواها تماماً، وامّحى ما تراءى لها على الرسم فهوت على أحد المقاعد بغرفة تغيير الملابس منهكة. وكانت تجلس بجانبها فتاة مقدامة كانت تتدرب معها تدعى جميلة عاشب، وهي ملاكمة شرسة. لم تكن أيّ منهما تأبه كثيراً بقواعد الحشمة، ولم تكونا تستحييان من بعضهما أحياناً لما تكونان في الحمام.

قالت جميلة:

- لا أخفيك، فأنا أتّفق معه. ما كان عليك أن تتدرّبي وأنت مريضة.

فردّت ليزبث:

- ربّما.

- جرحك خطير.

- لقد بدأ يندمل.

- أكان من اللازم أن تلاكمي؟

- بالطبع.

- أترافقيني إلى البيت؟

لم تجِب ليزبث. أخذ هاتفها يهتزّ من جديد، فأخرجته من حقيبتها السوداء وحدّقت في الشاشة. كان ثمّة ثلاث رسائل بُعثت من رقم سرّي أو بالأحرى رسالة واحدة بعثت ثلاث مرّات. لمّا قرأتها، شدّت على قبضتيها، واتّخذ وجهها سحنة عدوانية حملت جميلة على إرجاء دعوتها إلى يوم آخر.

استيقظ مايكل عند الساعة السادسة صباحاً وعبارات مدويّة تتردّد في ذهنه. وبينما كان في طريقه إلى مكاتب التحرير، بدأ المقال بأخذ شكله. وما كاد يصل إلى مكتبه حتّى دخل في استغراق ذهني عميق بحيث لم يعُد يشعر بما يدور حواليه، لكن التفكير في مصير أندري كان يُخرجه من هذا الاستغراق من وقت إلى آخر.

كان يحذوه أمل في أن يكون لا يزال على قيد الحياة، لكن نفسه كانت حدّثته بأنّه ربّما فارق الحياة، وهو ما جعله يجهد نفسه للإشادة بزميله في كلّ جملة من مقالته. وهي مقالة تنصبّ على إعادة بناء تفاصيل مقتل فرانز بالدر، وقصة طفل متوحّد في الثامنة من العمر شهد

اغتيال أبيه. ورغم إعاقته، وجد طريقة للردّ. على أنّ مايكل شاء كذلك أن يجعل من مقالته هذه وثيقة تلقي الضوء على عالم غير معروف، عالم المراقبة والتجسّس، حيث تذوب الحدود بين الإجرام والقانون. كانت الكتابة في الموضوع سلسة، لكنّها لا تخلو من مطبّات.

تمكّن، بفضل أحد معارفه القدامى العاملين بالشرطة، من الحصول على نسخة من التحقيق في مقتل كايسا فالك الغامض. وكايسا هذه شابة كانت عشيقة زعيم نادي درّاجي MC Svavelsjö. ورغم عدم العثور على الجاني، وتحفّظ الشهود بحيث لم تُفد شهاداتهم التحقيق بشيء، استنتج مايكل ممّا وراء السطور أنّ نادي الدراجين عرف انقساماً حادّاً، وأنّ خوفاً شديداً تملّك أعضاء العصابة بسبب، كما أورد أحد الشهود، امرأة تدعى «ليدي زالا».

ورغم الجهود التي بذلتها الشرطة، لم تعثر على صاحبة هذا الاسم. لكن مايكل لم تراوده ذرّة شكّ في أن «ليدي زالا» هذه هي كاميلا. ورجّح أن تكون وراء سلسلة من الجرائم وقعت في الفترة الأخيرة في السويد وخارجه. لكن تعذّر عليه بالمقابل العثور على دلائل، وهو ما أثار حنقه. وهذا هو ما حمله على ألّا يحيل عليها في مقالته إلا باسمها المستعار: تانوس.

على أنّ مشكلته الكبرى لم تكن هي كاميلا ولا حتّى علاقاتها الملتبسة بمجلس الدوما الروسي. ما كان يشغل باله قبل كلّ شيء هو اقتناعه بأنّ إيد نيدام ما كان ليأتي إلى السويد ليبوح له بمعلومات بالغة السريّة لو لم يكن يرغب في الإفضاء بأمور أكبر من ذلك بكثير. فإيد ليس بليداً، وهو يعلم أنّ مايكل ليس ساذجاً. ومن ثمّة لم يسعَ إلى تقديم صورة إيجابية عن الوضع، بل قدّم صورة رهيبة عن وكالة الأمن.

ومع أنّ مايكل حاول أن يتفحّص كلّ المعلومات، ويغربلها، فما وصفه إيد في نهاية المطاف لا يعدو أن يكون منظّمة تجسّس تشتغل

على أحسن ما يرام. وباستثناء بعض اللصوص العاملين بقسم مراقبة التكنولوجيات الاستراتيجية -الذي منع إيد، وهي مصادفة عجيبة، من ملاحقة القرصان الذي اخترق نظامه- فإنّ باقي العاملين بها كانوا يتصرفون بنوع من الاستقامة.

لا شكّ في أنّ الأميركي كان يسعى إلى إيذاء بعض زملائه، لكن من دون الإساءة إلى المؤسّسة. كان يعمل على تجنّب سقطة مدويّة محتومة، وبذلك فإنّ مايكل لم يستغرب ولم يغضب لمّا جاءته إريكا بادية القلق، ومدّت له برقية صحفية من وكالة TT:

وسألت:

- ألا تسحب هذه البرقية البساط من تحت أقدامنا؟

تبدأ البرقيّة المترجمة عن وكالة الإعلام **أسوسييتد بريس** كما يأتي:

«أُلقِيَ القبض على مسؤولَيْن يعملان في وكالة الأمن: جواكيم باركلي وبراين أبوت. وهما متّهمان بارتكاب جرائم اقتصادية خطيرة. وفي انتظار تقديمهما للعدالة، جرى طردهما من منصبيهما فوراً.

وقد صرّح مدير وكالة الأمن شارلز أوكونور **لأسوسييتد بريس** قائلاً: «إنّه لشيء مُخزٍ بالنسبة إلى منظمتنا، ونحن نعمل جاهدين من أجل تسوية هذه المشكلة ومحاكمة الجانيين لينالا جزاءهما. فالمفروض أن تكون أخلاق كلّ مَن يعمل في وكالة الأمن عالية». ونحن نَعِد بأن نلتزم في المحاكمة بأقصى ما تسمح بها مصالح أمننا القومي من الشفافية».

وبغضّ النظر عن تصريح أوكونور، لم تقدّم البرقية معلومات

جديدة، ولم تُشِرْ إلى مقتل بالدر ولا إلى أيّ عنصر يربط ذلك بما وقع في ستوكهولم. وقد فهم مايكل قصد إريكا: الآن وقد أشيع الخبر، سينقضّ كل الصحافيين الأميركيين في **واشنطن بوست** و**نيويورك تايمز** على القضيّة، ولا يعلم أحد ما سيصنعون بها.

فردّ مايكل بهدوء:

- هذا ليس خبراً سارّاً، وقد كنت أتوقّعه.

- حقّاً؟

- إنّه جزء من استراتيجية تحمّلهم مشقة المجيء إلى هنا. استراتيجية السيطرة على الضرر (Damage control) كما يسمونها. يسعون لاستعادة زمام المبادرة.

- كيف؟

- لم يُسِرّوا لي بهذه المعلومة مجّاناً. فهمت على الفور بأنّهم يُبطنون شيئاً. ماذا دعا إيد إلى الإصرار على التحدّث إليّ هنا بستوكهولم، ومتى؟ في الساعة الخامسة صباحاً!

وأطلع مايكل إريكا كالعادة، وبسريّة تامّة، على مصادر كلّ عنصر من عناصر التحقيق الجديدة.

- تعتقد إذاً أنّ ما قام به كان بمباركة من رؤسائه؟

- هذا ما اشتبهت به منذ البداية، لكن من دون أن أفهم الغاية من ذلك. كلّ ما في الأمر أنّني استشعرتُ بأنّ ثمّة شيئاً في القضية لا يستقيم. ثمّ تحدّثت إلى ليزبث.

- عندئذٍ فهمتَ؟

- أدركتُ أنّ إيد يعرف بالتدقيق ما اكتشفته ليزبث خلال اختراقها لأنظمتهم، ومن ثمّة خشي من أن تطلعني على تفاصيل ذلك، وحاول تقليص الأضرار.

- ومع ذلك فما حكى لك ليس محض خيال.

- خاف ألّا يُقنعني كلامه. أرى أنّه سعى إلى أن يعطيني أقلّ ما يمكن بحيث أتوهّم أنّني حصلتُ على سبق صحفي، فلا أفتّش فيما هو أبعد.

- لكنّه أخطأ الحساب.

- هذا ما نأمله. إلى حدود الآن، ليست لي فكرة عن الكيفيّة التي سأتقدَّم بها في كتابة المقالة. من الصعب أن تفتح لك وكالة الأمن أبوابها.

- حتّى بالنسبة إلى صحافي متمرّس مثل بلومفيست؟

- حتّى بالنسبة له.

30

الخامس والعشرون من نوفمبر

ظهرت على شاشة الهاتف الرسالة الآتية:

[المرّة القادمة يا أخيّتي! المرّة القادمة!]

بُعثت الرسالة ثلاث مرّات، لكنها لا تستطيع الجزم في ما إذا كان ذلك بفعل خطأ تقني أم صادر عن إصرار متعمّد. مهما يكن، فلا أهميّة لذلك. جاءت الرسالة من كاميلا بالطبع، إلا أنّها لا تحمل جديداً لم تتوقعه ليزبث. ذلك أنّ ما وقع بإنيارو لم يعمل إلّا على تأجيج حقدها القديم، ومن ثمّة فإن هذه «المرّة القادمة» آتية لا محالة. فكاميلا لن تستسلم، لا سيما وأنّها اخطأت الهدف بعد أن كانت على مرمى حجر منه. ولم تكن الرسالة وحدها هي التي جعلت ليزبث تشدّ قبضتيها في نادي الملاكمة، بل الأفكار التي ولّدتها في ذهنها، وذكرى ما شاهدت لما كانت مُقرفصة هي وأوغست في التجويف الصخري، بينما كان الثلج يسقط ورصاص الرشّاش يفرقع فوق رأسيهما. لم يكن أوغست يلبس معطفه، وكانت رجلاه حافيتين وجسده يرتعش من البرد، ولم تكفّ هي عن التفكير في الوضع الحرج الذي يوجدان فيه. كان عليها أن تتكفّل بالطفل، ولم تكن تحمل غير مسدس صغير، بينما يحمل الخصم، وهما رجلان، رشاشات متطوّرة. لم يكن أمامها سوى حلّ

واحد: مباغتتهما، وإلا فإنهما سيصطادانهما كما تُصطاد الأرانب. أصاخت السمع لوقع خطواتهما ومصدر طلقاتهما النارية، بل وحتّى لأنفاسهما واحتكاك ملابسهما.

ولمّا واتتها الفرصة أخيراً، تردّدت وضيّعت ثوان ثمينة لتلتقط غصناً تكسّر بين أصابعها. عندئذٍ انتصبت فجأة ووجدت نفسها قبالة الرجلين، ولم يعُد بوسعها أن تطرح سؤال المواجهة. كان عليها أن تستغلّ ذلك الجزء من الألف من الثانية الذي باغتتهما فيه، وتطلق رصاصتين أو ثلاثاً. كانت تعرف أنّ المرء في مثل هذه اللحظات يمكن أن يتمتّع بتيقّظ استثنائي، كما لو أنّ الجسد والعضلات وكذا القدرة على الملاحظة تصير في أقصى درجات التأهّب.

شعرت بأنّها قادرة على إدراك كلّ تفصيل بدقّة متناهية، ورؤية تضاريس المكان كما لو أنّها تنظر عبر عدسة كاميرا مكبِّرة. أبصرت الذهول والوجل في عينَي الرجلين، وميَّزت تجاعيد بشرة وجهيهما وتغضّناتها، ولباسهما وسلاحيهما المشهرين اللذين أطلقا النار وكادا يصيبانها.

لكن ما انطبع في ذهنها أكثر شيءٌ آخر: طيف ظهر في أعلى المنحدر الصخري، لم تلمحه إلّا بطرف عينها، وهو في حدّ ذاته لم يكن يشكّل خطراً عليها. إنّه طيف أختها. كان بإمكان ليزبث أن تميّزه من على بُعد كيلومتر رغم أنها لم تَرَها منذ سنوات. شعرت كما لو أنّ وجودها لوّث حتّى الهواء.

وتساءلت عمّا إذا لم تكن الفرصة مواتية للقضاء عليها هي أيضاً. أمضت كاميلا لحظة وهي تطلّ من أعلى. كان في اقترابها الشديد من المنحدر مخاطرة بحياتها. لعلّها ما فعلت ذلك إلّا لأنّها لم تستطع مقاومة الرغبة في مشاهدة مقتل أختها. أما ليزبث فشدّت على الزناد، وشعرت بغضب قديم يضطرم - في صدرها. تردّدت لحظة خاطفة،

لكنّها كانت كافية لتسمح لكاميلا بالارتماء خلف الصخرة، وعندئذٍ ظهر طيف شخص نحيل، وجعل يطلق النار، فعادت ليزبث إلى التجويف حيث يختبئ أوغست بقفزة واحدة، ثمّ جريا معاً، أو بالأحرى تدحرجا إلى أن بلغا السيارة.

في طريق العودة من نادي الملاكمة، أحسّت ليزبث، وقد حاصرتها هذه الذكريات، بتوتّر شديد كما لو أنّها مقبلة على معركة حاسمة. قالت في نفسها لربّما تعيّن عليها ألّا تعود إلى بيتها، بل قد يجدر بها مغادرة البلاد والاختفاء لفترة. لكنّ شيئاً كان يدفعها للعودة إلى حاسوبها. فما استعادته ذاكرتها من مشاهد وهي تحت رشاش الحمام قبل قراءة رسالة كاميلا استحوذ على فكرها.

كان الأمر يتعلّق بمنحنى بيضوي خطّه أوغست على الورقة التي رسم عليها القاتل، وهو أمر أذهلها في البداية. وفي اللحظة التي تمكّنت فيها ذاكرتها من إعادة تشكيل تفاصيله، حثت الخطى وكادت تنسى كاميلا.

كانت المعادلة هي:

$$N = 3\ 034\ 267$$
$$E : y^2 = x^3 - x - 20 \ ; \ P = (3,2)$$

لم يكن في هذه المعادلة من الناحية الرياضية الصرفة شيء استثنائيّ أو فريد. ما يثير الاستغراب فيها بالمقابل هو أنّ أوغست انطلق من العدد الذي اختارته هي بشكل عشوائي هناك في إنيارو، وألّف منه منحنى بيضوياً أعلى من ذاك الذي خطّته هي على منضدة السرير لمّا رفض أن ينام. لم يُبدِ حينئذ أيّ ردّ فعل، ولم يستجب، فآوت هي إلى فراشها مقتنعة بأنّه يشبه توأمي أوليفر ساكس اللذين لم يكونا يفهمان شيئاً في التجريدات الرياضيّة، وكان ذهنهما يشتغل على غرار آلة حاسبة.

تبّاً. . . لقد كانت مخطئة! فأوغست ظلّ مستيقظاً، وفهم كلّ شيء، بل لقّنها درساً بتدقيق استدلالاته.

ولمّا وصلت إلى بيتها، ومن دون أن تنزع حذاءها ولا حتى معطفها، أخرجت ملف وكالة الأمن المرموز ومُنْحَناه البيضوي، ثمّ اتصلت بهانا بالدر.

لم تكن هانا قد جلبت الأقراص، ومن ثمّة لم تَنم إلّا بصعوبة. لكن وضعها الجديد أشعرها بالانتعاش. ذكّرتها المناظر الجبليّة بمدى العزلة التي كانت تعيشها، وأحسّت بأنها بدأت ترتاح شيئاً فشيئاً، كما لو أنّها بدأت تتحرّر من الخوف الذي كان مطبِقاً على جسدها، وتضرعت من أجل ألّا يكون هذا مجرّد حلم.

راقها الفندق الذي نزلا فيه كثيراً. مضى زمن طويل على الوقت الذي كانت تدخل فيه إلى هذه الأماكن الفاخرة باعتزاز ولسان حالها يقول: انظروا، ها أنذا! أمّا الآن، فتملّكها الخجل واعترتها الرعشة ووجدت صعوبة في تناول وجبة الفطور الباذخ الموضوعة أمامها. كان أوغست بجوارها منهمكاً في كتابة سلاسل أرقامه. لم يكن يأكل شيئاً. فلا شيء يعجبه، لكنّه كان يشرب كميات هائلة من عصير البرتقال الطازج.

رنّ هاتفها المرموز الجديد، وهو ما أشعرها بالخوف في بادئ الأمر، إلا أنّها تذكّرت بأنّ لا أحد يملك رقمه سوى المرأة التي بعثت بهما إلى هنا. لعلّها ترغب في التأكّد من أنهما وصلا بخير. وهكذا بدأت هانا المكالمة بوصف المكان، مُلحّة على أنّ كلّ شيء فيه فاتن ورائع، لكنّ مخاطِبَتها قاطعتها فجأة:

- أين أنتما الآن؟

- نتناول وجبة الفطور.

- دعي عنك الفطور، واصعدا إلى غرفتكما فوراً. ينبغي أن نشتغل أنا وأوغست.

- تشتغلان؟!

- سأبعث ببعض المعادلات أريده أن يراها. هل فهمت؟

- كلا، لم أفهم.

- كلّ ما عليك أن تفعلي هو أن تعرضيها عليه، ثمّ اتّصلي بي إثر ذلك لتخبريني بما كتب.

فردّت هانا مذهولة:

- حسناً.

تناولت بعض الهلاليات وكعكة منسّمة بالقرفة، ثمّ توجهت نحو المصعد برفقة أوغست.

ساعدها أوغست على الانطلاق وعلى تبيّن أخطائها. فهي اليوم تدبّر أمورها بمفردها، وتُدخِل تحسينات على برنامجها. كانت تشتغل ساعات متواصلة باستغراق عميق إلى أن تتلبّد السماء ويشرع الثلج في السقوط. وفجأة حدثت ظاهرة غريبة على مرأى منها: تحلّل الملف، وتغيّر شكله. شعرت كما لو أنّها تلقّت صعقة كهربائية فرفعت قبضة يدها في الهواء. لن تنسى أبداً هذه اللحظة.

لقد عثرت على المفاتيح السرية، وقرصنت المستند. كانت الإثارة في البداية من القوّة بحيث أنها بالكاد استطاعت قراءة ما ظهر على الشاشة. ثمّ شرعت تدرس المحتوى، فتملّكها الذهول. أهذا ممكن؟ فالملف يتضمّن معلومات أخطر ممّا توقّعت. والظاهر أنّ أولئك الذين

جازفوا بكتابة هذه الأمور وضعوا ثقة عمياء في لوغاريتم RSA إلى حدّ أنهم نشروا كلّ غسيلهم القذر. لم يكن النص المليء بالشتائم والإحالات المرموزة سهل التأويل، لكنّ معرفتها العميقة بالموضوع ذلَّلت لها هذه الصعوبة. ولمّا سمعت رنين جرس الباب، كانت قد أتت على قراءة أربعة أخماسه.

لم تأبه بصوت الجرس في البداية، وقالت في نفسها قد يكون ساعي البريد الذي لم ينجح في إدخال أحد المطبوعات في فتحة صندوق البريد أو شيئاً من هذا القبيل، ثمّ تذكرت فجأة الرسالة النصية التي بعثت لها بها كاميلا. نظرت إلى شاشة حاسوبها حيث تظهر صور كاميرا مدخل الدرج، فتسمّرت في مكانها.

لم تكن كاميلا، بل مبعث هواجسها الثاني الذي كادت تنساه في غمرة ما وقع. إنّه إيد دي نيد الذي توفّق في العثور عليها. لم يكن يشبه صوره الموجودة على الإنترنت، لكنّه قطعاً هو، بهيئته المتجهّمة. وانطلق دماغها يبحث في الخيارات المتوفرة. لم تجد أفضل من أن تبعث بملف وكالة الأمن إلى مايكل بلومفيست على الرابط PGP.

ثمّ أطفأت الحاسوب، وتوجّهت بخطى متثاقلة لفتح الباب.

لم تتمكّن سونيا موديغ من فهم ما وقع لبابلانسكي. زالت فجأة علامات الإجهاد التي كانت بادية عليه في الأسابيع الأخيرة. صار الآن دائم البسمة، تراه يدندن أحياناً. صحيح أنّ لديه ما يبرّر شعوره بالفرح: إلقاء القبض على القاتل، ونجاة أوغست بالدر من محاولتَي اغتيال، وهم من جانبهم قد كشفوا على جانب من دوافع الجريمة، وسلّطوا الضوء على دور شركة سوليفون في ذلك.

لكنّ أسئلة كثيرة لا تزال تنتظر الجواب، وبابلانسكي كما عهِدته

ليس من النوع الذي يبتهج بلا سبب، بل هو يرتاب حتّى في لحظات الانتصار. لم تفهم إذاً شيئاً ممّا حدث له: كان يتجوّل في الممرّات متهلّلاً. وحتّى وهو جالس إلى مكتبه يقرأ محضر الاستجواب الذي أنجزته شرطة سان فرانسيسكو مع زيغموند إكيروولد، كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه.

- زميلتي العزيزة سونيا موديغ، سعيد برؤيتك!

قرّرت ألّا تسايره فيما أبداه من حماس عند تحيّتها، وفضّلت أن تفاتحه في الموضوع توّاً.

- مات يان هولستر.

- ماذا؟

فاسترسلت تقول:

- ومعه مات آخر أملٍ لمعرفة المزيد عن سبايدر.

- أتعتقدين أنّه كان على وشك أن يفضي بشيء؟

- نعم، هذا ممكن جدّاً.

- ما الذي جعلكِ تقولين هذا؟

- أنّه انهار تماماً لمّا وصلت ابنته.

- لم أكن أعلم بهذا. ماذا وقع؟

فقالت سونيا:

- تُدعى أولغا. ما إن تلقّت خبر إصابة أبيها حتّى قدِمت من هيلسينكي. استجوبتُها، وما إن أدركتْ أنّ هولستر حاول قتل الطفل حتّى استشاطت غضباً.

- كيف؟

- اقتحمت غرفته وقالت له شيئاً بالروسية، بلهجة شديدة العدوانيّة.

- ألم تتظاهر بذلك؟

- وعدت بأنّها ستقوم بكلّ ما في وسعها لكي تساعدنا في التحقيق.

- وماذا كان ردّ فعل هولستر؟

- الواقع أنّني ظننت، لفترة قصيرة، أنّ الأمر قد قُضي. أجهش بالبكاء، وبدا محطّماً. لستُ من الذين يؤمنون بأنّ قيمة الإنسان الأخلاقية تظهر بخاصة عندما يكون بمواجهة الموت، كما يرى الكاثوليك. لكن أن يبدو محطمّاً، هو مَن ارتكب كلّ تلك الفظاعات، فهذا منظر مؤثّر.

فقال بابلانسكي:

- حَبري...

- كلا يا جان، لا داعي لتذكر حَبرك في هذا الموقف. دعني أكمل حديثي. صبّ هولستر جامّ غضبه على الشخص الذي كانه، فأسديتُ له نصيحة امرأة مسيحية مؤمنة. طلبت منه أن يكشف أسماء مَن كان يشتغل لصالحهم، وأؤكد لك أنّه كاد أن يفعل. بدا متردداً وشارداً، لكن عوض أن يعترف، تحدّث عن ستالين.

- عن ستالين؟

- نعم، عن ستالين الذي لم يكن يكتفي بمعاقبة الجناة، بل كان يتجاوزهم إلى أبنائهم وأحفادهم، وكلّ أفراد عائلاتهم. أظنّ أنّه قصد رئيسه.

- كان خائفاً على ابنته إذاً؟

- رغم كرهها له، كان هو بالمقابل يخاف عليها. قلت له إنّنا سنتّبع مسطرة حماية الشهود، لكنّه تراجع، ثمّ ما لبث أن أغمي عليه، ومات بعد ذلك بساعة تقريباً.

- ولم تحصلي منه على شيء؟

- لا شيء باستثناء اختفاء برنامج ذكاء اصطناعي، وفقدان آثار أندري زاندر.

- هذا أمر أعلمه.

- وكلّ الذين يمكن أن يفيدوا التحقيق أصابهم الخرس.

- فهمت. لم نحصل على شيء إذاً؟

فاستطردت سونيا تقول:

- بالعكس، حصلنا على شيء مع ذلك. أما زلت تذكر الشخص الذي تعرّفت عليه أماندا فلود في رسم أوغست حيث تظهر أضواء المرور؟

- ذلك الممثّل السابق.

- بالضبط، روجر وينتر. استجوبتْه أماندا على سبيل الاستعلام -من دون أن تنتظر من استجوابه طائلاً- لتعرف ما إذا كانت له علاقة بالطفل أو بأبيه. لكنّه بدا مضطرباً، وقبل أن تشرع أماندا في الضغط عليه، سارع إلى الاعتراف بكل ما اقترف.

- حقّاً؟

- نعم. هو ولاس ويستمان صديقان قديمان، تعود صداقتهما إلى عهد مسرح الثورة. لمّا كانت هانا تتغيّب عن البيت، كانا كثيراً ما يلتقيان في تورسغاتن للشرب والعبث. وغالباً ما كان أوغست يخلو إلى نفسه في الغرفة المجاورة، يركّب قطع البوزل في غفلة منهما. وذات يوم بينما كان الطفل يقلّب كتاب رياضيات ضخماً أعلى بكثير من مستواه، أهدته إياه أمّه، مُصْدِراً صراخاً طفيفاً بين الفينة والأخرى، قام لاس ونزع منه الكتاب ورماه في القمامة. الظاهر أنّ ذلك زاد من اهتياج الطفل، فاعترته نوبة عصبية، فلم يكن من لاس إلّا أن وجّه له ثلاث ركلات أو أربع.

- يا لها من فظاعة.

- انتظر، ما هذه إلّا البداية. بعد هذه الواقعة، صارت تصرّفات أوغست، بحسب روجر، غريبة. بدأ يصوّب عليهما سهام نظراته المربكة، وذات يوم عثر روجر على سترته الجينز مقطعة إرَباً. وفي مرّة أخرى، أفرغ كلّ زجاجات الجعة الموجودة في الثلاجة وكسر قناني الكحول...

وصمتت سونيا.

- وماذا وقع إثر ذلك؟

- صار الأمر أشبه بحرب مواقع. أتخيّل أنّ روجر ولاس، المدمنَين على الكحول، عمدا إلى اختلاق أشياء كثيرة غريبة عن الطفل. كانا يرتعبان منه. من الصعب فهم الميكانيزم السيكولوجي الذي تحكّم في الأمر. شرعا ربّما يكرهان أوغست، ومن ثمّة كانا يعتديان عليه أحياناً. وقال روجر إنّ منظره كان يصيبه بالاكتئاب، وأنّه لم يعد يذكره في حديثه مع لاس. لم يكن يرغب في ضربه، لكنّه لم يكن يستطيع منع نفسه من ذلك. قال إنّه يذكّره بطفولته.

- ماذا قصد بهذا؟

- لا أعلم. لروجر وينتر أخ معوق كان هو نابغة العائلة. كانوا يشيدون به دائماً، بينما كان روجر مصدر خيبتهم. وهذا ولّد في نفسه غير قليل من المرارة، ولعلّه كان ينتقم من أخيه الصغير لا شعورياً من خلال أوغست... أو...

- ماذا؟

- ردّد عبارة غريبة. قال إنّه يشعر حين يضرب الطفل كما لو أنّه يتحرّر ممّا كان يشعر به من خزي.

- يا له من مخبول!

- الغريب في الأمر هو أنّه اعترف بكل شيء دفعة واحدة. بحسب

أماندا، كان مرتعباً. وكانت تطوّق عينيه زرقة، ولمّا انصرف، لاحظت بأنّه يعرج. تهيّأ لها كما لو أنه يسعى لأن توقفه الشرطة.

- غريب.

واسترسلت موديغ قائلة:

- لكن ثمّة ما هو أغرب.

- ما هو؟

- هو أنّ رئيسي، مُفسِدُ اللحظات السعيدة، يتهلّل فجأة، ويكشف عن ابتسامة رائقة.

فبدا الضيق على بابلانسكي.

- هذا ملحوظ إذاً؟

- نعم ظاهر وملحوظ.

وغمغم:

- لا شيء. كلّ ما في الأمر أنّ امرأة قبلت أن تتعشّى معي.

- ماذا؟ لا تقل لي إنّك سقطت في شرك الغرام؟

فدافع بابلانسكي عن نفسه وقد تورّد قائلاً:

- الأمر لا يتجاوز العشاء.

لم يكن هذا الأمر يروق لإيد، لكنّه كان عارفاً بقواعد اللعبة. كان الأمر أشبه بعودته إلى بيت طفولته بدورشيستر: لا ينبغي أن يستسلم، بل يلزم أن يضرب بشدّة أو أن يرهق خصمه نفسياً بواسطة لعبة صامتة. ثمّ، لِمَ لا؟ إذا تمادت ليزبث سالاندر في عنادها، سيكيل لها الصاع صاعين.

رشقها بنظرات شزراء كنظرات ملاكم في الحلبة، لكنّ هذا لم يسفر عن شيء. بادلته النظرات نفسها من دون أن تنبس. كان الأمر

أشبه بمبارزة صامتة، وما لبث إيد أن ضاق ذرعاً بعبثية الموقف. لقد قرصنت هذه الصبيّة هويّته، وها هو قد وصل إليها. عليها أن تسعد لأنّه لم يطرق بابها مصحوباً بثلاثين نفراً من المارينز.

- الظاهر أنّكِ تعتبرين نفسك صعبة المراس؟

- لا أحبّ الزيارات المباغتة.

- وأنا لا أحب أن يخترق أحد نظامي. الواقع أنّه لا فرق بين الأمرين. لعلّك ترغبين في معرفة كيف عثرتُ عليك؟

- هذا لا يعنيني.

- بواسطة شركتك في جبل طارق. لعلّك حسبتِ نفسك ذكية لمّا سمّيتها شركة واسب؟

- الظاهر أنّك جانبتَ الصواب.

- لكن ما كان على فتاة ذكيّة مثلكِ أن ترتكب هذا العدد من الأخطاء.

- وبالنسبة إلى ولد ذكي مثلك ما كان عليه أن يشتغل في مكان قذرٍ كالمكان الذي تشتغل فيه.

- قد يكون قذراً كما تقولين، لكنّه ضروري. فنحن نعيش في عالمٍ مأهول بالمجانين.

- لا سيما شخص مثل جوني إنغرام.

بُهت إيد، لكنه حافظ على رباطة جأشه؛ وهو بارع في إخفاء مشاعره.

وقال:

- يا لكِ من فتاة مضحكة!

- أجل، مضحكة حقّاً. أن يشارك المرء في جرائم قتل ويتعاون مع لصوص من الدوما الروسي من أجل الإثراء السريع من دون

التعرّض للمحاسبة، أجل هذا يجعلك تنقلب على قفاك من الضحك. أليس كذلك؟

إلّا أنّه فَقَدَ هدوءه هذه المرّة، ووجد نفسه في رمشة عين غير قادر على التفكير.

تبّاً! كيف حصلتِ على هذه المعلومات؟ وتملّكه الدوار. تباطأت دقّات قلبه، وقال في نفسه لا بدّ أنّها تكذب. وهو إن كان خطر له أن يصدّق كلامها، فلأنّه هو نفسه تخيّل، في بعض اللحظات العصيبة، أنّ جوني إنغرام قد يكون ارتكب مثل هذه الأعمال. ورغم أنّه اجتهد في البحث والتحرّي، إلا أنّه لم يعثر على شيء يؤكّد هذه الشبهة.

فقال لها:

- لا داعي لمخاتلتي. في جعبتي مثل ما لديك، بل وأشياء أخرى كثيرة.

- لا أظن ذلك يا إيد، اللهمّ إلّا إذا كنت أنت أيضاً عثرت على مفاتيح لوغاريتمات RSA الخاصة بإنغرام.

وشَعَر إيد كما لو أنّه يعيش خارج الواقع. من المستحيل أن تكون تمكّنت من قرصنة الشفرة؟ هو نفسه، رغم الإمكانات والخبراء الذين يعملون تحت إمرته، لم يجرؤ حتى على المحاولة.

وها هي تزعم له... رفض تصديق ما تقول. قد تكون حصلت على المعلومات من طريق آخر. ألا تكون على صلة بجاسوس من المقربين من إنغرام؟ كلا، حتّى هذه الإمكانية تبدو عبثية. لكنّها لم تترك له فرصة للمضيّ أبعد في التفكير.

وقالت له بنبرة سلطوية:

- إليك الوضعية يا إيد. قلت لمايكل بلومفيست إنّك ستتركني وشأني إنْ أنا أطلعتكَ على الكيفية التي اقتحمتُ بها نظامك. لعلّك

صادقٌ بخصوص هذه النقطة، وقد تكون كاذباً، أو أنّ رأيك لن يُعتدّ به إن انقلب الوضع. قد تُطرَد من منصبك. ومن ثمّة لا أرى من داعٍ لتصديقك، ولا لتصديق أولئك الذين تعمل لحسابهم.

التقط إيد نفساً عميقاً، وحاول أن يردّ.

- أحترِمُ وجهة نظرك، لكن، ومهما قد يبدو هذا غريباً، فإنّني أفي دائماً بوعودي، لا لطفاً منّي، بل بالعكس. فأنا مجنون وحقود، مثلك تماماً يا صغيرتي. لكنّني ما كنت لأظلّ على قيد الحياة لو كنت أخون الناس عند الشدائد. صدّقي أو لا تصدقي، لكن ما لا ينبغي أن يُخامرك شكّ فيه هو أنّني عازم على جعل حياتك جحيماً إن لم تعترفي. سأجعلك تندمين على اليوم الذي رأيتِ فيه النور.

- حسناً، الظاهر أنّك رجل صعب المراس، لكنّك في الواقع شخص بالغ الغرور، أليس كذلك؟ تريد أن تحجب على العالم أجمع خبر اقتحامي لنظامك. على أنّني أودّ أن أخبرك بأنّني عازمة، للأسف، عزماً لا يمكن أن يخطر لك على بال. فقبل أن يرتدّ إليك طرفك، ستجد الخبر شائعاً بين الناس بكلّ تفاصيله. ورغم أنّ هذا يقزّزني، سأجعلك تتجرّع الخزي. يكفي أن تفكّر في الفرحة العارمة التي ستنتاب روّاد الإنترنت.

- كفاكِ سخافة.

فاسترسَلت تقول:

- ما كنتُ لأستمرّ في الحياة لو كنت أحكي السخافات. أنا أكره شركة الحراسة هذه. لقد نلت حظّي من بيغ براذر، من المراقبة والتسلّط. لكنّني مستعدّة مع ذلك لأن أفعل شيئاً من أجلك يا إيد. إن حفظتَ لسانك، أستطيع أن أمدّك بمعلومات من شأنها أن تعزّز موقعك وتمكّنك من تخليص فورت ميد من هذه الشّياه الجرباء. وأنا لا أنوي

أن أقول لك كلمة واحدة عن اقتحامي للنظام. إنّها مسألة مبدأ، عدا أنني مستعدّة لإعطائك فرصة الانتقام من الوغد الذي منعك من ملاحقتي.

حدّق إيد في هذه المرأة النحيلة غريبة الأطوار التي تقف قبالته، ثمّ قام بشيء ظلّ يثير استغرابه لفترة طويلة بعد هذا اللقاء.

انفجر ضاحكاً.

31

الثاني والثالث من ديسمبر

استيقظ أوف لوفين رائق المزاج بقصر هارينج بعد محاضرة طويلة حول رقمنة وسائل الإعلام، اختتمت بحفلة كبرى كُرعت فيها كؤوس الشامبانيا بسخاء. وخلال هذه الحفلة قال مسؤول نقابي بجريدة **كفلدسبلاديت** النرويجية، وهو شخص فاشل، إنّ حفلات سيرنر «تزداد غلاء وبذخاً بالموازاة مع تمادي الإدارة في طرد العاملين»، ثمّ أثار ضجّة صغيرة تلطّخت خلالها سترة أوف الأنيقة بالنبيذ الأحمر.

لكنّ نجاحه في العودة بناتالي فوس إلى غرفته بالفندق في نهاية السهرة أنساه ذلك الحادث. كانت ناتالي، وهي مراقبة تدبير تبلغ السابعة والعشرين من عمرها، مثيرة على نحوٍ رهيب. وقد نجح أوف في ممارسة الحب معها رغم إفراطه في الشرب، بل إنّه مارسه مرّة ثانية في الصباح.

كانت الساعة قد جاوزت التاسعة صباحاً، وهاتفه لم يتوقف عن الرنين. وكان يشعر بصداع في رأسه من أثر الخُمار، وهو مقبِل على يوم حافل، عدا أنّ ذلك لم يزعجه، لأنّ شعاره هو: على المرء أن يعمل بجدّ، ثم يتسلّى كما يشاء.

وناتالي... تلك الحسناء المثيرة! كم عدد الخمسينيين القادرين على إغواء حسناء مثلها؟ قلة قليلة. حسناً، عليه الآن أن يغادر

الفراش. قام وتوجّه إلى الحمام وهو يغالب الغثيان والدوار، عسى الماء يخفّف من حالته. ثمّ خطر له أن يتفحّص حقيبة أسهمه. كانت تلك طريقة ناجعة على العموم ليخفّف عنه بعد ليلة شرب ماجنة. أخرج هاتفه النقّال، وارتبط بالبنك عبر الإنترنت. صعق في البداية، لا بدّ أن ثمّة خطأً أو عطباً تقنياً.

لقد انهارت حقيبة أسهمه. ولمّا شرع في مراجعة استثماراته وهو يرتعش، لاحظ أمراً شديد الغرابة: تبخّرت أسهمه لدى سوليفون تقريباً. لم يفهم شيئاً. حاول الدخول إلى مواقع البورصات وقد تملّكه الفزع، لكنّه لاحظ أنها جميعاً تعرض هذا الإعلان:

وكالة الأمن القومي وسوليفون هما مَن دبّر مقتل فرانز بالدر.
كشف ميلينيوم عن هذا الخبر زعزع العالم.

لم يعُد يذكر ما قام به إثر ذلك. لعلّه صرخ وشتم وضرب الجدار بقبضتيه. يذكر على نحوٍ غامض أنّ ناتالي استيقظت وسألته عمّا جرى. الشيء الوحيد الذي هو واثق منه هو أنّه ظلّ عاكفاً لفترة طويلة على حوض المرحاض يتقيأ، كما لو أنّ معدته لا قرار لها.

كان مكتب غابرييلا غران بالسابو مرتّباً بعناية. لم تصدّق! ظلّت جالسة على مقعدها برهة وهي تقرأ ميلينيوم. لم تكن الصفحة الأولى تشبه ما يمكن أن يتوقّعه المرء من جريدة هي أوّل مَن كشف عن خبر القرن. إذا نُظِر إلى الغلاف في حدّ ذاته، فهو يبدو جميلاً ومحيّراً، عبارة عن صفحة سوداء بلا صور، كُتبت في أعلاها الجملة الآتية:

إلى روح أندري زاندر

وتحتها، كتب:

اغتيال فرانز بالدر
أو كيف تواطأت المافيا الروسية مع وكالة الأمن
وشركة معلوماتية أميركية كبيرة.

وفي الصفحة الثانية ظهرت صورة مكبّرة لأندري، وهي صورة أثّرت في غابرييلا غران بعمق، وإن كانت لم تلتقه قط. بدا أندري ضعيفاً، تعلو وجهه ابتسامة خجولة. كان وسيماً، يظهر التردّد على محياه. وإلى جوار الصورة نصّ كتبته إريكا برجر، تقول فيه إنّ أندري فقَدَ والديه في سراييفو بسبب القصف، وأنّه كان يعشق جريدة **ميلينيوم** وليونار كوهين و *Pereira prétend* لأنطونيو تابوتشي. كان يحلم بحبٍّ حقيقي وبسبق صحفي كبير. وأنّ أفلامه المفضلة هي **العيون السوداء** لنيكيتا ميخالكوف و *Love Actually* لريتشارد كورتيس. وبما أنّه كان يكره الناس الذين يسيئون إلى الآخرين، فإنّه كان غير قادرٍ على إيذاء الآخرين. وأضافت إريكا أنّها تعتبر تحقيقه حول مشرّدي ستوكهولم قدوة في مجاله. وكتبت:

يداي ترتعشان وأنا أحرّر هذه المقالة. عُثر بالأمس على جثّة صديقنا وزميلنا أندري زاندر على ظهر سفينة شحن بمرفأ هامارباي. عُذّب حتّى الموت، وتعرّض لأقسى أنواع الأذى. سيرافقني هذا الألم ما حييت، لكنّني فخورة أيضاً.
فخورة بكوني حظيت بفرصة الاشتغال معه. لم أصادف في حياتي صحافياً في مثل إخلاصه، ولم ألتقِ رجلاً في مثل طيبوبته. كان أندري في السادسة والعشرين من عمره، يحب الحياة والصحافة. كان يتوق إلى فضح مظاهر الظلم،

ومساعدة المقهورين والمهمّشين. اغتيل لأنّه أراد أن يحمي طفلاً صغيراً يسمّى أوغست بالدر، ونحن إذ نكشف في هذا العدد عن إحدى أكبر فضائح العصر، نشيد بأندري في كلّ جملة من جمل هذه الافتتاحية. يكتب مايكل بلومفيست في تحقيقه المطول: «كان أندري يؤمن بالحب، ويؤمن بعالم أفضل وبمجتمع أكثر عدالة. كان أفضلنا جميعاً».

كان التحقيق الذي يمتد على ثلاثين صفحة نموذجاً في الشجاعة الصحفية التي قلّما صادفت غابرييلا غران مثيلاً لها في تحقيقات أخرى. لم تشعر بمرور الوقت وهي تقرأ، واغرورقت عيناها بالدموع، ثمّ ابتسمت وهي تقرأ هذه الكلمات:

أبانت محللة السابو غابرييلا غران عن حسّ مدني منقطع النظير.

القصة في غاية البساطة. شرعت مجموعة يقودها جوني إنغرام -وموقعه في هرم وكالة الأمن تحت مديرها شارلز أوكونور مباشرة، وله علاقات متينة بالبيت الأبيض والكونغرس- في استغلال عدد كبير من الأسرار الصناعية التي تملكها المنظمة، وذلك بمساعدة فريق من المحللين الاستراتيجيين من قسم البحث Y لدى سوليفون. لو أنّ الأمر توقف عند هذا الحد، لظلّت الفضيحة في حدود المقبول.

لكن الوقائع أخذت منعطفاً خطيراً منذ أن دخلت إلى مسرح الأحداث جماعة سبايدرز الإجرامية. وأبرز مايكل بلومفيست كيف أنّ جوني إنغرام تعاون مع أحد أعضاء الدوما الروسية، يُدعى إيفان غريبانوف، ومع زعيم سبايدرز الملغز، تانوس، بغرض نهب أفكار شركات تكنولوجيات متقدّمة، وبيعها بمبالغ خيالية. وقد بلغ هؤلاء إلى

منتهى النذالة لمّا اكتشف فرانز بالدر أنشطتهم المحظورة. وهكذا تقرّر ببساطة التخلص منه، من دون أن يتدخّل أحد من كبار مسؤولي وكالة الأمن، وهو ما يعدّ جانباً من أكثر جوانب هذه القصة إثارة.

وبمقدار ما شعرت غابرييلا بالصدمة من وصف بلومفيست لقضايا السياسة، تأثّرت بالمأساة الإنسانية. وهنا تكمن موهبة مايكل بلومفيست. كشفت هذه القضية عن مدى حقارة العالم الذي نعيش فيه، حيث يُراقَب كلّ فرد، قوياً كان أم ضعيفاً، وتُسخَّر كل الأساليب من أجل الإثراء، من دون مراعاة ما يمكن أن يترتّب عن ذلك من عواقب وخيمة.

وما كادت تفرغ من قراءة المقالة حتى تنبّهت إلى أنّ أحدهم يقف في إطار باب شقتها. إنّها هيلينا كرافت، بأناقتها المعهودة. قالت محيّية:

- مرحباً.

لم تستطع غابرييلا أن تنسى اشتباهها في أنّ هيلينا هي مصدر التسرب. انساقت وراء توهّماتها. ما أوّلته على أنّه خزي الخائن لم يكن في الحقيقة غير شعور هيلينا بالذنب من تحقيقٍ لم يُجْرَ بطريقة احترافية؛ أو هذا ما تذرّعت به على الأقل خلال محادثتهما المطوّلة، بعد اعتراف مارتن نيلسون وتوقيفه.

ردّت غابرييلا:

- مرحباً.

- لا أستطيع أن أعبّر لك عن مقدار حزني على انصرافك.

- لكلّ شيء نهاية.

- هل لديك فكرة عمّا ستفعلين؟

- سأستقر في نيويورك. أودّ العمل في مجال حقوق الإنسان. لقد عرضت عليّ الأمم المتّحدة منصباً منذ زمن طويل.

- إنّه لمن المؤسف حقاً يا غابرييلا أن تغادري. لكنّك أهلٌ لهذا المنصب.

- خيانتي نُسِيَت إذاً؟

- أهناك مَن ما زال يذكرها؟ فيما يخصّني، أنا متأكّدة من صلاح سريرتك.

- شكراً هيلينا.

- ماذا تنوين فعله في المكتب قبل انصرافك؟

- لا شيء اليوم: سأحضر تأبين زاندر في نادي الصحافة.

- حسناً. عليّ أن أكتب خلاصة عن هذه الأحداث للحكومة. لكنّني سأشرب إكراماً لزاندر ولك يا غابرييلا.

كانت ألونا كاساليس تراقب عن بُعد الرعب الذي تملّك الجماعة وقد علت وجهها ابتسامة خفيّة. أثار انتباهها الأميرال شارلز أوكونور وهو يتقدّم في الغرفة. لم يكن يبدو كرئيس أكبر منظمة استخبارات في العالم، بل كتلميذٍ خاضع. ومن جهة أخرى بدا كبار مسؤولي وكالة الأمن صاغرين، يدعو حالهم للشفقة، كلّهم باستثناء إيد بطبيعة الحال.

لم يكن حال إيد يشي بالفرح أيضاً. كان يلوّح بذراعيه والعرق يتصبّب على وجهه المتجهّم. كانت تظهر عليه هيبة جعلت حتّى أوكونور نفسه يرتعد، وهو أمر لا غرابة فيه: فقد عاد إيد من ستوكهولم بمعلومات مدوّية زعزعت أركان المنظّمة، طالَبَ على إثرها بإنجاز عملية تنظيف على كلّ المستويات. وهو عمل لم يرُق لمدير وكالة الأمن، ولعلّه تمنّى لو كانت السلطة بيديه فيُرسله إلى سيبيريا فوراً تأديباً له.

لكنّه لم يكن يستطيع شيئاً. بدا أمام الأنظار متصاغراً وهو يقترب من إيد الذي لم يكلّف نفسه حتّى رفع رأسه للنظر إليه. تجاهل مدير

الوكالة مثلما تجاهل المسؤولين الآخرين متظاهراً بأنّ وقته أثمن من أن يبدّده في تحيّتهم.

ولم يكن حال أوكونور أفضل بعد بدء المحادثة. لم تسمع ألونا كلمة واحدة، لكنّها رأت التذمّر بادياً على إيد. واستطاعت أن تخمّن الحديث الدائر، أو بالأحرى المسكوت عنه. كانت قد تحدّثت مطوّلاً مع إيد، وعلمت أنّه يرفض رفضاً باتاً الإفصاح عن مصدر معلوماته. وهو ما راقها.

لقد أقدَمَ إيد على مغامرة لا تخلو من مجازفة، وألونا أقسمت على النضال من أجل قضيّته، ومساندته إن واجَهَته مشاكل. وتعهّدت أيضاً بأن تتّصل بغابرييلا غران عبر الهاتف، وتحاول أن تدعوها للخروج، إن صحّ أنها قادمة في الطريق.

لم يتعمّد إيد تجاهل مدير الوكالة، بل لم يكن بإمكانه وقف ما هو خائض فيه -وهو توبيخ بعض معاونيه- لا لشيء إلا لأنّ الأميرال انتصب أمامه. وبعد هنيهة بدت أطول من دهر، التفت إليه وخاطبه بكلمة لطيفة، لم تكن مجاملة أو اعتذاراً على تجاهله، بل قالها بصدق:

- لقد أعدتَ الطمأنينة للنفوس خلال المؤتمر الصحفي.

فردّ الأميرال:

- صحيح! كان الأمر جحيماً.

- عليك أن تسعد لأنني تركتُ لك الوقت لكي تستعدّ.

- أسعد! ماذا جرى لك؟ ألم تطّلع على ما كُتب في الصحف الإلكترونية؟ عَرضتْ كلّ الصور التي أظهر فيها مع إنغرام. أشعر بالإهانة.

- ما عليك إلّا أن تراقب معاونيك الأقربين مستقبلاً.

- كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه النبرة؟

- من حقّي أن أتكلّم كما يحلو لي! المؤسسة في أزمة، وأنا مسؤول عن الأمن، ولا وقت لديّ أضيّعه، كما أن الأجر الذي أتلقاه لا يُصرف لي لأكون لطيفاً ولبقاً.

فعلّق مدير الوكالة:

- احترس ممّا تقول...

لكنّه فَقَدَ صوابه لمّا انتصب إيد فجأة بهيئته الضخمة، وراح يتمطّى من دون أن يعرف أحد ما إذا قام بذلك ليخفّف من آلام ظهره أم ليستعرض سلطته.

فاسترسل الأميرال قائلاً:

- بعثتُك إلى السويد لكي تسوّي هذه الحكاية، لكنّك تعود لتزرع الفوضى وتتسبّب في كارثة.

فردّ إيد:

- أنت تعرف أكثر منّي أنّ الكارثة ليست حديثة. لو أنّني لم أسافر إلى السويد، وأبذل قصارى جهدي، لما كان توفر لنا الوقت لوضع استراتيجية ناجعة. لولاي لما كنتَ اليوم لا تزال في منصبك.

- تقصد أنّني مَدين لك بالشكر؟

- تماماً! وجدت متّسعاً من الوقت لتطرد اللئام من حولك قبل نشر المقالة.

- ولكن كيف وصلت هذه الفضيحة إلى جريدة سويدية؟

- شرحت لك ذلك ألف مرّة.

- حدّثتني عن قرصانتك، لكنّني لم أسمع منك غير تخمينات وكلامٍ فارغٍ.

كان إيد قد وعد واسب بألّا يذكر اسمها، ويتركها بعيداً عن هذه المهزلة، وهو مصمّم على الوفاء بوعده.

فأجاب:

- مهما يكن القرصان، فقد نجح في قرصنة ملفات إنغرام، وسلّمها لميلينيوم، وأنا أتّفق معك في أنّه أمر مزعج. لكن، أتعلم ما هو الأدهى؟

- كلا.

- الأدهى هو أنّه كان بإمكاننا القبض على القرصان، وإيقاف التسرّب، لكنهم أمرونا بوقف التحقيق. ولا يمكن أن أزعم أنّك ساندتني في هذه المسألة.

- بعثتُك إلى ستوكهولم!

- وأرسلتَ رجالي في إجازة لتذهب كلّ جهودنا سدى. لقد تمكّن القرصان الآن من محو كلّ آثاره. يمكننا استئناف البحث بالطبع، لكن هل هذا سيخدم قضيتنا في هذه المرحلة، لا سيما وأنّ العالم أجمع عرف أن قرصاناً صغيراً تافهاً نهبنا؟

- لا أظن. لكنّني أنوي الضرب بقوة على يد ميلينيوم وعلى يد ذلك الصحافي المدعو بلومستروم. كن متيقّناً من هذا.

- بلومفيست، مايكل بلومفيست. لا تتردّد، افعل. أتمنّى لك حظاً موفّقاً. ظهورك في وسائل الإعلام السويدية، ومهاجمتك لبطل الساعة، سيعزّز من شعبيتك حقّاً.

وغمغم مدير الوكالة ببضع كلمات غير مفهومة، قبل أن يختفي.

كان إيد يعلم علم اليقين أنّ الأميرال لن يعمل من أجل إيقاف الصحافي السويدي. فشارلز أوكونور كان يناضل من أجل بقائه السياسي، ولا يستطيع أن يُقدِم على مناورات لا تخلو من مجازفة. وقرّر إيد أن يلتحق بألونا لكي يثرثر معها قليلاً. كان قد تعب من العمل

المضني، وشعر بالحاجة إلى شيء يخفّف عنه، فقرّر أن يعرض عليها القيام بجولة في الحانات القريبة.

قال لها وهو يبتسم:

- هيا نخرج ونشرب لعلّنا ننسى هذا البلاء.

وقفت هانا بالدر عند أعلى المنحدر، فوق فندق شلوس إلمو. دفعت أوغست، وراحت تتابعه وهو ينزلق على الزلاقة الخشبية القديمة التي استعارتها من الفندق. ولمّا توقّفت قرب مخزن بُنّي في الأسفل، انطلقت نازلة المنحدر منتعلة حذاءها الشتوي. كانت أشعة الشمس تنفذ من خلال الثلج الدقيق المتساقط. ولم تكن الريح تهبّ. وفي البعيد تنتصب قمم جبال الألب، وتمتدّ السهول الشاسعة.

لم يسبق لهانا أن عاشت وسط مناظر خلابة كهذه، ولاحظت أنّ حالة أوغست بدأت تتحسّن بالتدريج، بفضل جهود شارلز إيدلمان على وجه الخصوص. لكنّ حياتها لم تكن سهلة. فقد كانت حالتها الجسدية سيّئة. فحتّى وسط هذه المنحدرات الجبلية اضطرّت للتوقف مرّتين بسبب ما شعرت به من ضيق في التنفس. كان علاجها من الإدمان على الأقراص أدهى ممّا تخيّلت. كانت تتكوّم في سريرها ليلاً، فتبدو لها حياتها في صورة مثيرة للشفقة، فكانت تغادر الفراش، وتضرب بقبضتها الجدار وهي تبكي. وفي إحدى الليالي، لعنت لاس ويستمان ولعنت نفسها كذلك.

ومن حسن حظّها أنها كانت تشعر في بعض اللحظات كما لو أنّها تطهّرت، ويتهيّأ لها أنّ السعادة ليست بعيدة. لحظات كانت تتخيّل فيها أن الأمور إلى تغيّر حقّاً، لا سيما حين يعكف أوغست على حلّ معادلاته وسلاسل أعداده، أو يجيب عن أسئلتها، حتّى ولو كانت

أجوبته تلك لا تتعدّى مقاطع أو كلمات مبتورة بحسب طريقته الغريبة في الكلام.

ظلّ ابنها بالنسبة إليها لغزاً. كان يعرض عليها أحياناً أعداداً بالغة الضخامة في معادلات معقّدة، فيتهيّأ لها أنّها قادرة على فهمها.

لن تنسى أبداً اليوم الأوّل في الفندق لمّا رأت أوغست جالساً إلى مكتب غرفتهما وهو يكتب مجموعة كبيرة من المعادلات صوَّرتها وبعثت بها إلى ليزبث. وتلقّت في ساعة متأخّرة من الليل رسالة نصيّة على البلاكفون:

[أخبري أوغست بأنّني فكّكت الشفرة!]

لم يسبق أن رأت ابنها في حالة من الفرح كتلك الليلة، ورغم أنّها كانت لا تزال لم تفهم مضمون الرسالة، ولم تحدِّث أحداً بشأنها، بما في ذلك شارلز إيدلمان، أدركت أنّ شيئاً مهماً في صالحها وقع. شعرت بالفخر، بل بفخر عارم.

شَغَفَها موضوع متلازمة عالِم بالتدريج، ولمّا كان شارلز إيدلمان يحلّ بالفندق، وبعد أن ينام أوغست، كانا يتحدّثان عن قدرات ابنها حتى الفجر... وعن أمور أخرى كذلك.

بالمقابل لم تكن واثقة من أن مضاجعته ستكون فكرة جيّدة. لكنّها لم تكن متأكّدة كذلك من أنها مخطئة، إذ كان شارلز يذكّرها بفرانز، وقالت في نفسها بأنّهم، هي وشارلز وأوغست، أشبه بأفراد أسرة صغيرة يحاولون التعرّف بعضهم على بعض. وقد زارتهم يوماً المعلّمة شارلوت غريبر بصحبة عالم الرياضيات الدانماركي يانز نيروب الذي لاحظ أن أوغست، ولسبب مجهول، مهووس بالمنحنيات الإهليجية وتعميل الأعداد الأولية.

اتّخذت إقامتهم هناك صورة سفر استكشافي في عوالم ابنها

الملغزة. وبينما كانت تنزل المنحدر المكسو بالثلج وتنظر إلى ابنها وهو ينهض من فوق زلاجته، ساورها لأوّل مرة، وبعد مدة طويلة، شعور بأنّها واثقة من شيء واحد، وهو أنّها ستصير أفضل أمّ، وستُعيد ترتيب حياتها.

لم يفهم مايكل بلومفيست سبب شعوره بثقل جسده. كان الأمر أشبه بالمشي تحت الماء، علماً بأنّ ضجّة كبيرة تعالت في الخارج. إنّها نشوة النصر إلى حدّ ما. لا توجد جريدة أو موقع إلكتروني أو إذاعة أو قناة تلفزية لا تريد استجوابه. لكنّه لا يعبأ بذلك، ولا يرى له فائدة. في مناسبات أخرى، لمّا كانت ميلينيوم تحقّق سبقاً صحفياً، كان يخشى هو وإريكا أن تتجاهلهما وسائل الإعلام، وكانا يخطّطان للمشاركة في المنتديات، وتقاسم بعض معلوماتهما. أمّا هذه المرّة فبدت له مثل هذه المناورات عديمة الجدوى.

شاعَ الخبر شيوع النار في الهشيم. لمّا قدّم مدير الوكالة شارلز أوكونور وكاتبة الدولة الأميركية في التجارة ستيلا باركر، خلال مؤتمر صحفي مشترك، اعتذارهما، تبدّدت آخر الشكوك حول صحّة الحكاية، ودقّة تفاصيلها. ولم تعُد الافتتاحيات تتحدّث إلّا عن الفضيحة.

رغم حالة الفوضى والهاتف الذي لا يكفّ عن الرنين، قرّرت إريكا أن تنظّم حفلاً في مكاتب التحرير. قدّرت أنّهم يستحقون جميعاً لحظة من الراحة يرتشفون فيها بعض الكؤوس. فقد نفدت الخمسون ألف نسخة التي سُحبت بالأمس، وعدد زوّار موقع المجلة، الذي كان يقدم أيضاً نسخة إنجليزية، يقدّر بالملايين. وتدفّقت عليهم عروض عقود النشر، وكان عدد طلبات الانخراط يزداد كلّ دقيقة، ووقف المستشهرون في طوابير لينشروا إعلاناتهم عندهم.

ثمّ إنّ أسهم سيرنر ميديا أعيد شراؤها. ورغم العمل المضني الذي كان ينتظر إريكا، فقد نجحت في عقد الصفقة قبل ذلك بأيام. لم يكن الأمر لعب أطفال: شعر ممثلو سيرنر بتوتّرها وقلقها فحاولوا استغلال ذلك إلى أقصى حدّ. كان مايكل وإريكا يعتقدان بأنّهما لن يربحا ذلك الرهان أبداً، لكن في اللحظة الأخيرة، قدّمت شركة غير معروفة، تتّخذ مقرّها في جبل طارق، مساهمة مهمّة، جعلت بلومفيست يبتسم، وسمحت لهم باستعادة الحصص النرويجية. وبالنظر إلى الحالة المتأزمة التي كانوا عليها حينئذٍ، بدا المبلغ الذي عُرض عليهم باهظاً. لكن بعد أربع وعشرين ساعة، إثر نشر الخبر على صفحات المجلّة، استعادت ميلينيوم مجدها، فهنّؤوا أنفسهم على العمل الذي قاموا به. استعادوا حريتهم واستقلالهم، وإن كانوا بالكاد وجدوا الوقت للاستمتاع بذلك.

لم يلبث الصحافيون والمصوّرون أن تحلّقوا حولهما، حتّى خلال تكريم أندري. وإذا كان الجميع يتسابق لتهنئتهم، فإنّ مايكل كان يشعر بالضيق والعجز عن إظهار فرحته في تلك اللحظة نظراً إلى قلّة نومه والصداع الذي يلازمه.

الآن وقد مضت أربع وعشرون ساعة، انهمكوا في تغيير وضع المكاتب بسرعة في مقرّ التحرير، بحيث ألصقوا بعضها ببعض، ووضعوا عليها الشامبانيا والنبيذ والجعة، وكذا بعض المأكولات التي اشتروها من مموّن حفلات ياباني. وشرع المتعاونون والصحافيون المستقلون يتوافدون، لكن أيضاً أصدقاء المجلة أمثال هولجر بالمغرين الذي جاء رغم إعاقته. ساعده مايكل في الدخول إلى المصعد والخروج منه، وقبّله مرّتين أو ثلاثاً.

قال هولجر وعيناه تغرورقان بالدموع:

- لقد توفّقت صغيرتنا.

فأجاب بلومفيست مبتسماً:

- كعادتها.

أُجلِس هولجر في صدر المجلس، وأُمِر بأن يُملأ كأسه بمجرّد فراغه.

سعد بلومفيست بوجوده معهم، كما راقه اجتماع الأصدقاء القدامى والجدد، مثل غابرييلا غران والمفتّش بابلانسكي، الذي ما كان ليكون من بين المدعوين بالنظر إلى علاقاتهما المهنية، وبالنظر إلى وضعه باعتباره محققاً مستقلاً لدى **ميلينيوم**. لكن مايكل ألحّ عليه. وقد قضى المفتش السهرة بكاملها يتجاذب أطراف الحديث مع البروفسور فرح شريف.

كان بلومفيست، الذي ارتدى سروال جينز وأجمل ستراته، يشرب الأنخاب معهما ومع الآخرين. ومرّة أخرى أفرط في الشرب. ومع ذلك لازَمَه شيء من الكآبة والحزن بسبب اختفاء أندري. ظلّت صورة زميله الشاب وهو جالس إلى مكتبه، متردّداً في مرافقته لشرب زجاجة جعة، منقوشة في ذهنه. شغل عليه أندري فكره حتّى أنّه وجد صعوبة في متابعة الأحاديث الدائرة حوله.

ضجر من عبارات الإطراء والمجاملة، ووحدها رسالة بيرنيلا سلّته قليلاً. قالت له فيها: «أخيراً صرت تحرّر مقالات حقيقية يا بابا!» كان ينظر بين الفينة والأخرى إلى الباب. فقد دعيت ليزبث إلى الحفل طبعاً، وكان من المفروض أن تكون ضيفة شرف لو أنّها حضرت. لكنّه لم يتلقّ عنها أيّ خبر، وهو أمر لم يستغربه. كان بودّه أن يشكرها على الأقلّ على مساعدتها الثمينة في مواجهتهم لسيرنر.

لقد مكّنه ملفّها المثير حول إنغرام وسوليفون وغريبانوف من فكّ الجوانب الغامضة في القضية، وحمل إيد دي نيد ونيكولاس، غرانت العامل لدى سوليفون، على أن يقدّم له شخصياً مزيداً من التفاصيل.

أمّا ليزبث، فلم يحصل على أخبارها إلّا مرّة واحدة، لمّا استجوبها عبر تطبيق الريدفون حول ما وقع بإنيارو.

مرّ أسبوع، ومايكل ما زال لا يعرف شيئاً عن رأيها في الروبورتاج. لعلّها غاضبة لأنّه بالَغَ في سرد الوقائع -وكيف له ألّا يفعل أمام أجوبتها المبتسرة؟- أو لأنّه لم يعيّن ربّما كاميلا باسمها، واكتفى بالإشارة إلى أنّ الأمر يتعلّق بشخص روسي سويدي متنكّر خلف اسم تانوس أو الخيمة؟ أو ربّما لأنّها أصيبت بالخيبة لأنّه لم يضرب بشدّة، ولم يُصَفّ الحسابات مع خصومها جميعاً. من الصعب معرفة الحقيقة.

وما زاد الأمر تعقيداً هو أنّ المدعي العام ريتشارد إكشتروم عازم على اتهام ليزبث بالاحتجاز وإتلاف ممتلكات الغير.

لكن ما وقع كان قد وقع، وانتهى المطاف بمايكل أن تجاهل كلّ ذلك وغادر الحفل من دون أن يودّع أحداً، ووجد نفسه وحيداً في الخارج بغوتغاتن.

كان بالغ السوء طبعاً. ولم يجد أفضل من أن يتصفّح على هاتفه الكم الهائل من الرسائل النصية التي وصلته. كانت عبارة عن خليط من التهاني وطلبات الاستجواب، بل ومن كثير من العروض الوقحة. لكن لا شيء من ليزبث، ثمّ أطفأ الهاتف وعاد إلى بيته بخطى متثاقلة بخلاف ما يُتوقّع من رجل أحرز أفضل سبق صحفي في القرن.

جلست ليزبث على مقعدها الأحمر في فيسكارغاتن وهي تنظر بشرود ناحية غاملا ستان وردارفياردن. لقد مضت سنة على شروعها في مطاردة أختها وتعقّب إرث أبيها الإجرامي، وقد أحرزت تقدّماً ملحوظاً في نقاط متعدّدة.

اقتفت أثر كاميلا ووجّهت ضربة موجعة لسبايدر. كشفت صِلاتها

بسوليفون وبالوكالة، ونجحت في قطعِها، كما أنّ عضو الدوما، إيفان غريبانوف، تعرّض لضغوط كبيرة في روسيا. أمّا قاتل فرانز بالدر فلَقِيَ حتفه، وصدرت مذكّرة بحث في حقّ مساعده يوري بوغدانوف، وأجبرت عدداً كبيراً من مهندسي الإلكترونيات على الاختفاء. لكنّ كاميلا لا تزال حيّة، ونجحت ربّما في مغادرة البلد. لعلّها الآن تُعِدُّ لبناء إمبراطورية إجرامية جديدة. فليزبث لم تجهز على فريستها، بل جرحتها فقط، وهو أمر غير كافٍ، وأقل بكثير ممّا كان عليها أن تفعل.

ألقت نظرة على المائدة الواطئة أمامها. وُضِعت فوقها علبة سجائر وعدد من ميلينيوم ما زالت لم تقرأه. التقطته ثمّ أعادته إلى مكانه. تناولته من جديد وشرعت تقرأ التحقيق المطوّل الذي حرّره مايكل. ولمّا أتت على آخر جملة منه، راحت تتأمّل الصورة المرافقة، ثمّ نهضت بقفزة واحدة، وأغلقت على نفسها في الحمام. اغتسلت وتزيّنت ثمّ ارتدت قميصاً أسود ملتصقاً بجسدها، وسترة جلدية وخرجت في تلك الليلة الباردة من ليالي ديسمبر.

شعرت بالبرد. كان الخروج بهذا اللباس الخفيف حماقة، لكنّها لم تعبأ بذلك وتوجّهت إلى مارياتورغيت بخطى حثيثة، ثمّ انعطفت يساراً إلى سويدينبورغسغاتن ثمّ اجتازت باب مطعم سود وجلست إلى البار وطلبت كأس ويسكي ثمّ زجاجة جعة. كان الزبائن في معظمهم من الصحافيين وبعض الفاعلين في الحياة الثقافية، وقد تعرّف عليها معظمهم. أثار دخولها بالطبع الأحاديث والنمائم. وقد لاحظ عازف القيثارة يوهان نوربورغ، الذي كان معروفاً من خلال مقالاته بمجلّة في بشغفه بالتفاصيل الدالة، أنّ ليزبث لم تكن تشرب باستمتاع، بل كانت تشرب كما لو فُرض عليها ذلك.

كانت حركاتها متوتّرة، لذلك لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها. وتساءلت امرأة تدعى ريجين ريشتر، وهي تشتغل معالجة متخصّصة في

السلوك المعرفي، عمّا إذا كانت ليزبث قد ميّزت ولو وجهاً واحداً في المطعم بأسره. لم تُلقِ ولو نظرة واحدة حواليها، ولم تُبدِ اكتراثاً بأيّ شيء، حتّى أن النادل ستيف مايلد اشتبه في أنّها تهيئ عملية أو هجوماً.

وعند التاسعة والربع سدّدت ما عليها واختفت في الليل من دون أن تنبس بكلمة أو تومئ بإشارة. وقد رآها رجل متوسّط العمر يُدعى كينيث هوك، وهو شخص مدمن على الشرب، وغير ذي مصداقية على حدّ زعم زوجاته السابقات وأصدقائه، تعبُر مارياتورغيت كما لو أنها كانت في طريقها إلى «مبارزة».

عاد مايكل رغم البرد إلى بيته بخطى متباطئة وهو مستغرق في أفكاره الكئيبة. لكن ابتسامة ارتسمت على وجهه مع ذلك عند لقائه ببعض الوجوه المألوفة من سكان بيشوبس آرمز.

بادره شخص يُدعى آرن أو شيء من هذا القبيل:

- الواقع أنّ عملك لم ينتهِ بعد!

فأجاب مايكل:

- كلا، لم ينته.

وخطر له أن يشرب زجاجة جعة مع أمير، ويثرثرا قليلاً.

لكنّه شعر بنفسه متعباً، وفضّل أن يظلّ بمفرده، ويواصل طريقه. وبينما كان يصعد السلم، انتابه قلق لم يعرف مصدره، ربّما بسبب كلّ ما عاشه في الأيام الأخيرة. حاول أن يتخلّص من هذا الشعور، لكن القلق لم يفارقه، بل تضاعف لمّا لاحظ أن مصباحاً احترق في الطابق العلوي. كان الظلام دامساً. تباطأ في مشيته ولاحظ شيئاً، حركة فيما يبدو. وفي اللحظة الموالية رأى وميضاً، ضوءاً حقيقياً، أشبه بضوء

شاشة هاتف، وارتسم في السلم طيف شخص رشيق أقرب إلى الشبح، ذي نظرة متّقدة.

فهتف وقد تملّكه الخوف:

- مَن هناك؟

ثمّ تعرّف إليها: إنّها ليزبث. شعر بالارتياح وفتح ذراعيه، لكنّ ارتياحه لم يدُم طويلاً.

بدت ليزبث مغتاظة متأهّبة للهجوم، بنظرتها الشزراء، وجسدها المتصلّب.

- هل أنتِ غاضبة؟

- أشدّ ما يكون الغضب.

- ولماذا؟

تقدّمت ليزبث خطوة إلى الأمام في الممرّ، بوجه شاحب يلمع في الظلام، وتذكرت جرحها.

فردّت وهي تتجه للقائه:

- لأنّي تحمّلت مشقّة المجيء إلى هنا لأجد الباب موصداً.

- إنّها فضيحة.

- أظنّها فضيحة فعلاً.

- وإذا دعوتكِ للدخول الآن؟

- سأجد نفسي مضطرّة لقبول الدعوة.

- مرحباً بكِ إذاً.

ولأوّل مرة منذ زمن بعيد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة.

كلمة شكر

موفور شكري لمساعدتي ماغدالينا هيدلوند، ولوالد ستيغ لارسن وأخيه، ولناشرتي إيفا جيدان وسوزانا رومانوس، والناشر إنجمار كارلسون، وكذا لليندا ألتروف بيرغ وكاترين مورك من وكالة نورستيدس أجنسي.

الشكر الجزيل أيضاً لدافيد جاكوبي، الباحث في نظام الحماية كاسبيرسكي لاب وأندرياس شترومبرغسون، أستاذ الرياضيات بجامعة أوبسالا، وكذا لفريديريك لوران رئيس التحقيقات **بإيكوت**، ومايكل لاغشتروم من **آوتبوست 24**، وللكتّاب: دانييل غولدبورغ ولينوس لارسون ومناحيم هراري.

من دون أن أنسى عزيزتي آن.





دافيد لاغركرانتز

فتاة في شبكة العنكبوت

«كَتَبَ ستيغ لارسن رواية عظيمة أبطالها شخصيات لن تنساها»

كلمات المديح هذه كُتبت عند صدور الجزء الأول من سلسلة **ميلينيوم** قبل عشر سنوات، وأثبتت الأيّام صحّتها على نحوٍ مُذهل. فقد تبيّن أنّ شخصيات **ميلينيوم** لا تُنسى حقّاً، حيث إنها استمرّت حتّى بعد وفاة كاتبها، وها هي اليوم تعرف حياة جديدة على يد الكاتب المبدع دافيد لاغركرانتز.

لا شكّ في أنّ المهمة التي أقدم عليها هذا الكاتب صعبة، وأن الرهان كان محفوفاً بالمخاطر، لكنّ النتيجة جاءت باهرة، إذ عادت ليزبث سالاندر ومايكل بلومفيست في صورة بالغة الصدق، تستجيب إلى حدٍّ كبير لانتظارات ملايين المعجبين من القراء. فأتت **فتاة في شبكة العنكبوت** لتمثّل عودة قوية إلى عوالم **ميلينيوم** الآسرة، واستمراراً لنهج ستيغ لارسن الذي دأب على تشويق ملايين القراء الأوفياء حول العالم.

والأهم من ذلك كله أن هذا الجزء الرابع حافظ على روحية وقيم ستيغ لارسن، من تمرّده الدائم على كل أنواع الظلم، وبحثه المستمر عن الحقيقة، ومساءلته المتواصلة لانحرافات مجتمعنا.

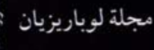
❖ ❖ ❖

«لقد أوفى لاغركرانتز بوعده، والتزمت **ميلينيوم** بنهجها. فما عليكم إلّا الإسراع إلى المكتبات لاقتناء نسختكم».

مجلة لوبوان

«لقد رفع لاغركرانتز التحدي بألمعية، إذ جاء السرد مثيراً، والحبكة أخّاذة. فمتى سيصدر الجزء الخامس؟».

مجلة لوباريزيان


ISBN 978-9953-68-868-8







الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com